كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم
King Abdullah bin AbdulAziz Chair For The Holy Quran

DSR.UQU
عمادة البحث العلمي

جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

مشاريع دعوية

إعـــداد

أ.د.يحيـي بـن محـمد زمزمـي

أ.د. سالم بن غرم الله الزهراني

مراجعة

أ.حســني بـكـر مـرســي

متابعة

أ. رامــي بــن محـمـد الـحـاج

بسم الله الرحمن الرحيم
محمد
١٤٢٢

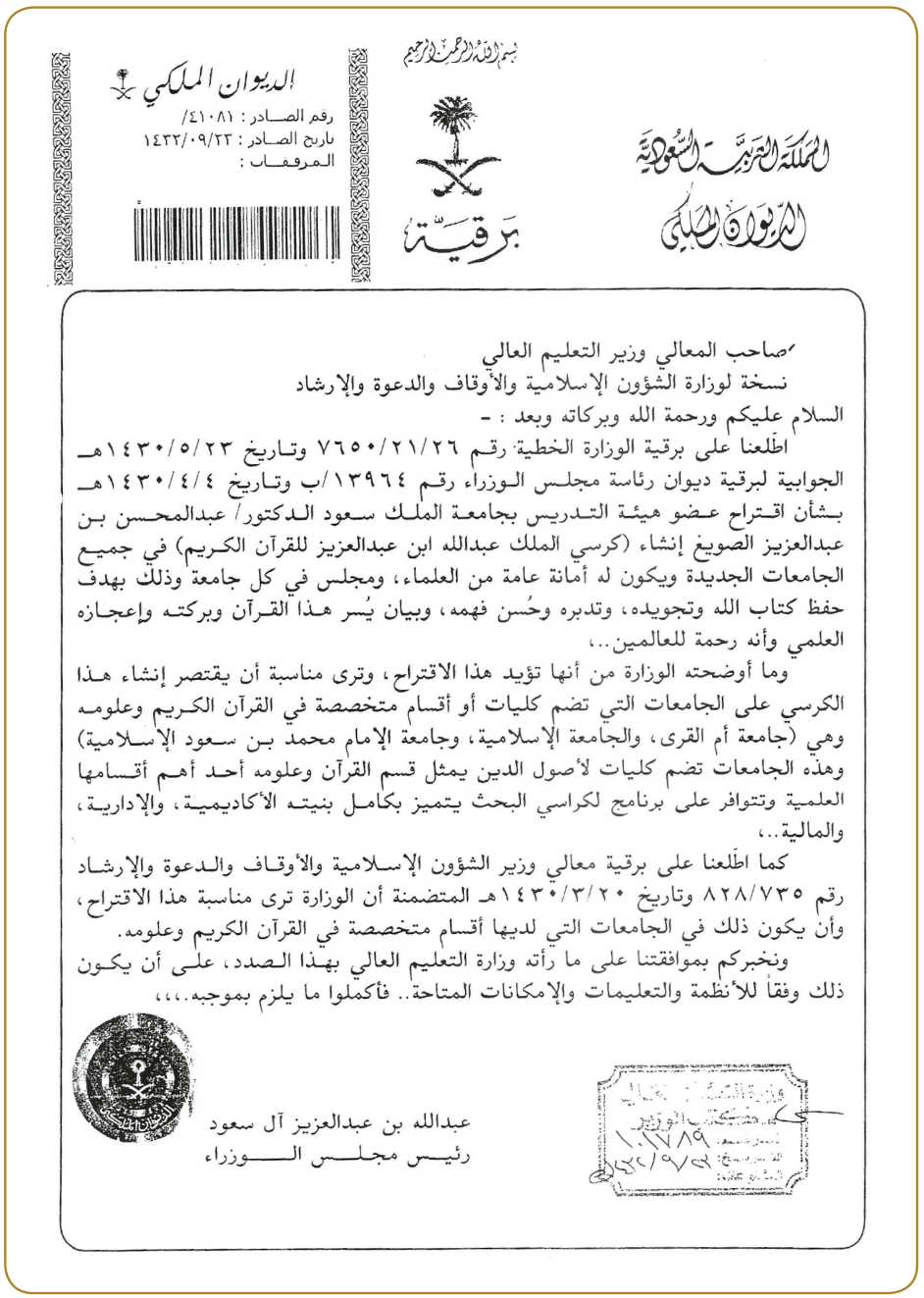

المملكة العربية السعودية
الديوان الملكي

بسم الله الرحمن الرحيم
برقية

الديوان الملكي
رقم الصادر : ٤١٠٨١/
تاريخ الصادر : ١٤٣٢/٠٩/٢٣
المرفقات :

صاحب المعالي وزير التعليم العالي
نسخة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : -

اطّلعنا على برقية الوزارة الخطية رقم ٧٦٥٠/٢١/٢٦ وتاريخ ١٤٣٠/٥/٢٣هـ الجوابية لبرقية ديوان رئاسة مجلس الوزراء رقم ١٣٩٦٤/ب وتاريخ ١٤٣٠/٤/٤هـ بشأن اقتراح عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود الدكتور/ عبدالمحسن بن عبدالعزيز الصويغ إنشاء (كرسي الملك عبدالله ابن عبدالعزيز للقرآن الكريم) في جميع الجامعات الجديدة ويكون له أمانة عامة من العلماء، ومجلس في كل جامعة وذلك بهدف حفظ كتاب الله وتجويده، وتدبره وحُسن فهمه، وبيان يُسر هذا القرآن وبركته وإعجازه العلمي وأنه رحمة للعالمين..،

وما أوضحته الوزارة من أنها تؤيد هذا الاقتراح، وترى مناسبة أن يقتصر إنشاء هذا الكرسي على الجامعات التي تضم كليات أو أقسام متخصصة في القرآن الكريم وعلومه وهي (جامعة أم القرى، والجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) وهذه الجامعات تضم كليات لأصول الدين يمثل قسم القرآن وعلومه أحد أهم أقسامها العلمية وتتوافر على برنامج لكراسي البحث يتميز بكامل بنيته الأكاديمية، والإدارية، والمالية..،

كما اطّلعنا على برقية معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد رقم ٨٢٨/٧٣٥ وتاريخ ١٤٣٠/٣/٢٠هـ المتضمنة أن الوزارة ترى مناسبة هذا الاقتراح، وأن يكون ذلك في الجامعات التي لديها أقسام متخصصة في القرآن الكريم وعلومه.

ونخبركم بموافقتنا على ما رأته وزارة التعليم العالي بهذا الصدد، على أن يكون ذلك وفقاً للأنظمة والتعليمات والإمكانات المتاحة.. فأكملوا ما يلزم بموجبه..،،

عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود
رئيس مجلس الوزراء

قرار الموافقة على إنشاء الكرسي

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين: وبعد :

عنيت المملكة العربية السعودية بخدمة كتاب الله تعالى في مختلف المجالات طباعة ونشراً وتعليماً وبحثاً وإنشاءً للمؤسسات القرآنية ورعاية لأهدافها ودعماً لبرامجها .

وتعزيزاً للدور الرائد الذي اضطلعت به المملكة في هذا المجال أطلق خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - رحمه الله - مبادرة رائدة حيث وجّه بإنشاء ثلاثة كراسي علمية بمسمى: (كرسي الملك عبدالله بن عبد العزيز للقرآن الكريم) في ثلاث جامعات بالمملكة وهي: جامعة أم القرى وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والجامعة الإسلامية ، بموجب برقية المقام السامي رقم : ٤١٠٨١ وتاريخ: ٢٣ / ٩ / ١٤٣٢هـ.

إضـــاءة

إن الحرص على الاهتمام بالقرآن الكريم في هذه البلاد ليس وليد الساعة، وإنما هو جزء من منظومة الحركة العملية الدؤوبة نحو خدمة كتاب الله الكريم وإعلاء شأنه، لكي يوجه الناس كافة وجوههم إلى كتاب الله الكريم والاعتصام به،

إذ سيجدون فيه الملجأ بعد الله لتحصينهم وإعلاء كلمتهم وحل مشكلاتهم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (الأنعام ١٥٣).

كلمة خادم الحرمين الشريفين التي ألقاها نيابة عنه صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة في المسابقة الدولية للقرآن الكريم لعام ١٤٣٠هـ

تميز

د. بكري بن معتوق عساس

مدير جامعة أم القرى

الحمد لله الذي أنزل القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان والصلاة والسلام على سيِد ولد عدنان، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

من تمام نعمة الله تعالى علينا أن هيأ لنا قيادة حكيمة اختارت الكتاب والسنة منهجاً لحياتها، ودستوراً لحكمها، وشِرعة لدولتها، فنذرت نفسها، وسخرت إمكاناتها في خدمة القرآن والسنة، وكان من هذه الإسهامات، ومن عظيم المنح والهبات، توجيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود(رحمه الله) وأمره الرشيد بإنشاء ثلاثة كراسي علمية للقرآن الكريم في ثلاث جامعات سعودية تحمل اسمه الكريم، ومنها كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى ليضيف إلى جامعتنا العريقة تميزاً في خدماتها العلمية، وإثراءً لمشاريعها البحثية، وتطويراً لإنجازاتها الأكاديمية .

مكانة

أ.د. عبد الرحمن بن عبدالعزيز السديس

الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

أستاذ كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم

الحمد لله على نعمه الزاخرة كالعباب – أحمده سبحانه – أنزل إلينا أعظم كتاب ، تبصرة وذكرى لأولي الألباب

لك الحمد حمداً يملأُ الأرض والسما كثيراً غزيراً ما يُعدُ ويحسبُ

لك الحمد ياغفارُ ما هل صيبُ بزاخر وبلٍ فيضُه ليس ينضبُ

وأصلي وأسلم على نبينا وسيدنا محمد بن عبدالله الذي أحيى بالقرآن أمماً كانت في تبار وتباب ، وعلى آله وصحبه خير آل وأصحاب ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب أما بعد :

المستقرئ لتأريخ الأمجاد والحضارات والمتأمل في سير الأمم والمجتمعات يجد أنها تنطلق من مبادئها وثوابتها ونحن أمة القرآن – بحمد الله – نستقي منهجنا من رسالة عظمى ربانية، وأمانة جُلى استثنائية ، وغاية جدٌّ جليلة عالمية، إنها رسالة الإسلام والقرآن وما افتتاح كرسي القرآن الكريم لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز –رحمه الله –، إلا أنموذج مشرق على الاهتمام والعناية والحرص والرعاية من لدن ولاة الأمر وفقهم الله بهذا الكتاب العزيز بل دليل قاطع وبرهان ساطع على حفظ الله لكتابه العظيم في الصدور والسطور تحقيقا لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩) .

الملك عبدالله بن عبدالعزيز

كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم

King Abdullah bin AbdulAziz Chair For The Holy Quran

تعريف كرسي الملك
عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم
بجامعة أم القرى

الفريق الإداري للكرسي

١	أ.د/ يحيى بن محمد زمزمي
الرتبة العلمية	أستـــاذ
المنصب	أستاذ الكرسي عضو هيئة التدريس بقسم القراءات

٢	د/ فيصل بن جميل غزاوي
الرتبة العلمية	أستاذ مشارك
المنصب	رئيس الهيئة الاستشارية للكرسي عميد كلية الدعوة وأصول الدين

٣	أ.د/ طه عابدين طه حمد
الرتبة العلمية	أستـــاذ
المنصب	رئيس الفريق البحثي عضو هيئة التدريس بقسم الكتاب والسنة

٤	أ. د/ سالم بن غرم الله الزهراني
الرتبة العلمية	أستـــاذ
المنصب	عضو هيئة التدريس بقسم القراءات

٥	د/ يوسف بن عبدالله الباحوث
الرتبة العلمية	أستاذ مساعد
المنصب	عضو هيئة التدريس بقسم الكتاب والسنة

٦	د/ أحمد بن عبدالله الفريح
الرتبة العلمية	أستاذ مشارك
المنصب	عضو هيئة التدريس بقسم القراءات

٧	د/ ياسين بن حافظ قاري
الرتبة العلمية	أستاذ مشارك
المنصب	وكيل كلية الدعوة وأصول الدين للتطوير وخدمة المجتمع عضو هيئة التدريس بقسم الكتاب والسنة

٨	د/ فخر الدين الزبير علي الزبير
الرتبة العلمية	أستاذ مشارك
المنصب	عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات القضائية والأنظمة

٩	أ/ عماد الدين حسين محمد الكناني
الرتبة العلمية	ماجستير
المنصب	مدير المشاريع العلمية بالكرسي

١٠	أ/ حسني بكر مرسي
الرتبة العلمية	ماجستير
المنصب	المشاريع العلمية بالكرسي

١١	أ/ رامي بن محمد الحاج
الرتبة العلمية	بكالوريوس
المنصب	مدير مكتب المشرف على الكرسي

الهدف العام للكرسي

عرض المنهج القرآني بأسلوب حضاري يبرز بعده الإنساني في إسعاد البشرية جمعاء في الدنيا والآخرة، من خلال إعداد الأبحاث العلمية والدراسات الميدانية وتصميم النماذج العملية التطبيقية.

رؤية الكرسي

إسعاد الإنسان بهدي القرآن .

رسالة الكرسي

تبيين المنهج القرآني للناس حتى يكون هدياً يمتثلونه وواقعاً يعيشونه .

مجالات عمل الكرسي :

تقسيم مجالات عمل الكرسي في أربعة محاور رئيسة وهي:

المحور الأول:

المشاريع البحثية التخصصية

المحور الثاني:

الإصدارات والمخرجات العلمية

المحور الثالث:

الشراكات العلمية

المحور الرابع :

الأنشطة والفعاليات

البحث الأول

علم توجيه القراءات

(تاريخه ومصادره)

اسم الباحث

أ . د. سالم بن غرم الله الزهراني

قسم القراءات -جامعة أم القرى

عضو الفريق الإداري لكرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقران الكريم

أ . د . سالم بن غرم الله الزهراني

الرتبة العلمية	أستاذ
الكلية	كلية الدعوة وأصول الدين
القسم	القـــــراءات
المنصب الحالي	عضو الفريق الإداري للكرسي
البريد الإلكتروني	drsalem.z@gmail.com

المؤهلات العلمية

بكالوريوس في القرآن الكريم والقراءات من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ماجستير في التفسير وعلوم القرآن (تخصص القراءات) من قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى .

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن (تخصص القراءات) من قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى

عدة إجازات في القراءات السبع والعشر من عدد من أصحاب الفضيلة المقرئين ، وهم :
١- فضيلة الشيخ المقرئ الكبير : أحمد عبد العزيز الزيات - رحمه الله - أعلى القراء سنداً في مصر .
٢- فضيلة الشيخ الدكتور : علي بن عبد الرحمن الحذيفي إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف .
٣- فضيلة الشيخ المقرئ : عبد الرافع بن رضوان بن علي الشرقاوي ، أستاذ القراءات في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية سابقاً ، وعضو لجنة مراجعة المصاحف بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

الإنتاج العلمي أ) الرسائل العلمية

الكافي في القراءات السبع : لمحمد بن شريح الرعيني الإشبيلي الأندلسي (ت٤٧٦هـ) دراسة وتحقيق (رسالة الماجستير)
غيث النفع في القراءات السبع لعلي بن سالم بن محمد النوري الصفاقسي (ت١١١٨هـ) دراسة وتحقيق . (رسالة الدكتوراه)

ب) البحوث العلمية

العنوان	معلومات النشر
أثر القراءات القرآنية في المسائل العقدية	لم ينشر
أثر القراءات وتوجيهها في حفظ اللغة العربية	لم ينشر
اختلاف أحكام التجويد عند القراء العشرة	لم ينشر
تأثير القرآن في النفوس (من وجوه إعجاز القرآن الكريم)	منشور في حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، السنة السادسة – العدد الثالث عشر، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م
توجيه الإمام الشاطبي للقراءات في منظومته حرز الأماني ووجه التهاني	لم ينشر
جهود العلماء في نظم القراءات	لم ينشر
رسالة (مشكلات الشاطبي ليوسف أفندي زاده) دراسة وتحقيق	منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد ٥١ محرم ١٤٣٢هـ / يناير ٢٠١٠م والعدد ٥٥ ربيع الثاني ١٤٣٣هـ / مارس ٢٠١٢م .
سنة التكبير عند ختم القرآن	منشور في مجلة فكر وإبداع برابطة الأدب الحديث العدد الثامن والخمسون أبريل ٢٠١٠م .
ضبط القرآن الكريم نشأته وتطوره وعناية العلماء به	لم ينشر

ب) البحوث العلمية

العنوان	معلومات النشر
القصيدة الطاهرة في القراءات العشر لطاهر بن عرب الأصبهاني ، عرض ودراسة	مجلة البحوث والدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف العدد (١١) السنة السابعة والثامنة محرم ١٤٣٣-١٤٣٤هـ ، ديسمبر ٢٠١١-٢٠١٢م .
مظاهر الوفاق والخلاف بين المشارقة والمغاربة في ضبط القرآن الكريم	لم ينشر
الماهر بالقرآن ضوابطه وفضائله	لم ينشر
القيم الأخلاقية وأثرها في بناء الأمم	لم ينشر
أصول رواية الدوري عن أبي عمرو وعن الكسائي عرض ومقارنة	منشور في مجلة تأصيل العلوم بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم بالسودان السنة السادسة، العدد الثامن، ٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ .
توجيه المبرد للقراءات في كتابه (الكامل)	مجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد (٢٠) ١٤٣٦هـ .
الحروف المقطعة وأحكامها الأدائية عند القراء العشرة	مجلة معهد الإمام الشاطبي العدد (١٨) ١٤٣٦هـ .

أوراق العمل

عنوان الورقة	المؤتمر
(دور الطالب والمعلم التكاملي في نجاح الحلقة القرآنية)	(الملتقى الأول للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة، بعنوان : نحو حلقة نموذجية) .
(القرآن الكريم وأثره في النفس والمجتمع) .	ملتقى (عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وتعليمه) الذي نظمته الإدارة العامة للتربية والتعليم بالعاصمة المقدسة .
آليات التنسيق والتعاون بين كراسي الملك عبد الله للقرآن الكريم	اللقاء التنسيقي بين كراسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بالجامعات السعودية .
الحكم الربانية في اختلاف القراءات القرآنية	ندوة (الاختلاف المحمود) التي نظمتها جمعية القراء والحفاظ في أندونيسيا .

الدورات التدريبية

دورة (المدرب المعتمد لنشر ثقافة الحوار) التي قدمها مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في (٢١ / ٥ – ١ / ٦ / ١٤٣٠هـ الموافق ١٦-٢٥ / ٥ / ٢٠٠٩م) .
دورة (القيادة الإدارية) المنعقدة بمعهد الإدارة العامة بالرياض في (٢١-٢٣ / ٢ / ١٤٣٣هـ) .
دورة (استخدام تقنية المعلومات في خدمة القرآن الكريم والعلوم المتصلة به) المقامة في كوالالمبور بماليزيا في (١٧-٢٣ / ٣ / ١٤٣٥هـ الموافق ١٩-٢٥ / ١ / ٢٠١٤م) .
دورة (التميز البحثي في الدراسات القرآنية والشرعية والعلوم المتصلة بهما من علوم العربية) المقامة في كوالالمبور بماليزيا في (١٣-٢٢ / ١٠ / ١٤٣٥هـ الموافق ٩-١٨ / ٨ / ٢٠١٤م) .
دورة (مقاصد القرآن الكريم وآثارها في فهم الشريعة) المنعقدة بالمملكة المغربية في ٢٩ / ٥-٩ / ٦ / ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠-٢٨ / ٣ / ٢٠١٥م) .

المشاركة في تحكيم المسابقات القرآنية المحلية والدولية

مسمى المسابقة	الدولة
المسابقة المحلية على جائزة الأمير سلمان بن عبد العزيز	المملكة العربية السعودية
مسابقة الملك عبد العزيز الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره .	المملكة العربية السعودية
جائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن الكريم للعسكريين .	المملكة العربية السعودية
جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم .	الإمارات العربية المتحدة
مسابقة سيد جنيد عالم الدولية في حفظ القرآن الكريم بمملكة البحرين .	مملكة البحرين
المسابقة الهاشمية الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره	الأردن
مسابقة تلاوة القرآن الكريم الدولية	ماليزيا
المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتجويده	إندونيسيا
مسابقة الأمير سلطان لحفظ القرآن والسنة لدول آسيان والباسفيك في جاكرتا	إندونيسيا
مسابقة القارئ الصغير العالمية لتلاوة القرآن الكريم	قطر

المشاركة في تحكيم المسابقات القرآنية المحلية والدولية

عنوان المؤتمر	الجهة المنظمة	الدولة	نوع المشاركة
مؤتمر (القرآن الكريم لغته وتفسيره)	جامعة جاكرتا الحكومية	إندونيسيا	بحث
مؤتمر (القراءات القرآنية والإعجاز)	كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة شعيب الدكالي	المملكة المغربية	بحث
(المؤتمر الدولي للقراءات والقراء)	جامعة دار الإيمان	بماليزيا	بحث
(المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه) في موضوع (جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه)	مؤسسة البحوث والدراسات العلمية بالرابطة المحمدية للعماء	المملكة المغربية	بحث
المؤتمر القرآني الدولي السنوي مقدس ٢	مركز بحوث القرآن في جامعة ملايا	ماليزيا	بحث
المؤتمر القرآني الدولي السنوي مقدس٣	مركز بحوث القرآن في جامعة ملايا	ماليزيا	بحث
المؤتمر القرآني الدولي السنوي مقدس ٤	مركز بحوث القرآن في جامعة ملايا	ماليزيا	بحث
مؤتمر (مستقبل اللغة العربية في عصر العولمة بين الأمل واليأس)	جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية	إندونيسيا	بحث
مؤتمر (المصحف الشريف ومكانته في الحضارة الإسلامية)	المعهد العالي للقراءات والدراسات القرآنية بجامعة العلوم الإسلامية العالمية	الأردن	بحث
ندوة (التعليم الديني وأثره في المجتمع المعاصر)	جامعة ويبر الحكومية وكلية وستمنستر ومعهد الدراسات الدينية في جامعة يوتا	الولايات المتحدة الأمريكية	بحث
المؤتمر العالمي للقرآن الكريم في عصر العولمة	جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية	بروناي دار السلام	بحث
مؤتمر (أخلاقيات العمل الوظيفي)	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تبسّة	الجزائر	بحث

المشاركة في تحكيم المسابقات القرآنية المحلية والدولية			
عنوان المؤتمر	الجهة المنظمة	الدولة	نوع المشاركة
المؤتمر العلمي العالمي الأول (توطين رواية الإمام الدوري)	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم	السودان	بحث
الملتقى الدولي العاشر (المبرد الأزدي جهوده العلمية وآثاره اللغوية والأدبية)	جامعة آل البيت	الأردن	بحث
المؤتمر العالمي الثاني للقراءات القرآنية	مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرائية المتخصصة – الرابطة المحمدية للعلماء	المملكة المغربية	بحث
المؤتمر العالمي الثاني للقرآن والسنة (الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين)	الجامعة الإسلامية العالمية	ماليزيا	بحث
المؤتمر القرآني الرابع (الشباب ومستقبل الأمة)	جمعية المحافظة على القرآن الكريم	الأردن	بحث
المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية (اللغة العربية صاحبة الجلالة)	المجلس الدولي للغة العربية بالتعاون مع جامعة الدول العربية	الإمارات العربية المتحدة	بحث
المؤتمر العالمي الثاني للقراءات القرآنية) التلقي القرآني في العهد النبوي - أنماط ومآلات)	مركز أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرائية المتخصصة	المملكة المغربية	بحث
المؤتمر العالمي الثاني لتعليم القرآن الكريم (المنهج النبوي في تعليم القرآن الكريم)	وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بمملكة البحرين، والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي	مملكة البحرين	بحث

المناصب الإدارية وعضوية اللجان العلمية	
المهمة	التاريخ
عضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه	منذ تأسيسها عام ١٤٢٣هـ إلى الآن
عضو مجلس إدارة الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه في دورته الثانية	١٤٢٧-١٤٣٠هـ
رئيس فرع الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه بمكة المكرمة في الفترة الثانية	١٤٢٧-١٤٣٠هـ
رئيس قسم القراءات بجامعة أم القرى	١٢ / ٤ / ١٤٣١- ١٢ / ٤ / ١٤٣٣هـ
عضو المجلس العلمي لمعهد الإمام الشاطبي	من عام ١٤٢٩هـ إلى الآن
عضو الفريق الإداري لكرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم	من عام ١٤٣٣هـ إلى الآن

أُصُولُ رِوَايَـةِ الـدُّورِيِّ

عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْبَصْرِيِّ وَعَنِ الْكِسَائِيِّ

(عَرْضٌ وَمُقَارَنَةٌ)

إعداد

أ . د. سالم بن غرم الله الزهراني

الأستاذ بقسم القراءات بجامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر] وقد هيأ الله تعالى له نقلة مخلصين، ومقرئين ثقات أفنوا أعمارهم في خدمة القرآن الكريم وإقرائه، ونقله على الوجه الصحيح، حتى غدت قراءاتهم منشرة في الأمصار، وصار ذكرهم شائعاً في الآفاق، ومن أولئك الأئمة الأعلام الذين شاع ذكرهم وانتشرت قراءاتهم الإمام حفص الدوري الذي كتب الله لروايته البقاء والانتشار في عدد من الأقطار، حيث تنتشر في السودان وبعض البلدان المجاورة لها، في حين أن عدداً ليس بالقليل من القراءات والروايات قد اندثرت القراءة بها، ولم تعد معروفة في الأقطار إلا لدى المقرئين ومن يجمع عليهم القراءات جمعاً، وليس لها وجود كرواية معروفة مشتهرة لدى كافة الناس.

وقد انفرد الإمام الدوري من بين سائر رواة القراء العشرة بأن نقلت لها روايتان متواترتان عن قارئين من القراء، وهما الإمام أبو عمرو البصري، والإمام الكسائي، صحيح أن بعض الرواة الآخرين عن القراء العشرة قد قرؤواعلى أكثر من قارئ من القراء العشرة كابن ذكوان الذي قرأ على الكسائي ولم تشتهر له عنه رواية وكعيسى بن وردان وسليمان بن جماز الذَّينِ قرءا على نافع ولم يشتهر لهما عنه رواية، ولم يشتهر إلا روايتهما عن أبي جعفر.

أما الدوري فإنه قرأ على أبي عمرو بواسطة اليزيدي، وقرأ على الكسائي مباشرة، واشتهرت روايتاه عنهما، وصارتا روايتين معتمدتين عن أبي عمرو والكسائي.

ورغبة مني في دراسة روايتي الـدوري فقد جعلت هذا البحث بعنوان (أصول رواية الدوري عن أبي عمرو البصري وعن الكسائي عرض ومقارنة) حيث أستعرض فيه أصول روايته عن كل منهما، مع مقارنة مواضع الاتفاق والاختلاف بين الروايتين.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة وفصلين، وخاتمة، وفهارس، وبيانها كما يلي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وخطة البحث.

الفصل الأول: ترجمة الإمام الدروي وشيخيه أبي عمرو والكسائي، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة الإمام أبي عمرو البصري.

المبحث الثاني: ترجمة الإمام الكسائي.

المبحث الثالث: ترجمة الإمام الدوري.

المبحث الرابع: أسانيد الإمام الدوري في روايتيه.

الفصل الثاني: عرض ومقارنة أصول رواية الدوري عن أبي عمرو وأصول روايته عن الكسائي.

الخاتمة: وتشتمل على أهـم النتائج وأبـرز الظواهر في الروايتين وبعض التوصيات.

الفهارس: وتشمل:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول:
ترجمة الإمام الدروي وشيخيه أبي عمرو والكسائي،
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة الإمام أبي عمرو البصري[1]:

اسمه ونسبه وكنيته:

اختلف في اسمه على أكثر من عشرين قولاً، بعضها تصحيف من بعض.

قال ابن وهبان المزي:"ولم يختلف في اسم ما اختلف في هذا، وهذا مما يدل على جلالته وعظم هيبته، وعلو رتبته، جلَّ أن يخاطب باسمه، حتى اشتهر بكنيته، وخفي اسمه"[2].

وأكثر الناس من الحفاظ وغيرهم على أنه: زبَّان بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري.

قال الحافظ أبو العلاء الهمذاني:"هذا الصحيح الذي عليه الحذاق من النُّسَّاب"[3].

وأسند ابن مجاهد عن الأصمعي أنه قال:"سألت أبا عمرو ما اسمك ؟ فقال: زبَّان"[4].

وقال روح بن عبد المؤمن:"حدثني العريان أن اسم أخيه أبي عمرو بن العلاء: زبَّان"[5].

---

(١) مصادر ترجمته:
أخبار النحويين البصريين ص٢٢ أحاسن الأخبار ص٣٦٧ بغية الوعاة ٢ / ٢٣١ تاريخ الإسلام ٦ / ٣٢٢ تاريخ البخاري ٩ / ٥٥ تهذيب التهذيب ١٢ / ١٨٧ تهذيب الكمال ص١٦٢٩ سير أعلام النبلاء ٦ / ٤٠٧ العبر ١ / ١٧١ غاية النهاية ١ / ٢٨٨ فوات الوفيات ١ / ٢٣١ مراتب النحويين ص١٣ معرفة القراء الكبار ١ / ٢٢٣ نزهة الألباء ص١٥ وفيات الأعيان ٣ / ٤٦٦.

(٢) أحاسن الأخبار ص٣٧١.

(٣) نقله ابن الجزري في غاية النهاية ١ / ٢٨٨ ونحو ذلك قال الذهبي في معرفة القراء الكبار ١ / ٢٢٣.

(٤) السبعة ص٨٠.

(٥) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٢٤.

وحكى الأندرابي في الإيضاح أن الفرزدق قرأ على أبي عمرو وأنه قال فيه[1]:

وَعِشْرُونَ عَاماً فَرَّ زَبَّانُ هَارِباً أَبُو عَمْرٍو النَّحْوِيُّ يَأْوِي البَوَادِيَا

وزبَّان مشتق من الزَّبِّ وهو كثرة الشعر، يقال: بعير أَزَبّ، أي كثير الشعر، فالألف والنون فيه مزيدتان، ووزنه فعلان، فلا ينصرف على هذا.

أو هو مشتق من الزَّبْن، وهو الدفع والبعد، يقال في الناقة الزبون، أي: تزبن حالبها، أي: تدفعه وتبعده، فوزنه فَعَّال، والنون أصلية وهو منصرف، والأول أصح[2].

ويعرف بالمازني وبالكازَرُني وبالبصري، فأما المازني فنسبة إلى مازن، وهي قبيلة من تميم، ومازن في أجداده يحتمل أنه نسب إليه، وقيل إنما قيل له المازني لأنه مولىً لهم، وهذا قول من قال إنه مولى، وقيل إنه مولى لبني العنبر، وقيل مولىً لبني حنيفة.

وذُكر أنه وُجد على قبره: هذا قبر أبي عمرو بن العلاء بن عمار مولى بني حنيفة[3].

ورُوي أن أبا عمرو مرَّ بمجلس قوم بالكوفة وهو على بغلة، فقال قائلهم: ليت شعري ممن الرجل، أعربيٌّ أم مولى ؟ فرجع إليه وقال له: أما النسب ففي مازن، وأما الولاء ففي العنبر، وقال للبغلة: عَدَسْ - وهو زجر للبغال خاصة - فذهبت به[4].

وقال الأصمعي:"ركب أبو عمرو يوماً في أصحابه على بغلة شهباء، فمرَّ في

---

(١) الإيضاح في القراءات العشر ق ٨٤ / أ، وذكر ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٣ / ٣٦٤ أن أباعمرو بلغه هجاء عن الفرزدق، فجاءه الفرزدق معتذراً، فقال له أبو عمرو: هَجَوتَ زَبَّانَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِراً مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ

ونسب ابن وهبان المزي البيت السابق مع اختلاف في أوله (وَعِشْرِينَ عَاماً فَرَّ زَبَّانُ هَارِباً) إلى السجستاني، انظر أحاسن الأخبار ص٣٦٩، وصرح السخاوي في جمال القراء ٢ / ٤٥٣ باسم السجستاني وهو أبو داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن، وعرَّف بقصيدته وأنها في محنة أهل العلم، لكن الإيضاح للأندرابي أسبق.

(٢) انظر الاشتقاق ص٢٠٥.

(٣) انظر السبعة ص٨٤، وقال الذهبي:"لعله أراد ولاء الحلف"معرفة القراء ١ / ٢٣٧.

(٤) انظر السبعة ص٨١ ومعرفة القراء ١ / ٢٣٧.

بعض طرق البصرة، فقال رجل: أتعلم هذا من هو ؟ ومن مواليه ؟ فسمعه أبو عمرو، فقال: نعم النسب لتميم، والولاء لمازن"[١].

والصحيح أنه عربي خالص النسب، قال ابن وهبان المزي:"وهو الصحيح، حتى قال قوم: لم يختلف في أنه صريح"[٢]، وقد صرح بذلك الإمام الشاطبي في قوله[٣]:

أَبُو عَمْرِهِمْ وَالْيَحْصَبِيُّ ابْنُ عَامِرٍ صَرِيحٌ وَبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلا

فأبو عمرو البصري وابن عامر اليحصبي نسبهما خالص من الرق ومن ولادة العجم، فهما من صميم العرب، في حين أن باقي الأئمة السبعة أحاط به الولاء وأحدق به[٤].

وقال أبو شامة:"وغلب على ذرية العجم لفظ الموالي، يقال فلان من العرب، وفلان من الموالي، فهذا الذي ينبغي أن يحمل عليه ما أشار إليه بقوله: أحاط به الولا، يعني ولادة العجم، ولا يستقيم أن يراد به ولاء العتاقة، فإن ذلك لم يتحقق فيهم أنفسهم ولا في أصول جميعهم، ولا يستقيم أن يراد به ولاء الحلف، فإن العربية لا تنافي ذلك.."[٥].

وأما الكازروني فنسبة إلى كازَرُن مدينة بفارس[٦]، وأما البصري فنسبة إلى البصرة بالعراق.

مولده ونشأته:

اختلف أيضاً في مولد أبي عمرو البصري، فقيل سنة ثمان وستين، وقيل سنة سبعين، وقيل سنة خمس وستين، وقيل سنة خمس وخمسين.

(١) انظر أحاسن الاخبار ص٣٧٣.
(٢) أحاسن الأخبار ص٣٧٣.
(٣) حرز الأماني ص ٤.
(٤) انظر كنز المعاني للجعبري ٢ / ٩٥ (تحقيق اليزيدي) والعقد النضيد ١ / ١٤٣.
(٥) ابراز المعاني ١ / ١٦٠.
(٦) انظر الأنساب ٥ / ١٤ وكازَرُون مدينة بفارس، انظر معجم البلدان ٤ / ٤٢٩.

وكان مولده بمكة، ونشأ بالبصرة، وتوجه مع أبيه لما هرب من الحجاج إلى مكة المدينة.

فقرأ بمكة والمدينة، وقرأ أيضاً بالكوفة والبصرة على جماعة كثيرة فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه.

شيوخه:

أخذ أبو عمرو البصري بالكوفة والبصرة على جماعة كثيرة، كما قرأ أيضاً بمكة والمدينة لما هرب مع أبيه من الحجاج، وليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، ومن أشهر شيوخه[1]:

١- أحمد بن محمد بن عبد الله الليثي.
٢- إسحاق بن يوسف بن يعقوب الأنباري
٣- خارجة بن مصعب.
٤- سلام بن سليمان الطويل.
٥- عبد الله بن المبارك.
٦- عبد الملك بن قريب الأصمعي.
٧- عبد الوارث بن سعيد.
٩- هارون بن موسى الأعور.
١٠- يحيى بن المبارك اليزيدي.
١١- يونس بن حبيب.

تلاميذه:

أخذ عن أبي عمرو البصري وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً خلق كثير[2]، ومنهم:

١- أنس بن مالك.
٢- حميد بن قيس الأعرج.
٣- سعيد بن جبير.
٤- شيبة بن نصاح.
٥- عاصم بن أبي النجود.
٦- عبد الله بن كثير المكي.
٧- عطاء بن أبي رباح.
٨- مجاهد بن جبر.
٩- محمد بن عبد الرحمن بن محيصن.
١٠- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني.

(١) للتوسع في معرفة شيوخه ينظر معرفة القراء ١ / ٢٢٥ وغاية النهاية ١ / ٢٨٩.
(٢) للتوسع في معرفة تلاميذه ينظر معرفة القراء ١ / ٢٢٨ وغاية النهاية ١ / ٢٨٩.

وروى عنه الحروف: ١٢- محمد بن الحسن بن أبي سارة ١٣- سيبويه.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان أبو عمرو البصري أعلم الناس بالقرآن والعربية، مع الصدق والثقة والزهد.

قال الأصمعي: قال لي أبو عمرو: لو تهيأ لي أن أفرغ ما في صدري في صدرك لفعلت، لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كُتبت ما قدر الأعمش على حملها...

وقال أبو عبيدة: كانت دفاتر أبي عمرو ملء بيت إلى السقف، ثم تنسك فأحرقها، وتفرد للعبادة، وجعل على نفسه أن يختم في كل ثلاث.

وتقدم قول ابن وهبان المزي: "ولم يختلف في اسم ما اختلف في هذا - يعني اسم أبي عمرو - وهذا مما يدل على جلالته وعظم هيبته، وعلو رتبته، جلّ أن يخاطب باسمه، حتى اشتهر بكنيته، وخفي اسمه"(١).

وقال الأصمعي: سمعت أبا عمرو يقول: ما رأيت أحداً قبلي أعلم مني، قال الأصمعي: أنا لم أر بعد أبي عمرو أعلم منه، وكان إذا دخل شهر رمضان لم يتم فيه بيت شعر، وسمعته يقول: أشهد أن الله، يضل ويهدي، ولله مع هذه الحجة على عباده.

وقال عنه الذهبي: "الإمام الكبير المازني البصري المقرئ النحوي شيخ القراء بالبصرة"(٢).

وقال ابن الجزري: "وروينا عن الأخفش قال مر الحسن بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال من هذا فقالوا أبو عمرو فقال لا إله إلا الله كادت

(١) أحاسن الأخبار ص٣٧١.
(٢) معرفة القراء ١ / ٢٢٣.

العلماء أن تكون أرباباً كل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل يؤول"[1].

وكان رحمه الله متواضعاً يعرف قدر العلماء السابقين، فقد حكى الأصمعي عنه قال: "قال أبو عمرو إنما نحن فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال"[2].

وكان أبو عمرو متوارياً فدخل عليه الفرزدق فأنشده[3]:

مَـا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَابـاً وَأُغْلِقُهَا ... حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرِو بْنَ عَمَّارِ

حَتَّى أَتَيتُ فَتىً ضَخْماً دَسِيعَتُه ... مُـرَّ الْـرِيرَةِ حُـرّاً وَابْنَ أَحْـرَارِ

يَنْمِيهِ مِنْ مَازِنٍ فِي فَرْعِ نَبْعَتِهَا ... أَصْـلٌ كَـرِيمٌ وَعُـودٌ غَـيرُ خَـوَّارِ

وفاته:

مات أبو عمرو بالكوفة، سنة أربع وخمسين ومائة، وقيل سنة خمس وخمسين، وقيل سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ثمان وأربعين ومائة.

قال أبو عمرو الأسدي: "لما أتى نعي أبي عمرو أتيت أولاده فعزيتهم عنه، فإني لعندهم إذ أقبل يونس بن حبيب، فقال: نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبهاً له آخر الزمان، والله لو قُسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهاداً، والله لو رآه رسول الله ﷺ لسره ما هو عليه"[4].

(١) غاية النهاية ١ / ٢٩١.

(٢) معرفة القراء ١ / ٢٣٥.

(٣) انظر إبراز المعاني ١ / ١٥١ ومعرفة القراء ١ / ٢٣٦ والثقات لابن حبان ٦ / ٣٤٧ وأحاسن الأخبار ص٣٨٤.

(٤) غاية النهاية ١ / ٢٩٢.

المبحث الثاني: ترجمة الإمام الكسائي[1]:

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، مولاهم، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق، وكنيته أبو الحسن، ولقبه الكسائي، واختلف في سبب تسميته بالكسائي، والصحيح كما نص عليه ابن الجزري أنه سئل عن ذلك فقال: لأني أحرمت في كساء[2].

مولده ونشأته:

ولد الكسائي في حدود سنة عشرين ومئة.

ونشأ في الكوفة وفيها تعلم ثم رحل عدة رحلات، حيث خرج إلى البصرة، فلقي الخليل، ثم خرج إلى بادية الحجاز، وقد كانت وفاته كما سيأتي أثناء رحلة في صحبة هارون الرشيد إلى خراسان.

ونص ابن الجزري على أنه دخل دمشق أيضاً، وذكر أن الحافظ ابن عساكر لم يذكر الكسائي في تاريخ دمشق، ثم أورد بسنده عن نصير قال:"دخلت على الكسائي في مرضه الذي مات فيه فأنشأ يقول:

قَدَرٌ أَحَلَّكَ ذَا النَّخِيلَ وَقَدْ أَرَى ... وَأَبِـي وَمَـالِـكُ ذُو النَّخِيلِ بِـدَارِ

إِلَّا كَـدَارِكُـمُ بِـذِي بَقَرِ اللِّوَى ... هَـيْـهَـاتَ دَارُكُـمُ مِـنَ الْـمِـزْوَارِ

(١) مصادر ترجمته:

إنباه الرواة ٢ / ٢٥٦، ٢٧٤ الأنساب ١٠ / ٤١٩ البداية والنهاية ١٠ / ٢١٨ بغية الوعاة ٢ / ١٦٢ التاريخ الصغير ٢ / ٢٤٧ التاريخ الكبير ٦ / ٢٦٨ تاريخ بغداد ١١ / ٤٠٣ تهذيب التهذيب ٧ / ٣١٣ سير أعلام النبلاء ٩ / ١٣١ شذرات الذهب ١ / ٣٢١ العبر ١ / ٣٠٢ غاية النهاية ١ / ٥٣٥ الفهرست ص٢٩ مرآة الجنان ١ / ٤٢١ مراتب النحويين ص٧٤ المعارف ص٥٤٥ معجم الأدباء ١٣ / ١٦٧، ٢٠٣ معرفة القراء الكبار ١ / ٢٩٦ النجوم الزاهرة ٢ / ١٣٠ نزهة الألباء ص٦٧-٧٥ وفيات الأعيان ٣ / ٢٩٥.

(٢) غاية النهاية ١ / ٥٣٩ وقد أشار إلى الأقوال الأخرى، وهي: أنه كان يتشح بكساء ويجلس في حلقة حمزة، فيقول: اعرضوا على صاحب الكساء، أو أنه كان من قرية باكسايا.

قال نصير: فقلت كلا ويمتع الله الجميع بك، قال: إني قلت: إني كنت أقرئ الناس في مسجد دمشق، فاغفيت في المحراب، فرأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم داخلاً من باب المسجد، فقام إليه رجل فقال: بحرف من نقرأ ؟ فأومأ إلي، قال ابن الجزري: قلت فهذا تصريح منه بدخوله دمشق واقرائه بمسجدها، ولو اطلع أبو القاسم بن عساكر الحافظ على هذا لذكره فيمن دخل دمشق، فإنه ذكر غيره بأخبار واهية، ولا يمنع دخول الكسائي دمشق فإنه كان أولاً يطوف البلاد كما ذكر غير واحد وإنما أقام ببغداد في آخر وقت، وقد ذكر هذه الحكاية أيضاً أبو الحسن طاهر بن غلبون في كتابه التذكرة"[1].

شيوخه:

أخذ الكسائي القراءة عرضاً عن عدد من الشيوخ، منهم:

١- حمزة بن حبيب الزيات، أخذ عنه القراءة عرضاً أربع مرات، وعليه اعتماده ٢- محمد بن أبي ليلة ٣- عيسى بن عمر الهمداني.

وروى الحروف عن آخرين، ومنهم:

٤- أبو بكر بن عياش ٥- إسماعيل بن جعفر ٦- يعقوب بن جعفر ٧- المفضل بن محمد الضبي ٨- زائدة بن قدامة عن الأعمش ٩- محمد بن الحسن بن أبي سارة ١٠- قتيبة بن مهران.

وأخذ اللغة عن: الخليل بن أحمد حين رحل إلى البصرة.

(١) غاية النهاية ١ / ٥٣٧ وانظر التذكرة ١ / ٥٦.

تلاميذه:

أخذ عن الكسائي القراءة عرضاً وسماعاً خلق كثير، نذكر منهم على سبيل الاختصار من المكثرين عنه:

١- أحمد بن جبير.
٢- عبد الرحمن بن واقد.
٣- عبد الله بن أحمد بن ذكوان.
٤- أبو عبيد القاسم بن سلام.
٥- قتيبة بن مهران.
٦- الليث بن خالد.
٧- نصير بن يوسف.
٨- هارن بن عيسى.
٩- هارون بن يزيد.
١٠- يحيى بن آدم.
١١- يحيى بن زياد الخوارزمي.

ومن المقلين عنه:

١٢- خلف بن هشام البزاز.
١٣- أبو حيوة شريح بن يزيد.
١٤- محد بن عبد الله بن يزيد الحضرمي.
١٥- محمد بن يزيد الرفاعي.
١٦- يحيى بن زياد الفراء.

وروى عنه الحروف ١٧- يعقوب الحضرمي.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

بلغ الإمام الكسائي مكانة علمية كبيرة، حيث انتهت إليه الإمامة في القراءة والعربية، قال ابن مجاهد: "وكان إمام الناس في القراءة في عصره، وكان يأخذ الناس عنه ألفاظه بقراءته عليهم"[١].

وقال أبو عبيد في كتاب القراءات: "كان الكسائي يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً وكان من أهل القراءة وهي كانت علمه وصناعته، ولم نجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم بها منه"[٢].

(١) السبعة ص٧٨.
(٢) معرفة القراء ١ / ٢٩٨.

وقال أبو عمر الدوري: "سمعت يحيى بن معين يقول ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي"[١].

وقال خلف بن هشام: "كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس ويُنقِّطون مصاحفهم بقراءته عليهم"[٢].

وقال الشافعي رحمه الله: "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي"[٣].

وقال أبو بكر بن الأنباري: "اجتمعت في الكسائي أمور، كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ"[٤].

وقال أيضاً: "حدثنا أبي، قال: قال الفراء: لقيت الكسائي يوماً، فرأيته كالباكي، فقلت: ما يبكيك ؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يحضرني فيسألني عن الشيء، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عتب، وإن بادرت لم آمن الزلل، فقلت: يا أبا الحسن من يعترض عليك ؟ قل ما شئت، فأنت الكسائي، فأخذ لسانه بيده، فقال: قطعه الله إذاً إن قلت ما لا أعلم"[٥].

قال عنه يحيى بن معين: "ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي"[٦].

وقال الفضل بن شاذان: "لما عرض الكسائي على حمزة خرج إلى البدو فشاهد العرب وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم ثم دنا إلى الحضر وقد علم اللغة"[٧].

(١) الإحالة السابقة.
(٢) الإحالة السابقة.
(٣) التذكرة ١ / ٥٥.
(٤) تاريخ بغداد ١١ / ٤٠٩.
(٥) معرفة القراء ١ / ٣٠٣.
(٦) معرفة القراء ١ / ٢٩٨.
(٧) غاية النهاية ١ / ٥٣٨.

وقال أبو عبيد في كتاب القراءات:"كان أبو الحسن يتخير القراءات، فأخذ من قراءة حمزة ببعض، وترك بعضاً، وكان من أهل القراءة، وهي كانت علمه وصناعته، ولم يجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم بها منه"(١).

وقال ابن مجاهد:"واختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة، غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة، وكان إمام الناس في القراءة في عصره، وكان يأخذ الناس عنه ألفاظه بقراءته عليهم"(٢).

وقال أبو بكر الأنباري:"اجتمعت في الكسائي أمور، كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادي"(٣).

وقيل لأبي عمر الدوري:"لم صحبتم الكسائي على الدعابة التي كانت فيه ؟ قال: لصدق لسانه"(٤).

قال ابن الدَّورَقي:"اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرشيد فحضرت صلاة فقدموا الكسائي يصلي فارتج عليه قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فقال اليزيدي قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا﴾ ترتج على قارئ الكوفة ؟ قال فحضرت صلاة فقدموا اليزيدي فارتج عليه في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ فلما سَلَّمَ قال:

احْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولُ فَتُبْتَلَى إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ"(٥).

قال عنه الذهبي:"المقرئ النحوي.. أحد الأعلام"(٦).

وقال عنه ابن الجزري:"الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد

(١) معرفة القراء ١ / ٢٩٨ وغاية النهاية ١ / ٥٣٨، وفي بعض نسخ معرفة القراء"ولم نجالس أحداً"كما ذكر محققه.
(٢) السبعة ص٧٨.
(٣) تاريخ بغداد ١١ / ٤٠٩.
(٤) معرفة القراء ١ / ٢٩٩ وغاية النهاية ١ / ٥٣٩.
(٥) معرفة القراء ١ / ٣٠١ وغاية النهاية ١ / ٥٣٩.
(٦) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٩٦.

حمزة الزيات"[1].

مؤلفاته:

ألف الكسائي عدداً من الكتب، وهي الكتب التالية:

١- كتاب أشعار المعاياة
٢- كتاب الحروف
٣- كتاب العدد كتاب العدد واختلافهم فيه
٤- كتاب القراءات
٥- كتاب المصادر
٦- كتاب النوادر الأصغر
٧- كتاب النوادر الأوسط
٨-كتاب النوادر الكبير
٩-كتاب الهاءات
١٠- كتاب الهجاء
١١- كتاب في النحو
١٢- كتاب معاني القرآن
١٣- كتاب مقطوع القرآن وموصوله.

وفاته:

اختلف في تاريخ وفاته، والصحيح أنه توفي سنة تسع وثمانين ومائة، وقيل سنة إحدى وثمانين، وقيل سنة اثنتين وثمانين، وقيل سنة ثلاث وثمانين، وقيل سنة خمس وثمانين، وقيل سنة ثلاث وتسعين.

وكانت وفاته وهو في صحبة هارون الرشيد بقرية رنبويه من عمل الري متوجهين إلى خراسان، ومات معه أيضاً محمد بن الحسن القاضي، صاحب أبي حنيفة، فقال الرشيد: دفنا الفقه والنحو بالري، قال الحافظ أبو العلاء الهمذاني: وبلغني أن الكسائي عاش سبعين سنة.

(١) غاية النهاية ١ / ٥٣٥.

ورثاه أبو محمد اليزيدي، مع محمد بن الحسن فقال:

تصرمت الدنيا فليس خلود ... وما قد ترى من بهجة ستبيد[1]

لكل امرىء كأس من الموت مترع ... وما إن لنا إلا عليه ورود

ألم تر شيباً شاملاً يندر البلى ... وأن الشباب الغض ليس يعود

سنفنى كما أفنى القرون التي خلت ... فكن مستعداً فالفناء عتيد[2]

أسيت على قاضي القضاة محمد ... وفاضت عيوني والعيون جمود[3]

وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا ... بإيضاحه يوماً وأنت فقيد

وأقلقني موت الكسائي بعده ... وآرق عيني والعيون هجود

هما عالمانا أوديا وتخرما ... فما لهما في العالمين نديد

فحزني متى يخطر على القلب خطرة ... بذكرهما حتى الممات جديد[4]

(١) ويروى البيت أيضاً (وما قد ترى من بهجة فيبيد).
(٢) ويروى البيت أيضاً (سيأتيك ما أفنى القرون التي خلت).
(٣) ويروى البيت أيضاً (فأذريت دمعي والفؤاد عميد).
(٤) ويروى البيت أيضاً (فحزني إن تخطر على القلب خطرة).

المبحث الثالث: ترجمة الإمام الدوري [1]:

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان ويقال صهيب الأزدي البغدادي النحوي الضرير نزيل سامراء.

ونسبته إلى الأزد: وهي قبيلة يعود نسبتها إلى أَزْدِ بن شنوءة، وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ[2] ونسبته إلى بغداد لأنه من أهلها بالرغم من أنه نزل سامراء.

وكنيته: أبو عمر، وإن كان لم يعرف له من الأبناء إلا اثنان، ليس منهما (عمر) أما أحدهما فهو محمد، وكنيته أبو جعفر، وقد روى الدوري عن ابنه أبي جعفر محمد روايات كثيرة في كتابه (قراءات النبي ﷺ)[3] وأما الآخر اسمه أحمد وقيل محمد أبو بكر[4].

ولقب بالدوري، نسبة إلى الدور، موضع ببغداد، ومحلة بالجانب الشرقي[5].

مولده ونشأته:

ولد الدوري سنة بضع وخمسين ومائة، في دولة المنصور[6]، ونشأ محباً للعلم مولعاً به منذ صغره، فقد نقل عنه قوله "أدركت حياة نافع، ولو كان

---

(١) مصادر ترجمته:
الأنساب ٢ / ٥٠٣ تاريخ الإسلام ١٨ / ٢٤٩ تاريخ بغداد ٨ / ٢٠٣ تذكرة الحفاظ ٨ / ٢٠٣ تهذيب التهذيب ٢ / ٤٠٨ تهذيب التهذيب ٧ / ٢٧٥ تهذيب الكمال ٧ / ٣٥ سير أعلام النبلاء ١١ / ٥٤١ شذرات الذهب ٢ / ١١١ العبر ١ / ٣٥١ غاية النهاية ١ / ٢٥٥ الفهرست ص٢٨٧ معجم الأدباء ١٠ / ٢١٦ معرفة القراء الكبار ١ / ٣٨٦ ميزان الاعتدال ١ / ٥٦٦.

(٢) انظر اللباب ١ / ٥١٢.

(٣) كما في الصفحات التالية: (٢٥- ٣٣ – ٥٤).

(٤) انظر تاريخ بغداد ٢ / ٢٨٤ و ٤ / ١٢٣.

(٥) انظر غاية النهاية ١ / ٢٥٥.

(٦) سير أعلام النبلاء ١١ / ٥٤١.

عندي عشرة دراهم لرحلت إليه"[1].

كما يظهر أنه رحمه الله كان فقيراً، يظهر ذلك من قوله، حيث أخبر عن نفسه أنه لو كان عنده عشرة دراهم لرحل إلى المدينة ليقرأ على نافع[2].

لكن يظهر أن ذلك كان في بداية حياته فقط بدليل أنه رحل بعد ذلك في طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئاً كثيراً[3].

شيوخه:

تلقى الدوري القراءة وعرض على كثير من شيوخ الإقراء[4]، ومنهم:

١- إسماعيل بن جعفر
٢- يعقوب بن جعفر
٣- محمد بن سعدان
٤- علي بن حمزة الكسائي
٥- أبو بكر شبعة بن عياش
٦- حمزة بن القاسم
٧- يحيى بن المبارك اليزيدي وعنه أخذ قراءة أبي عمرو البصري
٩- شجاع بن أبي نصر البلخي.

كما روى عن عدد من المحدثين والمصنفين والنقاد[5]، ومنهم:

١- أحمد بن حنبل، وهو من أقرانه
٢- إسماعيل بن عياش
٣- سفيان بن عيينه
٤- أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني
٥- أبي معاوية محمد بن خازم الضرير
٦- محمد بن مروان السدي الصغير
٧- وكيع بن الجراح
٨- يزيد بن هارون.

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١ / ٣٨٨ وسير أعلام النبلاء ١١ / ٥٤٣ والعبر ١ / ٣٥١.
(٢) المصادر السابقة.
(٣) انظر غاية النهاية ١ / ٢٥٥.
(٤) للتوسع في معرفة شيوخه ينظر معرفة القراء ١ / ٣٨٧ وغاية النهاية ١ / ٢٥٥.
(٥) انظر تهذيب الكمال ٧ / ٣٥، ٣٦.

تلاميذه:

قرأ على الدوري وروى القراءة عنه خلق كثير، ومنهم على سبيل المثال:

١- أحمد بن يزيد الحلواني.
٢- إسحاق ابن إبراهيم العسكري.
٣- الحسن بن علي بن العلاف.
٤- الحسن الحداد.
٥- عبد الرحمن بن عبدوس.
٦- القاسم بن عبد الوارث.
٧- محمد بن حمدون القطيعي.
٨- محمد بن محمد بن النفاخ الباهلي.
٩- محمد بن عبيد الرازي.

وممن حدَّث عنه:

١- ابن ماجة في سننه
٢- أبو بكر بن العلاف الشاعر
٣- أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا
٤- أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي
٥- أبو زرعة عبيد الله بن عبدالكريم الرازي
٦- أحمد بن حنبل[١]
٧- حاجب بن أركين
٨- القاسم بن فورك الثقفي الأصبهاني، وخلق كثير.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان الدوري مهتماً بالعلم، مولعاً بقراءة القرآن الكريم وإقرائه عن كبار القراء، وتعلم اللغة العربية على يد أشهر الأئمة، فمكنه ذلك أن يتبوأ مكانة علمية مرموقة، حيث تصدر كرسي القراءة في زمانه، ولم يقتصر على هذا العلم، بل كان عالماً بالقرآن وتفسيره[٢] وعالماً بالنحو حتى نسب إليه.

ومما يظهر مكانة الدوري العلمية كثرة من قرأ عليهم من العلماء الأجلاء الذين كان لهم كبير الأثر في بنائه العلمي، وعلو شأنه في العلم، وكذلك تعدد رحلاته

(١) قال أبو داود: "رأيت أحمد بن حنبل يكتب عن أبي عمر الدوري" انظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٥ وتاريخ بغداد ٨/ ٢٠٣ ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٨٩.

(٢) انظر الطبقات الكبرى ٧/ ٣٦٤.

في طلب القراءات، حتى قرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك الشيء الكثير.

وقد تميز الدوري بكونه الوحيد من بين سائر رواة القراء العشرة الذي نقلت له روايتان متواترتان عن قارئين من القراء العشرة، بل من السبعة، وهما: أبو عمرو البصري، والكسائي[١]، ولا تزال روايتها عنهما يُقرأ بهما إلى هذا الزمان.

وقد عاصر رحمه الله فتنة القول بخلق القرآن، التي امتحن فيها جمع من الأئمة منهم صاحبه الإمام أحمد بن حنبل، وكان الإمام الدوري رحمه الله مع الذين صدعوا بالحق، وثبتوا عليه أمام تلك المحنة التي انجرف فيها عدد من العلماء، فكان موقفه كموقف الإمام أحمد رحمهما الله، في الثبات على الحق، والصدع به، وعدم القول بخلق القرآن، روى الخطيب البغدادي عن أحمد بن فرح المفسر، قال:"سألت: أبا عمر المقرئ، فقلت: ما تقول في القرآن ؟ فقال: كلام الله غير مخلوق"[٢].

وقد أثنى عليه عدد من العلماء، قال أبو حاتم:"هو صدوق"[٣].

وقال أبو علي الأهوازي:"رحل الدوري في طلب القراءات وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئا كثيراً، وهو ثقة في جميع ما يرويه وعاش دهراً وذهب بصره في آخر عمره، وكان ذا دين وخير"[٤].

وقال أحمد بن فرح المفسر:"سألت الدوري: ما تقول في القرآن ؟ قال: كلام الله غير مخلوق"[٥].

(١) انظر تاريخ بغداد ٨/ ٢٠٣ ومعجم الأدباء ١٠/ ٢١٧.
(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٢٠٣.
(٣) الجرح والتعديل ٣/ ١٨٣.
(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/ ٣٨٨.
(٥) انظر تاريخ بغداد ٨/ ٢٠٣ ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٨٩ وغاية النهاية ١/ ٢٥٦.

وقال عنه الذهبي: "مقرئ الإسلام... المقرئ النحوي.. نزيل سامراء"[١]
وقال أيضاً: "الإمام العالم الكبير، شيخ المقرئين"[٢].

وقال أيضاً: "وطال عمره، وقُصد من الآفاق، وازدحم عليه الحذاق، لعلو سنده، وسعة علمه"[٣]. وقال أيضاً: "وكان أقرأ أهل زمانه وأعلاهم إسناداً"[٤].

وقال عنه ابن الجزري: "إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط"[٥].

وقال الذهبي: "ويقال: كان أول من جمع القراءات وألفها"[٦] وكذلك قال ابن الجزري[٧].

مؤلفاته:

ألف الدوري عدداً من المؤلفات، وإن كانت في عداد المفقود، ولم يظهر مها إلا كتاب واحد، وفيما يلي أسماء مؤلفاته مع الإشارة إلى من ذكرها:

أحكام القرآن[٨].

السنن في الفقه[٩].

ما اتفقت ألفظه ومعانيه في القرآن[١٠].

فضائل القرآن[١١].

(١) معرفة القراء الكبار ١ / ٣٨٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ١١ / ٥٤١.
(٣) معرفة القراء الكبار ١ / ٣٨٧.
(٤) ميزان الاعتدال ١ / ٥٦٦.
(٥) غاية النهاية ١ / ٢٥٥،.
(٦) معرفة القراء ١ / ٣٨٧.
(٧) غاية النهاية ١ / ٢٥٥.
(٨) انظر الفهرست ص٢٨٧ وطبقات المفسرين للدوادي ١ / ١٦٦.
(٩) انظر المصدرين السابقين.
(١٠) انظر معجم الأدباء ١٠ / ٢١٧ وذكره الدوادي باسم (ما اتفقت ألفاظه ومعانيه في القرآن) طبقات المفسرين ١ / ١٦٦.
(١١) انظر المصدر السابق.

أجزاء القرآن[١].

قراءات النبي ﷺ[٢].

الوقف والابتداء[٣].

وفاته:

توفي الإمام الدوري بعد أن ذهب بصره في آخر عمره[٤]، وكانت وفاته في شوال سنة ست وأربعين ومائتين، [٥]، وقد عاش بضعاً وتسعين سنة[٦].

(١) انظر معجم الأدباء ١٠ / ٢١٧.

(٢) وقد حققه الدكتور حكمت بشير ياسين، وطبعته مكتبة الدار بالمدينة المنورة، عام ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
ووقع اسمه عند الخطيب البغدادي (قراءة النبي ﷺ) تاريخ بغداد ٢ / ٢٨٥، بينما أطلق الصفدي، فقال: "وصنف كتاباً في القراءات" نكت الهميان ص١٤٦.

(٣) انظر الفهرست ص٣٨.

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١ / ١٩٢ وتهذيب الكمال ٧ / ٣٧، ولهذا أدرجه الصفدي في كتابه (نكت الهميان في نكت العميان) ص ١٤٦.

(٥) وهو الذي عليه أغلب المترجمين له، بخلاف من قال سنة ثمان وأربعين ومائتين، كحاجب بن أركين وأبي حاتم بن حبان، انظر تهذيب الكمال ٧ / ٣٧ والثقات لابن حبان ٨ / ٢٠٠.
قال الذهبي: "وقد غلط من قال: توفي سنة ثمان وأربعين" معرفة القراء الكبار ١ / ٣٨٩، وقال أيضاً: "وهم فيه حاجب الفرغاني" سير أعلام النبلاء ١١ / ٥٤٣ - وهو حاجب بن أركين المتقدم ذكره مع ابن حبان - وانظر تاريخ بغداد ٨ / ٢٠٤ وتهذيب الكمال ٧ / ٣٧ وتهذيب التهذيب ٢ / ٤٠٨ ونكت الهميان في نكت العميان ص ١٤٦، وغاية النهاية ١ / ٢٥٦ والنشر ١٣٤، وطبقات المفسرين للداوودي ١ / ١٦٦.

(٦) انظر ميزان الاعتدال ١ / ٥٦٦.

المبحث الرابع: أسانيد الإمام الدوري في روايتيه:

أسند عدد من المؤلفين قراءات القراء إلى رسول الله ﷺ[1]، كما أورد عدد منهم أسانيدهم إلى القراء السبعة والعشرة ورواتهم[2] [3].

(١) انظر الكافي ١ / ١٩٦ والنشر ١ / ٩٨ والسلاسل الذهبية ص٤٨٧.

(٢) انظر التيسير ص١٠، ١٢، ١٦ والكافي ١ / ١٨١، ١٨٥، ١٩١ والنشر ١ / ٩٨، ١٢٣، ١٧٠.

(٣) كما جرى بعض الباحثين والمحققين على ذكر أسانيدهم بالقراءاة أو الرواية الواردة في الكتاب المؤلَّف أو المحقق، وعملاً بهذا فإني أذكر هنا إسنادي بروايتي الإمام الدوري، حيث قرأتهما بفضل الله وتوفيقه ضمن القراءات السبع بالسند المتصل إلى النبي ﷺ، بهذين السندين:

السند الأول: وقد قرأت به القراءات العشر (من طريق الشاطبية والدرة) على فضيلة شيخي وأستاذي الكبير المقرئ الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات رحمه الله، وهو أخبرني أنه قرأ بها على شيخه الكبير الشيخ عبد الفتاح هنيدي، وهو على شيخه المحقق محمد بن أحمد الشهير بالمتولي، وهو على شيخه السيد أحمد الدُّرّي الشهير بالتهامي، وقرأ أيضاً بذلك على أستاذه الشيخ يوسف البَرمُوني - إلى آخر الحزب السابع - وهما، أي: المتولي والبَرموني - قرءا على الشيخ أحمد بن محمد المعروف بسَلمونه، وهو على شيخه السيد إبراهيم العُبيدي، وقرأ العُبيدي بذلك على مشايخ، منهم الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المالكي، والشيخ علي بن محمد البَدْري، والشيخ مصطفى العزيزي. فأما الشيخ الأجهوري فقد قرأ على الشيخ عبد ربه [عبده] بن محمد السجاعي، وعلى الشيخ أحمد البقري المعروف بأبي السماح، وعلى الشيخ أحمد بن عمر الأسقاطي، وعلى الشيخ يوسف أفندي زاده شيخ القراء بالدّيار القسطنطينية، بقلعة مصر، وقت قدومه للحج، وعلى الشيخ محمد الأزبكاوي الشهير - بالجامع الأزهر - وعلى الشيخ عبد الله الشباطي المغربي، وقت رحلته إلى المدينة المنورة. وأما الشيخ علي البدري فقد قرأ على الشيخ أحمد الأسقاطي، وعلى يوسف أفندي زاده، وعلى الشيخ محمد الأزبكاوي، وعلى الشيخ محفوظ الفُوِّي، وعلى الشيخ عبد الله المغربي. وأما الشيخ عبده السجاعي فقد قرأ على المحقق أبي السماح. وأما الأسقاطي فقد قرأ على محمد بن سلامة الدمياطي وهو على كل من الشيخ أحمد بن محمد البنّاء الدمياطي صاحب (إتحاف فضلاء البشر) والشيخ أبي العزائم سلطان بن أحمد بن سلامة المزّاحي، وقرأ المزَّاحي على سيف الدين بن عطاء الله الفضالي البصير. وأما يوسف أفندي زاده فقد قرأ على الشيخ علي بن سليمان المنصوري بالديار القسطنطينية وقت رحلته إليها وإقامته بها، وقرأ المنصوري على المزَّاحي. وقرأ صاحب الإتحاف على المزَّاحي، وعلى الشيخ علي بن علي الشبراملّسي. وقرأ الشيخ أحمد البقري المعروف بأبي السماح على الشيخ محمد بن قاسم البقري، على الشيخ عبد الرحمن اليمني، على والده الشيخ شِحاذة اليمني، على الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي، وكذا قرأ أبو السماح على الشبراملسي، على الشيخ عبد الرحمن اليمني. وقرأ الفضالي على شحاذة اليمني، وعلى السنباطي وبهما تخرج. وقرأ الشيخ محمد الأزبكاوي على الشيخ محمد البقري. وقرأ الشيخ محفوظ على الشيخ علي بن محسن الزُّميلي، وقرأ الزُّميلي على الشيخ محمد البقري، وقرأ الشيخ عبد الله على رجال كثيرين منهم الشيخ عبد الخالق الشيماطي المتصل سنده بالشيخ عبد الله الهبطي - صاحب الأوقاف الشهير - المتصل سنده بالحافظ أبي عمرو الداني، وقرأ الشيخ شحاذة أيضاً على العلامة ناصر الدين محمد بن سالم الطبلاوي، وقرأ السنباطي والطبلاوي على شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري، وهو على الشيخ أبي النعيم رضوان بن محمد العُقْبي، وهو على الحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري.

السند الثاني: وقد قرأت به القراءات السبع (من طريق الشاطبية): وهو على فضيلة الشيخ المقرئ المدقق عبد الرَّافع بن رضوان بن علي الشرقاوي، وهو على الشيخ مصطفى محمود العنوسي، وهو على والده الشيخ محمود شاهين العنوسي، وهو على الشيخ يوسف المحروقي الشهير بـ(عجُّور)، وهو على الشيخ عبد المنعم البنداري، وهو على الشيخ سليمان الشهداوي، وهو على الشيخ مصطفى الميهي، وهو على الشيخ إسماعيل المحلي، وهو على الشيخ محمَّد السمنودي المنير، وهو على الشيخ علي الرميلي، وهو على الشيخ محمد البقري. وقرأ الشيخ المنير أيضاً على الشيخ الرشيدي، وهو على الشيخ أحمد البقري، وهو على الشيخ محمَّد البقري، وهو على الشيخ علي الشبراملّسي. وقرأ الشيخ الرشيدي أيضاً على الشيخ محمَّد العبَّاسي الشهير بالعطَّار، وهو على الشيخ سلطان بن أحمد المزَّاحي، والشيخ علي الشبراملِّسي، والشيخ محمَّد البقري. وقرأ الشيخ الرشيدي أيضاً على الشيخ مصطفى بن عبد الرحمن الأزميري، وهو على الشيخ محمَّد القسطنطيني، وهو على الشيخ شعبان بن مصطفى، وهو على الشيخ محمَّد بن جعفر الشهير بأوليا أفندي. وقرأ الشيخ مصطفى الأزميري أيضاً، على الشيخ عبد الله بن محمَّد بن يوسف الشهير ببوسف أفندي زاده، وهو على والده الشيخ محمَّد بن يوسف، وهو على والده يوسف، وهو على الشيخ محمَّد بن جعفر الشهير بأوليا أفندي. وقرأ الشيخ مصطفى الأزميري أيضاً على الشيخ أحمد حجازي، وهو على الشيخ علي بن سيلمان المنصوري، وهو على الشيخ سلطان المزَّاحي، والشيخ علي الشبراملِّسي، والشيخ محمَّد البقري. وقرأ الشيخ سلطان المزَّاحي على الشيخ سيف الدين بن عطاء الفضالي البصير بقلبه، وهو على الشيخ شحاذة اليمني. وقرأ الشيخ الشبراملّسي والشيخ محمد البقري على الشيخ عبد الرحمن اليمني، وهو على والده الشيخ شحاذة اليمني إلى قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء] ثمّ مات والده فاستأنف ختمة على تلميذ والده الشيخ ابن عبد الحق السنباطي، وهو

وسأورد في هذا المبحث ذكر إسناد الدوري لكل رواية من روايتيه، متصلاً إلى النبي ﷺ:

أ) إسناد روايته عن أبي عمرو البصري:

قرأ الدوري على يحيى بن المبارك اليزيدي، وقرأ اليزيدي على أبي عمرو البصري، وقرأ أبو عمرو على: سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر وعكرمة مولى ابن عباس وعكرمة بن خالد المخزومي وعطاء بن أبي رباح ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم والحسن بن يسار البصري.

=

على الشيخ شحاذة اليمني، وهو على الشيخ محمَّد بن جعفر، وهو على الشيخ أحمد المسيري المصري، وهو على الشيخ ناصر الدين الطبلاوي، وهو على شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو على الشيخ أحمد بن أسد الأنبوطي، وأبي العبَّاس أحمد بن أبي بكر القلقيلي، وأبي النَّعيم رضوان بن محمَّد العقبي، وطاهر بن محمَّد العقيلي الشهير بالنويري، والإمام نور الدين علي بن محمَّد صالح المخزومي البلبيسي، وقرأ هؤلاء المشايخ على شيخ القرَّاء والمقرئين المحقق الحافظ أبي الخير محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الجزري.

وقرأ الحافظ المحقق ابن الجزري على جماعة من الشيوخ، منهم: الإمام العالم التقي أبو محمَّد عبد الرحمن بن أحمد البغدادي المصري شيخ الإقراء بالدِّيار المصريَّة، وهو على الشيخ أبي عبد الله محمَّد بن أحمد عبد الخالق المصري المعروف بالصَّائغ شيخ الإقراء بالدِّيار المصريَّة أيضاً، وهو آخر من روى عن الكمال الضرير في الدنيا القراءات كما قال ابن الجزري في الغاية وهو - أي الصَّائغ - عن الشيخ النقَّال علي بن شجاع أبي الحسن المعروف بالكمال الضرير وبصهر الشَّاطبي، وهو على الشيخ الإمام أبي القاسم وأبي محمَّد القاسم بن فِيُرَّة بن خلف الشَّاطبي الرعيني الضرير العلاَّمة صاحب حرز الأماني، وهو على الشيخ أبي الحسن علي بن محمَّد بن علي بن هذيل البلنسي، وهو عن زوج أمِّه الشيخ أبي داود سليمان بن نجاح الأموي، وهو عن الإمام الثِّقة أبي عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني. قال رحمه الله في التيسير - عن رواية الدوري عن أبي عمرو - إِسْنَادُ قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو:

فَأَمَّا رِوَايَةُ أَبِي عَمْرٍو: فحدَّثَنَا بها محمَّد بن أحمد بن علي، قال: حدَّثَنَا أبو عيسى محمَّد بن أحمد بن قطن سنة ثمان عشْرة وثلاثمائة، قال: حدَّثَنَا أبو خلاَّد سليمان ابن خلاَّد، قال: حدَّثَنَا اليزيدي عن أبي عمرو، وقرأت بها القرآن كله من طريق أبي عمرو على شيخنا عبد العزيز بن جعفر بن محمَّد بن إسحاق البغدادي المقرىء، وقال لي: قرأت بها على أبي طاهر عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم المقرىء ما لا أحصيه كثرة، وقال: قرأت بها على أبي بكر بن بن مجاهد، وقال: قرأت على أبي الزعراء عبد الرحمن بن عُبْدوس، وقال: قرأت على أبي عمر، وقال: قرأت على اليزيدي، وقال: قرأت على أبي عمرو.

وقال الدَّاني: وحدَّثَنَا بأصول الإدغام محمَّد بن أحمد عن ابن مجاهد عن عبد الرحمن بن عُبْدوس، عن الدوري، عن اليزيدي، عن أبي عمرو.

وحدَّثَنَا بها أيضاً أبو الحسن شيخنا، قال: حدَّثَنَا عبد الله بن المبارك، عن جعفر ابن سليمان عن أبي شعيب اليزيدي عن أبي عمرو، وقرأ أبو عمرو على أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح وعبد الله بن كثير ومجاهد بن جبر وعاصم بن أبي النُّجود في آخرين، وسيأتي سند أبي جعفر وعاصم، وتقدَّم سند شيبة في قراءة نافع، وتقدَّم أيضاً سند ابن كثير في قراءته، وكذا مجاهد، كلهم متصلاً إلى رسول الله ﷺ.

ثم قال عن روايته عن الكسائي: إِسْنَادُ قِرَاءَةِ الكِسَائِيِّ:

فَأَمَّا رِوَايَةُ الدُّورِيِّ: فحدَّثَنَا بها أبو محمَّد عبد الرحمن بن عمر بن محمَّد المعدل، قال: حدَّثَنَا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثَنَا جعفر بن محمَّد بن أسد النصيبي، قال: حدَّثَنَا أبو عمرو الدوري، عن الكسائي.

وقرأت بها القرآن كله على أبي الفتح، وقال لي: قرأت بها على عبد الباقي بن الحسن، وقال: قرأت على محمَّد بن علي بن الجُلَندي الموصلي، وقال: قرأت على جعفر بن محمَّد، وقال: قرأت على أبي عمر، وقال: قرأت على الكسائي.

وقرأ الكسائي على حمزة وعليه اعتماده، وتقدَّم سنده، وقرأ أيضاً على محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وتقدَّم سنده، وقرأ أيضاً على عيسى بن عمر الهمداني في آخرين، وقرأ عيسى بن عمر على عاصم وطلحة بن مصرف والأعمش، وتقدَّم سند عاصم وهو ابن أبي النُّجود، وقرأ طلحة والأعمش على أبي محمَّد يحيى بن وثَّاب الأسدي، وقرأ يحيى على علقمة بن قيس وعلى ابن أخيه الأسود بن يزيد بن قيس وعلى زيد بن وهب وعلى مسروق بن الأجدع في آخرين، وقرأ شيوخ ابن وثَّاب المذكورون على عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقرأ ابن مسعود على رسول الله ﷺ.

وقرأ سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة مولى ابن عباس وعكرمة بن خالد المخزومي على عبد الله بن عباس، وقرأ عطاء بن أبي رباح على أبي هريرة، وقرأ يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم على أبي الأسود الدؤلي، وقرأ الحسن البصري على أبي العالية الرِّياحي.

وقرأ عبد الله بن عباس على أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وقرأ أبو هريرة على أبيٍّ بن كعب، وقرأ أبو الأسود على عثمان بن عفان وعليٍّ بن أبي طالب، وقرأ أبو العالية على عمر بن الخطاب وأبيٍّ بن كعب وزيد بن ثابت.

وقرأ أبيٌّ بن كعب وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وعليٌّ بن أبي طالب وعمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، وهو عن جبريل الأمين عليه السلام، وهو عن رب العزة عز وجل[1].

ب) إسناد روايته عن الكسائي:

قرأ الدوري على الكسائي، وقرأ الكسائي على حمزة بن حبيب الزيات ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وإسماعيل بن جعفر الأنصاري والمفضل بن محمد الضبي وزائدة بن قدامة الثقفي وعيسى بن عمر الهمداني، وقرأ حمزة على سليمان بن مهران الأعمش وطلحة بن مصرف وأبي إسحاق السبيعي، وجعفر الصادق وحمران بن أعين ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرف على يحيى بن وثاب، وقرأ أبو إسحاق السبيعي على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وعاصم بن ضمرة السلولي والحارث بن عبد الله الهمداني، وقرأ جعفر الصادق على محمد الباقر زين العابدين علي بن الحسين، وهو على والده الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو على علي بن أبي طالب، وقرأ حمران على عبيدة بن نضيلة الخزاعي وأبي الأسود الدؤلي،

(١) انظر السلاسل الذهبية ص ٤٩٢-٤٩٥ وأسانيد القراء العشرة ورواتهم البررة ص ٢٤-٢٩.

وقرأ عبيدة على عقلمة بن قيس، وقرأ عبد الرحمن السلمي وزر وعاصم بن ضمرة والحارث على زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأبي بن كعب وعثمان بن عفان، وقرأ زر على عثمان وعلي وابن مسعود، وقرأ عاصم بن ضمرة على علي وابن مسعود، وقرأ الحارث على علي وابن مسعود، وقرأ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي على عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والمنهال بن عمرو، وقرأ عيسى على عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصارى، وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على علي بن أبي طالب. وقرأ المنهال على سعيد بن جبير، وقرأ سعيد على ابن عباس. وقرأ إسماعيل بن جعفر الأنصاري على شيبة بن نصاح، وقرأ شيبة على عبد الله بن عياش المخزومي، وقرأ عبد الله بن عياش على أبي بن كعب. وقرأ المفضل الضبي وزائدة الثقفي وعيسى الهمداني على سليمان بن مهران الأعمش، وقرأ عيسى الهمداني أيضاً على طلحة بن مصرف، وقرأ الأعمش على أبي العالية الرِّياحي وزر بن حبيش الأسدي وزيد بن وهب الجهني ويحيى بن وثاب الأسدي، وقرأ أبو العالية على عمر بن الخطاب وأبيِّ بن كعب وزيد بن ثابت، وقرأ زر على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وابن مسعود، وقرأ زيد بن وهب على ابن مسعود، وقرأ يحيى بن وثاب على علقمة بن قيس النخعي والأسود بن زيد النخعي وزيد بن وهب الجهني ومسروق بن الأجدع الهمداني وعبيدة بن عمرو السلماني وزر بن حبيش. وقرأ علقمة والأسود وزيد بن وهب ومسروق وعبيدة على عبد الله بن مسعود.

وقرأ علي بن أبي طالب وأبيِّ بن كعب وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وابن مسعود على رسول الله ﷺ، وهو عن جبريل الأمين عليه السلام، وهو عن رب العزة عز وجل[1].

(١) انظر السلاسل الذهبية ص ٥٠١-٥٠٦ وأسانيد القراء العشرة ورواتهم البررة ص ٥٢-٥٦.

الفصل الثاني:

عرض ومقارنة أصول رواية الدوري عن أبي عمرو وأصول روايته عن الكسائي:

وسأوردها مرتبة على الترتيب المعهود في كتب القراءات المعتمدة، كالتيسير والشاطبية وغيرها:

باب الاستعاذة[1]

كان الدوري من روايته عن أبي عمرو ومن روايته عن الكسائي إذا أراد أن يقرأ القرآن يتعوذ في ابتداء قراءته ويجهر بالتعوذ، سواء كان ذلك أول السورة أو أثناءها.

والتعوذ يستحب إخفاؤه في مواطن، والجهر به في مواطن أخرى، فمواطن الإخفاء:

- إذا كان القارئ يقرأ سرّاً، سواء كان منفرداً أم في مجلس.
- إذا كان خالياً سواء قرأ سرّاً أم جهراً.
- إذا كان في الصلاة، سواء كانت الصلاة سرية أم جهرية، وسواء كان منفردا أم مأموماً أو إماماً.
- إذا كان يقرأ في جماعة، ولم يكن هو المبتدئ بالقراءة، وما عدا هذه المواطن يستحب الجهر بالتعوذ فيها[2].

ونص العلماء على أن القارئ لو قطع قراءته لطارئ قهري كعطاس أو تنحنح - أو كلام يتعلق بمصلحة القراءة؛ كأن شك في شيء في القراءة وسأل من

(١) الاستعاذة: مصدر استعاذ، أي: طلب العوذ والعياذ، ويقال لها التعوذ، والعوذ والعياذ في اللغة: اللجأ والامتناع والاعتصام، فالاستعاذة: طلب الإعاذة من الله تعالى، وهي عصمته، والمراد هنا: الاستعاذة قبل القراءة في مذهب القراء، ولفظ الاستعاذة على اختلافه بالنقص والزيادة خبر بمعنى الدعاء، أي: اللهم أعذني من البلاء وشر الأعداء، والاستعاذة ليست من القرآن بإجماع العلماء. انظر بصائر ذوي التمييز ٤ / ١١١ وإبراز المعاني ١ / ٢١٩، والإضاءة في بيان أصول القراءة ص٦.

(٢) انظر إبراز المعاني ١ / ٢١٩، والنشر ١ / ٢٥٤ والوافي ص٤٤.

بجواره ليتثبت؛ فإنه لا يعيد التعوذ، أما لو قطعها إعراضاً عنها، أو لكلام لا تعلق له بها ولو ردّاً لسلام؛ فإنه يستأنف التعوذ[١].

باب البسملة[٢]

اتفقت روايتا الدوري في افتتاح القراءة بأول أي سورة، غير براءة بالسملة، سواء كان ابتداؤه عن قطع أو وقف.

واختلفت روايتاه في إثبات البسملة بين السورتين، سواء كانتا مترتبتين أو غير مترتبتين، فقرأ من روايته عن الكسائي بإثبات البسملة بين كل سورتين، بلا خلاف، وأما من روايته عن أبي عمرو فاختلف عنه، فنص بعض العلماء على أنه يترك البسملة[٣]، ونص بعضهم على أنه يثبتها[٤].

والذي حرره العلماء أن له ثلاثة وجوه، هي: البسملة، والوصل، والسكت، وهو: الوقف على آخر السورة وقفة لطيفة من غير تنفس، بدون بسملة[٥].

وهذا الأحكام المذكورة له في روايتيه تجري بين كل سورتين، سواء كانت الثانية بعد الأولى مباشرة كآخر البقرة وأول آل عمران، أو لم تكن بعدها مباشرة كآخر البقرة وأول المائدة، لكن يشترط أن تكون الثانية بعد الأولى في ترتيب القرآن والتلاوة، فإن كانت قبلها، كآخر المائدة مع أول النساء؛ فإنه يتعين الإتيان بالبسملة، ولا يجوز الوصل ولا السكت، وكذلك لو وصل آخر السورة بأولها، كأن كرر سورة الإخلاص؛ فإن البسملة تكون حينئذ متعينة.

ولا بدّ من الإتيان بالبسملة له في روايتيه بين آخر سورة الناس وأول سورة

---

(١) انظر النشر ١ / ٢٥٩ وغيث النفع ١ / ٣١٠.

(٢) البسملة: مصدر بَسمل، إذا قال بسم الله، وهي كلمة منحوتة من "بسم الله الرحمن الرحيم" كالحوقلة من "لا حول ولا قوة إلا بالله" والحيعلة من "حي على الصلاة" والحسبلة من "حسبي الله". انظر الاشتقاق ص٣٩١-٤٤٧ وإبراز المعاني ١ / ٢٢٦ والتمهيد في علم التجويد ص٦٧.

(٣) انظر التذكرة ١ / ٦٣ والتيسير ص١٨،١٧ والتلخيص ص١٣٤ وتلخيص العبارات ص٢٢.

(٤) انظر إبراز المعاني ١ / ٢٢٩-٢٣٠ والتبصرة ص٢٤٧ وحرز الأماني ص٩ والعنوان ص٦٥ وغاية الاختصار ١ / ٤٠١ والكافي ١ / ٢٠٢ ولطائف الإشارات ص٢٠.

(٥) والسكت هو: الوقف على آخر السورة وقفة لطيفة من غير تنفس، وهو المقدم على الوصل؛ لأن فيه تنبيهاً على نهاية السورة. انظر غيث النفع ١ / ٣١٢ والوافي ص٤٦.

الفاتحة، فإن الفاتحة وإن وصلت لفظاً فهي مبتدأ بها حكماً؛ إذ ليس قبلها شيء حقيقة.

وأيضاً تتعين له البسملة في روايتيه لو وصل آخر سورة الناس بأول سورة الفاتحة.

واختار بعض أهل الأداء الفصل بالبسملة بين المدثر والقيامة، وبين الانفطار والتطفيف، وبين الفجر والبلد، وبين العصر والهمزة، عند السكت في غيرهن، من غير نص في ذلك، وإنما هو استحباب من الشيوخ، واختار أيضاً السكت بين السور المذكورة عند الوصل في غيرهن.

ولكن المحققين من العلماء على عدم التفرقة بين هذه السور وبين غيرها، وهو المذهب الصحيح المختار الذي عليه العمل في سائر الأمصار.

وإذا وصل سورة براءة بسورة الأنفال، أو ابتدأ بها القراءة لم يبسمل في أولها في روايتيه[1].

وإذا ابتدأ القراءة بشيء من أجزاء السور فإن له القراءة بالبسملة وعدمها، واختلف في أجزاء براءة، فجوز بعضهم البسملة فيها كأجزاء سائر السور[2]، ومنع ذلك بعضهم[3].

وقال المحقق ابن الجزري: "الصواب أن يقال إن من ذهب إلى ترك البسملة فى أوساط غير براءة لا إشكال فى تركها عنده فى وسط براءة، وكذا لا إشكال فى تركها فيها عند من ذهب إلى التفصيل، إذ البسملة عندهم فى وسط السورة

---

(١) لأنها نزلت مشتملة على السيف، والأمر بالقتل والأخذ والحصر ونبذ العهد والوعيد والتهديد وفيها آية السيف، وقد نقل العلماء هذا التعليل عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن عباس: "سألت علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِمَ لَمْ يُكتب في براءة (بسم الله الرحمن الرحيم) ؟ قال: لأن (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان، وبراءة نزلت بالسيف، ليس فيها أمان" أخرجه الحاكم ٢ / ٣٣٠ ونقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٩٥.
وفي ذلك قال الإمام الشاطبي في حرز الأماني ص (٩): وَمَهْمَا تَصِلْهَا أَوْ بَدَأْتَ بَرَاءَةً لِتَنْزِيلِهَا بِالسَّيفِ لَسْتَ مُبَسْمِلا
وانظر فتح الوصيد ٢ / ٢٠٨ وإبراز المعاني ١ / ٢٣٤.

(٢) انظر جمال القراء ٢ / ٤٨٤.

(٣) انظر كنز المعاني للجعبري ٢ / ١٩٣.

تبع لأولها، ولا تجوز البسملة أولها فكذلك وسطها، وأما من ذهب إلى البسملة فى الأجزاء مطلقاً فإن اعتبر بقاء أثر العلة التى من أجلها حذفت البسملة من أولها وهى نزولها بالسيف، كالشاطبى ومن سلك مسلكه لم يبسمل، ومن لم يعتبر بقاء أثرها ولم يرها علة بسمل بلا نظر"[1]. والأوجه الجائزة بين كل سورتين عند البسملة بينهما ثلاثة:

(الأول) وصل الجميع: أي وصل آخر السورة بالبسملة، ووصل البسملة بأول السورة التالية.

(الثاني) قطع الجميع: أي الوقف على آخر السورة وقطعه عن البسملة، والوقف على البسملة وقطعها عن أول السورة التالية.

(الثالث) قطع الأول ووصل الثاني بالثالث: أي الوقف على آخر السورة، ووصل البسملة بأول السورة التالية[2].

وعلى هذا يكون للدوري في روايته عن أبي عمرو بين كل سورتين خمسة أوجه، الثلاثة المذكورة، والوصل، والسكت، دون بسملة على كل منهما، ويكون له في روايته عن الكسائي أوجه البسملة الثلاثة فقط.

وله في روايتيه بين الأنفال وبراءة ثلاثة أوجه وهي: الوقف، والسكت، والوصل، دون بسملة، كسائر القراء[3].

(١) النشر ١ / ٢٦٦ وانظر غيث النفع ١ / ٣١٦.

(٢) وهناك وجه رابع بمقتضى القسمة العقلية، وهو: وصل الأول بالثاني، وقطع الثالث: أي وصل آخر السورة بالبسملة، مع الوقف عليها، ثم البدء بأول السورة التالية، ولكن يمتنع الإتيان بهذا الوجه، كما قال الإمام الشاطبي في حرز الأماني (ص٩):

وَمَهْمَا تَصِلْهَا مَعْ أَوَاخِرِ سُورَةٍ ... فَلا تَقِفَنَّ الدَّهْرَ فِيهَا فَتَثْقُلا

وانظر كنز المعاني لشعلة ص٦٨ إرشاد المريد ص٣٢.

(٣) انظر غيث النفع ١ / ٣١٣.

سورة أم القرآن[1]

ومن أصول القراءات فيها حكم ميم الجمع ، وحكم الهاء الواقعة قبلها، فميم الجمع تقع قبل حرف متحرك، أو ساكن، فأما إن وقعت قبل حرف متحرك فإن الدوري يقرأ في روايتيه بإسكانها في جميع القرآن، سواء كان الحرف المتحرك همزة، نحو ﴿عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ أم غيرها، نحو ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾.

وأما إن وقعت قبل حرف ساكن فإنه يقرأ في روايتيه بضمها من دون صلة، نحو ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[البقرة ١٨٣] ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ﴾[التوبة ٦١][2].

إلا إذا وقعت قبل ساكن وقبلها هاء وقبل الهاء حرف مكسور أو ياء ساكنة نحو ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[البقرة ٩٣] ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾[البقرة ١٦٦] أو ياء ساكنة نحو﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾[البقرة ١٦٧] و ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾[البقرة ٢٤٦] فإنه يقرأ في روايته عن أبي عمرو بكسر الميم والهاء، ويقرأ في روايته عن الكسائي بضم الميم والهاء، وهذا في حال وصلها بما بعدها، أما إذا وقف على ميم الجمع فإنه يقرأ في روايته بإسكان الميم وكسر الهاء[3].

باب الإدغام الكبير

أطلق عدد من العلماء الإدغام عن أبي عمرو، مما يفيد أنه مروي عنه من روايتي الدوري والسوسي معاً، كقول الإمام الشاطبي[4]:

وَدُونَكَ الِادْغَامَ الْكَبِيرَ وَقُطْبُهُ أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ فِيهِ تَحَفَّلا

---

(١) جرى المؤلفون على ذكر سورة الفاتحة ضمن أبواب الأصول نظراً لما حوته من مسائل الأصول العديدة، وإن كان فيها بعض الخلافات الفرشية كالقراءات في لفظ﴿مالك﴾ و﴿الصراط﴾ وللتوافق مع منهج البحث واقتصاره على أصول رواية الدوري فلم أورد ما في الفاتحة من كلمات فرشية، بل اكتفيت بذكر المسائل الأصولية.

(٢) أما إن اقترن بها ضمير؛ نحو﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾ فإنه يصلها بواو كسائر القراء، انظر الوافي ص٥١.

(٣) انظر التذكرة ١ / ٦٦ والموجز ص٩٦ والمفردات السبع ص٥٥٠.

(٤) حرز الأماني ص١٠، وانظر جامع البيان ٢ / ٣٨٨ (تحقيق الطحان) والجامع لأبي معشر ١ / ٢٥٩ والقراءات الثماني للعماني ص١٢٧ والروضة ١ / ٣١٤ والنشر ١ / ٢٧٦.

ولكن هذا خلاف المقروء به من طريق الشاطبية والتيسير، فالمقروء به من طريقهما هو الإدغام من رواية السوسي، وأما الدوري فليس له من طريق النظم وأصله إلا الإظهار، ولذلك قال الإمام السخاوي تلميذ الإمام الشاطبي في شرحه للشاطبية: "وكان أبو القاسم رحمه الله يقرئ بالإدغام الكبير من طريق السوسي؛ لأنه كذا قرأ"[1].

وعليه فليس للدوري من روايتيه في هذا الباب إلا الإظهار كسائر القراء.

باب إدغام الحرفين المتقاربين في كلمة وفي كلمتين

هذا الباب أيضاً خاص برواية السوسي عن أبي عمرو، إلا أن الدوري في روايتيه له خلاف في إدغام القاف في الكاف في ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾ [المرسلات ٢٠] كسائر القراء، فمن أهل الأداء من أبقى صفة استعلاء القاف، ومنهم من حذفها، وهذا هو المشهور المأخوذ به[2].

باب هاء الكناية[3]

هاء الكناية لها أربع أحوال:

الأولى: أن يقع قبلها متحرك وبعدها ساكن، فإن كان قبلها كسر فإنها تكسر، نحو ﴿رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[الليل ٢٠] وإن كان قبلها ضم أو فتوح فإنها تضم، نحو ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾[الأنعام ٧٣] و ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ﴾[النساء ٨٣] وفي هذه الحالة يقرأ الدوري في روايتيه بعدم صلتها.

الثانية: أن يقع قبلها ساكن وبعدها ساكن، فإن كان الساكن قبلها ياءً فإنها تكسر، نحو ﴿فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقرة ١٨٥] وإن كان غيرها فإنها تضم، نحو ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[البقرة ١٩٧] و ﴿نَذْرُوهُ ٱلرِّيَحُ﴾[الكهف ٤٥] وفي هذه الحالة أيضاً يقرأ الدوري

(١) فتح الوصيد ٢ / ٢٥٧ وانظر غيث النفع وانظر غيث النفع ١ / ٣٦١.

(٢) انظر جامع البيان ٢ / ٧١٠ (تحقيق الطحان) والنشر ٢ / ٢٠ والإتحاف ١ / ١٤١.

(٣) هاء الكناية في اصطلاح القراء هي: الهاء الزائدة عن بنية الكلمة، الدالة على المفرد المذكر الغائب، وتسمى هاء الضمير، وتتصل بالفعل والاسم والحرف، وأصلها الضم، إلا أن يقع قبلها كسر أو ياء ساكنة مطلقاً، فتكسر حينئذ. انظر إبراز المعاني ١ / ٣٠٢ وهداية القاري ١ / ٣٥٥.

في روايتيه بعدم صلتها.

الثالثة: أن يقع قبلها متحرك وبعدها متحرك، فإن كان قبلها كسر فإنها تكسر، نحو ﴿بِهِۦ كَثِيرًا﴾[البقرة ٢٦] وإن كان قبلها ضم أو فتح فإنها تضم، نحو ﴿مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[المسد ٢] و ﴿لَهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾[البقرة] وفي هذه الحالة يقرأ الدوري في روايتيه بصلة الهاء، فيصلها بواو إذا كانت مضمومة، وبياء إذا كانت مكسورة، والمراد بالصلة إشباع الضمة حتى تصير واواً ساكنة مدية، وإشباع الكسرة حتى تصير ياء ساكنة مدية، والصلة تثبت وصلاً وتحذف وقفاً.

الرابعة: أن يقع قبلها ساكن وبعدها متحرك، فإن كان الساكن قبلها ياءً فإنها تكسر، نحو ﴿فِيهِ هُدًى﴾[البقرة ٢] وإن كان غيرها فإنها تضم، نحو ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ﴾[النحل ١٢١] و ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾[الدخان ٤٧] وفي هذه الحالية يقرأ الدوري في روايتيه بعدم صلة هاء الضمير[١].

هذه هي القاعدة العامة للدوري في روايتيه في باب هاء الكناية، ويبقى بعد ذلك كلمات خاصة اختلفت فيها رواياته، أو قرأها بخلاف قاعدته العامة، وفيما يلي بيانها:

قرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو ﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾[آل عمران ٧٥] و﴿نُوَلِّهِۦ﴾ ﴿وَنُصْلِهِۦ﴾[النساء ١١٥] و﴿نُؤْتِهِۦ﴾[آل عمران ١٤٥ والشورى ٢٠] بتسكين الهاء فيهن، وقرأ في روايته عن الكسائي بصلة الهاء وإشباعها فيها.

وقرأ في روايته عن أبي عمرو ﴿فَأَلْقِهْ﴾[النمل ٢٨] بإسكان الهاء، وقرأ في روايته عن الكسائي بصله الهاء وإشباعها.

وقرأ في روايته عن أبي عمرو ﴿وَيَتَّقْهِ﴾[النور ٥٢] بكسر القاف وإسكان الهاء، وقرأ في روايته عن الكسائي بكسر القاف وإشباع الهاء.

(١) انظر إرشاد المريد ص٤٥ والوافي ص٦٨.

وقرأ في روايته عن أبي عمرو ﴿يَرْضَهُ﴾[الزمر ٧] بوجهين، أحدهما: إسكان الهاء، والثاني: صلتها، وقرأ في روايته عن الكسائي بصلة الهاء.

وقرأ في روايته عن أبي عمرو ﴿أَرْجِهْ﴾[الأعراف ١١١ والشعراء ٣٦] بزيادة همزة ساكنة بين الجيم والهاء، وضم الهاء، وقصرها[١]، وقرأ في روايته عن الكسائي بترك الهمز وكسر الهاء وصلتها[٢].

باب المد والقصر[٣]

حروف المد ثلاثة هي: الألف، ولا تكون إلا ساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، فالواو تكون حرف مد ولين بشرطين، أن تكون ساكنة، وأن تكون حركة ما قبلها من جنسها أي ضمة، فإذا كانت متحركة أو كانت ساكنة وحركة ما قبلها ليست من جنسها بأن كانت فتحة ؛ فلا تكون حرف مد ولين، وكذلك الياء تكون حرف مد ولين بشرطين: أن تكون ساكنة، وأن تكون حركة ما قبلها من جنسها أي كسرة، فإن كانت متحركة، أو كانت ساكنة وحركة ما قبلها ليست من جنسها بأن كانت فتحة فلا تكون حرف مد ولين[٤].

وحرفا اللين هما الواو الساكنة المفتوح ما قبلها، والياء الساكنة المفتوح ما قبلها.

---

(١) المراد بقصر الهاء في هذه الكلمات: النطق بها مكسورة كسراً كاملاً من غير إشباع، وقد يعبر عن هذا القصر بالاختلاس، وضد القصر المد، والمراد به هنا الإشباع، وهو النطق بالهاء المضمومة بضم كامل مع صلتها بواو، والهاء المكسورة بكسر كامل مع صلتها بياء؛ أي مدها بمقدار حركتين، فالمد والصلة والإشباع ألفاظ مترادفة في هذا الباب تدل على معنى واحد؛ وهو مد الهاء بمقدار حركتين. انظر الوافي ص٦٩.

(٢) انظر كنز المعاني لشعلة ص٩٧-١٠٢ والعقد النضيد ١ / ٥٨٠-٦٢٦.

(٣) المد لغة: الزيادة، واصطلاحاً: إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين الثلاثة، أو بحرف من حرفي اللين، إذا لقي حرف المد أو حرف اللين همزاً أو ساكناً.

والقصر فهو في اللغة: الحبس، وفي الاصطلاح: ترك إطالة الصوت وإثبات حرف المد واللين أو حرف اللين من غير زيادة عليهما.

ويطلق المد أيضاً على إثبات حرف مد في الكلمة من غير إطالة الصوت به، كقول الشاطبي في منظومته ص٥٢: ودارست حق مده، وقوله في ص٧٤: وفي حاذرون المد، فالمراد: إثبات حرف المد وهو الألف بعد الدال في الأول وبعد الحاء في الثاني من غير إطالة الصوت به، كما يطلق القصر أيضاً على حذف حرف المد من الكلمة، كقول الإمام الشاطبي أيضاً ص٤٨: وفي عاقدت قصر ثوى، وقوله في ص٨٨: وقل لابثين القصر فاش، فإن المراد حذف حرف المد وهو الألف بعد العين في الأول، واللام في الثاني.

(٤) انظر الرعاية ص ١٢٥-١٢٦ والتمهيد للعطار ص٢٨٥ وجهد المقل ص ٢١٣-٢١٤.

ولا يتحقق المد إلا إذا وجد سببه، وهو إما همز أو سكون، والهمز إما أن يقع بعد حرف من حروف المد واللين الثلاثة، وإما أن يقع قبله.

فإن كان بعده واجتمع معه في كلمة واحدة سمّي المد حينئذ مدّاً متصلاً، نحو ﴿جَآءَ﴾[النساء ٤٣] و﴿قُرُوٓءٍ﴾[البقرة ٢٢٨] و﴿يُضِيٓءُ﴾[النور ٣٥] وإن كان بعده وكان حرف المد في آخر الكلمة والهمز في أول الكلمة التالية سمّي المد حينئذ مدّاً منفصلاً نحو ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾[البقرة ٢١] و ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[البقرة ١٣٦] و ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾[البقرة ٢٣٥] ويلحق بالمد المنفصل مد واو الصلة الواقعة بعد هاء الضمير المفرد الغائب، نحو ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[البقرة ٢٧٥] و ﴿هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾[الأنبياء ٩٢] وهو الذي يسمى مد الصلة الكبرى[1] فهو من جنس المد المنفصل، ومده كمثله.

وإن وقع الهمز قبل حرف من حروف المد سمّي المد مد بدل نحو ﴿ءَامَنُواْ﴾ [البقرة ٩] و﴿أُوتُواْ﴾[البقرة ١٤٥] و﴿إِيمَٰنًا﴾[آل عمران ١٧٣].

وإن وقع الهمز بعد حرف من حرفي اللين سمّي المد حينئذ مد لين، نحو ﴿سَوْءَةَ﴾[المائدة ٣١] و﴿شَيْـًٔا﴾[البقرة ٤٨].

أما إن وقع بعد حرف المد سكون فإما أن يكون ثابتاً وصلاً ووقفاً، ويسمّي المد اللازم، سواء كان كلمياً أو حرفياً، نحو ﴿ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[الفاتحة] و﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١﴾ و﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾[الأنعام ١٤٣] و ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾[يونس ٥١] ﴿وَمَحْيَاىَ﴾[الأنعام ١٦٢] في قراءة من أسكن الياء، و ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾ و﴿صٓ﴾ و﴿قٓ﴾.

وإما أن يكون ثابتاً وقفاً فقط، ويسمّي المد العارض للسكون نحو ﴿مَـَٔابِ ۝٢٩﴾[الرعد] و ﴿يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة ٦]٦ ﴿ٱلْمُنَّقِينَ ۝١٨٠﴾[البقرة].

(١) بخلاف مد الصلة الصغرى لأنه لا يقع بعد الصلة همز فتمد مداً طبيعاً لجميع القراء، انظر إبراز المعاني ١ / ٣٢٢ وهداية القارئ ١ / ٣٦١.

وفيما يلي بيان مذهب الدوري في روايتيه في مقدار مد كل نوع منها:

- المد المتصل: قرأه الدوري في روايتيه بالتوسط، بقدر بألفين، أي بأربع حركات.
- المد المنفصل: قرأه الدوري في روايته عن أبي عمرو بوجهين، القصر، بمقدار حركتين، والتوسط، بمقدار أربع حركات، وقرأه في روايته عن الكسائي بالتوسط بمقدار أربع حركات.
- مد البدل: قرأه الدوري في روايتيه بالقصر.
- المد اللازم: قرأه الدوري في روايتيه بالمد المشبع، ست حركات، سواء كان كلمياً مثقلاً أو مخففاً، أو حرفياً مثقلاً أو مخففاً، كبقية القراء.
- المد العارض للسكون: قرأه الدوري في روايتيه بثلاثة وجوه، الأول: المد المشبع، ست حركات، والثاني: التوسط، أربع حركات، والثالث: القصر، حركتين، كبقية القراء.
- وله في عين في ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾[مريم] و ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾[الشورى] وجهان، وهما: المد المشبع، المقدر بست حركات، والتوسط، المقدر بأربع حركات والمد المشبع هو المقدم على التوسط.
- مد اللين: قرأ الدوري في روايتيه مد اللين في حال الوقف عليه بالوجوه الثلاثة، القصر والتوسط، والمد، سواء وقع بعده همز أو غيره، نحو ﴿شَيْءٍ﴾[البقرة ٢٠] و﴿سَوْءٍ﴾[مريم ٢٨] و﴿خَيْرٌ﴾[البقرة ٢٨٠] و﴿خَوْفٌ﴾[البقرة ٣٨][1].

(١) انظر التذكرة ١ / ١٠٥-١١٠ والتيسير ص٣٠-٣١ ورسالة المدات ص٤٩-٥٢، ٦٥.

باب الهمزتين من كلمة

إذا اجتمع في كلمة واحدة همزتان فلا بدّ أن تكون الأولى منهما مفتوحة، وأما الثانية فتكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة.

وقد قرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو بتسهيل الهمزة الثانية من الهمزتين الواقعتين في كلمة[1]، سواء كانت الثانية مفتوحة نحو ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[البقرة ٦] أم كانت مكسورة نحو ﴿أَءِذَا﴾[الرعد ٥] أم مضمومة نحو ﴿أَءُنزِلَ﴾[ص ٨] مع إدخال ألف بين الهمزتين، قبل المفتوحة والمكسورة، ومع الإدخال وعدمه قبل المضمومة[2].

وقرأ في روايته عن الكسائي بتحقيق الهمزة الثانية سواء كانت مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، ولا إدخال له في شيء منها.

وقرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو كلمة ﴿ءَامَنتُم﴾ في سورة الأعراف [١٢٣] وطه [٧١] والشعراء [٤٩][3] بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، وقرأها في روايته عن الكسائي بتحقيق الهمزة الثانية.

وقرأ الدوري في روايتيه همزة الوصل إذا وقعت بين لام التعريف الساكنة وهمزة الاستفهام، وذلك في ثلاث كلمات في ستة مواضع هي: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ في موضعين بالأنعام [١٤٣-١٤٤]، و﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ في موضعين بيونس [٥١-٩١]، و﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[يونس ٥٩] و﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾[النمل ٥٩]، بتغيير همزة الوصل في هذه المواضع، وله في كيفية هذا التغيير وجهان: إبدالها حرف مد ألفاً مع المد المشبع للفصل بين الساكنين،

---

(١) والتسهيل عند القراء له معنيان، الأول: عام، والثاني: خاص، فالعام هو: مطلق التغيير، فيشمل التسهيل بين بين، والإبدال، والحذف، والخاص هو بين بين، ومعناه: أن ينطق بالهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركتها، فينطق بالمفتوحة بينها وبين الألف، وبالمكسورة بينهما وبين الياء، وبالمضمومة بينها وبين الواو، وهو المراد به هنا، انظر الكتاب ٣ / ٥٤١ والإضاءة ص٢٩ والوافي ص٨٤.

(٢) وتسمى هذه الألف ألف الفصل ؛ لأنها تفصل بين الهمزتين، ومقدارها حركتان.

(٣) وأصل هذه الكلمة ﴿أَأَٰمَنتُمْ﴾ بثلاث همزات: الأولى والثانية مفتوحتان، والثالثة ساكنة، والهمزة الثالثة تبدل حرف مد من جنس حركة ما قبلها، فتبدل ألفاً بلا خلاف، والخلاف إنما هو في الهمزة الثانية.

وتسهيلها بين بين، ووجه الإبدال أولى وأرجح من وجه التسهيل.

ويلحق بهذه الكلمات كلمة ﴿ٱلسِّحْرُ﴾ في قوله تعالى ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ [يونس ٨١] في روايته عن أبي عمرو خاصة حيث قرأها ﴿ءَآلسِّحْرُ﴾ بزيادة همزة استفهام قبل همزة الوصل، فيجري فيها الوجهان السابقان وهما: إبدال همزة الوصل ألفاً مع المد المشبع، وتسهيلها بين بين.

أما في روايته عن الكسائي فليس فيها شيء منهما لأنه ليس في الكلمة همزتان، بل همزة الوصل فقط.

ويمتنع للدوري في روايته عن أبي عمرو إدخال ألف الفصل بين همزة الوصل الواقعة بين لام التعريف الساكنة وهمزة الاستفهام، وكذلك في روايته عن الكسائي إذ لا إدخال له فيها أصلاً بين الهمزتين.

وقرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو كلمة ﴿أَئِمَّةَ﴾ حيث وردت في القرآن الكريم[1] بتسهيل الهمزة الثانية من دون إدخال، وقرأ في روايته عن الكسائي على أصله بتحقيق الهمزتين[2].

(١) وقد وردت في خمسة مواضع، وهي: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة ١٢] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء ٧٣] ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونجعلهم الوارثين﴾ [القصص ٥] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص ٤١] ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة ٢٤].

(٢) انظر المكرر ص٣٦٤ (تحقيق أحمد السديس) وسراج القارئ ص٦٨.

باب الهمزتين من كلمتين

والمراد همزتا القطع المتلاصقتان وصلاً، بأن تكون الأولى آخر كلمة، والأخرى أول الكلمة التي تليها، وهما إما أن تكونا متفقتين في الحركة أو مختلفتين فيها، وفيما يلي بيان حكمهما:

أ) الهمزتان المتفقتان في الحركة:

وهما ثلاثة أنواع: مفتوحتان، نحو ﴿جَآءَ أَمۡرُنَا﴾[هود ٤٠] ومكسورتان، نحو ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن﴾[الشعراء ١٨٧] ومضمومتان، ولم تقعا إلا في قوله تعالى ﴿أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ﴾[الأحقاف ٣٢].

وقد قرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو بإسقاط إحدى الهمزتين من المتفقتين في الحركة، وللعماء في الساقط منهما مذهبان، أحدهما: أن الساقط هو الهمزة الأول[١]، والثاني: أن الساقط هو الهمزة الثانية[٢]، ويكون في حرف المد الواقع قبل الهمز المغير بالإسقاط وجهان، هما القصر، والتوسط، والمقدّم القصر لذهاب أثر الهمز، كما قال الشاطبي[٣]:

وإن حرف مدّ قبل همز مغيّر ×××× يجز قصره والمدّ ما زال أعدلا

وتكمن فائدة هذا الخلاف في نوع المد، فعلى أن الساقط الأولى يكون المد من قبيل المنفصل، فيجوز فيه القصر والتوسط، وعلى أن الساقط الثانية يكون المد من قبيل المتصل، فلا يجوز فيه إلا التوسط[٤].

---

(١) وهو مذهب الجمهور، واختاره الشاطبي في حرز الأماني (ص١٧) فقال:
وَأَسْقَطَ الأُوْلَى فِي اتِّفَاقِهِمَا مَعَاً ×××× إِذَا كَانَتَا مِنْ كِلْمَتَيْنِ فَتَى العَلا
وانظر السبعة ص١٤٠ والتذكرة ١ / ١١٧ والكافي ١ / ٢٢٤ والعنوان ص٤٧ وإيضاح الرموز ص١٤٠.

(٢) وهو مذهب أبي الطيب بن غلبون وأبي الحسن الحمامي والخليل بن أحمد وغيره من النحاة، انظر التجريد ص١٢١ وإرشاد المبتدي ص٢١٨ وشرح الطيبة للنويري ٢ / ٢٦١.

(٣) حرز الأماني ص١٧، وزاد العلماء في التحريرات بيان المسألة بأن هذا الحكم إنما يكون في حال بقاء أثر الهمز كالحال في التسهيل، أما في حال ذهاب الأثر بالإسقاط، فإن المقدم هو القصر، كما قال الشيخ حسن خلف الحسيني في إتحاف البرية ص١٧:
وإن حرف مدّ قبل همز مغيّر ×××× يجز قصره والمدّ ما زال أعدلا
إذا أثر الهمز المغير قد بقي ×××× ومع حذفه فالقصر كان مفضلا

(٤) انظر النشر ١ / ٣٨٩ والبدور الزاهرة للنشار ١ / ١٣٥ والإتحاف ١ / ٣٨٥ والبدور الزاهرة للقاضي ص٢٧.

ويظهر أثر هذه القاعدة في حال سبقت الهمزتان المجتمعان في كلمتين بمد منفصل، كقوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾[هود ٤٠] فإذا قرأ الدوري عن أبي عمرو بقصر المنفصل في ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ﴾ جاز له في ﴿ جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ وجهان: القصر والتوسط، والقصر أرجح.

وإذا قرأ بتوسط المنفصل لم يجز له في المتصل إلا التوسط ؛ لأنه إن قدر أن الساقطة هي الهمزة الأولى فإن المد يكون من قبيل المنفصل، فيجب حينئذ فيه التوسط للمساواة بينه وبين المنفصل الذي قبله، وإن قدر أن المحذوفة هي الثانية كان المد من قبيل المتصل، ولا يجوز قصره أبداً.

وقرأ الدوري في روايته عن الكسائي بتحقيق الهمزتين معاً، ومد الألف مداً متصلاً بقدر أربع حركات على أصله في المتصل[1].

ب) الهمزتان المختلفتان في الحركة:

ولهما خمسة أنواع: الأول: أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، نحو ﴿ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ ﴾[الحجرات ٩] والثاني: أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مضمومة، ولم يقع من هذا النوع في القرآن إلا ﴿ جَآءَ أُمَّةَۢ ﴾[المؤمنون ٤٤] والثالث: أن تكون الأولى مضمومة والثانية مفتوحة، نحو ﴿ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم ﴾[الأعراف ١٠٠] والرابع: أن تكون الأولى مكسورة والثانية مفتوحة نحو ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ ﴾[النساء ٥١] والخامس: أن تكون الأولى مضمومة والثانية مكسورة، نحو ﴿ يَشَآءُ إِلَىٰ ﴾[البقرة ١٤٢].

وقد قرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو بتغيير الهمزة الثانية من الهمزتين المختلفتين في الحركة، وذلك على النحو التالي:

قرأ بتسهيل الهمزة الثانية في النوع الأول كالياء، أي بتسهيلها بين الهمزة

(١) انظر المفردات السبع ص٢٢٣، ٥٣٩ والتبصرة ص٢٨٨ وتحبير التيسير ص٢١٢.

والياء، وتسهيل الهمزة الثانية في النوع الثاني كالواو، أي بتسهيلها بين الهمزة والواو، وأبدل الهمزة الثانية واواً في النوع الثالث، وأبدلها ياءً في النوع الرابع، وقرأ في النوع الخامس بوجهين، الأول: إبدال الهمزة الثانية واواً محضة، والثاني: تسهيلها بينها وبين الياء.

وأما في روايته عن الكسائي فقد قرأ بتحقيق الهمزتين في جميع الأنواع الخمسة[1].

باب الهمز المفرد

وهو الذي لم يقترن بهمز مثله، وهذا الباب ليس للدوري فيه إبدال في روايته عن أبي عمرو[2]، وأما في روايته عن الكسائي فلم يرد عنه إبدال إلا في كلمة واحدة وهي كلمة ﴿ٱلذِّئْبُ﴾ وهي في ثلاثة مواضع في سورة يوسف ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[١٣] ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[١٤] ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[١٧].

ولا يخفى أن الدوري في روايته كباقي القراء في إبدال الهمزة الثانية من الهمزتين المجتمعتين إذا كانت الأخرى منهما ساكنة، فيبدلها حرف مد من جنس حركة ما قبلها، فإن كان ما قبلها مفتوحاً أبدلها ألفاً نحو ﴿ءَادَمَ﴾[البقرة ٣١] وإن كان ما قبلها مضموماً أبدلها واواً نحو ﴿أُوتُوا۟﴾[البقرة ١٤٥] وإن كان ما قبلها مكسوراً أبدلها ياءً نحو ﴿إِيمَـٰنًا﴾[آل عمران ١٧٣][3].

(١) انظر التيسير ص وتخليص العبارات وكنز المعاني للجعبري ٢ / ٤٤١.
انظر المفردات السبع ص٢٢٣، ٥٣٩ والتبصرة ص٢٨٨ وتحبير التيسير ص٢١٢.
(٢) وإنما اشتهر ذلك عن أبي عمرو من رواية السوسي بقيود معروفة في كتب القراءات، انظر تلخيص العبارات ص ٣٣ والتجريد ص١٢٦.
(٣) وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي (ص١٨): وإبدال أخرى الهمزتين لكلهم .:. إذا سكنت عزم كآدم أوهلا
وانظر فتح الوصيد ٢ / ٣٢٨ وشرح الشاطبية للسيوطي ص ٨٨.

باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها

ليس من أصول الدوري في روايتيه القراءاة بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، إلا أنه قرأ في روايته عن أبي عمرو بالنقل في موضع واحد، وهو قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠﴾[النجم] حيث قرأ بنقل حركة همزة ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ إلى اللام قبلها، وحذف الهمزة.

وعند وصل كلمة ﴿عَادًا﴾ بها يكون له إدغام تنوين ﴿عَادًا﴾ في لام ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ وأما عند الوقف على ﴿عَادًا﴾ والبدء بـ ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ فيكون له ثلاثة أوجه:

الأول: ﴿الُوْلى﴾ بهمزة الوصل، وبعدها لام مضمومة، وبعدها واو ساكنة.

الثاني: ﴿لُوْلى﴾ بحذف همزة الوصل، والبدء باللام مضمومة، بعدها واو ساكنة[1].

الثالث: ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ بهمزة الوصل مفتوحة، وإسكان اللام، وبعدها همزة مضمومة، فواو ساكنة.

وقرأ في روايته عن الكسائي ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ بكسر التنوين وسكون اللام في حال وصل ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ بـ ﴿عَادًا﴾ وأما عند الوقف على ﴿عَادًا﴾ والبدء بـ ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ فإنه يبدأ بهمزة الوصل مفتوحة، وإسكان اللام، وبعدها همزة مضمومة، فواو ساكنة[2].

---

(١) وهذان الوجهان: وهما البدء بهمزة الوصل، والبدء بالحرف الذي بعدها جائزان للدوري في روايتيه، بل لجميع القراء حال البدء بكلمة ﴿الاسْمُ﴾ في قوله تعالى ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾[الحجرات ١١].

(٢) انظر التذكرة ١ / ١٢٥ وغيث النفع ٣ / ١١٦٥ - ١١٦٧.

باب الإظهار والإدغام

باب ذال ﴿إِذْ﴾

الحروف التي اختلف في إظهار ذال ﴿إِذْ﴾ عندها وإدغامها فيها ستة ، وهي: التاء، والزاي، والصاد، والدال، والسين، والجيم، نحو ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾[المائدة ١١٠] ﴿وَإِذْ زَيَّنَ﴾[لأنفال ٤٨] ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾[الأحقاف ٢٩] ﴿إِذْ دَخَلْتَ﴾[الكهف ٣٩] ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾[النور ١٢] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾[البقرة ١٢٥].

وقد قرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو بإدغام ذال ﴿إِذْ﴾ في الحروف الستة كلها، وقرأ في روايته عن الكسائي بإظهارها عند الجيم خاصة ؛ ويدغمها في باقي الحروف.

كما قرأ بإدغامها من روايتيه كباقي القرا عند الذال والظاء، نحو ﴿إِذ ذَّهَبَ﴾ [الأنبياء ٨٧] ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾[الزخرف ٣٩][(١)].

باب دال ﴿قَدْ﴾

الحروف التي تدغم فيها دال ﴿قَدْ﴾ أو تظهر عندها ثمانية، وهي: السين، والذال، والضاد، والظاء، والزاى، والجيم، والصاد، والشين، نحو ﴿قَدْ سَمِعَ﴾[المجادلة ١] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾[الأعراف ١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾[الروم ٥٨] ﴿فَقَدْ ظَلَمَ﴾[البقرة ٢٣١] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾[الملك ٥] ﴿قَدْ جَآءَكُمْ﴾[آل عمران ١٨٣] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾[الإسراء٤١] ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾[يوسف٣٠].

وقد قرأ الدوري في روايتيه بإدغام دال ﴿قَدْ﴾ في الحروف الثمانية كلها، كما قرأ بإدغامها من روايتيه أيضاً كسائر القراء في الدال والتاء نحو ﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾[المائدة ٦١] و ﴿قَد تَّبَيَّنَ﴾[البقرة ٢٥٦][(٢)].

---

(١) انظر العقد النضيد ٢ / ١١٠٩-١١١٠ وإرشاد المريد ص ٩٠.

(٢) ومثل ذلك إذا وقعت الدال والتاء في كلمة نحو ﴿حَصَدْتُمْ﴾ ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ فإنه يجب إدغام الدال في التاء، انظر العنوان ص٥٦ وكنز المعاني لشعلة ص١٥٨.

باب تاء التأنيث

الحروف التي تدغم فيها تاء التأنيث أو تظهر عندها ستة، وهي: السين، والثاء، والصاد، والزاى، والظاء، والجيم، نحو ﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾[البقرة ٢٦١] ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ﴾[الشعراء ١٤١] ﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ [النساء ٩٠] ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ﴾[الإسراء ٩٧] ﴿كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾[الأنبياء ١١] ﴿نَضِجَتۡ جُلُودُهُم﴾[النساء ٥٦].

وقد قرأ الدوري في روايتيه بإدغام تاء التأنيث في الحروف الستة كلها، كما قرأ بإدغامها أيضاً كسائر القراء في التاء والدال والطاء، نحو ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾[البقرة ١٦] و ﴿أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾[يونس ٨٩] و ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ﴾ [الصف ١٤][1].

باب لام ﴿هَلۡ﴾ و ﴿بَلۡ﴾

الحروف التي تدغم فيها لام ﴿هَلۡ﴾ و ﴿بَلۡ﴾ أو تظهر عندها ثمانية، وهي: التاء، والثاء، والظاء، والزاي، والسين، والنون، والطاء، والضاد.

ووقع في القرآن الكريم من هذه الحروف بعد لام ﴿هَلۡ﴾ ثلاثة أحرف فقط، وهي: النون، والتاء، والثاء، نحو ﴿هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ﴾[الكهف ١٠٣] ﴿هَلۡ تَرَىٰ﴾[الملك ٣] ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾[المطففين ٣٦].

ووقع بعد لام (بل) سبعة أحرف، وهي الحروف المذكورة ما عدا الثاء، نحو: ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾[الأنبياء ٤٠] ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ﴾[الفتح ١٢] ﴿بَلۡ زُيِّنَ﴾[الرعد ٣٣] ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾[يوسف ١٨] ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ﴾[الأنبياء ١٨] ﴿بَلۡ طَبَعَ﴾[النساء ١٥٥] ﴿بَلۡ ضَلُّواْ﴾[الأحقاف ٢٨].

وقد قرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو بإدغام لام ﴿هَلۡ﴾ في ﴿هَلۡ﴾ خاصة، وهي في موضعين، هما ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾[الملك] و ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم

(١) انظر التيسير ص ٤٢-٤٣ واللآلئ الفريدة ٢ / ٢٧٨.

﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾[الحاقة] وأظهر عند الحروف الباقية.

وقرأ في روايته عن الكسائي بإدغام لام ﴿هَلْ﴾ و ﴿بَلْ﴾ في الحروف الثمانية كلها.

كما قرأ في روايتيه أيضاً كسائر القراء بإدغام لام ﴿بَلْ﴾ في الراء واللام، نحو ﴿بَل رَّفَعَهُ﴾[النساء ١٥٨]﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾[الطور] وإدغام لام ﴿هَلْ﴾ في اللام، نحو ﴿هَل لَّكُم﴾[الروم ٢٨] كإدغامهم اللام في نحو ﴿قُل رَّبِّ﴾[المؤمنون ٩٣] و﴿قُل لِّمَن﴾[الأنعام ١٢][1].

باب ذكر حروف قربت مخارجها

قرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو بإدغام الباء المجزومة في الفاء، وقد وقع ذلك في القرآن في خمسة مواضع، وهي ﴿أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ﴾[النساء ٧٤]﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾[الرعد ٥]﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن﴾[الإسراء ٦٣]﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ﴾[طه ٩٧]﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ﴾[الحجرات ١١].

وقرأ في روايته عن الكسائي بإظهار الباء في تلك المواضع.

وقرأ في روايته عن الكسائي بإدغام الفاء في الباء في ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾[سبأ ٩] أما في روايته عن أبي عمرو فقرأها بالإظهار.

وقرأ في روايتيه بإدغام الذال في التاء في كلمتين، الأولى: ﴿عُذْتُ﴾[غافر ٢٧ والدخان ٢٠] الثانية: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾[طه ٩٦].

وقرأ أيضاً في روايتيه بإدغام الثاء في التاء في لفظ ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾[الأعراف ٤٣ والزخرف ٧٢].

---

(١) واتفقت روايتا الدوري كسائر القراء على وجوب إدغام الحرف الأول في الثاني إذا كانا متماثلين وسكن أولهما، سواء كانا في كلمة نحو﴿يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ أم في كلمتين نحو﴿فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾﴿آوَوْا وَنَصَرُوا﴾ واستثنى العلماء من هذه القاعدة: ما إذا كان أول المثلين حرف مد نحو﴿قالُوا وَأَقْبَلُوا﴾﴿فِي يَتامَى النِّساءِ﴾ فإنه يجب إظهاره محافظة عليه، واستثنوا من ذلك أيضاً: ما إذا كان أول المثلين هاء سكت وهو في﴿ماليَهْ (٢٨) هَلَكَ﴾ في الحاقة، في حال الوصل، ففيه لكل القراء وجهان: إدغام الهاء الأولى في الثانية، وإظهارها عندها، ولا يتحقق هذا الإظهار إلا بالسكت على الهاء الأولى سكتة خفيفة من غير تنفس. انظر الوافي ص١٣٥.

وقرأ في روايته عن أبي عمرو بخلف عنه بإدغام الراء المجزومة في اللام نحو ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾[البقرة ٥٨] ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾[الطور ٤٨] وقرأ في روايته عن الكسائي بالإظهار.

وقرأ في روايتيه بإدغام الدال في الذال في ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ﴾[مريم] والدال عند الثاء في ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ﴾[آل عمران ١٤٥] والثاء عند التاء في ﴿لَبِثۡتَ﴾[البقرة ٢٥٩] وما تصرف منه إفراداً وجمعاً في القرآن الكريم نحو ﴿لَّبِثۡتُمۡ﴾[الإسراء ٥٢].

وقرأ في روايتيه أيضاً بإدغام الذال في التاء في ﴿ٱتَّخَذۡتُ﴾[الفرقان ٢٧] وما تصرف منه إفراداً وجمعاً في القرآن الكريم نحو ﴿ٱتَّخَذۡتُمۡ﴾[البقرة ٥١] و﴿أَخَذۡتُمۡ﴾[الأنفال ٦٨] كيف وقع.

وقرأ في روايتيه أيضاً بإدغام الباء في الميم في ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[هود ٤٢] في هود.

وقرأ في روايتيه أيضاً بإدغام الثاء في الذال في ﴿يَلۡهَث ذَّٰلِكَ﴾[الأعراف ١٧٦].

وقرأ في روايتيه أيضاً بجزم الباء وإدغامها في الميم في ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة ٢٨٤][1].

(١) انظر تحبير التيسير ص٢٣٤-٢٣٦ وسراج القارئ ص ٩٩-١٠١.

باب أحكام النون الساكنة والتنوين[1]

قرأ الدوري في روايتيه بإظهار النون الساكنة والتنوين إذا كان بعدهما أحد حروف الحلق، وهي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، سواء كان ذلك في كلمة أو في كلمتين، نحو ﴿يَنْهَوْنَ﴾[الأنعام ٢٦] و﴿مَنْ هَاجَرَ﴾[الحشر ٩] و﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾[التوبة ١٠٩].

وقرأ في روايتيه بإدغام النون الساكنة والتنوين مع الغنة في حروف (ينمو) نحو ﴿مَن يَقُولُ﴾[البقرة ٨] و﴿ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾[البقرة ١٩].

وقرأ أيضاً في روايتيه بإدغام النون الساكنة والتنوين في اللام والراء بلا غنة نحو ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة ٢] ﴿ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾[البقرة ٢٥] ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[البقرة] ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾[البقرة ٢٦].

واختلفت رواياته في إدغام النون من ﴿يٰسٓ﴾ ومن ﴿نٓ﴾ عند الواو من ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ومن ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ فقرأ في روايته عن أبي عمرو بإظهار النون عند الواو فيهما، وقرأ في روايته عن الكسائي بإدغام النون في الواو فيهما.

---

(١) النون الساكنة هي: التي سكونها ثابت في الوصل والوقف، نحو﴿مَنْ هَاجَرَ﴾[الحشر ٩] و﴿يَنْهَوْنَ﴾[الأنعام ٢٦].

فخرج بـ(النون الساكنة) النون المتحركة المخففة نحو﴿فَسَمْنَا بَيْنَهُمْ﴾[الزخرف ٣٢] والمشددة نحو﴿النار﴾[البقرة] وخرج بـ(التي سكونها ثابت) ما كان ثابتاً وزال للتخلص من التقاء الساكنين، نحو﴿إِن ارتبتم﴾[الطلاق ٤] وخرج بـ(في الوصل والوقف) السكون العارض، كسكون نون﴿نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة ٥] وقفاً.

وأما التنوين فهو: نون ساكنة زائدة لغير توكيد، تلحق آخر الاسم وصلاً وتفارقه خطّاً ووقفاً نحو﴿والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران ٣١].

فخرج بـ(نون ساكنة) نون التنوين المتحركة للتخلص من التقاء الساكنين، نحو﴿فَتِيلاً انظُرْ﴾[النساء ٤٩-٥٠] وخرج بـ(زائدة) النون الأصلية وهي السابق ذكرها، وخرج بـ(لغير توكيد) نون التوكيد الخفيفة في﴿وَلَيَكُوناً﴾[يوسف ٣٢] و﴿لَنَسْفَعاً﴾[العلق ١٥] فليست تنونياً وإن أشبهته في إبدالها ألفاً في الوقف، لاتصالها بالفعل، ولا ثالث لهما في القرآن الكريم، وخرج بـ(تلحق آخر الاسم وصلاً) الفعل والحرف، فلا تلحقهما أبداً، لأنهما لا ينونان بحال، وخرج بـ(وتفارقه خطًّا ووقفاً) النون الأصلية، فهي لا تفارق الاسم مطلقاً أثناء وجودها فيه.

وبهذا يتبين أن النون الساكنة تخالف التنوين في أربعة أمور، وهي: الأول: أن النون الساكنة تقع في وسط الكلمة وفي آخرها، والتنوين لا يقع إلا في الآخر، الثاني: أن النون الساكنة تقع في الأسماء والأفعال والحروف، والتنوين لا يقع إلا في الأسماء، الثالث: أن النون الساكنة تكون ثابتة في الوصل والوقف، والتنوين لا يثبت إلا في الوصل، الرابع: أن النون الساكنة تكون ثابتة في الخط واللفظ، والتنوين لا يثبت إلا في اللفظ. انظر التمهيد في علم التجويد ص١٦٥ ونهاية القول المفيد ص١١٧ وهداية القاري ١ / ١٥٧.

وقرأ في روايتيه بإظهار النون الساكنة إذا وقع بعدها ياء أو واو في كلمة واحدة، وذلك في الكلمات التالية: ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾و﴿بُنۡيَٰنٌ﴾ و﴿صِنۡوَانٌ﴾و ﴿قِنۡوَانٌ﴾.

وقرأ في روايتيه بقلب النون الساكنة والتنوين ميماً ساكنة وإخفائهما إذا وقع بعدهما الباء نحو ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾[البقرة ٣٣] و ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾[البقرة ٢٧] و ﴿صُمُۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾[البقرة ١٨].

وقرأ في روايتيه بإخفاء النون الساكنة والتنوين مع الغنة عند الحروف الخمسة عشر الباقية، وهي: التاء، الثاء، الجيم، الدال، الذال، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الفاء، القاف، الكاف.

سواء كان ذلك في كلمة أم في كلمتين، نحو ﴿كُنتُمۡ﴾[البقرة ٢٣] و﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي﴾ و﴿مِن تَحۡتِهَا﴾[البقرة٢٥][1].

باب الفتح والإمالة وبين اللفظين[2]

قرأ الدوري في روايته عن الكسائي بإمالة الألفات ذوات الياء، وهي كل ألف متطرفة أصلية منقلبة عن ياء تحقيقاً، أي أصلها الياء، فأميلت لتدل على أصلها سواء وقعت في فعل نحو: ﴿أَتَىٰٓ﴾[النحل ١] و﴿ٱبۡتَلَىٰٓ﴾[البقرة١٢٤] و﴿يَخۡشَىٰ﴾[طه ٣] أم وقعت في اسم نحو ﴿ٱلۡهَوَىٰ﴾[النساء ١٣٥] و ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾[البقرة ١٢٠].

وسواء رسمت في المصاحف بالياء كالأمثلة السابقة من الأفعال والأسماء، أم رسمت فيها الألف نحو ﴿ٱلۡأَقۡصَا﴾[الإسراء ١] و ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾[البقرة ١٣٠].

---

(١) انظر كنز المعاني لشعلة ص١٧١-١٧٣ والرعاية ص٢٦٢-٢٦٩ وجهد المقل ص١٩٤-٢٠٢ ونهاية القول المفيد ص١١٧-١٢٣.

(٢) المراد بالفتح في هذا الباب: فتح القارئ فمه بالحرف، وليس فتح الحرف الذي هو الألف، لأن الألف لا يقبل الحركة، ويقال له أيضاً التفخيم.
والإمالة لغة: التعويج، يقال: أملت الرمح ونحوه إذا عوجته عن استقامته، وتنقسم في اصطلاح القراء إلى قسمين: كبرى، وصغرى.
فالكبرى: أن تقرب الفتحة من الكسرة والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مفرط وهي الإمالة المحضة، وتسمى الإضجاع، وإذا أطلقت الإمالة انصرفت إليها.
والصغرى: هي ما بين الفتح والإمالة الكبرى، وتسمى التقليل، وبين بين، أي بين لفظي الفتح والإمالة الكبرى. انظر القواعد والإشارات ص٥٠ والتمهيد ص٧١ والإضاءة ص٣٥.

وقرأ في روايته عن الكسائي أيضاً بإمالة كل ألفات التأنيث الواقعة في كل ما كان على وزن (فعلى) كيف جرت[1]، أي سواء كانت مضمومة الفاء، نحو ﴿ٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٢١﴾﴾[النجم] و﴿طُوبَىٰ﴾[الرعد ٢٩] أم كانت مفتوحة الفاء، نحو ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾[البقرة ٧٣] و﴿مَرْضَىٰ﴾[النساء ٤٣] أم كانت مكسورة الفاء، نحو ﴿إِحْدَى﴾[الأنفال ٧] و﴿ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾[النجم].

وألحق بهذا الباب ﴿مُوسَىٰ﴾[البقرة ٥١] و﴿يَحْيَىٰ﴾[مريم ٧] و﴿عِيسَىٰ﴾[البقرة ٨٧] لأنها وإن كانت أعجمية إلا أنه لما فشا استعمالها وكثر دورها في اللسان العربي ألحقت بمثيلاتها في لغة العرب، على أنها مرسومة في المصاحف بالياء، فتمال لهذا أيضاً.

وأمال أيضاً من ألفات التأنيث كل ما كان على وزن (فعالى) مضموم الفاء نحو ﴿كُسَالَىٰ﴾[النساء ١٤٢] و﴿فُرَادَىٰ﴾[الأنعام ٩٤] أو مفتوح الفاء نحو ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[البقرة ٢٢٠] و﴿ٱلْحَوَايَآ﴾[الأنعام ١٤٦].

وأمال في روايته عن الكسائي كل اسم مستعمل في الاستفهام، وهو لفظ ﴿أَنَّىٰ﴾ حيث وقع في القرآن الكريم، سواء اقترن بالفاء، أم تجرد منها، ولفظ ﴿مَتَىٰ﴾ حيث وقع في القرآن، وإنما أميل هذا اللفظ لأنه لو سمي به وثني لقيل: متيان، ولفظ ﴿عَسَىٰ﴾[النساء ٨٤] إذ لو نسبت إلى نفسك لقلت: عسيت.

والسبب في إمالة ﴿أَنَّىٰ﴾و﴿مَتَىٰ﴾و﴿عَسَىٰ﴾ رسمها بالياء في المصاحف ؛ لأن الألف في الجميع مجهولة الأصل.

(١) وأما في روايته عن أبي عمرو فسيأتي بعد قليل بيان مذهبه في ما كان على وزن (فعلى) كيف أتت.

وقرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو بتقليل ألفات أربع كلمات هي ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ﴾[هود ٧٢] و ﴿ أَنَّىٰ ﴾ حيث وردت في القرآن، و ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ ﴾[الزمر ٥٦] و ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾[يوسف ٨٤] وأما في روايته عن الكسائي فهو فيها على أصله بالإمالة.

وقرأ في روايته عن الكسائي أيضاً بإمالة جميع الألفات المنقلبة عن واو ورسمت في المصاحف بالياء، نحو ﴿ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ﴾[النجم] و ﴿ سَجَىٰ ٢ ﴾[الضحى] باستثناء خمس كلمات، فلا تمال ألفها، مع كونها مرسومة ياءً في المصاحف، وهي ﴿ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ ﴾[غافر١٨] ولم يُعلم أصل هذه الألف فامتنعت إمالتها[1]، وأما ﴿ مَا زَكَىٰ ﴾[النور ٢١] فهو مرسوم بالياء في المصاحف ولكنه لا يمال؛ لأن ألفه منقلبة عن واو، يقال: زكا يزكو زكوت، فمنعت الألف من الإمالة إشارة إلى أن أصلها الواو.

وأما ﴿ حَتَّىٰ ﴾[البقرة ٥٥] و﴿ إِلَىٰ ﴾[البقرة ١٤] و﴿ عَلَىٰ ﴾[البقرة ٥] فلا تمال ألفها ؛ لأنها حروف جامدة، وألفها مجهولة الأصل، فلا موجب لإمالتها.

كما أمال في روايته عن الكسائي أيضاً كل ألف وقعت ثالثة في الكلمة ولاماً لها وهي منقلبة عن واو، وزادت الكلمة على ثلاثة أحرف ؛ لأن ألفها بسبب هذه الزيادة تكون منقلبة عن ياء، فتمال، والزيادة تكون بتضعيف الفعل نحو (زكّى) (نجّى) وبحروف المضارعة نحو ﴿ تُتۡلَىٰ ﴾[آل عمران ١٠١] ﴿ تُدۡعَىٰٓ ﴾[الجاثية ٢٨] وبالحروف الزائدة الدالة على التعدية أو غيرهما نحو ﴿ ٱعۡتَدَىٰ ﴾[البقرة ١٧٨] و ﴿ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤ ﴾[طه] و﴿ تَعَـٰلَىٰ ﴾[النحل ٣] وقد يجتمع في الكلمة حرف المضارعة والتضعيف نحو ﴿ يَزَّكَّىٰٓ ٣ ﴾[عبس] وقد يجتمع فيها الحرف الزائد والتضعيف نحو ﴿ تَزَكَّىٰ ٧٦ ﴾[طه] ﴿ تَجَلَّىٰ ﴾[الأعراف ١٤٣] وقد يجتمع فيها

(١) وأما﴿لدا الباب﴾ في يوسف ؛ فمرسوم ألفاً في جميع المصاحف.

حرف المضارعة والحرف الزائد والتضعيف نحو ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾[فاطر ١٨] ومن ذلك (أفعل) في الأسماء نحو ﴿أَزْكَىٰ﴾[البقرة ٢٣٢] و﴿فِيٓ أَدۡنَىٰ﴾[البقرة ٦١][1].

وقرأ في روايته عن الكسائي أيضاً بإمالة ستة عشر لفظاً انفرد شيخه الكسائي بإمالتها، وهي: ﴿أَحۡيَا﴾[المائدة ٣٢] كيف وقع، سواء كان مقترناً بالواو أو بالفاء أو بثم، أو متجرداً عنها، نحو ﴿وَأَحۡيَا﴾[النجم ٤٤] و﴿فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾[البقرة ٢٨] و﴿ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾[البقرة ٢٤٣] و﴿أَحۡيَاهَا﴾[المائدة ٣٢] و﴿رُءۡيَىَ﴾[يوسف ٤٣] المضاف لياء المتكلم، و﴿ٱلرُّءۡيَا﴾ المعرَّف حيث وقع[2]، و﴿مَرۡضَاتِ﴾ كيف جاء في القرآن، سواء كان منصوباً نحو ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾[التحريم ١] أم مجروراً نحو ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة ٢٠٧]، و(خطايا) كيف وقع، سواء كان بعده كاف الخطاب نحو ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾[البقرة ٥٨] أم ضمير الغيبة نحو ﴿مِنۡ خَطَٰيَٰهُم﴾[العنكبوت ١٢] أم نون التكلم نحو ﴿لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾[طه ٧٣] والإمالة في الألف التي بعد الياء، و﴿مَّحۡيَاهُمۡ﴾[الجاثية ٢١]، و﴿تُقَاتِهِۦ﴾[آل عمران ١٠٢]، و﴿هَدَىٰنِ﴾[الأنعام ٨٠]، و﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾[الكهف ٦٣]، و﴿وَمَنۡ عَصَانِي﴾[إبراهيم ٣٦]، و﴿وَأَوۡصَٰنِي﴾[مريم ٣١]، و﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[مريم ٣٠]، و﴿ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾[النمل ٣٦]، و﴿تَلَىٰهَا﴾[الشمس ٢]، و﴿طَحَىٰهَا﴾[الشمس ٦]، و﴿سَجَىٰ﴾[الضحى ٢]، و﴿دَحَىٰهَآ﴾[النازعات ٣٠].

وقرأ في روايته عن الكسائي أيضاً بإمالة الألفاظ الأربعة التالية: ﴿وَضُحَىٰهَا ١﴾[الشمس] ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١﴾ و﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ كيف وقع في القرآن الكريم، و﴿ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾[النجم].

(١) انظر إبراز المعاني ٢ / ٩٢ وسراج القارئ ص ١٠٦.

(٢) ويدخل فيه ما دخلت اللام فيه على لام التعريف وهو ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾[يوسف ٤٣].

وانفرد الدوري في روايته عن الكسائي بإمالة الألفاظ التالية[1]:

- (رؤيا) المضاف للكاف في ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾[يوسف ٥]، و﴿مَثْوَاىَ﴾[يوسف ٢٣]، و﴿وَمَحْيَاىَ﴾[الأنعام ١٦٢]، و﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾[النور ٣٥]، و﴿هُدَاىَ﴾[البقرة ٣٨ وطه ١٢٣].

وقرأ في روايته عن الكسائي أيضاً بإمالة رءوس آي السور الإحدى عشرة وهي: طه، والنجم، والمعارج، والقيامة، والنازعات، وعبس، والأعلى، والشمس، والليل، والضحى، والعلق.

والمراد إمالة الألفات الواقعة في أواخر آيات هذه السور، سواء كانت هذه الألفات في الأسماء أو في الأفعال، وسواء كان أصلها الياء أو الواو[2].

- وقرأ في روايتيه بإمالة ألف ﴿أَعْمَىٰ﴾ في الموضع الأول من قوله تعالى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾[الإسراء] وقرأ في روايته عن الكسائي بإمالتها في الموضع الثاني.

وقرأ في روايتيه بإمالة الألفات الواقعة بعد الراء، مع إمالة الراء قبلها[3]، سواء كانت في اسم نحو ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾[يونس ٦٤] و ﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[البقرة ١١٣] أو في فعل نحو ﴿ٱشْتَرَىٰ﴾[التوبة ١١١] و ﴿نَرَىٰ﴾[البقرة ١٤٤].

وأما قوله تعالى ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾[يوسف ١٩] فقرأه في روايته عن أبي عمرو ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ بإثبات ألف بعد الراء، وبعدها ياء مفتوحة وصلاً، وساكنة وقفاً، وقرأها في روايته عن الكسائي ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ بغير ياء بعد الألف الأخيرة.

وله فيها في روايته عن أبي عمرو ثلاثة وجوه: الفتح، وهو أقواها، ويليه الإمالة، ويليها التقليل، وهو أضعفها، وله في روايته عن الكسائي الإمالة فقط[4].

(١) انظر التهذيب لما تفرد به كل واحد من القراء السبعة ص١٦٠.

(٢) ويستثنى من ذلك الألف المبدلة من التنوين عند الوقف في بعض الآيات نحو﴿هَمْساً﴾ و﴿ضَنْكاً﴾ و﴿نَسْفاً﴾.

(٣) وذلك في الكلمات التي يصح إمالتها ؛ بأن كانت منقلبة عن ياء، أو مرسومة بالياء في المصاحف، أو منصوصاً على إمالتها، انظر اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٣٦ وسراج القارئ ص١١٠ والوافي ص١٤٧.

(٤) وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي ص (٦١):

وعند اتصال الكلمة التي يمليها الدوري - إمالة كبرى في روايتيه أو تقليلاً في روايته عن أبي عمرو - بحرف ساكن، فإن الألف الممالة تُحذف وجوباً ؛ للتخلص من التقاء الساكنين، فلا يتأتى فيها حينئذ فتح ولا تقليل ولا إمالة[1].

وقرأ في روايته عن الكسائي أيضاً بإمالة النون والألف مع الهمزة في كلمة (نأى) في قوله تعالى ﴿أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[الإسراء ٨٣ وفصلت ٥١].

وقرأ في روايته عن الكسائي بإمالة ألف ﴿كِلَاهُمَا﴾[الإسراء ٢٣][2].

وقرأ في روايته عن أبي عمرو البصري بتقليل ألف التأنيث المقصورة الواقعة فيما كان على وزن (فعلى) كيف أتت - مضمومة الفاء أو مفتوحة أو مكسورة - والألفات التي هي أواخر آي السور الإحدى عشرة، ويستثنى من ذلك الألفات الواقعة بعد راء، فليس له فيها إلا الإمالة الكبرى.

وقرأ في روايتيه بإمالة الألف المتوسطة الواقعة قبل راء متطرفة مكسورة، سواء اتصل بالكلمة ضمير غيبة، نحو ﴿أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[البقرة ٧] أو ضمير خطاب نحو ﴿حِمَارِكَ﴾[البقرة ٢٥٩] أو تجردت من الضميرين نحو ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾[البقرة ١٧٥] و﴿عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾[الأنعام ١٣٥][3].

وقرأ في روايتيه أيضاً بإمالة لفظ ﴿كَـٰفِرِينَ﴾[آل عمران ١٠٠] المنكَّر و﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[الأعراف ١٠١] المعرف باللام، إذا كانا بالياء.

..... ××× وَبُشْرَايَ حَذْفُ الْيَاءِ ثَبْتٌ وَمُيِّلا
شِفَاءً وَقَـلِّلْ جِهْـذاً وَكَـلاهُمَا ××× عَنِ ابْنِ الْعَلا وَالْفَتْحُ عَنْهُ تَفَضَّلا
وانظر النشر ٢ / ٤٠ وغيث النفع ٢ / ٧٣٣ والبدور الزاهرة للقاضي ص١٦٠.

(١) ولم ترد الإمالة إلا في رواية السوسي عن أبي عمرو بخلف عنه إذا وقعت بعد راء نحو﴿القرى التي﴾ و﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ﴾ و﴿فَسَيَرَى اللَّهُ﴾ كما قال الإمام الشاطبي في حرز الأماني ص (٢٧):
وقبل سكون قف بما في أصولهم ××× وذو الرّا فيه الخلف في الوصل يجتلا
كموسى الهدى عيسى ابن مريم والقرى الـ ××× ـتي مع ذكرى الدّار فافهم محصّلا

(٢) وسبب الإمالة فيه كسر الكاف أو انقلاب الألف عن الياء، وهو وإن لم ترسم ألفه في المصاحف ياءً لكن ثبتت إمالته ؛ لانقلاب ألفه عن الياء، انظر سراج القارئ ص١١١ والوافي ص١٤٨.

(٣) ومما ينبغي أن يُعلم هنا أنه عند الوقف على مثل هذه الكلمات بالسكون المحض فإن الإسكان لا يمنع إمالة الألف التي تمال في الوصل بسبب الكسر الذي بعدها، لأن الإسكان عارض لأجل الوقف فحسب، فلا يمنع الإمالة، وقد نص على ذلك الإمام الشاطبي في حرز الأماني ص (٢٧) بقوله: ولا يمنع الإسكان في الوقف عارضاً إمالة ما للكسر في الوصل ميّلا وإذا كان الوقف بالسكون لا يمنع الإمالة لعروض السكون، فعند الوقف بالروم من باب أولى، فلا يمنع أيضاً إمالتها ؛ لأن الروم فيه جزء حركة، فيكون سبب الإمالة محققاً، انظر إرشاد المريد ص١١٣.

وقرأ في روايتيه أيضاً بإمالة ألف كلمة ﴿هَـٰرٍ﴾[لتوبة ١٠٩].

وانفرد في روايته عن الكسائي بإمالة ألف ﴿جَبَّارِينَ﴾[المائدة ٢٢ والشعراء ١٣٠].

وانفرد في روايته عن الكسائي أيضاً بإمالة ألف في الموضعين من قوله تعالى ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[النساء ٣٦].

وقرأ في روايتيه أيضاً بإمالة الألف المتوسطة الواقعة بين راءين ؛ الثانية منهما متطرفة مكسورة، نحو ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران ١٩٣] و﴿دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[غافر ٣٩][(١)].

وانفرد في روايته عن الكسائي أيضاً بإمالة الألف في الألفاظ الآتية: ﴿أَنصَارِىٓ﴾[آل عمران ٥٢ والصف ١٤] و﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾[آل عمران ١٣٣] و﴿نُسَارِعُ﴾ [المؤمنون ٥٦] و﴿ٱلْبَارِئُ﴾[الحشر ٢٤] و﴿بَارِئِكُمْ﴾[البقرة ٥٤] و﴿ءَاذَانِهِمْ﴾[البقرة ١٩] حيث وقع[(٢)] و﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾[البقرة ١٥] حيث وقع ، و﴿يُسَٰرِعُونَ﴾[آل عمران ١٧٦] حيث وقع ، و﴿ءَاذَانِنَا﴾[فصلت ٥][(٣)]، و﴿ٱلْجَوَارِ﴾[الشورى ٣٢ والرحمن ٢٤ والتكوير ١٦][(٤)].

وانفرد الدوري في روايته عن أبي عمرو بإمالة لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾[البقرة ٨] المجرور في جميع القرآن[(٥)].

وقرأ في روايتيه بإمالة ألف (را) من ﴿الٓر﴾ فاتحة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر و﴿الٓمٓر﴾ فاتحة الرعد.

---

(١) ويلزم من إمالة الألف إمالة الراء قبلها، وأما ما كانت الراء الثانية فيه مفتوحة فلا إمالة في الألف قبلها، نحو﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾﴿وإِنَّ الْفُجَّارَ﴾﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ﴾.

(٢) والمراد الألف التي بعد الذال.

(٣) والمراد الألف التي بعد الذال أيضاً.

(٤) واختلف عنه في روايته عن الكسائي في إمالة ألف﴿يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ و﴿فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي﴾ كلاهما في المائدة، فروي عنه فيهما الفتح والإمالة، ولكن الصحيح أنه ليس له من طريق الشاطبية والتيسير إلا الفتح، وأما الإمالة فليست من هذه الطريق فلا يقرأ له بها، انظر النشر ٢ / ٣٩ وتحبير التيسير ص٢٤٥ وغيث النفع ٢ / ٥٥٠.

(٥) قال الشاطبي في حرز الأماني ص (٢٧): (وَخُلْفُهُمُ في النَّاسِ في الجَرِّ حُصِّلا) وظاهر البيت أن الخلاف ثابت عن أبي عمرو من الروايتين فيكون لكل من الدوري والسوسي الفتح والإمالة، ولكن التحقيق كما بيّن العلماء أن الخلاف موزَّع، فالإمالة عنه من طريق الدوري فقط، والفتح عنه من طريق السوسي، فلا يقرأ للدوري من طريق الناظم إلا بالإمالة ولا يقرأ للسوسي من هذه الطريق إلا بالفتح. انظر السبعة ص٧٠٣ والتذكرة ١ / ١٩٨ والجوهر النضيد ١ / ٢٠٦ والبدور الزاهرة للقاضي ص٢٤.

وأمال في روايته عن الكسائي ألف (طا) من ﴿ طه ﴾ و﴿ طسٓمٓ ﴾ أول الشعراء والقصص و﴿ طسٓ ﴾ أول النمل، وألف (يا) من ﴿ يسٓ ﴾ و﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ أول مريم، وألف (ها) من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ أيضاً، وفتحها في جميعها في روايته عن أبي عمرو.

وأمال من روايتيه ألف (ها) من ﴿ طه ﴾.

وقرأ في روايته عن أبي عمرو بتقليل ألف ﴿ حمٓ ﴾ أول السور السبع [1]، وقرأ في روايته عن الكسائي بإمالتها.

وأمال من روايتيه ألف (أدرى) حيث ورد وكيف وقع في القرآن نحو ﴿ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ ﴾[يونس ١٦] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾[الانفطار ١٧] [2].

وقرأ في روايته عن أبي عمرو بإمالة الهمزة دون الراء من الفعل ﴿ رَءَا ﴾ كيف وقع سواء كان مجرداً، نحو ﴿ رَءَا كَوۡكَبٗا ﴾[الأنعام ٧٦] و﴿ رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[يوسف ٢٤] أم مضافاً إلى ضمير، نحو ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[الأنبياء ٣٦] و﴿ رَءَاهَا تَهۡتَزُّ ﴾[النمل ١٠] و﴿ فَرَءَاهُ حَسَنٗا ﴾[فاطر ٨] وقرأ في روايته عن الكسائي بإمالة الراء والهمزة معاً، وهذا إذا كان الحرف الذي بعد الفعل ﴿ رَءَا ﴾ متحركاً، ولا فرق في الحرف المتحرك بين أن يكون ضميراً أو غير ضمير [3].

أما إذا وقع بعده حرف ساكن منفصل عنه [4]، وهو في ستة مواضع: ﴿ رَءَا ٱلۡقَمَرَ ﴾[الأنعام ٧٧] و﴿ رَءَا ٱلشَّمۡسَ ﴾[الأنعام ٧٨] و﴿ رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[النحل ٨٥] و﴿ رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾[النحل ٨٦] ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ ﴾[الكهف ٥٣] و﴿ رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ ﴾[الأحزاب ٢٢] فقد قرأه في روايتيه بعدم الإمالة [5].

---

(١) وتعرف بسور الحواميم، لافتتاحها بـ﴿حم﴾ وهي: غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.

(٢) انظر حرز الأماني ص٥٨ وفتح الوصيد ٣/ ٩٦٧ وإبراز المعاني ٣/ ٢١٥.

(٣) انظر إبراز المعاني ٣/ ١٢٣ واللآلئ الفريدة ٣/ ٧٦٦.

(٤) أما إذا كان الساكن الذي بعد الفعل﴿رءا﴾ لازماً له لا ينفك عنه؛ فلا خلاف في فتح الراء والهمزة مطلقاً، وقفاً ووصلاً، نحو﴿رَأَتۡهُ﴾ و﴿رَأَتۡكَ﴾ و﴿رَأَوۡكَ﴾ و﴿رَأَوۡهُمۡ﴾ انظر إرشاد المريد ص١٩١ والوافي ص٢٦١.

(٥) انظر فتح الوصيد ٣/ ٨٨٨ وسراج القارئ ص٢١١.

باب إمالة هاء التأنيث في الوقف

قرأ الدوري في روايته عن الكسائي بإمالة هاء التأنيث التي تكون في الوصل تاءً[1] وفي الوقف هاءً[2]، سواء رسمت في المصاحف بالهاء نحو ﴿جَنَّتِهِم﴾[البقرة ٢٦٥] أو بالتاء[3] نحو ﴿كَلِمَةٍ﴾[آل عمران ٦٤] وكذلك ما جاء على لفظها، وإن لم يكن هاء تأنيث نحو ﴿هُمَزَةٍ﴾ و ﴿لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة ١][4].

وفي إمالتها مذهبان رئيسان:

المذهب الأول: إمالتها بلا شرط، إذا كان الحرف الذي قبلها أحد خمسة عشر حرفاً مجموعة في (فَجَتْ زَيْنَبٌ لِذَوْدِ شَمْسٍ) نحو ﴿خَلِيفَةَ﴾[البقرة ٣٠ وص ٢٦] و﴿حُجَّةٌ﴾[البقرة ١٥٠] و﴿ثَلَٰثَةِ﴾[البقرة ١٩٦] و﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾[البقرة ١٧٣] و﴿ٱلْعِزَّةُ﴾[البقرة ٢٠٦] و﴿خَشْيَةِ﴾[البقرة ٧٤] و﴿جَنَّةٌ﴾[البقرة ٢٦٦] و﴿حَبَّةٍ﴾[البقرة ٢٦١] و﴿كَامِلَةٌ﴾[البقرة ١٩٦] و﴿لَذَّةٍ﴾[الصافات ٤٦] و﴿قَسْوَةً﴾[البقرة ٧٤] و﴿وَٰحِدَةً﴾[البقرة ٢١٣] و﴿مَعِيشَةً﴾[طـــه ١٢٤] و﴿نِعْمَةَ﴾[البقرة ٢١١ و﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾[المائدة ٢١].

---

(١) خرج بهذا القيد الهاء الأصلية نحو﴿نَفْقَهُ﴾﴿تَوَجَّهَ﴾﴿يَنْتَهِ﴾﴿وَجْهُهُ﴾ وهاء السكت نحو﴿حسابِيَهْ﴾﴿سُلْطانِيَهْ﴾ وهاء الضمير نحو﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ والهاء من نحو﴿هذه﴾ فإنها وإن كانت دالة على التأنيث لا تكون تاءً في الوصل بل هي هاء وصلاً ووقفاً.

(٢) وللعلماء في الممال قولان: الأول: أنه هاء التأنيث والحرف الذي قبلها، وهو اختيار الشاطبي حيث قال ص٢٨:

(وفي هاء تأنيث الوقوف وقبلها.:. ممال الكسائي غير عشر ليعدلا) وانظر الموضح للداني ص٧١٥ والتيسير ص٥٤ وشرح الهداية ١ / ١٢٠ وفتح الوصيد ٢ / ٤٧٣.

والقول الثاني: أن الممال هو الحرف الذي قبل هاء التأنيث فقط، انظر التذكرة ١ / ٢٣٥ والتبصرة ص٤٠٢ والتلخيص ص١٩٤ وغاية الاختصار ١ / ٢٠٨ وإرشاد المبتدئ ص١٧٦ والعنوان ص٦٣ والكنز ص١٠٥ والاختيار ١ / ٢٤١.

وجمع ابن الجزري بين القولين، فقال:"ولا يمكن أن يكون بين القولين خلاف، فباعتبار حد الإمالة، وأنه تقريب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء، فإن هذه الهاء لا يمكن أن يُدَّعَى تقريبُها من الياء، ولا فتحة فيها، فتقرب من الكسرة، وهذا مما لا يخالف فيه الداني ومن قال بقوله، وباعتبار أن الهاء إذا أميلت فلا بد أن يصحبها في صورتها حال من الضعف خفيّ، يخالف حالها إذا لم يكن قبلها ممال، وإن لم يكن الحال من جنس التقريب إلى الياء، فسمى ذلك المقدار إمالة، وهذا مما لا يخالف فيه الجمهور، فعاد النزاع في ذلك لفظياً، إذ لم يمكن أن يفرق بين القولين بلفظ"النشر ٢ / ٨٨.

(٣) لأن مذهب الكسائي الوقف على جميع ذلك بالهاء، كما سيأتي بيانه في باب الوقف على مرسوم الخط.

(٤) قال أبو عمرو الداني:"اعلم أن الكسائي كان يقف على هاء التأنيث وما ضارعها في اللفظ بامالةٍ نحو قوله﴿جنة﴾ و﴿ربوة﴾ و﴿نعمة﴾... و﴿همزة﴾ و﴿لمزة﴾..."التيسير ص٥٤.

أو كان أحد أربعة حروف مجموعة في لفظ (أَكْهَر) بشرط وقوعها بعد ياء ساكنة أو كسر، مثال الهمزة بعد الياء الساكنة ﴿خَطِيٓـَٔةً﴾[النساء ١١٢] وبعد الكسر ﴿خَاطِئَةٍ﴾[العلق ١٦] ومثال الكاف بعد الياء الساكنة ﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾[الحجر ٧٨] وبعد الكسر ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[البقرة ٣١] ومثال الهاء بعد الكسر ﴿فَٰكِهُونَ﴾[يس ٥٧] ولا مثال لها في القرآن بعد الياء الساكنة، ومثال الراء بعد الياء الساكنة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾[البقرة ٤٥] ومثالها بعد الكسر ﴿تَبْصِرَةً﴾[ق ٨].

وعدم إمالتها عند فقد هذا الشرط، نحو ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾[النساء ١٢] و﴿بَرَآءَةٌ﴾[التوبة ١] و﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾[النور ٣٥] و﴿ٱلشَّوْكَةِ﴾[الأنفال ٧] و﴿ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة ١٩٥] و﴿سَفَاهَةٍ﴾[الأعراف ٦٦] و﴿شَجَرَةِ﴾[طه ١٢٠] و﴿سَيَّارَةٌ﴾[يوسف ١٩] و﴿نَضْرَةً﴾[الإنسان ١١] و﴿عُسْرَةٍ﴾[البقرة ٢٨٠] و﴿مَّحْشُورَةً﴾[ص ١٩].

وإذا وقع بين الكسر وبين حرف من حروف (أكهر) حرف ساكن فإن هذا الحرف لا يعد حاجزاً ومانعاً يمنع الكسر من اقتضاء الإمالة نحو ﴿لَعِبْرَةً﴾[آل عمران ١٣] و﴿سِدْرَةِ﴾[النجم ١٤] و﴿وِجْهَةٌ﴾[البقرة ١٤٨] واختلف في ﴿فِطْرَتَ﴾[الروم ٣٠] من حيث إن الحرف الساكن حرف استعلاء، وليس في القرآن مثال للهمزة والكاف.

وعدم الإمالة مطلقاً في عشرة حروف يجمعها (حَقٌّ ضِغَاطُ عَصٍ خَظَا) نحو ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾[المائدة ٣] و﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾و﴿بَعُوضَةً﴾[البقرة ٢٦] و﴿بَازِغَةً﴾[الأنعام ٧٨] و﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة ٣] و﴿بَسْطَةً﴾[البقرة ٢٤٧] و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ و﴿خَآصَّةً﴾[الأنفال ٢٥] ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾[عبس ٣٣] و﴿مَّوْعِظَةٌ﴾[البقرة ٢٧٥].

والمذهب الثاني: إمالة جميع الحروف الهجائية الواقعة قبل هاء التأنيث مطلقاً إلا الألف، فعلى كلا المذهبين لا إمالة في الألف.

وبناءً على المذهبين تكون الحروف الهجائية بالنسبة للإمالة وعدمها أربعة أقسام:

القسم الأول: ما يمال مطلقاً، بلا شرط على المذهبين، وهو حروف (فَجَثَتْ زَيْنَبٌ لِذَوْدِ شَمْسِ).

القسم الثاني: ما يمال بشرط أن تسبقه ياء ساكنة أو كسرة على المذهب الأول، وبلا شرط على المذهب الثاني، وهو حروف (أَكْهَر).

القسم الثالث: ما لا يمال على المذهب الأول، ويمال على المذهب الثاني، وهو حروف (حَقٌّ ضِغَاطُ عَصٍ خَظَا) عدا الألف.

القسم الرابع: ما لا يمال على كلا المذهبين وهو الألف[1].

باب الراءات

هذا الباب ليس للدوري في روايتيه أي انفراد فيه عن ما يقرأ به بقية القراء سوى ورش عن نافع الذي تفرد في هذا الباب بأحكام خالف فيها سائر القراء، وعليه فيمكن إجمال مذهب الدوري في روايتيه في هذا الباب فيما يلي:

الراء تقع في أول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها، ولها في كل موقع منها أحكام من حيث التفخيم والترقيق.

فإذا وقعت في أول الكلمة ولا تكون إلا متحركة فإن كانت مفتوحة أو مضمومة فخمها، نحو ﴿رَبَّنَا﴾[البقرة ١٢٧] و﴿رُزِقُوا۟﴾[البقرة ٢٥] وإن كانت مكسورة رققها نحو ﴿رِجَالٌ﴾[الأعراف ٤٦].

وإذا وقعت في وسط الكلمة، وتكون حينئذ متحركة أو ساكنة، فإن كانت متحركة فحكمها كحكمها في أول الكلمة، إن كانت مفتوحة أو مضمومة فخمها، نحو ﴿تَبَارَكَ﴾[الأعراف ٥٤] و﴿خَسِرُوٓا۟﴾[الأنعام ١٢] وإن كانت مكسورة رققها نحو ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾[آل عمران ١٧٦].

(١) انظر التذكرة ١ / ٢٣٧ والتيسير ص٥٥ والنشر ٢ / ٨٤ واللآلئ الفريدة ٢ / ٣٧٤.

إلا إذا كانت الراء المفتوحة ممالة مع الألف بعدها، سواء كانت في اسم نحو ﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[البقرة ١١٣] و﴿ٱلذِّكۡرَىٰ﴾[الأنعام ٦٨] أو في فعل نحو ﴿ٱشۡتَرَىٰ﴾[التوبة ١١١] و﴿نَرَىٰ﴾[البقرة ١٤٤] فإنه يرققها، لأن من لازم الإمالة ترقيق الراء، إذ لا تجتمع الإمالة مع التفخيم[(١)].

وإن كانت ساكنة ينظر إلى حركة ما قبلها، فإن كان قبلها فتح أو ضم فخمها نحو ﴿مَّرۡقَدِنَا﴾[يس ٥٢] و﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[البقرة ١٨٥] وإن كان قبلها كسرة رققها، نحو ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾[البقرة ٤٩].

إلا إذا كانت الكسرة عارضة، سواء كانت متصلة، نحو﴿ٱرۡكَعُواْ﴾[الحج ٧٧] و﴿ٱرۡجِعُواْ﴾[يوسف ٨١] عند البدء بها[(٢)] أو كانت منفصلة عنها بأن كانت في كلمة غير كلمتها، نحو ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾[المؤمنون ٩٩] فإنه يفخم الراء فيها، كما قال الإمام الشاطبي[(٣)]:

وما بعد كسر عارض أو مفصّل ×××× ففخّم فهذا حكمه متبذّلا

وكذلك إذا وقع بعدها حرف استعلاء، فإنه يفخمها كجميع القراء، نحو ﴿وَإِرۡصَادٗا﴾[التوبة ١٠٧]، و﴿مِرۡصَادٗا﴾[النبأ ٢١]، و﴿لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾[الفجر ١٤] و﴿قِرۡطَاسٖ﴾[الأنعام ٧] و﴿فِرۡقَةٖ﴾[التوبة ١٢٢].

وللدوري في روايتيه خلاف في راء ﴿فِرۡقٖ﴾[الشعراء ٦٣] فله تفخيمها نظراً لوقوع حرف الاستعلاء بعدها، وترقيقها نظراً لكسر حرف الاستعلاء، قال ابن الجزري: "والوجهان صحيحان، إلا أن النصوص متواترة على الترقيق"[(٤)] وفي

(١) انظر النشر ٢/ ٩٠ وغيث النفع ٣/ ١٠٥٤.

(٢) وذلك نظراً لعروض الكسر، لأن همزة الوصل نفسها عارضة، إذ لا يؤتي بها إلا حال البدء للتوصل إلى النطق بالساكن، وإذا كانت همزة الوصل نفسها عارضة، كانت حركتها عارضة كذلك.

(٣) حرز الأماني ص ٢٩.

(٤) النشر ٢/ ١٠٣.

ذلك قال الإمام الشاطبي[1]:

وما حرف الاستعلاء بعد فراؤه لكلّهم التّفخيم فيها تذلّلا

ويجمعها قظ خصّ ضغط وخلفهم بفرق جرى بين المشايخ سلسلا

وإذا وقعت في آخر الكلمة فإما أن تكون ساكنة في حالي الوصل والوقف، أو متحركة في الوصل ثم سكنت لأجل الوقف.

وفي حال الوصل يكون حكمها كحكم الواقعة في وسط الكلمة، وفي حال الوقف عليها تختلف أحكامها فأما الساكنة في الحالين - ولا يوقف عليها إلا بالسكون المحض - فإن سبقها فتح أو ضم فخمها، نحو ﴿وَٱنْحَرْ ۝٢﴾[الكوثر] ﴿وَأْمُرْ﴾[الأعراف ١٤٥] وإن سبقها كسر رققها، نحو ﴿فَٱصْبِرْ﴾[هود ٤٩].

وأما المتحركة وصلاً التي سكنت لأجل الوقف، وتكون مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة، فيختلف حكم الوقف على كل منها على ما يلي:

أ) المفتوحة: ولا يوقف عليها إلا بالسكون المحض، وحينئذ ينظر إلى حركة ما قبلها فإن كان قبلها فتح نحو ﴿صَبَرَ﴾[الشورى ٤٣] أو ضم نحو ﴿كَبُرَ﴾[غافر ٣٥] فإنه يفخمها، وإن كان قبلها كسر نحو ﴿خَسِرَ﴾[النساء ١١٩] فإنه يرققها.

وإن كان قبلها ساكن صحيح نظر إلى حركة ما قبله، فإن كان قبله فتح أو ضم فخمها، نحو ﴿أَمَرَ رَبُّكُمْ﴾[الأعراف ١٥٠] و﴿ٱلْيُسْرَ﴾[البقرة ١٨٥] وإن كان قبله كسر رققها، نحو ﴿ٱلشِّعْرَ﴾[يس ٦٩][2].

وإن كان الساكن قبلها ألفاً أو واواً فخمها نحو ﴿ٱلنَّارَ﴾[البقرة ٢٤] و﴿ٱلْأُمُورَ﴾[التوبة ٤٨] وإن كان ياءً رققها[3]، نحو ﴿وَٱلْحَمِيرَ﴾[النحل ٨] و﴿ٱلْخَيْرَ﴾[الحج ٧٧].

(١) حرز الأماني ص ٢٩.

(٢) وهذا إذا كان الساكن غير حصين، أما إن كان حصيناً وهو حرف الاستعلاء، وقد وقع في ﴿مِصْرَ﴾[يوسف ٢١] ففيها الترقيق والتفخيم ولكن التفخيم أولى، انظر النشر ١ / ١٠٦ ونهاية القول المفيد ص٩٨ وهداية القاري ١ / ١٣٢-١٣٣.

(٣) ويستوي في ذلك الياء المدية واللينة، كما في المثالين المذكورين.

ب) المضمومة: ويوقف عليها بالسكون المحض، أو بالإشمام، أو بالرَّوم[1]، فإن كان قبلها فتح أو ضم فخمها - سواء وقف عليها بالسكون المحض، أو بالإشمام، أو بالرَّوم - نحو ﴿ٱلْقَمَرُ﴾[القمر١] و﴿حُمُرٌ﴾[المدثر ٥٠].

وإن كان قبلها كسر أو ياء ساكنة[2] ووقف بالسكون المحض أو بالإشمام رققها، وإن وقف بالرَّوم فخمها، نحو ﴿لَا يُغَادِرُ﴾[الكهف ٤٩] و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام ١٨] و﴿خَيْرُ﴾[المائدة ١١٤].

وإن كان قبلها ساكن صحيح وقبله فتح أو ضم فخمها - سواء وقف عليها بالسكون المحض أو بالإشمام أو بالرَّوم - نحو ﴿ٱلْبَحْرُ﴾[الكهف ١٠٩] و ﴿صُفْرٌ﴾[المرسلات ٣٣][3].

وإن كان قبله كسر ووقف بالسكون المحض أو بالإشمام رققها، وإن وقف بالرَّوم فخمها، نحو ﴿بِكْرٌ﴾[البقرة ٦٨].

وإن كان الساكن قبلها ألفاً أو واواً فخمها، نحو ﴿ٱلدَّارُ﴾[البقرة ٩٤] و﴿ٱلنُّشُورُ﴾[الملك ١٥].

ج) المكسورة: ويوقف عليها بالسكون المحض وبالرَّوم، فإن كان قبلها فتح، أو ضم، أو واو ساكنة ووقف عليها بالسكون المحض فخمها، نحو ﴿ٱلشَّجَرِ﴾[النحل ٦٨] و﴿بِٱلنُّذُرِ﴾[القمر ٢٣] و﴿وَٱلنُّورِ﴾[التغابن ٨] وإن وقف عليها بالرَّوم رققها.

وإن كان قبلها كسر أو ياء ساكنة[4] رققها، سواء وقف بالسكون المحض أو بالرَّوم، نحو ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾[القمر ١١] و﴿مِنۢ بَشِيرٍ﴾[المائدة ١٩] و﴿مِنْ خَيْرٍ﴾[البقرة ١٠٥].

---

(١) سيأتي بيانهما والتعريف بهما في باب الوقف على أواخر الكلم.

(٢) سواء كانت الياء مدية أو لينة، كما في المثالين المذكورين.

(٣) ومثله﴿خُضْرٌ﴾[الإنسان ٢١] في روايته عن أبي عمرو فقط، أما روايته عن الكسائي فهي بخفض الراء وكذلك﴿وكان له ثُمْرٌ﴾[الكهف ٣٤] في روايته عن أبي عمرو أيضاً أما روايته عن الكسائي فهي بضم الميم والثاء.

(٤) سواء كانت الياء مدية أو لينة، كما في المثالين المذكورين.

وإن كان قبلها حرف ساكن صحيح قبله فتح أو ضم ووقف عليها بالسكون المحض فخمها، وإن وقف بالرَّوم رققها، نحو ﴿ٱلْقَدْرِ﴾[القدر ١] و﴿خُسْرٍ﴾[العصر ٢] وإن كان قبل الساكن كسر رققها سواء وقف بالسكون المحض أو بالرَّوم، نحو ﴿ٱلسِّحْرِ﴾[طه ٧٣][(١)].

وإن كان الساكن قبلها ألفاً رققها أيضاً لأجل الإمالة[(٢)]، نحو ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[البقرة ٣٩] و﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾[البقرة ٢٧٠].

ومن هذا يظهر أنه لا خلاف في حكم الراء بين الوقف بالسكون المحض أو بالإشمام، بخلاف الوقف بالروم، فإن حكم الراء عند الوقف به كحكمها عند الوصل، فإن كانت في الوصل مرققة بأن كانت مكسورة؛ وقف عليها بالرَّوم مرققة، وإن كانت في الوصل مفخمة بأن كانت مضمومة[(٣)] وقف عليها بالرَّوم مفخمة[(٤)].

باب اللامات

هذا الباب أيضاً اتفقت فيه روايتا الدوري، وليس له فيه خلاف كبقية القراء، باستثناء ورش الذي ينفرد بتغليظ اللام بضوابط معينة.

واللام حرف من حروف الاستفال وقد قرأها الدوري بالترقيق كبقية القراء، ولم يرد عنده تفخيم للام إلا في لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ إذا وقع بعد فتحة نحو ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾[آل عمران ٥٥] أو بعد ضمة نحو ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[الأنعام ١٢٤].

وكذلك يغلظ لام ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[يونس ٥٩] ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾[النمل ٥٩] سواء قرأ فيهما بالتسهيل أم بالإبدال.

---

(١) وهذا إذا كان الساكن غير حصين، أما إن كان حصيناً وهو حرف الاستعلاء، وقد وقع في ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾[سبأ ١٢] ففيها الترقيق والتفخيم ولكن الترقيق أولى، انظر النشر ١ / ١٠٦ ونهاية القول المفيد ص٩٨ وهداية القاري ١ / ١٣٢-١٣٣.

(٢) حيث إن مذهبه إمالة الألف الواقعة قبل الراء المتطرفة المكسورة، وقد سبق بيان ذلك في باب الإمالة.

(٣) أما المفتوحة فليس فيها إلا الوقف بالسكون المحض، فلا إشمام فيها ولا روم، كما سيأتي في باب الوقف على أواخر الكلم.

(٤) انظر إرشاد المريد ص١١٦-١١٩ وتحفة الطالبين ص٥٨ وجهد المقل ص١٧٣-١٧٩.

أما إذا وقع بعد كسرة فإنه يقرأ بترقيق لامه في روايتيه، نحو ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾[التوبة ٦٥] و﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة ٦١].

باب الوقف[١] على أواخر الكلم

الأصل في الوقف أن يكون بالسكون، وورد النص عن أبي عمرو والكوفيين بالوقف بالرَّوم والإشمام أيضاً[٢].

والرَّوم هو: النطق ببعض الحركة، أو: تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها، فيُسمع لها صوتٌ خفيٌّ يسمعه القريب دون البعيد، كما قال الإمام الشاطبي[٣]:

ورومك إسماع المحرّك واقفاً ×××× بصوت خفيّ كلّ دان تنوّلا

والإشمام هو: إطباق الشفتين وضمهما عقب تسكين الحرف، من غير تصويت، إشارة إلى أن ذلك الحرف الذي سكن لأجل الوقف مضموم، ولا يدرك ذلك إلا بالعين، فلا يدركه الأعمى، قال الإمام الشاطبي[٤]: والاشمام إطباق الشفاه بعيد ما يسكّن لا صوت هناك فيصحلا

فالفرق بين الإشمام والرَّوم؛ أن الرَّوم معه صوت ضعيف، والإشمام عار منه؛ لأنه ضم الشفتين بعد تسكين الحرف وحذف الحركة[٥].

والرَّوم والإشمام يدخلان في المضموم والمرفوع، ويدخل الرَّوم أيضاً في المكسور والمجرور، أما المفتوح والمنصوب فلا يدخلهما الرَّوم ولا الإشمام، فليس له فيهما إلا السكون المحض.

(١) الوقف في اللغة: الكف عن الشيء، أي تركه، وفي اصطلاح القراء: هو قطع الصوت على الكلمة زمناً يمكن التنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله، لا بنية الإعراض عن القراءة.
والفرق بينه وبين القطع أن الوقف قطع القراءة زمناً يسيراً بنية استئناف القراءة، وأما القطع فهو قطع الصوت على الكلمة بقصد الكف عن القراءة والانتقال عنها إلى غيرها، وينبغي أن لا يكون إلا على رأس آية.
انظر النشر ١ / ٢٣٩ – ٢٤٠ والإضاءة ص٤١ ونهاية القول المفيد ص١٥٢.

(٢) وأكثر أهل الأداء يرون الأخذ بالرَّوم والإشمام أيضاً لجميع القراء اختياراً واستحباباً وإن لم يرد عنهم نص بذلك، انظر التيسير ص٥٩.

(٣) حرز الأماني ص٣٠.

(٤) حرز الأماني ص٣٠.

(٥) انظر التيسير ص٥٩ وإبراز المعاني ٢ / ١٦٩ والقواعد والإشارات ص٥١ والنشر٢ / ١٢١ والإضاءة ص٦٠.

وقد قرأ الدوري من روايتيه بالرَّوم والإشمام فيما يصح أن يدخلا فيه، فإذا وقف على الحرف المتحرك وكان مضموماً أو مرفوعاً نحو ﴿ حَيْثُ ﴾[البقرة ٣٥] ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ ﴾[غافر ٢٨] وقف عليه بالإسكان المحض أو بالإشمام أو بالرَّوم، وإن كان مكسوراً أو مجروراً نحو﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾[البقرة ٣١] و﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾[الأعراف ٦٣] وقف عليه بالإسكان المحض أو بالرَّوم، وإن كان مفتوحاً أو منصوباً نحو ﴿ أَيْنَ ﴾[البقرة ١٤٨] و﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا ﴾[غافر ٢٨] وقف عليه بالإسكان المحض فقط.

ويستثنى له من روايتيه حال الوقف على هاء التأنيث، التي تكون في الوصل تاءً ويقف عليها بالهاء نحو ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾[آل عمران ١٥٩] ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ ﴾[الشعراء ٢٢] والحركة العارضة للتخلص من التقاء الساكنين، نحو ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ ﴾[آل عمران ٢٦] فليس له فيها الرَّوم ولا الإشمام، فلا يقف عليها إلا بالسكون المحض.

فيخرج من ذلك تاء التأنيث التي رسمت في المصحف بالتاء المفتوحة، ويقف عليها بالتاء، فيدخلها الرَّوم والإشمام إن كانت مرفوعة نحو ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ ﴾[هود ٧٣] والرَّوم فقط إن كانت مجرورة نحو ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾[الروم ٥٠].

وفي ذلك قال الإمام الشاطبي رحمه الله[1]:

وفي هاء تأنيث وميم الجميع قل وعارض شكل لم يكونا ليدخلا

وأما هاء التأنيث فهي بالنظر إلى ما قبلها سبعة أنواع، وفيما يلي بيان مذهب الدوري في روايتيه في رومها وإشمامها:

(١) حرز الأماني ص ٣٠ وذكره رحمه الله لميم الجمع المراد به عند من يصلها بواو وصلاً، فلا يدخلها الرَّوم والإشمام له أيضاً، وأما من يقرؤها بالسكون وصلاً ووقفاً ومنهم الدوري في روايتيه فلا يتأتى فيها دخول الرَّوم والإشمام عندهم أصلاً.

فقد منع جماعة من أهل الأداء إدخال الإشمام والرَّوم في أربعة أنواع منها، وهي:

التي قبلها ضم نحو ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾[البقرة ٢٧٠] و ﴿ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾[البقرة ٢٨٣].

التي قبلها واو ساكنة، سواء كانت مدية نحو ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾[النساء ١٥٧] أم كانت لينة نحو ﴿وَشَرَوۡهُ﴾[يوسف ٢٠].

التي قبلها كسر نحو ﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾[البقرة ٣٧] و ﴿بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾[الأنفال ٢٤] و ﴿بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾[البقرة ١٠٢].

التي قبلها ياء ساكنة، سواء كانت مدية نحو ﴿فِيهِ﴾[البقرة ٢٥٤] و﴿أَخِيهِ﴾[البقرة ١٧٨] أم لينة نحو ﴿عَلَيۡهِ﴾[البقرة ٣٧] و ﴿لِوَٰلِدَيۡهِ﴾[الأحقاف ١٧].

فالنوع الأول والثالث مذكوران في قوله: (ومن قبله ضم أو الكسر). والنوع الثاني والرابع مذكوران في قوله (أو اما هما واو وياء) والواو في قوله: (ومن قبله) للحال.

وعليه فيجوز عندهم دخول الرَّوم والإشمام في الأنواع الثلاثة الباقية وهي:

التي قبلها فتح، نحو ﴿مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾[البقرة ٢٠٧] ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾[الأنبياء ٩٠].

التي قبلها ألف، نحو ﴿ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ﴾[النحل ١٢١].

التي قبلها حرف ساكن صحيح، نحو ﴿فَلۡيَصُمۡهُ﴾[البقرة ١٨٥].

ولكن بعض أهل الأداء يجيز الروم والإشمام في هاء الضمير في جميع أحوالها السبعة، فيكون في هاء الضمير من حيث دخول الرَّوم والإشمام فيها عند الوقف مذهبان:

المذهب الأول: منع دخولهما في أربعة أنواع وإجازة دخولهما في ثلاثة أنواع.

المذهب الثاني: إجازة دخولهما في جميع أنواعها السبعة.

ويؤخذ من المذهبين أن دخول الرَّوم والإشمام في الأنواع الثلاثة متفق عليه فيهما.

وفي هذا يقول الإمام الشاطبي رحمه الله[1]:

وفي الهاء للإضمار قوم أبوهما ومن قبله ضمّ أو الكسر مثّلا

أو امّا همـا واو وياء وبعضهم يرى لهما في كلّ حال محلّلا

باب الوقف على مرسوم الخط[2]

كان الدوري في روايتيه يُعنى بمتابعة خط المصحف الإمام في الوقف، فيقف على الكلمات التي رسمت في المصاحف على خلاف مقتضى قواعد الرسم المتداولة بين الناس، وفي الوقف الاضطراري لضيق نفسه، أو نسيانه أو نحو ذلك.

فكان يتبع رسم الكلمات في المصاحف العثمانية فما كتب فيه بالتاء وقف عليه بالتاء، وما كتب بالهاء وقف عليه بالهاء، وإن لم يكن موضع وقف، وما كان من كلمتين وصلت إحداهما بالأخرى لم يقف إلا على الثانية منهما، نحو ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[النساء ١٧١] وما كان من كلمتين

(١) حرز الأماني ص ٣٠-٣١، وقد نص الناظم على منع بعض أهل الأداء دخول الإشمام والرَّوم في الأنواع الأربعة، بقوله: (ومن قبله ضم أو الكسر) وفي قوله (أو اماهما واو وياء) ثم ذكر المذهب الآخر المجيز لدخولهما في الأنواع كلها بقوله: (وبعضهم يرى لهما في كل حال محللا) انظر سراج القارئ ص١٢٦ والوافي ص ١٧٨.

(٢) المراد خط المصحف العثماني، والمصاحف التي كتبها الصحابة في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانعقد إجماعهم عليها وأنفذها عثمان إلى الأمصار الإسلامية، انظر إبراز المعاني ٢ / ٢٠٦ وسراج القارئ ص١٢٧.

فصلت إحداهما عن الأخرى؛ وقف على كل واحدة منهما نحو ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾[الأنعام ١٣٤].

وذلك عند الوقف على هذه الكلمات اختباراً، أو اضطراراً عند طروء طارئ من ضيق نفس، أو نسيان، أو غلبة عطاس، أو بكاء أو نحو ذلك.

ويقف في روايتيه على هاء التأنيث التي تكون تاءً في الوصل بالهاء، سواء رسمت في المصاحف بالهاء نحو ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ﴾[آل عمران ١٥٩] أم بالتاء نحو ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف ٥٦][(١)].

واختلفت روايتا الدوري في الوقف على الكلمات التالية: كلمة ﴿اللَّاتَ﴾[النجم ١٩] و﴿مَرْضَاتِ﴾[البقرة ٢٠٧] حيث وقعت في القرآن، و﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[النمل ٦٠][(٢)] و﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[ص ٣] و﴿هَيْهَاتَ﴾[المؤمنون ٣٦].

فوقف عليها في روايته عن أبي عمرو بالتاء، تبعاً للرسم، ووقف عليها في روايته عن الكسائي بالهاء، قال الإمام الشاطبي[(٣)]:

وفي اللّات مع مرضات مع ذات بهجة ×× ولات رضى هيهات هاديه رفّلا

وكلمة ﴿وَكَأَيِّن﴾[آل عمران ١٤٦] حيث وقعت في القرآن الكريم، سواء قرنت بالواو نحو ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾[آل عمران ١٤٦] أم بالفاء نحو ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾[الحج ٤٥] وقف عليها في روايته عن أبي عمرو على الياء، ووقف في روايته عن الكسائي على النون[(٤)] قال الإمام الشاطبي[(٥)]:

..... وكأيّن الـ ـوقوف بنون وهو بالياء حصّلا

(١) فيكون مخالفاً لأصله وهو اتباع رسم المصحف فيما رسم بالتاء، حيث يقف عليه بالهاء، من روايتيه تبعاً لشيخيه، والكلمات التي رسمت في المصاحف بالتاء، والتي رسمت بالهاء، مبسوطة مبينة في كتب التجويد، وأفرد في بعضها أبواب خاصة بها، كما في المقدمة الجزرية ص١٨ وتحفة الطالبين ص٦٧ ونهاية القول المفيد ص٢١٣ وهداية القاري ٢ / ٤٦١.

(٢) أما ما عداه فلا خلاف في الوقف عليها بالتاء، نحو﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[الأنفال ١]﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ و﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾[الكهف ١٧] و﴿ذات لهب﴾[المسد ٣] انظر إبراز المعاني ٢ / ٢٠٩.

(٣) حرز الأماني ص ٣١.

(٤) وأصل الكلمة (أَيٍّ) بالتنوين ودخل عليها كاف التشبيه، فهي مجرورة منونة مثل كعليّ، وإنما كتبت في المصحف نوناً على لفظ الوصل، فالوقف على الياء لأجل حذف التنوين؛ لأنه يحذف وقفاً، والوقف بالنون اتّباعاً لخط المصحف، انظر غيث النفع ٢ / ٤٩٢.

(٥) حرز الأماني ص ٣١.

وكلمة ﴿ مَالِ ﴾ في قوله تعالى ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾[الفرقان ٧] و﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الكهف ٤٩] و ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾[النساء ٧٨] و ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[المعارج ٣٦] وقف عليها في روايته عن أبي عمرو على (ما) في المواضع الأربعة، وأما في روايته عن الكسائي فله الوجهان؛ الوقف على (ما) والوقف على (اللام) قال الإمام الشاطبي[١]:

وَمَالِ لَدَى الْفُرْقَانِ وَالْكَهْفِ وَالنِّسَا وَسَالَ عَلَى مَا حَجَّ وَالْخُلْفُ رُتِّلا

وقد كتبت ﴿ مَالِ ﴾ في هذه المواضع بفصل اللام عن ما بعدها، ورجح ابن الجزري جواز الوقف على كل من (ما) و (اللام) في هذه المواضع لجميع القراء[٢].

والوقف على (ما) أو على (الام) وقف اختباري أو اضطراري، وليس وقفا اختياريّاً فلا يصح البدء باللام أو بما بعدها، وإنما إذا وقف على (ما) أو على (اللام) اختباراً أو اضطراراً يجب الرجوع والبدء بما قبلها نحو ﴿ مَالِ هَٰذَا ﴾ أو ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ و ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ ﴾.

ووقف الدوري في روايتيه على لفظ ﴿ أَيُّهَ ﴾ بالألف في ثلاثة مواضع، هي ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾[الزخرف ٤٩] و﴿ أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[النور ٣١] و ﴿ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[الرحمن ٣١] وإذا وصل حذفها.

وفي ذلك قال الإمام الشاطبي[٣]:

وَيَا أَيُّهَا فَوْقَ الدُّخَانِ وَأَيُّهَا لَدَى النُّورِ وَالرَّحْمَنِ رَافَقْنَ حُمَّلا

واختلفت روايتا الدوري في الوقف على ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ و﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ ﴾[القصص ٨٢] فيقف في روايته عن أبي عمرو على الكاف، ويبدأ بقوله ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ في

(١) حرز الأماني ص ٣١.
(٢) النشر ٢ / ١٤٦.
(٣) حرز الأماني ص٣١ وقوله (فوق الدخان) المراد به سورة الزخرف، انظر إبراز المعاني ٢ / ٢١٣.

الأول و ﴿أَنَّهُۥ﴾ في الثاني، ويقف في روايته عن الكسائي على الياء، ويبدأ بقوله ﴿كَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ في الأول و﴿كَأَنَّهُۥ﴾ في الثاني، قال الإمام الشاطبي[1]:

وَقِفْ وَيْكَأَنَّهْ وَيْكَأَنَّ بِرَسْمِهِ ×××× وَبِالْيَاءِ قِفْ رِفْقاً وَبِالْكَافِ حُلِّلا

لكن نص العلماء على أن الصحيح الوقف على الكلمة بأسرها، والبدء بـ ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ و﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ اتّباعاً للرسم وعملاً بالقياس، وهو الذي رجحه الإمام ابن الجزري بقوله:"وهذا هو الأولى والمختار في مذاهب الجميع، اقتداء بالجمهور، وأخذاً بالقياس الصحيح، والله أعلم"[2].

واختلفت رواياته أيضاً في الوقف على لفظ ﴿أَيًّا مَّا﴾[الإسراء ١١٠] فقرأ في روايته عن أبي عمرو بالوقف على (ما) وقرأ في روايته عن الكسائي بالوقف على ﴿أَيًّا﴾ مع إبدال التنوين فيه ألفاً، وهذا مفاد قول الإمام الشاطبي[3]:

وأيّا بأيّا ما شفا وسواهما ×××× بما...

ولكن الإمام ابن الجزري جوز الوجهين لجميع القراء فقال:"فيجوز الوقف على كل من ﴿أَيًّا﴾ ومن ﴿مَّا﴾ لكونهما كلمتين انفصلتا رسماً كسائر الكلمات المنفصلات رسماً، وهذا هو الأقرب إلى الصواب، وهو الأولى بالأصول، وهو الذي لا يوجد عن أحد منهم نص بخلافه، وقد تتبعت نصوصهم فلم أجد ما يخالف هذه القاعدة ولاسيما في هذا الموضع"[4] وقال في موضع آخر:"فظهر أن الوقف جائز لجميعهم على كل من كلمتي ﴿أَيًّا﴾ و ﴿مَّا﴾ كسائر الكلمات المفصولات في الرسم، وهذا الذي نراه ونختاره ونأخذ به تبعاً لسائر أئمة القراءة، والله أعلم"[5].

(١) حرز الأماني ص٣١.
(٢) النشر ٢ / ١٥٢ وانظر غيث النفع ٢ / ٩٤٨ والبدور الزاهرة للقاضي ص٢٤١.
(٣) حرز الأماني ص٣١.
(٤) النشر ٢ / ١٤٤-١٤٥.
(٥) النشر ٢ / ١٤٥-١٤٦.

وعلى كلا الوجهين لا يجوز البدء بلفظ ﴿مَّا﴾ ولا بلفظ ﴿تَدۡعُواْ﴾ بل يتعين البدء بلفظ ﴿أَيًّا﴾ لجميع القراء[1].

واختلفت رواياته أيضاً في الوقف على ﴿وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾[النمل ١٨] فوقف عليها في روايته عن أبي عمرو بحذف الياء، على الرسم، ووقف عليها في روايته عن الكسائي بإثبات الياء، لأنها الأصل، ولا خلاف في حذفها في الوصل، قال الإمام الشاطبي[2]:.... وَبِوَادِي النَّمْلِ بِاليَا سَنَاً تَلا

باب ياءات الإضافة

ياء الإضافة في اصطلاح القراء هي: الياء الزائدة[3] الدالة على المتكلم[4] وتتصل بالفعل والاسم والحرف فتكون مع الفعل منصوبة المحل، نحو ﴿أَوۡزِعۡنِيٓ﴾[النمل ١٩ والأحقاف ١٥] ومع الاسم مجرورة المحل، نحو ﴿نَفۡسِي﴾[المائدة ٢٥] ومع الحرف منصوبة المحل نحو ﴿إِنِّي﴾[البقرة ١٢٤] ومجرورته نحو ﴿لِي﴾[آل عمران ٣٨] و﴿بِي﴾[البقرة ١٨٦].

وعلامة ياء الإضافة: صحة إحلال الكاف والهاء محلها، حيث يمكن أن يقال بدل ﴿فَطَرَنِي﴾ فطرك، وفطره، وفي ﴿ضَيۡفِي﴾ ضيفك، وضيفه، وفي ﴿إِنِّي﴾ إنك، وإنه، وهكذا، وفي هذا قال الإمام الشاطبي رحمه الله[5]:

وَلَيسَتْ بلام الفعْلِ يَاءُ إِضَافَةٍ ... وَمَا هِيَ مِنْ نَفْسِ الأُصُولِ فَتُشْكِلا

وَلَكِنَّهَا كَالْهَاءِ وَالْكَافِ كُلَّ مَا ... تَلِيهِ يُرَى لِلْهَاءِ وَالْكَافِ مَدْخَلا

(١) انظر غيث النفع ٢ / ٥١٩ والوافي ص١٨١ والبدر الزاهرة للقاضي ص٨٠.

(٢) حرز الأماني ص٣١ وانظر إبراز المعاني ٢ / ٢١٩ وإرشاد المريد ص١٢٩.

(٣) خرجت الياء الأصلية، التي تكون في مكان اللام، من الكلمات التي توزن سواء كانت اسماً نحو﴿الدَّاعِ﴾ أم فعلاً ماضياً نحو﴿أُلۡقِيَ﴾ أم مضارعاً نحو﴿سَآوِي﴾ وخرج أيضاً الياء التي تكون من بنية الكلمة وأصولها وذلك في الأسماء المبهمة التي لا توزن نحو﴿الذي﴾ و﴿التي﴾ وياء﴿هي﴾ فالياء في الكلمات التي توزن يقال لها لام الفعل، ويصح أن يقال لها ياء أصلية، وفي الكلمات التي لا توزن يقال لها ياء أصلية. انظر إبراز المعاني ٢ / ٢٢٤ وسراج القارئ ص١٣٢ والوافي ص١٨٣.

(٤) خرجت الياء في جمع المذكر السالم، نحو﴿بِرَادِّي﴾[النحل ٧١] والياء الدالة على المؤنثة المخاطبة، نحو﴿فَكُلِي وَاشۡرَبِي﴾[مريم ٢٦]. انظر الوافي ص١٨٤.

(٥) حرز الأماني ص ٣٢.

وتسميتها ياء إضافة إنما هو باعتبار الغالب، وهو دخولها على الأسماء، وإلا فليست الداخلة على الأفعال والحروف ياء إضافة. انظر إبراز المعاني ٢ / ٢٢٥ والوافي ص١٨٤.

وياء الإضافة على ثلاثة أقسام: قسم متفق على إسكانه، نحو ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم ٣٦] و ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾[النور ٥٥].

وقسم متفق على فتحه نحو ﴿بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾[آل عمران ٤٠] و﴿نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي ﴾[البقرة ٤٠] و﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ ﴾[سبأ ٢٧].

وقسم اختلف فيه بين فتح الياء وإسكانها، وياء الإضافة تنقسم بالنظر إلى الحرف الواقع بعدها إلى ستة أقسام، وهي: ١- ما بعده همزة قطع مفتوحة. ٢- ما بعده همزة قطع مكسورة. ٣- ما بعده همزة قطع مضمومة. ٤- ما بعده همزة وصل مقرونة بلام التعريف.

٥- ما بعده همزة وصل مجردة عن لام التعريف.

٦- ما بعده حرف آخر غير همزة القطع وهمزة الوصل.

وقد اختلفت روايتا الدوري في فتح الياء وإسكانها في كل قسم من هذه الأقسام، على وفيما يلي بيان ذلك:

فأما القسم الأول، وهو ياء الإضافة التي وقع بعدها همزة قطع مفتوحة، فوقعت في تسعة وتسعين موضعاً من القرآن الكريم، وقد قرأ الدوري في روايته عن أبي عمرو بفتحها، نحو ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾[المائدة ٢٨] باستثناء عشرة مواضع قرأ بإسكانها فيها، وهي ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[الأعراف ١٤٣] و﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾[التوبة ٤٩] و ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾[مريم ٤٣] و ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[هود ٤٧] و ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾[غافر ٢٦] و﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر ٦٠] و﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[البقرة ١٥٢] و﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾[النمل ١٩ والأحقاف ١٥] و ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ ﴾[النمل ٤٠] و﴿سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ ﴾[يوسف ١٠٨].

وقرأ في روايته عن الكسائي بإسكان الياء فيها جميعها.

وأما القسم الثاني، وهو ياء الإضافة التي وقع بعدها همزة قطع مكسورة، فوقعت في اثنين وخمسين موضعاً من القرآن الكريم نحو ﴿مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ﴾[البقرة ٢٤٩] و﴿رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾[الأنعام ١٦١] و﴿نَفۡسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾[يوسف ٥٣] و﴿عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء ٧٧].

وقد قرأ في روايته عن الكسائي بإسكانها جميعها، وقرأ في روايته عن أبي عمرو بفتحها، إلا في تسعة عشر موضعاً فاتفقت رواياته على إسكانها فيها، وهي ﴿بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ و ﴿بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾[الحجر ٧١]و﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران ٥٢والصف ١٤] و﴿أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[الشعراء ٥٢ و﴿لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[ص٧٨]و﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الكهف ٦٩ والقصص ٢٧ والصافات ١٠٢] و﴿وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ﴾[يوسف ١٠٠] و﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ﴾[المجادلة ٢١]و﴿يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ﴾[القصص ٣٤] و﴿أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ﴾[الأعراف ١٤]و﴿فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ﴾[الحجر ٣٦ وص ٧٩] و﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ﴾[المنافقون ١٠]و﴿فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبۡتُ﴾[الأحقاف ١٥]و﴿مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾[يوسف ٣٣]و﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[غافر ٤١] و﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾[غافر ٤٣].

وأما القسم الثالث، وهو ياء الإضافة التي وقع بعدها همزة قطع مضمومة، فوقعت في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم، وهي ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا﴾[آل عمران ٣٦]و﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾[المائدة ٢٩] و﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا﴾[المائدة ١١٥] و﴿إِنِّيٓ أُمِرۡتُ﴾[الأنعام ١٤والزمر ١١] و﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ﴾[الأعراف ١٥٦] و﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾[هود ٥٤] و﴿أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾[يوسف ٥٩] و﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ﴾[النمل ٢٩] و﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ﴾[المائدة ٢٩ والقصص ٢٧] و﴿بِعَهۡدِيٓ أُوفِ﴾[البقرة ٤٠]و﴿ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾[الكهف ٩٦].

وقد اتفقت روايتا الدوري على القراءة بإسكان الياء فيها جميعاً.

وأما القسم الرابع، وهو ياء الإضافة التي وقع بعدها همزة وصل مقرونة بلام التعريف، والذي ورد فيه خلاف بين القراء من هذا القسم أربع عشرة ياءً، هي: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[إبراهيم٣١]و﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ ﴾[العنكبوت ٥٦] و﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ ﴾[الزمر ٥٣] و﴿ عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[الأنبياء ١٠٥] و﴿ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[سبأ ١٣] و﴿ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة ١٢٤] و﴿ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ ﴾[الزمر ٣٨] و﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾[البقرة ٢٥٨]و﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾[مريم ٣٠] و﴿ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ ﴾[الأعراف ١٤٦] و﴿ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ ﴾[الملك ٢٨] و﴿ مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾[ص٤١] و﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾[الأنبياء ٨٣]و﴿ حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾[الأعراف ٣٣] .

وقد اختلفت روايتا الدوري في موضع واحد منها، وهو قوله تعالى ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[إبراهيم ٣١] فقرأه في روايته عن أبي عمرو بفتح الياء، وقرأه في روايته عن الكسائي بإسكانها.

واتفقت روايتاه على إسكان الياء في موضعين، وهما قوله تعالى ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ ﴾[العنكبوت ٥٦] وقوله تعالى ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ ﴾[الزمر ٥٣].

واتفقت روايتاه على فتح الياء في ما عداها، سواء في الأحد عشر موضعاً الباقية، أو في ما لم يرد فيه خلاف بين القراء[1].

وأما القسم الخامس، وهو ياء الإضافة التي وقع بعدها همزة وصل مجردة عن لام التعريف، فوقعت في سبعة مواضع، هي: ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾[طه] و﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ ﴾[الأعراف ١٤٤] و ﴿ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ ﴾[الفرقان ٢٧]

(١) كقوله تعالى﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[الأعراف] وقوله﴿مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾[الحجر] انظر إبراز المعاني ٢ / ٢٤٧ والوافي ص١٩٠.

و ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ﴾[طه] و ﴿فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ﴾[طه] و ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟﴾[الفرقان ٣٠] و ﴿مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[الصف ٦].

وقد اختلفت روايتا الدوري في هذه المواضع كلها، فقرأ في روايته عن أبي عمرو بفتح الياء فيها، وقرأ في روايته عن الكسائي بإسكان الياء فيها.

وأما القسم السادس، وهو ياء الإضافة التي وقع بعدها حرف آخر غير همزة القطع وهمزة الوصل، فالمختلف فيه عند القراء منه ثلاثون موضعاً، هي: ﴿بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾[البقرة ١٢٥]و﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾[البقرة ١٨٦] و﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾[آل عمران ٢٠] و﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى﴾[الأنعام ٧٩] و﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾[الأنعام ١٥٣] و﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾[الأنعام ١٦٢] و﴿وَمَمَاتِى لِلَّهِ﴾[الأنعام ١٦٢] و﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الأعراف ١٠٥] و﴿وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾[التوبة ٨٣]و﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم﴾[إبراهيم ٢٢] و﴿مَعِىَ صَبْرًا﴾[الكهف ٦٧-٧٢-٧٥ و﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾[مريم ٥] و﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾[طه ١٨] و﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾[الأنبياء ٢٤] و﴿بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾[الحج ٢٦] و﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء ٦٢] و﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[لشعراء ١١٨] و﴿مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[النمل ٢٠] و﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾[القصص ٣٤] و﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾[العنكبوت ٥٦] و﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ﴾[يس ٢٢]و﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[ص٢٣] و﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ﴾[ص٦٩] و﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾[فصلت ٤٧] و﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾[الزخرف ٦٨] و﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾[الدخان ٢١] و﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾[نوح ٢٨] و﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾[الكافرون ٦].

وقد اختلفت روايتا الدوري في موضعين منها، هما: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[النمل ٢٠] فقرأ في روايته عن أبي عمرو بإسكان الياء وقرأ في روايته عن الكسائي بفتحها، و ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾[الزخرف ٦٨] فقرأ في روايته عن أبي عمرو بإثبات الياء ساكنة وصلاً ووقفاً، وقرأ في روايته عن الكسائي بحذفها في الحالين.

واتفقت روايتاه على فتح الياء في موضعين، هما: و﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾[الأنعام ١٦٢] و ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ﴾[يس ٢٢].

واتفقت روايتاه على إسكان الياء في بقية المواضع الثلاثين[١].

باب الياءات الزوائد

وهي الياءات المتطرفة الزائدة في التلاوة على رسم المصاحف العثمانية، كما قال الإمام الشاطبي[٢]:

ودونك ياءات تسمّى زوائداً ×××× لأن كنّ عن خطّ المصاحف معزلا

فسميت بالزوائد لكونها زائدة في التلاوة على رسم المصاحف عند من أثبتها، لأنهن عزلن عن رسم المصاحف فلم يكتبن فيها[٣].

ومذهب الدوري في روايتيه في ما يثبته من الياءات الزوائد هو إثباتها في الوصل وحذفها في الوقف، قال الإمام الشاطبي[٤]: وَفِي الْوَصْلِ حَمَّادٌ شَكُورٌ إِمَامُهُ

وفيما يلي بيان ما يثبته الدوري في روايتيه أو إحداهما من الياءات الزوائد:

---

(١) انظر تقريب النشر ص٨٢-٨٥ وإبراز المعاني ٢ / ٢٢٩-٢٤٩ وسراج القارئ ص١٣٣-١٣٩ والوافي ص١٨٥-١٩٢.

(٢) حرز الأماني ص ٣٤.

(٣) وقد فرق العلماء بين ياءات الإضافة والياءات الزوائد بأربعة فروق، الأول: أن ياءات الإضافة تكون في الأسماء والأفعال والحروف، وأما الياءات الزوائد فتكون في الأسماء والأفعال، ولا تكون في الحروف، الثاني: أن ياءات الإضافة ثابتة في المصاحف، وأما الياءات الزوائد فهي محذوفة من المصاحف، الثالث: أن خلاف القراء في ياءات الإضافة دائر بين الفتح والإسكان، وأما في الياءات الزوائد فهو دائر بين الحذف والإثبات، الرابع: أن ياءات الإضافة لا تكون إلا زائدة عن الكلمة، وأما الياءات الزوائد فتكون أصلية وتكون زائدة. انظر غيث النفع ١ / ٣٤٩ والوافي ص١٩٣.

(٤) حرز الأماني ص٣٤.

أثبت الدوري في روايته عن أبي عمرو الياءات الزوائد في الكلمات التالية: ﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ و﴿إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة١٨٦] و﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[البقرة]و﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾[آل عمران٢٠] و﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران] و﴿وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[المائدة٤٤] و﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾[الأنعام٨٠]و﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾[الأعراف١٩٥]و﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[هود٤٦] و﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾[هود٧٨]و﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾[يوسف٦٦] و﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾[إبراهيم٢٢]و﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾[إبراهيم] و﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الإسراء٦٢] و﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[الإسراء٩٧ والكهف١٧] و﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ﴾[الكهف٢٤] و﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ﴾[الكهف٣٩] و﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ﴾[الكهف٤٠] و﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾[الكهف٦٦] و﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾[طه٩٣]و﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾[الحج٢٥] و﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾[النمل٣٦] و﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾[سبأ١٣] و﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾[غافر٣٨] و﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾[الشورى٣٢] و﴿وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾[الزخرف] و﴿ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ﴾[ق٤١] و﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾[القمر٦] و﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾[القمر٨] و﴿إِذَا يَسْرِ﴾[الفجر٤].

وله في روايته عن أبي عمرو في ﴿أَكْرَمَنِ﴾[الفجر١٥] و﴿أَهَٰنَنِ﴾[الفجر١٦] عند الوصل وجهان، حذف الياء وإثباتها، والحذف أشهر من الإثبات، وأما عند الوقف فليس له إلا الحذف على أصل مذهبه.

وله في روايته عن أبي عمرو إثبات الياء مفتوحة وصلاً في ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾[النمل٣٦] وله في الوقف وجهان الإثبات والحذف، وأما في روايته عن الكسائي فله حذف الياء في الحالين.

وأثبت في روايتيه الياء في الكلمات التالية ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾[الكهف٦٤] و﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ﴾ [هود١٠٥]، وكذلك في ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ﴾[الكهف٧٠] في الحالين؛ لأنها ثابتة في رسم المصاحف كباقي القراء السبعة ما عدا ابن ذكوان الذي له الخلف فيها في الحالين، قال الشاطبي[1]:

وفي الكهف تسألني عن الكلّ ياؤه على رسمه والحذف بالخلف مثّلا

كما أثبت أيضاً في روايتيه كباقي القراء في ﴿أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾[القصص][2].

وهذا آخر باب من أبواب الأصول، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) حرز الأماني ص٣٦.

(٢) انظر التيسير ص٦٩-٧١ وإبراز المعاني ٢ / ٢٢٩-٢٤٩ وكنز المعاني لشعلة ص٢٤٥-٢٥٤ وإرشاد المريد ص١٤٤-١٤٧ والوافي ص١٩٣-١٩٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.. والصلاة والسلام على هادي البريات، أما بعد:

ففي ختام هذا البحث المبارك الذي أرجو من الله أن أكون قد وفقت فيه، أعرض أبرز النتائج التي ظهرت لي من خلاله، ومنها:

- جلالة قدر الإمام الدوري رحمه الله، ومكانته العلمية، وتميزه وتفرده رحمه الله بأن نقلت لها روايتان متواترتان من روايات القراء العشرة، وهو ما لم يتحقق لأحد سواه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
- رغم الاختلاف الكبير في اسم الإمام أبي عمرو البصري حيث وصلت الأقوال في اسمه إلى أكثر من عشرين قولاً إلا أن الصحيح في اسمه أنه زبَّانُ بن العلاء، كما نص عليه عدد من الحفاظ.
- والصحيح أيضاً أنه عربي خالص النسب، كما نص على ذلك النُّسَّاب، وكما قال الإمام الشاطبي:

  أبو عمرهم واليحصبي ابن عامر ×××× صريح وباقيهم أحاط به الولا
- عند سبر أصول رواية الدوري عن أبي عمرو ومقارنتها بروايته عن الكسائي يتبين أنهما قد اتفقتا في عدد من الأبواب اتفاقاً تاماً، ومنها على سبيل المثل: باب الاستعاذة، وباب الإدغام الكبير، وباب إدغام الحرفين المتقاربين في كلمة وفي كلمتين، وباب ذال ﴿إِذْ﴾ ودال ﴿قَدْ﴾ وتاء التأنيث، وباب الراءات، وباب اللامات، وباب الوقف على أواخر الكلم.

كما نلاحظ أنهما اتفقتا في عدد من الأبواب في الغالب مع اختلاف يسير بينهما في بعض مسائله، ومن ذلك: اختلافهما في حكم ميم الجمع والهاء التي قبلها إذا وقعت قبل ساكن، وسبقت الهاء بياء ساكنة أو كسر، واختلافهما في

باب المد والقصر، وباب الهمز المفرد، وباب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، ولام ﴿هَلْ﴾ و﴿ بَلْ ﴾ وباب ذكر حروف قربت مخارجها، وباب أحكام النون الساكنة والتنوين، وباب الوقف على مرسوم الخط.

بينما نجد أنهما اختلفا في بعض الأبواب اختلافاً كبيراً في كثير من مسائله، ومن أمثلة ذلك: اختلافها في باب هاء الكناية، وفي باب الهمزتين من كلمة، ومن كلمتين، وفي باب الفتح والإمالة وبين اللفظين، وباب إمالة هاء التأنيث في الوقف، وباب ياءات الإضافة، وباب الياءات الزوائد.

وكل ذلك مبسوط موضح في البحث، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

إبراز المعاني من حرز الأماني: لأبي شامة، تحقيق: محمود عبدالخالق جادو، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الأولى ١٤١٣هـ.

إتحاف البرية بتحريرات الشاطبية: نظم الشيخ حسن خلف الحسيني، تحقيق: عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي، طبعة المكتبة المحمودية التجارية، القاهرة.

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: للبنا، تحقيق: د. شعبان إسماعيل، طبعة عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار: أئمة الخمسة الأمصار الذين انتشرت قراءتهم في سائر الأقطار: لبعد الوهاب بن وهبان المزي الحنفي، تحقيق الدكتور أحمد بن فارس السلّوم، طبعة دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار: أئمة الخمسة الأمصار الذين انتشرت قراءتهم في سائر الأقطار: لبعد الوهاب بن وهبان المزي الحنفي، تحقيق الدكتور أحمد بن فارس السلّوم، طبعة دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

أخبار النحويين البصريين ومراتبهم: لأبي سعيد السيرافي، تحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم البنا، طبعة دار الاعتصام، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الاختيار في القراءات العشر: لسبط لخياط، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر السبر، طبعة بتاريخ ١٤١٧هـ، بدون معلومات عن دار الطبع.

إرشاد المبتدي وتذكره المنتهي في القراءات العشر: لأبي العز القلانسي، تحقيق: عمر بن حمدان الكبيسي، طبعة المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٤-١٩٨٤م.

إرشاد المريد إلى مقصود القصيد: لعلي محمد الضباع، طبعة مكتبة القلعة، ودار كنوز المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
أسانيد القراء العشرة ورواتهم البررة: للسيد بن أحمد بن عبد الرحيم، طبعة الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة الجبيل، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
الاشتقاق: لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة.
الإضاءة في بيان أصول القراءة: لعلي بن محمد الضباع، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي، بدون تاريخ.
إنباه الرواة على أنباه النحاة: للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
الأنساب: للسمعاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، نشر محمد أمين ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة، لشمس الدين محمد بن خليل القباقبي، تحقيق: د. أحمد خالد شكري، طبعة دار عمار بعمان، الأردن، الأولى ١٤٢٤ه٢٠٠٣م.
الإيضاح في القراءات العشر: للأندرابي، (مخطوط) نسخة مكتبة قبقو بتركيا.
البداية والنهاية: لابن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: للشيخ عبد الفتاح القاضي، طبعة مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولى ١٤٠٤ه.
البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: للنشار، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، طبعة عالم الكتب - بيروت - الأولى ١٤٢١ هـ.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية، بيروت.
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
التاريخ الصغير: للبخاري، تحقيق: محمود ابراهيم زايد، فهرس أحاديثه: يوسف المرعشي، طبعة دار المعرفة بيروت، لبنان.
التاريخ الكبير: للبخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي.
تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
التبصرة في القراءات السبع: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د.محمد غوث الندوي، طبعة الدار السلفية بالهند، الثانية ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.
التجريد لبغية المريد في القراءات السبع: لابن الفحام، تحقيق: د.ضاري إبراهيم الدوري، طبعة دار عمار بعَمَّان، الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م.
تحبير التيسير في القراءات العشر: لابن الجزري، تحقيق: الدكتور أحمد محمد مفلح القضاة، طبعة دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين: لمنصور بن عيسى المصري الشهير بالسمانودي، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، طبعة دار عمار، عمان، الأدرن، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
تذكرة الحفاظ: للذهبي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
التذكرة في القراءات الثمان: لطاهر بن غلبون، تحقيق: أيمن رشدى سويد، نشر جماعة تحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

التذكرة في القراءات الثمان: لطاهر بن غلبون، تحقيق: أيمن رشدى سويد، نشر جماعة تحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

تقريب النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، طبعة دار الحديث بالقاهرة، الثانية ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القرءات السبع: لابن بليمة، تحقيق: حمزة حاكمي، طبعة مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

التلخيص في القراءات الثمان: لأبي معشر الطبري، تحقيق: محمد حسن عقيل موسى طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة.

التمهيد في علم التجويد: لابن الجزري، تحقيق: غانم قدوري الحمد، طبعة مؤسسة الرسالة، الثالثة ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.

التمهيد في معرفة التجويد: لأبي العلاء الهمذاني العطار، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، طعبة دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

تهذيب الكمال: للمزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

التهذيب لما تفرد به كل واحد من القراء السبعة: لأبي عمرو الداني، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن، طبعة دار نينوى، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني، تصحيح: أوتوير تزل، طبعة كتبة الجعفي التبريزى بطهران، بدون تاريخ.

الثقات: لأبي حاتم بن حبان البستي، تحقيق: شرف الدين أحمد، طبعة دار الفكر.
جامع البيان في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني، تحقيق: عبد المهيمن الطحان، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى.
الجامع في القراءات العشر: لأبي معشر الطبري، تحقيق: محمد سيدي محمد الأمين، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم، طبعة مصورة في بيروت عن الطبعة الهندية، ١٣٧٣هـ.
جمال القراء وكمال الإقراء: لعلم الدين السخاوي، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، طبعة مكتبة التراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
جهد المقل: لساجقلي زاده، تحقيق: د.سالم قدوري الحمد، طبعة دار عمار بعَمَّان، الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.
الجوهر النضيد في شرح القصيد: لابن الجندي، تحقيق: محمد محفوظ الشنقيطي، رسالة دكتوراه بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣١-١٤٣٢هـ.
حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: للشاطبي، ضبط ومراجعة: محمد تميم الزعبي، طبعة مكتبة دار المطبوعات الحديثة، الثانية ١٤١٠ هـ.
رسالة المدات: للعلامة الشيخ يوسف أفندي زاده، تحقيق: إبراهيم محمد الجرمي، طبعة دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، الأولى ١٤٢٠ه٢٠٠٠م.
الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق:

الدكتور أحمد حسن فرحات، طبعة دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
الروضة في القراءات الإحدى عشرة: لأبي علي المالكي، تحقيق: الدكتور مصطفى عدنان محمد سلمان، طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الأولى ١٤٢٤هـ٢٠٠٤م.
السبعة في القراءات: لأبي بكر ابن مجاهد، تحقيق الدكتور: شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي: لابن القاصح العذري، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
السلاسل الذهبية بالأسانيد النشرية من شيوخي إلى الحضرة النبوية: إعداد الدكتور: أيمن رشدي سويد، طعبة دار نور المكتبات، بجدة، الطبعة الأولى ١٤٢٨ه٢٠٠٧م.
سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن عماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، طبعة دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.
شرح الشاطبية: لجلال الدين السيوطي، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب، طبعة مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
شرح طيبة النشر في القراءات العشر: لأبي القاسم النويري، تحقيق: عبد الفتاح السيد سليمان أبو سنة، طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.
شرح الهداية: للمهدوي، تحقيق: د.حازم سعيد حيدر، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزابادي، تحقيق: محمد

على النجار طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
الطبقات الكبرى: لابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
طبقات المفسرين: للداوودي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
العبر في خبر من غبر: للذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
العقد النضيد في شرح القصيد: للسمين الحلبي، تحقيق: د.أيمن رشدي سويد، طبعة دار نور المكتبات بجدة، الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.
العنوان في القراء السبع: لإسماعيل بن خلف الأنصاري، تحقيق: الدكتور زهير زاهد والدكتور خليل العطية، طبعة عالم الكتب ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار: لأ بي العلاء الهمذاني العطار، تحقيق: د. أشرف محمد فؤاد طلعت، نشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولى الرواية والدراية: لابن الجزري، تحقيق: ج براجستراسر، طبعة دار الكتب العلمية، الثانية ١٤٠٢هـ.
غيث النفع في القراءات السبع: لعلي النوري الصفاقسي، تحقيق: سالم بن غرم الله الزهراني، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ١٤٢٦ه.
فتح الوصيد في شرح القصيد: لعلي بن محمد السخاوي، تحقيق: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

الفهرست: للنديم، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
فوات الوفيات: للكتبي، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤هـ.
القراءات الثماني للقرآن الكريم: للمقرئ العماني، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض وأحمد حسين صقر، طبعة مطابع دار أخبار اليوم، نشر المجموعة الصحفية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
القواعد والإشارات في أصول القراءات: لأحمد بن عمر الحموي، تحقيق: د.عبد الكريم بكار طبعة دار القلم بدمشق، الأولى ١٤٠٦هـ١٩٨٦م.
الكافي في القراءات السبع: لابن شريح الرعيني الإشبيلي، تحقيق: سالم بن غرم الله الزاهراني، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ.
كتاب سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
كنز المعاني شرح حرز الأماني: لإبراهيم بن عمر الجعبري، نسخة خطية محفوظة بالمكتبة الأزهرية، برقم (١٥١ / ١٦١٨٩).
كنز المعاني في شرح حرز الأماني: لإبراهيم بن عمر الجعبري، تحقيق: أحمد اليزيدي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٨م.
الكنز في القراءات العشر: للواسطي، تحقيق: هناء الحمصي، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
كنزل المعاني شرح حرز الأماني: لمحمد بن أحمد الموصلي الشهير بشعلة، طبعة المكبة الأزهرية للتراث، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
كنزل المعاني شرح حرز الأماني: لمحمد بن أحمد الموصلي الشهير بشعلة، طبعة

المكبة الأزهرية للتراث، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة: لأبي عبد الله الفاسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المجيد نمنكاني، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، عام ١٤٢٠هـ.
اللباب في تهذيب الأنساب: لأبي الحسن الشيباني، طبعة دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
لطائف الإشارات لفنون القراءات: لشهاب الدين القسطلاني، تحقيق: عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ١٣٩٢م.
مرآة الجنان وعبرة اليقظان: لليافعي، طبعة مكتبة عباس أحمد الباز بمكة المكرمة، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
مراتب النحويين: لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة.
المستدرك: للحاكم، طبعة حيدر آباد، ١٣٤١هـ.
المعارف: لابن قتيبة، طبعة دار إحياء التراث العربى، بيروت، الثانية ١٣٩٠هـ.
معجم الأدباء: لياقوت الحموي، طبعة دار المستشرق، بيروت.
معجم البلدان: لياقوت الحموي، طبعة دار الفكر، بيروت.
معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: للذهبي، تحقيق: طيار آلتي قولاج، طبعة مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
المفردات السبع: لأبي عمرو الداني، تحقيق: علي محمد توفيق النحاس، طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه: للإمام ابن الجزري، تحقيق: أيمن

رشدي سويد، طبعة دار الرشاد للنشر والتوزيع، جدة.
المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر: للنشار، تحقيق: أحمد بن علي السديس، راسالة ماجستير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
الموجز في أداء القراء السبعة: لأبي علي الأهوازي، تحقيق: عبد العظيم محمود عمران، طبعة مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة: لأبي عمرو الداني، تحقيق: محمد شفاعت رباني، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٠هـ.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لشمس الدين الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري بردي، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٠م.
نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة در النهضة، مصر، ١٩٦٧م.
النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة.
نكت الهميان في نكت العميان: لصلاح الدين الصفدي، عني بطبعه ونشره أسعد طرابزوني الحسيني، ١٤٠٤هـ.
نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: لمحمد مكي نصر الجريسي، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، طبعة مكتبة طيبة بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: لعبد الفتاح القاضي، طبعة مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولى ١٤٠٤هـ.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت.

وَسُنَّةُ التَكْبِيرِ عِنْدَ الخَتْــمِ صَحَّتْ عَنِ المَكِّينَ أَهْلِ العِلْمِ
فِي كُلِّ حَالٍ وَلَدَى الصَّلَاةِ سُلْسِلَ عَـنْ أَئِـمَّــةٍ ثِقَــاتِ

(طيبة النشر ١٠٢) .

سـنّـة

التكبير بين السور

عند ختم القرآن الكريم

إعداد

أ . د. سالم بن غرم الله الزهراني

الأستاذ بقسم القراءات بجامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل كتابه الكريم هداية للخلق أجمعين، فاصطفى له من العباد وارثين، وأنزله على سبعة أحرف تيسيراً على المؤمنين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم على الهدى إلى يوم الدين أما بعد:

فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم، كما قال سبحانه في محكم آيه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر]وخص به من شاء من عباده، كما قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . . ﴾[فاطر٣٢].

من أجل ذلك هيأ الله لهذا القرآن المجيد أئمة ثقات، بذلوا أنفسهم في تصحيح حروفه وإتقانه، وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً، ولا إثباتاً ولا حذفاً، وبلغوه من بعدهم كما تلقوه من في رسول الله ﷺ.

ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قوم أسهروا ليلهم في ضبط قراءة القرآن الكريم، وأتعبوا نهارهم في نقلها، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم، ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم، حيث تلقوها وأتقنوها، ونقلوها إلى من بعدهم على وجه التحقيق والإتقان، وسار من بعدهم على نهجهم في الدقة والتحري في نقل القرآن الكريم وقراءاته، لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.

فكانت العمدة في قراءة القرآن وإقرائه على التلقي عن الشيوخ الضابطين المتقنين، ونقل القراءات والروايات بالأسانيد المتصلة إلى سيد المرسلين، إضافة إلى ما حرره العلماء المحققون في كتبهم المعتبرة المسندة.

ولما منّ الله تعالى عليّ بتلقي القراءات العشر، والإجازة بها من المقرئين المسندين، كان مما تلقيته ضمن قراءتي عليهم، مسألة التكبير عند ختم القرآن الكريم، في رواية البزي عن ابن كثير المكي.

ثم وقفت حينها على تضعيف بعض أهل العلم للتكبير بناءً على تضعيفهم للإمام البزي - الذي ورد عنه التكبير - في رواية الحديث، وحكمهم على التكبير بالضعف وعدم الثبوت، بناءً على ضعف الراوي له.

فوقع في نفسي شيء من الاستشكال والتعارض، إذ كيف يعمد علماء الإقراء المسندون إلى نقل شيء والإقراء به، وفي الوقت ذاته يحكم عليه بالضعف وعدم الثبوت.

وكان مما أثار استغرابي وتعجبي ما وقفت عليه من أن التكبير كان أمراً مشهوراً عند أهل مكة قاطبة، وأنه كان يُقرأ به أزماناً طويلة، دون نكير.

إضافة إلى ما وقفت عليه من أقوال للإمام الشافعي والإمام أحمد في القول بأن التكبير سنة في قراءة المكيين.

لذا أحببت أن أبحث هذه المسألة، وأجمع المرويات الواردة فيها، وأستعرض أقوال الأئمة في التكبير، رغبة في معرفة الصواب، والتحقق من ثبوت سنة التكبير عن سيد المرسلين ﷺ، وعن الصحابة والتابعين والأئمة المشهورين، إضافة إلى تناول بعض المسائل المتعلقة بالتكبير.

وقد تناول العلماء قديماً وحديثاً مسألة التكبير في مؤلفاتهم على اختلافها[(١)]، ومما وقفت عليه من البحوث الحديثة في هذا الموضوع بحث بعنوان (التكبير عند ختم المصحف الشريف مفهومه وأحكامه بين القراء والفقهاء) للدكتور: محمد خالد منصور[(٢)].

(١) ()سيرد بيان ذلك في المبحث السابع: عناية العلماء بالتكبير وتأليفهم فيه.

(٢) ()منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، السنة الثامنة عشرة، العدد: الخامس والأربعون،

وقد اعتنى فيه بتخريج الفروع المتعلقة بأداء التكبير على أقرب المسائل الفقهية المتعلقة بتلاوة القرآن الكريم، كالاستعاذة، والبسملة، ونحوها، وحاول أن يؤصل لمفهوم التكبير عند ختم المصحف الشريف تأصيلاً علمياً يبين مستنده، والأحكام الفقهية التي ينبغي على الفقيه والقارئ على حد سواء أن يعالجها.

وهذا البحث وإن كانت مادته توافق بشكل كبير مادة بحثي هذا، إلا أنه يختلف عنه في بعض مباحثه ومضامينه، ومن يطالع مادة البحثين يجد الفرق واضحاً، ذلك أني عنيت بدراسة الموضوع من حيث إنه حكم من أحكام تلاوة القرآن، ومن مسائل علم القراءات - وإن أوردت فيه حكم التكبير داخل الصلاة وخارجها - كما عنيت بذكر أشهر مؤلفات العلماء المخطوطة والمطبوعة في التكبير، إضافة إلى بيان جملة من الأحكام المترتبة على التكبير في التلاوة.

خطة البحث: يتألف هذا البحث من مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة وفهارس، وفيما يلي بيانها:

المقدمة: وبينت فيها أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

تمهيد: في عناية العلماء بالتكبير وتأليفهم فيه.

المبحث الأول: المراد بالتكبير عند الختم، وبيان صيغه.

المبحث الثاني: موضع التكبير.

المبحث الثالث: سبب ورود التكبير.

المبحث الرابع :ذكر من ورد عنه التكبير.

المبحث الخامس: حكم التكبير، داخل الصلاة وخارجها.

المبحث السادس: الأحكام المترتبة على التكبير في التلاوة.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

اعتمدت في بحثي المنهج الاستقرائي، وسلكت في تحقيق ذلك الخطوات الآتية:

لما كان البحث في سنة التكبير عند ختم القرآن، وهي متعلقة بالقراءات القرآنية، فإن جل اعتمادي كان على مصادر ومراجع علم القراءات ، ولا سيما المسندة منها.

ذكرت حديث التكبير ومن رواه مسنداً من أئمة القراءة والحديث.

دافعت عن حديث التكبير، بالدفاع عن راويه الإمام البزي، الذي تكلم فيه بعض المحدِّثين، وبإيراد الآثار المروية عن أئمة السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، التي هي بمثابة الشواهد التي تعضد حديث التكبير.

أجملت في ذكر الخلاف في كل مسألة من مسائل الموضوع الجانبية، مما ليس هو صلب الموضوع ، للوصول إلى مقصود البحث.

عزوت الآيات إلى سورها في أصل البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية داخل معكوفتين عقب الآية مباشرة، تخفيفاً من الحواشي.

خرَّجت الأحاديث الواردة في البحث باختصار بما يفي بالغرض.

رغبة في الاختصار وخشية من طول البحث لم ألتزم بالترجمة لكل الأعلام الوارد ذكرهم فيه، وإنما ترجمت لرواة بعض الأسانيد، لما لذلك من أثر في الحكم على الحديث أو الأثر، وغيرهم ممن تظهر لي أهمية الترجمة لهم.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد، إنه خير مأمول، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد:

عناية العلماء بالتكبير وتأليفهم فيه:

اعتنى العلماء بالتكبير في مؤلفاتهم، على اختلافها، حيث ذكروه ضمن مؤلفاتهم العامة في بعض الفنون، كالتفسير وعلوم القرآن والفقه والفتاوى[(١)]، وغيرها، أو بتأليف كتب أو رسائل مستقلة فيه.

وممن تناوله من أئمة التفسير ضمن تفاسيرهم الإمام القرطبي والبغوي وابن كثير والسمعاني وابن عادل الحنبلي والخازن[(٢)]، وغيرهم.

وممن ذكره ضمن كتب علوم القرآن الزركشي والسيوطي[(٣)] وغيرهما.

وممن تناوله من الفقهاء في مؤلفاتهم موفق الدين بن قدامة المقدسي وشمس الدين بن قدامة المقدسي وابن مفلح وعلاء الدين المرداوي[(٤)].

وممن أورده في بعض فتاواه ابن حجر الهيتمي وابن تيمية[(٥)].

وأما القراء فلا تكاد تخلو مؤلفاتهم من ذكر التكبير، ولهم في تناوله ثلاثة مسالك، فمنهم من منهم ذكره مع باب البسملة متقدماً عن موضعه[(٦)].

ومنهم من ذكره في موضعه عند سورة الضحى[(٧)].

ومنهم من ذكره في آخر الكتاب بعد نهاية فرش الحروف، وهم أكثر القراء كالداني والشاطبي وابن الجزري وغيرهم[(٨)].

وقد اعتنى علماء القراءات بذكر التكبير ضمن منظوماتهم في القراءات السبع

---

(١) ()وقد سبق نقل جملة من أقوالهم في بعض المباحث السابقة.

(٢) () انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ٣٥٢وزاد المسير ٩ / ١٦٠ وتفسير ابن كثير ٤ / ٦٧٣ وتفسير البغوي ٨ / ٤٥٩ وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٦ / ٢٤٧واللباب ٢٠ / ٣٨٧ ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤ / ٤٤٠.

(٣) () انظر البرهان ٢ / ١٠٣الإتقان ١ / ٣١٢ وسنن القراء ومناهج المجودين ص٢٠٩.

(٤) () انظر المغني ٣ / ٣٩٩ والشرح الكبير ١ / ٧٥٦ والفروع ٢ / ٣٨٣ وتصحيح الفروع ٢ / ٣٨٣.

(٥) ()انظر الفتاوى الحديثية ص٢٢٤ ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٤١٧.

(٦) ()كالهذلي في الكامل ص٤٧٦.

(٧) () انظر إرشاد المبتدي ص٦٣٩ وغاية الاختصار ٢ / ٧١٩ والكافي ٢ / ٥٥٧ والبدور الزاهرة للنشار ٤ / ٢٨٤ وغيث النفع ٣ / ١٢٨٠.

(٨) ()انظر التيسير ص٢٢٦ وجامع البيان ٤ / ١٧٣٨ والتلخيص ص٤٨٨ وحرز الأماني ص٩٠ والإقناع ٢ / ٨١٦ والنشر ٢ / ٤٠٥ وطيبة النشر ص١٠٢، وشروح الشاطبية والطيبة تبع لهما في ذلك.

أو العشر أو غيرها، وبعضهم ذكره في نهاية فرش الحروف، وأكثرهم أفردوه بباب مستقل بعد نهاية فرش الحروف، وهذه أهم المنظومات التي ذكرت التكبير، والأبيات التي نظموها فيه:

١- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: للإمام الشاطبي (ت٥٩٠هـ) أفرد فيها الإمام الشاطبي التكبير بباب مستقل في آخرها عقب فرش الحروف، حيث قال[(١)]:

رِوَى الْقَلْبِ ذِكْرُ اللهِ فَاسْتَسْقِ ... وَلَا تَعْدُ رَوْضَ الذَّاكِرِينَ فَتُمْحِلا

مُقْبِلَا وَآثِرْ عَنِ الآثَارِ مَثْرَاةَ عَذْبِهِ ... وَمَا مِثْلُهُ لِلْعَبْدِ حِصْناً وَمَوْئِلا

وَلَا عَمَلٌ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِهِ ... غَدَاةَ الْجَزَا مِنْ ذِكْرِهِ مُتَقَبَّلا

وَمَنْ شَغَلَ الْقُرْآنُ عَنْهُ لِسَانَهُ ... يَنَلْ خَيْرَ أَجْرِ الذَّاكِرِينَ مُكَمَّلَا

وَمَا أَفْضَلُ الأَعْمَالِ إِلَّا افْتِتَاحُهُ ... مَعَ الْخَتْمِ حِلّاً وَارْتِحَالاً مُوَصَّلَا

وَفِيهِ عَنِ الْمَكِّينَ تَكْبِيرُهُمْ مَعَ الْـ ... خَوَاتِمِ قُرْبَ الْخَتْمِ يُرْوَى مُسَلْسَلا

إِذَا كَبَّرُوا فِي آخِرِ النَّاسِ أَرْدَفُوا ... مَعَ الْحَمْدِ حَتَّى الْمُفْلِحُونَ تَوَسَّلا

وَقَالَ بِهِ الْبَزِّيُّ مِنْ آخِرِ الضُّحَى ... وَبَعْضٌ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَصَّلا

الْبَزِّيُّ مِنْ آخِرِ الضُّحَى فَإِنْ شِئْتَ ... صِلِ الْكُلَّ دُونَ الْقَطْعِ مَعْهُ مُبَسْمِلا

فَاقْطَعْ دُونَهُ أَوْ عَلَيْهِ أَوْ ... فَلِلسَّاكِنَيْنِ اكْسِرْهُ فِي الْوَصْلِ مُرْسَلا

وَمَا قَبْلَهُ مِنْ سَاكِنٍ أَوْ مُنَوَّنٍ ... وَلَا تَصِلَنْ هَاءَ الضَّمِيرِ لِتُوصَلا

وَأَدْرِجْ عَلَى إِعْرَابِهِ مَا سِوَاهُمَا ... لِأَحْمَدَ زَادَ ابْنُ الْحُبَابِ فَهَيْلَلَا

وَقِيلَ بِهَذَا عَنْ أَبِي الْفَتْحِ فَارِسٍ ... عَنْ قُنْبُلٍ بَعْضٌ بِتَكْبِيرِهِ تَلا

(١) ( )ص٩٠.

٢- التكملة المفيدة لحافظ القصيدة: لعلي بن عمر بن ابراهيم القيجاطي الأندلسي (ت٧٣٠هـ) نظم فيها ما زاد على الشاطبية من (التبصرة) لمكي، و(الكافي) لابن شريح،و(الوجيز) للأهوازي، لخص فيها أمهات المسائل الأدائية التي اختلف فيها كل من الأئمة الثلاثة: أبي علي الأهوازي ومكي بن أبي طالب وأبي عبد الله بن شريح، مع الحافظ أبي عمرو الداني[(١)].

وقد استعمل في الإشارة إلى الشيوخ الثلاثة أحرفاً من أسمائهم إلى جانب الرموز الدالة على القراء السبعة ورواتهم، فرمز بالميم للمكي، وبالشين للأهوازي، وأما أبوعمرو الداني فقد أشار إلى تكفل الإمام الشاطبي ببيان مذهبه في الحرز، فقال في مقدمتها[(٢)]:

وَأَجْعَلُ لِلْقُرَاءِ مَا فِي قَصِيدَةٍ ... قَدِ اشْتُهِرَتْ وَالْوَاوَ أَجْعَلُ فَيصَلا
وَأَجْعَلُ فِي شِينٍ وَمِيمٍ وَهَمْزَةٍ ... عَلَامَاتِ أَشْيَاخِ الْمَعَالِمِ وَالعُلَا
فَمِيمٌ لِمَكِّي وَشِينٌ شُرَيْحُهُمْ ... وَهَمْزَةُ أَهْوَازِيِّهِمْ وَضُحَتْ حُلَا
وَأَمَّا أَبُو عَمْرٍو فَمَذْهَبُهُ أَتَى ... بِحِرْزِ الْأَمَانِي مُحْكَماً وَمُفَصَّلَا

وقد تناول فيها القيجاطي التكبير في آخر فرش الحروف فقال[(٣)]:

وَمَدٌّ وَقَصْرٌ فِي رَءَاهُ زِيَادَةٌ ... وَفَصْلٌ شَذىً مُسْتَحْسَناً وَمُكَمِّلَا
وَلَمْ يَخْتَرِ التَّهْلِيلَ شَاهِدُ مَشْهَدٍ ... وَهَلِّلْ وَكَبِّرْ وَاحْمَدِ اللهَ أَفْضَلَا

(١) ()وقد حققها فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الهادي حميتو ضمن كتابه الكبير (قراءة الإمام نافع عند المغاربة) ٢ / ٢٦٨ وعقد دراسة لها ولمؤلفها.
(٢) ()الإحالة السابقة.
(٣) ()المصدر السابق ١ / ٢٧٣.

٣- القصيدة الطاهرة في القراءات العشر: لطاهر بن عرب الأصبهاني (ت٧٨٦هـ) وقد أفرد التكبير بباب مستقل عقب نهاية فرش الحروف، قال فيه[1]:

وَقَدْ وَرَدَ التَّكْبِيرُ عَنْ أَهْلِ مَكَّةٍ ... قُرَيِّبِ خَتْمِ الذِّكْرِ وِرْداً مُعَلَّلَا

بِكُلِ أَوَانٍ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا ... بِنَقْلِ ثِقَاتٍ عَنِ ثِقَاتٍ مُسَلْسَلَا

مِنَ اوَّلِ شَرْحٍ أَوْ مِنَ اوَّلِ ... أَوْ الْخَتْمِ حَتَّى النَّاسِ خَتْماً أَوَ اوَّلَا

وَالضُّحَى وَهَلَّلَ بَعْضٌ قَبْلُ وَالْبَعْضُ بَعْدَهُ ... اوَّلَا يُحَمِّدُ وَالْبَزِّيْ الثَّلَاثَةَ أَعْمَلا

وَمِنْ دُونِ حَمْدٍ قُنْبُلٌ وَلِبَعْضِهِمْ ... مِنَ الشَّرْحِ لِلسُّوسِيِّ كَبِّرْ مُبَسْمِلَا

وَعَنْ كُلِّهِمْ يُرْوَى ابْتِدَا كُلِّ سُورَةٍ ... عَلَى قَوْلِ أَشْيَاخٍ وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَلا

وَفِي قَطْعِهِ وَالْوَصْلِ بِالطَّرَفَيْنِ أَوْ ... جُهاً سَبْعَةً جَوِّزْ وَثَامِناً اهْمِلَا

فَصِلْ كُلّاً اوْ قِفْ أَوْ عَلَيْهِ وَقَبْلُ ... مُبَسْمِلاً انْ لَمْ تَجْعَلِ الْكُلَّ مُوصَلَا

أَوْ وَمِنْهَا عَلَى تَقْدِيرِ كَونِهِ لِلْأَوَا ... ئِلِ اثْنَانِ وَالْوَجْهَانِ لِلْعَكْسِ حُمِّلَا

وَيَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ بَاقٍ وَكَبِّرَ آ ... خِرَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ تَرَى الرَّأْيَ الاوَّلا

وَأُمَّ الْكِتَابِ اقْرَأْ إِلَى الْمُفْلِحُونَ إِنْ ... أَرَدْتَ ارْتِحَالاً بَعْدَ حِلِّكَ مَنْزِلَا

(١) ()القصيدة الطاهرة ص٢٦١ (خ).

٤- طيبة النشر في القراءات العشر: للإمام ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) أفرد فيها الإمام ابن الجزري التكبير بباب مستقل في آخرها عقب فرش الحروف، فقال[(١)]:

وَسُنَّةُ التَّكْبِيرِ عِندَ الْخَتْمِ ... صَحَّتْ عَنِ الْمَكِّيِّنَ أَهْلِ
فِي كُلِّ حَالٍ وَلَدَى الصَّلَاةِ ... الْعِلْمِ سُلْسِلَ عَنْ أَئِمَةٍ ثِقَاتِ
مِنْ أَوَّلِ انْشِرَاحٍ اوْ مِنْ ... مِنْ آخِرٍ أَوْ أَوَّلٍ قَدْ صُحِّحَا
الضُّحَى لِلنَّاسِ هَكَذَا وَقِيلَ إِنْ تَرِدْ ... هَلِّلْ وَبَعْضٌ بَعْدَ لله حَمِدْ
وَالْكُلُّ لِلْبَزِّيْ رَوَوْا وَقُنْبُلا ... مِنْ دُونِ حَمْدٍ وَلِسُوسٍ نُقِلَا
تَكْبِيرَهُ مِنَ انْشِرَاحٍ وَرُوِيْ ... عَنْ كُلِّهِمْ أَوَّلَ كُلٍّ يَسْتَوِيْ
وَامْنَعْ عَلَى الرَّحِيمِ وَقْفاً إِنْ تَصِلْ ... كُلّاً وَغَيْرُ ذَا أَجِزْ مَا يُحْتَمَلْ

٥- النهاية في القراءات الثلاث الزائدة عن العشرة: للإمام ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) وهي منظومة في قراءة ثلاثة من القراء، هم: ابن محيصن المكي، والأعمش الكوفي، والحسن البصري.

قال في مقدمتها[(٢)]:

وَبَعْدُ فَخُذْ نَظْمِي حُرُوفَ ثَلَاثَةٍ ... عَلَى الْعَشْرِ قَدْ زَادَتْ وَكُنْ مُتَأَمِّلَا
فَأَوَّلُهُمْ مِنْ مَكَّةَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ ... مَعَ ابْنِ كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ اعْتَلَا
فَعَنْهُأَبُو مُوسَى هُوَالْهَاشِمِيُّمَعْ وَالاَعْمَشُ ... أَبِي الْحَسَنِ الْبَزِّيْ بِالاِسْنَادِ نَقَّلَا
وَهْوَ الْحَبْرُ أُسْتَاذُ حَمْزَةٍ ... مِنَ الْكُوفَةِ الْفَيْحَاءِ كَانَ مُفَضَّلَا

(١) ()طيبة النشر ص١٠٢.
(٢) ()النهاية في القراءات الثلاث الزائدة عن العشرة ص١٣٠.

رَوَى الشَّنَبُوذِيْ ثُمَّ مُطَّوِّعِيُّهُمْ عَلَى سَنَدٍ عَنْهُ عَلَى مَا تَأَصَّلا
وَثَالِثُهُمْ فِي التَّابِعِينَ مُقَدَّمٌ هُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ شَيْخُ فَتَى الْعَلَا

وقد ذكر التكبير في بيت واحد في ختام المنظومة، قال فيه[1]:

وَحَمَّالَةُ ارْفَعْ أَصْلُ حِفْظٍ وَكَبِّرُوا لِمَكِّيِّهِمْ مِنْ وَالضُّحَى مِثْلَ مَنْ تَلَا

٦- مجمع السرور ومطلع الشموس والبدور في القراءات الأربع عشرة: لشمس الدين، محمد بن خليل القباقبي (ت٨٤٩هـ) وهي قراءات الأئمة العشرة المشهورين، ومعها قراءات الأئمة الأربعة الزائدين عن العشرة، وهم ابن محيصن المكي، والأعمش الكوفي، والحسن البصري، ويحيى اليزيدي.

وقد أفرد الناظم فيها التكبير أيضاً بباب عقب نهاية فرش الحروف، فقال[2]:

وَيُنْدَبُ التَّكْبِيرُ لِلْمَكِّيْنَا مُسَلْسَلاً لَدَى الْمُحَدِّثِينَا
فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَلَمْ أَوِ مِنْ أَوَّلٍ أَوْ آخِرٍ قَدْ صُحِّحَا
الضُّحَى وَزَادُ بَعْضٌ قَبْلُ تَهْلِيلاً وَعَنْ بَعْضُ وَلله مَعَ الْحَمْدِ نُعَنْ
بَعْدُ لِبَزٍ وَرَوَوْا لِقُنْبُلِ بِدُونِ مَا بَعْدُ وَلِلسُّوسِي انْقُلِ
وَابْنِ مُحَيصِنٍ وَهَكَذَا لِلْكُلِّ مِنْ رِوَايَةِ
بِلَا زِيَادَةٍ وَبَعْضُهُمْ عَنْ كُلِّهِمْ قَدْ كَبَّرَا أَوَّلَ كُلِّ سُورَةٍ إِذَا قَرَا
وَلَا تَقِفْ عَلَى الرَّحِيمِ كُلاً وَفَرِّعْ فِيهِ تَفْرِيعاً قُبِلْ
إِنْ تَصِلْ وَلِلسُّكُونِ وَالْمُنَوَّنِ اكْسِرَا قَبْلُ وَوَصْلُ هَا ضَمِيرٍ اقْصُرَا

(١) ()المصدر السابق ص١٥٦.
(٢) ()مجمع السرور ص١٧٤.

٩- القصيدة المالكية في القراءات السبع: لمحمد بن عبد الله بن مالك النحوي (ت٦٧٢هـ)[(١)].

وقد أفرد فيها الناظم التكبير بباب مستقل بعد نهاية فرش الحروف، فقال[(٢)]:

لَدَى الْخَتْمِ مِنْ حَدِّثْ إِلَى النَاسِ ... تُبَسْمِلَ يُرْوَى اللهُ أَكْبَرْ لِأَحْمَدَا
قَبْلَ أَنْ وَمِنْ بَعْدِهِ فِي آخِرِ ... هُمُ الْمُفْلِحُونَ رَاعِياً مَا تُعُوِّدَا
وَقَوْمٌ لَهُ مِنْ آخِرَ اللَّيلِ كَبَّرُوا ... وَبَعْضٌ مَعَ التَّكْبِيرِ تَهْلِيلٌ ابْتَدَا
وَبَعْضٌ عَنَا التَّكْبِيرَ أَيْضاً لِقُنْبُلٍ ... وَبَسْمَلَةٌ مِنْ بَعْدِ تَكْبِيرٍ اوْرِدَا
وَقَطْعاً عَلَيْهِ عِنْدَ وَصْلِكَ آخِراً ... بِهِ احْذَرْ سِوَى ذَا جَائِزٌ لَكَ فِي الْأَدَا
وَفِي وَصْلِهِ اكْسِرْ مَا يَلِي مِنْ مُسَكَّنٍ ... وَإِنْ كَانَ ذَا لِينٍ فَإِسْقَاطَهُ اقْصِدَا

١٠- فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم: لمحمد بن أحمد المتولي (ت١٣١٣ه) وهي منظومة في تحرير القراءات العشر من طريق طيبة النشر، وتخليص الأوجه الواردة عن القراء من الخلط[(٣)].

اعتمد فيها الناظم على ثلاثة مؤلفات نص عليها في المقدمة وهي كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري وكتاب بدائع البرهان وكتاب عمدة العرفان كلاهما للشيخ مصطفى بن عبد الرحمن الأزميري، قال في مقدمته[(٤)]:

وَبَعْدُ فَذَا نَظْمٌ بَدِيعٌ مُحَرَّرٌ ... لِطَيِّبَةٍ ضَاعَتْ شَذاً وَقَرَنْفُلا
لَقَدْ سَطَعَتْ عَنْ شَمْسِ فِكْرِ ... هُوَ الْجَزَرِيُّ الصَّدْرُ عُمْدَةُ مَنْ تَلا

(١) ()وهي مطبوعة بتحقيق الدكتور أحمد بن علي السديس، طبعة مكتبة دار الزمان بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٩ه٢٠٠٨م.
(٢) ()القصيدة المالكية ص٨٥.
(٣) ()انظر الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات ص٢٤٩.
(٤) () فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم مع شرحه الروض النضير في أوجه الكتاب المنير ص٧.

مُؤَلِّفٍ فَدُونَكَ تَذْيِيلاً يَحِلُّ رُمُوزَهَا وَيُنْبِئُ عَمَّا أَضْمَرَتْهُ مُفَصَّلَا
وَمِنْ أَصْلِهَا السَّامِي نَظَمْتُ قَلَائِداً وَوَافَيتُ مِنْ فَيضِ الْبَدَائِعِ مَنْهَلَا
وَمِنْ عُمْدَةِ الْعِرْفَانِ لَاحَتْ بَوَارِقٌ هُدِينَا بِهَا أَهْدَى سَبِيلٍ وَأَعْدَلَا

وقد أورد التكبير عن ابن كثير في أخرها فقال[(١)]:

وَمِنْ نَشْرَحَ التَّكْبِيرُ لِابْنِ كَثِيرِهِمْ وَسُوْسِيِّهِمْ عَنْ بَعْضِهِمْ وَعَنِ الْمَلَا
رَوَى الْهَمَدَانِي ثُمَّ مِنْ آخِرَ الضُّحَى لِكُلٍّ مِنَ الْمِصْبَاحِ مَعْ كَامِلٍ حَلَا
وَلِلْهَمَدَانِي ثُمَّ لِلْهُذَلِيْ مَعاً لَدَيْهِمْ جَمِيعَاً أَوَّلَ الْكُلِّ وَصَّلَا
وَلِابْنِ كَثِيرٍ زَادَ مِنْ أَوَّلِ الضُّحَى وَمِنْ قَبْلُ زَادَ ابْنُ الْحُبَابِ فَهَلَّلَا
لَدَى خَتْمِهِ وَالْبَعْضُ زَادَ لِقُنْبُلٍ وَمِنْ بَعْدُ عِنْدَ ابْنِ الْحُبَابِ فَحَمْدَلَا
كَمَا عَنْهُ يَرْوِيهِ لَنَا عَبْدُ وَاحِدٍ وَذَا مِنْ أَلَمْ أَوْ مِنْ فَحَدِّثْ تَنَقَّلَا

وأما المؤلفات المستقلة في التكبير فهي عديدة؛ وأكثرها لا يزال مخطوطاً، ومنها:

١- رسالة في التكبير في ختم القرآن: لابن النجار شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المقرئ الشافعي (ت٨٧١هـ) يوجد منه نسخة خطية في المكتبة الظاهرية، برقم (٥٩٨٧)[(٢)] وعنها نسخة مصورة مكتبة المخطوطات بعمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، برقم (١٧٨٤ / ١٠) لكن عنوانها فيها هو: (فصل في التكبير)[(٣)].

(١) () المصدر السابق ص٢٩١.
(٢) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات التجويد ١ / ٢٣٨.
(٣) ()انظر فهرس كتب القراءات القرآنية في مكتبة المصغرات الفيلمية في قسم المخطوطاتبعمادة شؤون المكتبات بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة ص٢٤٢.

٢- تقييد في الوجوه الجائزة في تكبير الإمام ابن كثير في السور المعهودة: للعلامة أبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الأندلسي الأصل الفاسي (ت١٠٤٠هـ) قيده عنه عبد الرحمن القيرواني، ويوجد منه نسخة خطية ضمن مجموعة تقاييد عند السيد عبدالرحمن قيم مكتبة (منار العرفان) بالرباط[(١)].

٣- رسالة في معرفة ما يتعلق بجمع أوجه التكبير في القراءات العشر: لسلطان بن أحمد المزَّاحي (ت١٠٧٥هـ) يوجد منها نسخة خطية في خزانة تطوان بالمغرب، (ق. ع.) برقم ٨٥-٨٦ [٤٤٩م][(٢)]، وفي مكتبة جاريت يهودا نسخة بعنوان (رسالة التكبير) له أيضاً، وهي برقم [٢٦٣ (٢٦٢١)][(٣)] ولعلها نسخة من هذه الرسالة.

٤- الجوهر المصون في جمع الأوجه من الضحى إلى قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

وهو أيضاً لسلطان بن أحمد المزَّاحي (ت١٠٧٥هـ) ويوجد له خمس نسخ خطية، منها نسختان في جامعة الملك سعود بالرياض، الأولى: برقم (٢٨٠٧خ) والثانية: برقم (٢٥٥٤) ونسختان في المسجد الأحمدي بطنطا، الأولى: برقم (خ٢٠،ع٤٥٧٤) والثانية: برقم (خ٤٧،ع٤٥٧٤) ونسخة في بلدية الإسكندرية، برقم (القراءات والتجويد) برقم (١٧٧٨ ج)[(٤)].

(١) ()ذكره الشيخ المقرئ الدكتور عبد الهادي حميتو في كتابه قراءة الإمام نافع عند المغاربة ٤ / ٢٩٠.
(٢) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات القراءات ص١٠٨.
(٣) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات التجويد ٢ / ٣٩٣.
(٤) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات القراءات ص٦٨، وفي المكتبة الوطنية بتونسنسخة سادسة له بعنوان (الجوهر الفرد المصون في جمع الأوجه من الضحى إلى قوله﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ برقم (١٩١١٩) مجاميع.

٥- رسالة في معرفة ما يتعلق بجمع أوجه التكبير للقراء السبعة من طريق الشاطبية: لسليمان الحموي (كان حياً ١٠٨٦هـ) يوجد منها نسختان خطيتان بجامعة نرنستون (جاريت – يهودا) الأولى: برقم ٢٥[٥٠٤٤ (٢٧٠)] وهي بخط المؤلف، والثانية: برقم [٥٠٤٤ (٢٧١)][(١)].

٦- القول المبين في تكبير سنة المكيين: لسلطان بن ناصر الجبوري (ت١١٣٨هـ) يوجد منه نسختان خطيان، الأولى: في أوقاف الموصل (المحمدية) برقم (٢ / ٢٣ / ٢٠) ضمن مجموع تاريخ نسخها ١١٣٣هـ، والثانية: في المكتبة الأزهرية، برقم [(٣٠٣)٢٢٣١٠] تاريخ نسخها ١١٤٥هـ[(٢)]، وفي مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض نسخة بعنوان: (نبذة في معرفة ما يتعلق بأوجه التكبير للقراء السبعة من طريق الشاطبية) لسلطان بن ناصر الجبوري أيضاً، برقم (١٣٥٠)[(٣)] ولعلها نسخة من هذا الكتاب.

٧- حسن التعبير في بيان ما للحرز من التكبير: لأحمد بن عبدالمنعم الدمنهوري (ت١١٩٢هـ) يوجد منه ثلاث نسخ خطية بالمكتبة الأزهرية، الأولى: برقم [(٧٦) ٤٤٨٧] والثانية: برقم [(٥٥٥ مجاميع) رافعي ٢٧٥٩٢]، والثالثة: برقم [(١٢٤٥) زكي٤٠٥٤٣][(٤)]. وفي المكتبة العبدلية بتونس نسخة بعنوان (حسن التعبير عن الحسن من التكبير) له أيضاً، وهي برقم (٤٢٢ / ٤٤)[(٥)] ولعلها نسخة أخرى منه.

(١) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات القراءات ص١٠٨.
(٢) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات القراءات ص١٥٩.
(٣) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات القراءات ص٢٠٠، وفهرس المخطوطات والمصورات (المصاحف والتجويد والقراءات) بمكتبة المخطوطات بعمادة شئون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص١٧٠.
(٤) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات القراءات ص٨٧.
(٥) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات التجويد ٢ / ٤٢٥.

٧- غنية الفقير لما للطيبة من التكبير: لأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (ت١١٩٢هـ) يوجد منه نسختان خطيتان، الأولى: في مكتبة خدا بخش - بتنه، برقم (١٨ / ١ / ١٢٧) [١ / ٤ / ١٢٧] تاريخ نسخها ١٢٠٤ه، والثانية: في دار الكتب بالقاهرة، برقم (٣٠٤مجاميع)[(١)].

٨- رسالة في التكبير: لمحمد بن أحمد المتولي (ت١٣١٣هـ) وهي مكونة من سبعة عشر بيتاً، ونصها[(٢)]:

مِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللهِ وَالصَّلَاةِ ... عَلَى النَّبِيِّ شَافِعِ الْعُصَاةِ

فَهَاكَ أَوْجُهاً لِتَكْبِيرٍ أَتَى ... لِابْنِ كَثِيْرِهِمْ بِحِرْزٍ يَا فَتَى

وَهْوَ عَنِ الْبَزِّيْ بِلَا خِلَافِ ... وَهْوَ لِقُنْبُلٍ عَلَى الْخِلَافِ

وَبَعْضُ التَّهْلِيلَ زَادَ عَنْ كِلَا ... قَبْلُ وَلِلْبَزِّيْ وَبَعْضٌ حَمْدَلَا

مِنْ بَعْدِهِ وَبَدْؤُهُ مِنْ وَالضُّحَى ... مِنْ آخِرٍ أَوْ أَوَّلٍ قَدْ صُحِّحَا

وَحُكْمُهُ عِنْدَهُمُ السُّنِّيَّهْ ... وَسَبْعَةٌ أَوْجُهُهُ مَرْضِيَّهْ

قَطْعُ الْجَمِيعِ ثُمَّ وَصْلُ التَّسْمِيَهْ ... بِأَوَّلِ السُّوْرَةِ وَهْيَ الْآتِيَهْ

وَوَصْلُ تَكْبِيْرٍ بِهَا مَعْ قَطْعِهَا ... عَنْ أَوَّلِ السُّوْرَةِ ثُمَّ وَصْلِهَا

وَخَتْمُ سُوْرَةٍ بِتَكْبِيْرٍ صِلِ ... وَقِفْ عَلَيْهِ كَالرَّحِيْمِ تَعْدِلِ

وَلِلرَّحِيْمِ صِلْ بِبَدْءِ السُّوْرَةِ ... وَصِلْ لِكُلٍّ ذَا تَمَامُ السَّبْعَةِ

لَكِنَّ خَتْمَ اللَّيْلِ لَا تَصِلْهُ بِالْـ ... ـتَّكْبِيْرِ وَاقِفاً بِهِ كَمَا نُقِلْ

كَذَاكَ خَتْمَ النَّاسِ لَا تَقْطَعْ مَعَا ... يَفْهَمُهَا مُسْتَكْمِلُ الْقَرِيْحَهْ

(١) ()انظر الفهرس الشامل، مخطوطات القراءات ص١٤٣، ومخطوطات التجويد ٢ / ٤٦٨.

(٢) () نص الرسالة مطبوع في آخر كتاب إتحاف الأنام وإسعاف الأفهام بشرح توضيح المقام في وقف حمزة وهشام ص٣٧.

يَبْقَى لِكُلٍّ خَمْسَةٌ صَحِيْحَهْ وَمِثْلُهُ وَأَوَّلَ الضُّحَى فَلا تَحْمِيْدَ لَهْ
التَّهْلِيْلُ قُلْ وَالْحَمْدُ لَهْ وَلِيْ دِيْنِ فَلا يَأْتِيْ سِوَى التَّكْبِيْرِ لِلْبَزِي انْقُلَا
وَالْفَتْحُ مَعْ كُلِّ الْوُجُوْهِ وَحَمْدُ رَبِّنَا مَعَ الصَّلاةِ
آتِيْ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالْآلِ وَصَحْبِهِ خَاتِمَةِ الْمَقَالِ

٩- القول المعتبر في الأوجه التي بين السُّور: للشيخ علي بن محمد الضبَّاع (ت١٣٨٠هـ)

وقد تناول المؤلف التكبير في خاتمة الكتاب فذكر أنه عن ابن كثيربراوييه، وبين صحة التكبير عن أهل مكة وقرائهم وعلمائهم وأئمتهم، وأنهم اتفقوا على لفظة(اللهُ أكبر) قبل البسملة، وأن الجمهور على تعيين هذا اللفظ بعينه للبَزِّي من غير زيادة ولا نقصان.

وزاد بعضُهم التهليل (لا إله إلا الله والله أكبر) وزاد بعض الآخذين بالتهليل الحمدلة (ولله الحمد)

وذكر أن جمهور المغاربة على أن قُنبل عنده لفظة (الله أكبر) فقط، وزاد التهليل لهُ جمهور المشارقة، ولا تحميد لهُ أصلاً.

وذكر اختلافهم في محل ابتدائه وانتهائه،ثم ذكر ثمانية أوجه تأتي على كون التكبير لأول السورة أو لآخرها حال وصل السورة بالسورة.

واختار الوجه الثالث، وهو: القطع على آخر السورة، وعن البسملة وقطع البسملة عن أول السورة.

وأجاز في كلمة التوحيد القصرَ والمدَّ للتعظيم، وكذا الأخذ بالتحميد للبزي وقنبل[(١)].

(١) ()انظر القول المعتبر في الأوجه التي بين السور ص٨٩-٩١.

١٠- فتح الكبير في أحكام الاستعاذة والتكبير: لمحمود بن خليل الحصري، مطبوع بمكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

١١- حل العسير من أوجه التكبير: نظم للشيخ إبراهيم علي علي شحاته السمنودي، مطبوع مع كتاب (الكوكب المنير في قراءة ابن كثير) للشيخ محمد سعودي إبراهيم، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٢- إرشاد البصير إلى سنية التكبير عن البشير النذير: لأحمد الزعبي الحسيني، مطبوع بدار الإمام مسلم ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ١٩٨٨م[(١)].

١٣- التكبير بين السور: لمجهول، منه نسخة خطية في مركز المخطوطات والتراث والوثائق التابعة لمشروع عبد الله المبارك الصباح، برقم (٢ / ٥٤ / ٦٤)[(٢)].

١٤- (رسالة في أوجه التكبير) لمجهول: منها نسخة خطية في مكتبة المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، برقم (٢٥٣٠)[(٣)].

١٥- رسالة في بيان أوجه التكبير للقراء السبعة عن طريق الشاطبية: لمجهول، منه نسخة خطية بمكتبة المخطوطات بعمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، برقم (١٦٥٨ / ٢) وهو مصور عن نسخة في المكتبة السعيدية بحيدر آباد بالهند، بدون رقم[(٤)].

---

(١) ()وقد ألفه رداً على رسالة للشيخ إبراهيم الأخضر القيم بعنوان (تكبير الختم بين القراء والمحدثين) أنكر فيها ثبوت التكبير، وقرر أنه من جملة الأشياء المردودة، وهي مطبوعة بدار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة.

(٢) ()انظر فهرس المخطوطات الأصلية في مركز المخطوطات والتراث التابعة لمشروع عبد الله المبارك الصباح لإحياء وإنقاذ التراث الإسلامي في العالم، ص٣٤.

(٣) ()انظر فهرس المخطوطات والمصورات (المصاحف والتجويد والقراءات) بمكتبة المخطوطات بعمادة شئون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٩٢.

(٤) ()انظر فهرس كتب القراءات القرآنية في مكتبة المصغرات الفيلمية في قسم المخطوطاتبعمادة شؤون المكتبات بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة ص١٥٠.

المبحث الأول:

المراد بالتكبير عند الختم، وبيان صيغه:

أ) المراد بالتكبير:

هو ما اشتهر عند القراء من أن القارئ إذا وصل في ختم القرآن الكريم إلى سورة (الضحى) كبّر بين كل سورتين إلى آخر القرآن الكريم، فيقول (الله أكبر) – مفردة أو مضافة لغيرهاكما سيأتي في ذكر صيغ التكبير – بعد نهاية السورة، وقبل قراءة السورة التي تليها.

والتكبير عند ختم القرآن ليس من القرآن باتفاق القراء، وإنما هو ذكر جليل أثبته الشرع على وجه التمييز بين سور القرآن كما أثبت الاستعاذة في أول القراءة، ولذلك لم يرسم في جميع المصاحف المكية وغيرها[(١)].

ب) صيغ التكبير:

للتكبير صيغة متفق عليها عند من رواه، وهي: (الله أكبر) ولكن اختلف عن البزي وعمن رواه عن قنبل في الزيادة عليها، فأما البزي فروى الجمهور عنه هذا اللفظ بعينه من غير زيادة ولا نقص، فيقول (الله أكبر) ( ) ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أو﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾[(٢)].

وروى آخرون عنه التهليل قبل التكبير ولفظه (لا إله إلا الله والله أكبر) وهو وجه صحيح ثابت عن البزي[(٣)].

ثم اختلف هؤلاء الآخذون بالتهليل مع التكبير فرواه جمهورهم كذلك باللفظ المتقدم، وزاد بعضهم على ذلك لفظ (ولله الحمد) فقالوا (لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد) ثم يبسملون[(٤)].

---

(١) () انظر نهاية القول المفيد ص٢٢٣ والمهذب في القراءات العشر ٢ / ٣٤٦.

(٢) ()انظر الكافي ٢ / ٥٥٨ وتلخيص العبارات ص١٧٢ والعنوان ص٢١٥.

(٣) ()انظر المفردات السبع ص١٠٨ وغاية الاختصار ٢ / ٧١٩.

(٤) ()انظر الكامل ص٤٧٦ والنشر ٢ / ٤٣٠.

وأما قنبل فقطع له جمهور من روى التكبير عنه من المغاربة بالتكبير فقط[(١)] والأكثرون من المشارقة على التهليل وهو قول (لا إله إلا الله والله أكبر) حتى قطع له به العراقيون من طريق ابن مجاهد[(٢)].

وقال الداني: " والوجهان - يعنى التهليل مع التكبير، والتكبير وحده عن البزي وقنبل - صحيحان جيدان مشهوران مستعملان "[(٣)].

(١) ()انظر المفردات السبع ص١٠٩ وحرز الأماني ص٩١.

(٢) ()انظر الكفاية الكبرى ٢ / ٦١٢ والمبهج ٢ / ٨٨٧ والمستنير ص٨٦٤.

(٣) ()جامع البيان ٤ / ١٧٥٢.

المبحث الثاني:

موضع التكبير

اختلف في ابتداء التكبير فروى الجمهور التكبير من آخر سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أو من أول سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ على خلاف بينهم في العبارة.

فممن نص على التكبير من آخر ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أبو عمرو الداني وابن غلبون وابن شريح وابن سفيان وابن بليمة ومكي وأبو معشر الطبري وسبط الخياط وأبو القاسم الهذلي[(١)].

وممن نص عليه من أول ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ابن الفحام وأبو العز وابن سوار والحافظ أبو العلاء وغيرهم من العراقيين ممن لم يرو التكبير من أول ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[(٢)].

وروى آخرون من أهل الأداء التكبير من أول ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ كأبي علي البغدادي وابن الفحام، وقطع به الحافظ أبو العلاء للبزي ولقنبل من طريق ابن مجاهد، ورواه أبو العز من طريق النقاش عن أبي ربيعة، وهو الذي قرأ به الداني على الفارسي عن النقاش عن أبي ربيعة عن البزي، إلا أنه اختار أن يكون من آخر الضحى.

ولذلك لما أشار إليه في التيسير رده بقوله: "والأحاديث الواردة عن المكيين بالتكبير دالة على ما ابتدأنا به لأن فيها «مع» وهي تدل على الصحبة والاجتماع[(٣)].

(١) ()انظر التيسير ص٢٢٦ والتذكرة ٢ / ٦٥٦ والكافي ٢ / ٥٥٧ والهادي ٢ / ٤٠٠ وتلخيص العبارات ص١٧٢ والتبصرة ص٧٣٤ والمبهج ٢ / ٨٨٧ والكامل ص٤٧٦.

(٢) ()انظر التجريد ص٣٤٤ وإرشاد المبتدي ص٦٣٩ والمستنير ص٨٦٤ وغاية الاختصار ٢ / ٧١٩.

(٣) ()التيسير ص٢٢٦ وانظر غاية الاختصار ٢ / ٧١٩ والكفاية الكبرى ٢ / ٦١٢.

أما ما ورد عن بعضهم من كون التكبير من آخر ﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾ كالهذلي في الكامل، حيث قال: "ابن الصباح وابن بقرة عنهما يكبران من خاتمة ﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾"[1] والشاطبي في حرز الأماني[2] حيث قال:

وَقَالَ بِهِ الْبَزِّيُّ مِنْ آخِرِ الضُّحَى وَبَعْضٌ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَصَّلَا

فإنما أرادوا كونه من أول الضحى، قال شراح الحرز: قول الشاطبي (وَبَعْضٌ لَهُ) أي: للبزي وصل التكبير من آخر سورة ﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾ يعنى من أول (الضحى[3]).

قال أبو شامة: "هذا الوجه من زيادات هذه القصيدة وهو قول صاحب الروضة قال: وروى البزي التكبير من أول سورة ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾"[4] انتهى.

قال ابن الجزري: "وهذا الذي ذكروه من أن المراد بآخر الليل هو أول الضحى متعين إذ التكبير إنما هو ناشئ عن النصوص المتقدمة، والنصوص المتقدمة دائرة بين ذكر الضحى وأول ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ ﴾ لم يذكر في شيء منها ﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾ فعلم أن المقصود بذكر آخر ﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾ هو أول الضحى كما حمله شراح كلام الشاطبي، وهو الصواب بلا شك والله أعلم"[5].

وأما انتهاء التكبير فقد اختلفوا فيه أيضاً فذهب الجمهور من المغاربة وبعض المشارقة وغيرهم إلى أن انتهاء التكبير آخر سورة الناس[6].

---

(١) ()الكامل ص٤٧٦، وابن الصباح هو: محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن الصباح، مقرئ جليل، من جلة أصحاب قنبل، وابن بقرة هو: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن هارون. المكيّان،مشهوران،وهما ممن روى التكبير من أول الضحى. انظر غاية النهاية ١ / ١١٨ و٢ / ١٧٢.

(٢) () ص٩٠.

(٣) () انظر شرح الشاطبية للسيوطي ص٤٤٠ وسراج القاري ص٣٩٩ وإرشاد المريد ص٣٢٩ والوافي ص٣٨٥.

(٤) () إبراز المعاني ٤ / ٢٨٩.

(٥) ()النشر ٢ / ٤١٩.

(٦) ()انظر الوجيز ص٣٩١ والتبصرة ص٧٣٤ وتلخيص العبارات ص١٧٢.

وذهب الآخرون وهم جمهور المشارقة إلى أن انتهاءه أول سورة الناس، ولا يكبر في آخر الناس، والوجهان مبينان على أن التكبير هل هو لأول السور أم لآخرها؟ فمن ذهب إلى أنه لأول السورة لم يكبرفي آخر الناس سواء كان ابتداء التكبير عنده من أول ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ أو من أول الضحى ومن جعل الابتداء من آخر الضحى كبر في آخر الناس[(١)].

قال ابن الجزري: "قلت: والمذهبان صحيحان ظاهران لا يخرجان عن النصوص المتقدمة، وأما قول أبي شامة إن فيه مذهباً ثالثاً وهو أن التكبير ذكر مشروع بين كل سورتين فلا أعلم أحداً ذهب إليه صريحاً، وإن كان أخذه من لازم قول من قطعه عن السورتين أو وصله بهما فإن ذلك يتخرج على كل من المذهبين... ولو كان أحد ذهب إلى ما ذكره أبو شامة لكان التكبير على مذهبه ساقطاً إذا قطعت القراءة على آخر سورة أو استؤنفت سورة وقتاً ما، ولا قائل بذلك، بل لا يجوز في رواية من يكبر.. والله أعلم"[(٢)].

والتكبير لا يكون إلا قبل البسملة، ويستوي في ذلك الابتداء بأول السورة أو وصلها بما بعدها[(٣)].

(١) ()انظر العنوان ص٢١٥ والهادي ٢ / ٤٠٠ والبدور الزاهرة للنشار ٤ / ٢٨٦.
(٢) ()النشر ٢ / ٤٢١ وانظر إبراز المعاني ٢ / ٢٩٠.
(٣) ()انظر هداية القاري ٢ / ٥٨٧.

المبحث الثالث:

سبب ورود التكبير

اختلف في سبب ورود التكبير على أقوال عديدة، فيما يلي بيانها:

الأول: أن سببه انقطاع الوحي عن النبي ﷺ وقول المشركين: قلى محمداً ربه، فنزلت سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ فقال النبي ﷺ: الله أكبر وأمر أن يكبر إذا بلغ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ مع خاتمة كل سورة حتى يختم.

روى ذلك الحافظ أبو العلاء بإسناده عن أحمد بن فرح عن البزي،وهو قول الجمهوركابن غلبون والداني والسخاوي وغيرهم من متقدم ومتأخر[(١)]قالوا: فكبر النبي ﷺ شكراً لـمَّا كذب المشركين.

وقال بعضهم: قال الله أكبر تصديقاً لما أنا عليه وتكذيباً للكافرين،وقيل: فرحاً وسروراً بنزول الوحي،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ولميرو بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف "[(٢)]يعنى كون هذا سبب التكبير.

وأما انقطاع الوحي مدة أو إبطاؤه فهو ثابت ومشهور، وإن اختلف في سببهومدته، وفي القائل قلاه ربه:

فعن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: "اشتكى النبي فلم يقم ليلة أو ليلتين فجاءته امرأة فقالت: يا محمد إني أرى أن يكون شيطانك قد تركك فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾"وفي رواية: "أبطأ جبريل على رسول الله فقال المشركون: قد ودع محمد، فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾"[(٣)].

---

(١) ()انظر النشر ٢ / ٤٠٦.

(٢) ()تفسير ابن كثير ٤ / ٦٧٤.

(٣) ()صحيح البخاري كتاب التفسير، باب چ چ چ چ چ٦ / ٣٩٩ برقم (٤٩٥٠) ومسلم في كتاب الجهاد والسير ١٢ / ١٣٢ برقم (١٧٩٧) ورواه ابنأبي حاتم بلفظ: "رمي رسول الله بحجر في أصبعه فقال: هل أنت إلا أصبع دميت،وفي سبيل الله ما لقيت، قال: فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم فقالت له امرأة: ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت چچ". تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٤٤٢ برقم (١٩٣٧٠).

قال ابن الجزري: وهذا سياق غريب في كونه سبباً لتركه القيام وإنزال هذه السورة[(١)].

وروى أحمد بن فرح قال حدثني ابن أبى بزة بإسناده: أن النبي أُهديإليه قطف عنب جاء قبل أوانه، فهمّ أن يأكل منه فجاءه سائل فقال: أطعموني مما رزقكم الله، قال فسلم إليه العنقود فلقيه بعض أصحابه فاشتراه منه وأهداه للنبي،فعاد السائل فسأله فأعطاه إياه، فلقيه رجل آخر من الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبي،فعاد السائل فسأله فانتهره وقال: إنك مُلِحٌّ، فانقطع الوحي عن النبي أربعين صباحاً فقال المنافقون: قلى محمداً ربه، فجاء جبريل عليه السلام فقال: اقرأ يا محمد،قال: وما أقرأ؟ فقال: اقرأ ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ فلقنه السورة فأمر النبي أبياً لما بلغ ﴿وَالضُّحَىٰ﴾أن يكبر مع خاتمة كل سورة حتى يختم[(٢)].

قال ابن الجزري:

"وهذا سياق غريب جداً،وهومما انفرد به ابن أبى بزة أيضاً،وهو معضل"[(٣)].

وقال أبو عمرو الداني:" نامحمد بن عبد الله المري، قال: نا أبي، قال: ناعلي بن الحسن[(٤)]قال:نا أحمد بن موسى، قال: نا يحيى بن سلام[(٥)]فيقوله عزوجل ﴿وَمَانَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم٦٤] قال: قال قتادة: هذا قول جبريل عليه السلام،احتبس عن النبي ﷺفي بعض الوحي، فقال رسول الله ﷺ:

(١) ()النشر ٢ / ٤٠٦.

(٢) ()أخرجه ابن الجندي في البستان ص٨٤٦من طريق الشهرزوري من عدة طرق، وذكره ابن الجزري في النشر ٢ / ٤٠٦ والقسطلاني في لطائف الإشارات ١ / ٣١٨-٣١٩.

(٣) ()النشر ٢ / ٤٠٧ وضعّفه أيضاً القسطلاني في لطائف الإشارات ١ / ٣١٩،قال الصفاقسي: "وعلىتقديرصحته؛فالواجبأنيفهمأنانتهارهصلىا للهعليهو سلمللسائلإنماهوتأديبلهوتهديدعلىمالاينبغيمنالسؤال،لاسيماكثرتهوالإلحاحفيه،لابخلاًبالعنقود،إذلوكانتحبَّاتهيواقيتمابخلبهصلى اللهعليه وسلم،إذلاريبولاشبهةأنهصلى اللهعليهو سلمأكرمالناسوأسخاهموأجودهم، ورويناًفي الصحيحعنجابربنعبداللهرضى اللهعنهماوغيرهأنهصلى اللهع ليهوسلم (ماسئلعنشيءقطفقالا) " غيث النفع ٣/ ١٢٨٢ والحديث في صحيح البخاري،كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٧/ ١٠٧ الحديث رقم (٦٠٣٤).

(٤) ()علي بن الحسن، أبو الحسن الجصاص البغدادي، روى عن ابن مجاهد، مات سنة ٣٦٧هـ، وكان مخلّطاً يدّعي أشياء ليست له انظر: تاريخ بغداد ١١ / ٣٨٤، غاية ١ / ٥٣٢.

(٥) ()يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، أبو زكريا البصري، قال الداني: وكان ثقة ثبتاً، مات سنة ٢٠٠ هـ. غاية ٢ / ٣٧٣.

ويظهر أن في السند انقطاعاً، لأن أحمد بن موسى بن مجاهد لم يدرك يحيى، حيث إن ابن مجاهد ولد سنة ٢٤٥هـ، أي بعد وفاة يحيى بخمس وأربعين سنة تقريباً.

فماجئت حتى اشتقت إليك، فقال جبريل:﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾"[1].

ثم قال أبو عمرو الداني عقبه: "فهذا سبب التخصيص بالتكبير من آخر﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ واستعمال النبي ﷺ وذلك كان بمكة قبل الهجرة بزمان، فاستعمل ذلك المكيون، ونقله خلفهم عن سلفهم، ولم يستعمله غيرهم، لأنه ﷺ ترك ذلك بعد، فأخذوا بالآخر منفعله"[2].

الثاني:أنه كبّر سروراً بما أعطاه الله عز وجلله ولأمته،حتى يرضيه في الدنيا والآخرة، فقد روى الإمام أبو عمرو الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: "عُرض على رسول الله ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً فسُرّبذلك،فأنزل الله ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ ﴾فأعطاه في الجنة ألف قصر في كل قصر ما ينبغيله من الأزواج والخدم "[3].

قال ابن الجزري: "وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف فهو في حكم المرفوع عند الجماعة"[4].

الثالث: أنه كبّرلما رآه من صورة جبرائيل عليه السلام التي خلقه الله عليها، عند نزوله بهذه السورة.

ذكر بعض السلف منهم الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ حين تبدَّى له في صورته التي خلقه الله تعالى عليها، ودنا إليه وتدلى منهبطاً عليه وهو بالأبطح،فأوحى إلى عبده ما أوحى قال له هذه السورة ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾.

---

(١) ()جامع البيان ٤ / ١٧٥٢ وانظر تفسير ابن جرير ١٦ / ١٠٣-١٠٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧ / ٢٤١٤ والدر المنثور ٥ / ٥٣٠ وقد روى هذا الخبر بألفاظ وأسانيد كثيرة،وروى البخاري نحوه في الصحيح،كتاب التفسير، باب چ بم چ عن ابن عباس، برقم (٤٧٣١).

(٢) ()جامع البيان ٤ / ١٧٥٢.

(٣) ()انظر تفسير الطبري ٣ / ٢٣٢ وتفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٤٤٣.

(٤) ()النشر ٢ / ٤٠٨ وقد قال قبله: " قلت: ويحتمل أن يكون تكبيره سروراً... " الخ ٢ / ٤٠٧.

قال ابن الجزري: "وهذا قول قوى جيد،إذ التكبير إنما يكون غالباً لأمر عظيم أو مهول،والله أعلم"[1].

الرابع: أن تكبيره زيادة في تعظيم الله مع التلاوة لكتابه والتبرك بختم وحيه وتنزيلهو التنزيه له من السوء.

لقوله تعالى ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾[المدثر] ولقوله ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة١٨٥] ولقوله تعالى﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١ ﴾[الإسراء] وقوله﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[العنكبوت٤٥] وقوله﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[الحجر٩٨] وقوله ﴿ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩ ﴾[الطور] فأمر نبيه ﷺ في كل ذلك بتكبيره وتنزيهه، وهو قول مكي بن أبي طالب القيسي[2].

وهو نحو قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:"إذا قرأت القرآن فبلغتبين المفصل فاحمد الله وكبّر بين كل سورتين"وفي رواية "فتابع بين المفصل في السور القصار، واحمد الله،وكبّر بين كل سورتين"[3]فكأن التكبير شكر وسرور وإشعار بالختم.

قال الحليمي: " نكتة التكبير التشبيه للقراءة بصوم رمضان، إذا أكمل عدته يكبر، فكذا هنا يكبر إذا أكمل عدة السورة، فالقراءة تنقسم إلى أبعاض متفرقة فكأنه كصيام الشهر، وقد أمر الناس أنهم إذا أكملوا العدة أن يكبروا الله على ما هداهم، فالقياس أن يكبر القارئ إذا أكمل عدة السور "[4].

الخامس: أنه كبّر فرحاًوسروراً بالنعم التي عددها الله تعالى عليه في قوله ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ ﴾إلى آخره، وقيل شكراًلله تعالى على تلك النعم.

السادس:أنه كبّر أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، قاله السدي عن ابن عباس[5].

(١) ()النشر ٢ / ٤٠٨.

(٢) ()انظر الكشف ٢ / ٣٩٢.

(٣) ()نقله ابن الجزري عن الحافظ أبي العلاء، النشر ٢ / ٤١٦.

(٤) ()المنهاج للحليمي ٢ / ٣٣٧، وانظر الإتقان ١ / ٣١٢ والبرهان ٢ / ١٠٣.

(٥) ()حكاهما ابن الجزري في النشر ٢ / ٤٠٧-٤٠٨.

المبحث الرابع:

ذكر من ورد عنه التكبير

الذي اشتهر برواية حديث التكبير: هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة البزي المكي، قال: سمعت عكرمة بن سليمان يقول: قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ قال: كبّر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، فإني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ قال: كبّر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، وأخبره أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أبيّ بن كعب أمره بذلك، وأخبره أبيّ بن كعب أن النبي ﷺ أمره بذلك.

أسنده الحاكم في (المستدرك)[(١)] وطاهر بن غلبون في (التذكرة)[(٢)] وأبو عمرو الداني في (جامع البيان)[(٣)] والبيهقي في (الجامع لشعب الإيمان)[(٤)] والبغوي في تفسيره[(٥)] وابن الباذش في (الإقناع)[(٦)] وأبو الكرم

(١) ()في كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: " حدثنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ الإمام بمكة في المسجد الحرام ثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ ثنا أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة.. " وذكره، ثم قال عقبه: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " اهـ وتعقبه الذهبي فقال: " قلت: البزي قد تكلم فيه " اهـ ٣ / ٣٠٤.

(٢) ()باب ذكر التكبير للبزي من ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ قال: " فقرئ على أبي الحسين اللُّغوي، وأجازه لي، قال حدثنا ابن مجاهد، قال حدثني الحسن بن مَخْلد، قال حدثنا ابن أبي بزة.. " وذكره، ٢ / ٦٦١.

(٣) ()في باب ذكر التكبير في قراءة ابن كثير وذكر الأخبار الواردة عن المكيين في ذلك ٤ / ١٧٣٨، قال أبو عمرو: " فأما الوارد منها بالتكبير من آخر ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى آخر القرآن فحدثنا أبو الفتح فارس بن أحمد بن موسى المقرئ، قال: نا عبد الله بن الحسين البغدادي، قال: نا أحمد بن موسى (ح) ونا أبو الفتح أيضاً، قال: نا أبو الحسن عبد الباقي بن الحسن المقرئ، قال: نا أحمد بن صالح، وأحمد بن مسلم، قالوا: نا الحسن بن مخلد (ح) ونا أبو الفتح أيضاً، قال: نا أبو الحسن، قال: نا علي بن يعقوب بن إبراهيم، قال: نا أحمد بن محمد بن مقاتل الهروي، قالا: نا أحمد بن محمد بن أبي بزة.

قال الداني: ونا فارس بن أحمد، قال: نا عبد الله بن الحسين، قال: قرأت على أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن الصباح، قال: قرأت على موسى بن هارون المكي، قال: قرأت على أحمد بن محمد بن أبي بزة.

قال الداني: حدثنا فارس بن أحمد، قال: نا أبو الحسن المقرئ، قال: نا علي بن محمد الحجازي، قال: نا محمد بن عبد العزيز المكي المقرئ الضرير، قال: نا موسى بن هارون، قال: نا أحمد بن أبي بزة.. وذكره.

قال أبو عمرو: وهذا أتم حديث روي في التكبير، وأصح خبر جاء فيه ". جامع البيان ٤ / ١٧٤١.

(٤) ()في فصل استحباب التكبير عند الختم ٥ / ٣٩، قال البيهقي: " أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني عبد الله بن محمد بن زياد العدل، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال سمعت أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة.. " وذكره.

(٥) ()معالم التنزيل ٨ / ٤٥٩ قال البغوي: ".. قرأته على الإمام المقرئ أبي نصر محمد بن علي الحامدي بمرو، قال قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي، قال قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، قال قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقرئ، قال قرأت على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي، قال قرأت على أبي ربيعة والحسين بن محمد الحداد، وهما قرءا على أبي الحسين بن أبي بزة.. " وذكره.

(٦) ()في باب ذكر التكبير ٢ / ٨١٩ قال: حدثنا أبو القاسم خلف بن إبراهيم المقرئ شيخنا رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع، ثنا أبو معشر الطبري، ثنا الحسين بن على، ثنا محمد بن جعفر الخزاعي، ثنا أبو على الحسين بن محمد بن حبش، ثنا محمد بن عمران بن خزيمة ومحمد بن صالح الكليني..

الشهرزوري في (المصباح)[(١)] وابن الجزري في (النشر)[(٢)].

(ح) وحدثنا أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثنا أبو داود وعلي بن عبد الرحمن، حدثاني إجازة قالا: ثنا أبو عمرو، ثنا فارس بن أحمد، ثنا عبد الباقي بن الحسن، ثنا أحمد بن مسلم، ثنا الحسن بن مخلد..

(ح) وحدثنا عبد الملك بن علي بن عبد الملك، ثنا مروان بن عبد الملك، ثنا محمد بن إبراهيم المقرئ، ثنا أبو الحسن بن الحمامي، ثنا أبو طاهر، ثنا الحسن بن مخلد..

(ح) وحدثنا عبد القادر بن محمد الصدفي، ثنا أبو العباس بن نفيس، ثنا أبو أحمد السامري، أخبرني أبو عبد الله بن عبد العزيز، ثنا موسى بن هارون.

(ح) وحدثنا عبد الله بن علي، ثنا مروان، ثنا محمد بن إبراهيم، ثنا ابن الحمامي، ثنا أبو بكر النقاش، ثنا أبو ربيعة..

(ح) وثنا الحسين بن محمد الغساني الحافظ، ثنا أبو عمر بن عبد البر، ثنا أبو الوليد بن الفرضي، ثنا يحيى بن مالك بن عائذ، ثنا علي بن أبي غسان الدقاق، ثنا أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان، والعباس بن أحمد أبو الخبيب البرتي..

(ح) وحدثنا أبو القاسم المقرئ، ثنا أبو معشر، ثنا الحسين بن علي، ثنا محمد بن جعفر الخزاعي، ثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المزني بواسط، ثنا الوليد بن بيان ويحيى بن محمد بن صاعد ومحمد بن أحمد الشطوي، قالوا جميعاً: ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي بزة.. وذَكَرَه.

(١) ()في باب التكبير ٤ / ١٥٥٨ قال: أخبرنا الشيخان الإمام أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل، وأبو القاسم عبد السيد بن عتاب الحطاب، قراءة عليهما، قالا: أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي بن يعقوب، ثنا أبو الطيب عبد الغفار بن عبد الله المقرئ بواسط، وأبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد، وأبو الحسين عبد الله بن أحمد بن يعقوب بن البواب ببغداد، وأبو علي إسماعيل بن وهبان الصِّلْحي بها، قالوا: ثنا أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، قال ثنا الحسن بن مخلد، ثنا ابن أبي بزة..

(ح) وأخبرنا الشيخان أبو القاسم عبد السيد بن عتاب وأبو البركات بن الوكيل، قالا ثنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي بن يعقوب، ثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا وأبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذي، قالا ثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ، ثنا محمد بن يوسف بن موسى والحسن بن العباس الرازي، وإبراهيم بن موسى بن إسحاق، قالوا ثنا ابن أبي بزة..

(ح) وأخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن موسى الخياط المقرئ، أن أبا الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمامي أخبرهم قال: ثنا شيخنا أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم المقرئ، ثنا الحسن بن الحباب الدقاق، قال ثنا ابن أبي بزة..

(ح) وأخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن موسى الخياط المقرئ، أن أبا الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمامي أخبرهم قال: ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الأنصاري، وقرأت عليه القرآن، قال ثنا أبو ربيعة – محمد بن إسحاق الربعي المكي – وقرأت عليه القرآن، قال ثنا ابن أبي بزة.. وذكره.

(٢) ()في باب التكبير وما يتعلق به ٢ / ٤١١–٤١٥ قال: "أما ما هو عن النبي فإني قرأت القرآن على الشيخ الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي المصري بها فلما بلغت﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت، قال: قرأت القرآن على الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد المصري بها فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت، قال: قرأت على الإمام أبي الحسن علي بن شجاع العباسي المصري بها فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾قال: قرأت القرآن على الإمام ولي الله أبيالقاسم بن فيرة الشاطبي بمصرفلما بلغت﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت.

(ح) وقرأت القرآن على الإمام قاضي المسلمين أبي العباس أحمد بن الحسين بن سليمان الدمشقي بها،فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت قال: قرأت القرآن على والدي المذكور بدمشق فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾كبَّرت، قال: قرأت القرآن على الإمام أبي محمد القاسم بن أحمد الأندلسي بدمشق فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾كبَّرت، قال: قرأت القرآن على الإمام أبي محمد القاسم بن أحمد الأندلسي بدمشق فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت، قال: قرأت القرآن على الإمام أبي عبد الله محمد بن أيوب بن نوح الغافقي الأندلسي بها فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت، قالا – أعني الشاطبي والغافقي هذا – قرأنا القرآن على الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن هذيل بالأندلس فلما بلغنا ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبرنا،قال: قرأت القرآن على الإمام أبي داود سليمان بن نجاح الأموي بالأندلس فلما بلغت﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت، قال: قرأت القرآن على الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني بالأندلس فلما بلغت﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت، قال: قرأت القرآن على أبي القاسم عبد العزيز بن جعفر الفارسي بمصر فلما بلغت﴿وَالضُّحَىٰ﴾كبَّرت، قال: قرأت القرآن على أبي بكر محمد بن الحسن النقاش ببغداد فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت، قال: قرأت القرآن على أبي ربيعة محمد بن إسحاق الربعي بمكة فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت، قال: قرأت القرآن على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن بزة البزي بمكة فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت، قال: قرأت القرآن على عكرمة بن سليمان بمكة فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبَّرت.

(وأخبرنا) الحسن بن أحمد الدقاق الدمشقي قراءة عليه، أنبأنا الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن فضل الواسطي مشافهة، أخبرنا الإمام شيخ الشيوخ أبو محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي، أخبرنا أبو العلاء الحسن بن أحمد الحافظ قراءة عليه،قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن محمد الحافظ الهمذاني بهمذان، أنا أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز بن محمد الفارسي بهراة، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى الأنصاري، أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد.

(ح) وأخبرناه عاليا أبو علي بن أبي العباس بن هلال بقراءتي عليه بالجامع الأموي عن أبي الحسن علي بن أحمد السعدي أخبرنا أبو جعفرالصيدلاني في كتابه من أصبهان قال أخبرنا أبو الحسن بن أحمد الحداد أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد الصفار أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن بندار الشعار أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن عاصم النبيل قالا حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بزة البزي..

وأخبرنا به أحسن من هذا أبو حفص عمر بن الحسن المراغي قراءة مني عليه قلت له أخبرك أبو الحسن بن البخاري سماعاً أو إجازة أخبرنا عمر بن محمد بن طبرزد الدارقزي أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور أخبرنا أبو

وقد ضعف بعض العلماء هذا الحديث بسبب ضعف البزي[(١)].

ولكن العلماء نصوا على أن كون الراوي ضعيفاً في نفسه لا يلزم منه ضعف جميع ما يرويه، كما لا يلزم من كونه ضعيفاً في علم من العلوم أن يكون ضعيفاً في سائر العلوم.

قال الحافظ ابن حجر عن زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري راوي المغازي عن بن إسحاق: "قال يحيى بن آدم عن عبد الله بن إدريس ما أجد أثبت في ابن إسحاق منه لأنه أملى عليه إملاءً مرتين، وقال صالح جزرة: زياد في نفسه ضعيف، ولكنه أثبت الناس في كتاب المغازي"[(٢)].

وقالالتهانويبعد أن نقل ذلك: "قلت: فلا يلزم من كون الراوي ضعيفاً ضعفه في جميع مروياته"[(٣)].

وقد يكون المرء إماماً في علم من العلوم ولكنه ضعيف في غيره، قال الذهبي في ترجمة نوح بن أبي مريم: "نوح الجامع مع جلالته في العلم ترك حديثه، وكذلك شيخه مع عبادته،فكم من إمام في فن مقصر عن غيره، كسيبويه مثلاً؛ إمام في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نواس رأس في الشعر عَرِيٌّ من غيره، وعبد الرحمن بن مهدي إمام في الحديث لا يدري ما الطب قط، وكمحمد بن الحسن رأس في الفقه ولا يدري ما القراءات، وكحفص إمام في القراءة تالف في الحديث"وللحروب

طاهر المخلص حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد.

(ح) وأخبرتنا الشيخة ست العرب بنت محمد بن علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدية مشافهة، أخبرنا جدي علي بن أحمد حضوراً عن أبي القاسم بن الصفار أنا زاهر بن طاهر أنا أحمد بن الحسين الحافظ أنا أبو نصر بن قتادة ثنا أبو عمرو ابن مطر ثنا ابن صاعد ثنا أحمد بن أبي بزة فذكره. كما أخبرتني الشيخة المعمرة أم محمد ست العرب بنت محمد بن علي بن أحمد الصالحية مشافهة بمنزلها بالسفح ظاهر دمشق قالت أخبرنا جدي أبو الحسن على المذكور قراءة عليه وأناحاضرة أنا عبد الله بن عمرو بن أحمد بن الصفار في كتابه أنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر الحافظ أنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني عبد الله بن محمد بن زياد العدل ثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة قال سمعت أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة...

(١) ()قال ابن أبي حاتم عن البزي: "ضعيف الحديث، لا أحدث عنه" وقال العقيلي: "منكر الحديث" الضعفاء ١ / ١٢٧، ولكن الذهبي قال في الميزان - بعد أن نقل هذه الأقوال في تضعيفه -: "إمام في القراءة ثبت فيها "ميزان الاعتدال ١ / ١٤٤ وانظر معرفة القراء ١ / ١٧٣، وقد روى فيه أبو عمرو الداني حديث التكبير عن البزي بإسناده.

(٢) () فتح الباري ١ / ٤٠٤.

(٣) ()قواعد في علوم الحديث ص٤٠٩.

رجال يعرفون بها".

وفي الجملة: وما أوتوا من العلم إلا قليلًا، وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، في أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل"[(١)].

وقال الذهبي عن حفص راوي الإمام عاصم: "كان ثبتاً في القراءة، واهياً في الحديث، لأنه كان لايتقن الحديث، ويتقن القرآن ويجوده،وإلا فهو في نفسه صادق "[(٢)].

وكذلك البزي، فإنما تكلموا فيه من الناحية الحديثية، وإلا فهو إمام في القراءة حجة فيها، وكونهضعيفاً في الحديث لا يعني ضعفه في القراءة.

قال الذهبي – بعد أن نقل أقوال الأئمة في تضعيفه في الحديث –: " إمام في القراءة ثبت فيها "[(٣)].

والتكبير إنما نقل من طريق القراء، وهو يتعلق بالقرآن من حيث نقله وتواتره،وهو منقول في ثنايا التلاوة، فكون البزي لين الحديث لايؤثر في عدم صحة التكبير.

واشتهر التكبير عند طائفة من رواية قنبل أيضاً – وهو أحد الراويين لقراءة ابن كثير، يرويها عنه بالإسناد كالبزي – فتابع البزيَّ في رواية التكبير عن ابن كثير، والرواة متفقون عن البزي بالتكبير، واختلفوا عن قنبل، فروى عنه هذه السنة العراقيون[(٤)] وأما المغاربة فجمهورهم على عدم التكبير[(٥)].

بل نص العلماء على أن التكبير سنة عند أهل مكة عامةً غير مختص بالبزي ولا

(١) ()تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٣١.

(٢) ()ميزان الاعتدال ١ / ٥٥٨.

(٣) ()ميزان الاعتدال ١ / ١٤٤.

(٤) ()انظر التلخيص فى القراءات الثمان ص٤٨٨ والوجيز ص٣٩١ وإرشاد المبتدي ص٦٣٩ والمبهج ٢ / ٨٨٧ وغاية الاختصار ٢ / ٧١٩ وذكر الإمام الشاطبي الوجهين في حرز الأماني ص٩١ فقال: وعن قنبل بعض بتكبيره تلا، وذكر الوجهين أيضاً عن قنبل أبو عمرو الداني، فقال: " وقد قرأت أيضاً لقنبل بالتكبير وحده من طريق ابن مجاهد.. " المفردات ص١٠٩ وانظر النشر ٢ / ٤١٧.

(٥) ()انظر التيسير ص٢٢٦ والكافي ٢ / ٥٥٧ والعنوان ص٢١٥ والتذكرة ٢ / ٦٥٦ والتبصرة ص٧٣٤ وتلخيص العبارات ص١٧٢ والهادي ٢ / ٣٩٩.

غيره[(١)].

وورد التكبير عن غير ابن كثير من القراء: فورد عن أبى عمرو البصري[(٢)] من رواية السوسي[(٣)] وعن أبى جعفر[(٤)] من رواية العُمَري[(٥)].

بل ورد التكبير عن سائر القراء، كما روى أبو الفضل الرازي[(٦)] وأبو القاسم الهذلي[(٧)] وأبو العلاء الهمذاني[(٨)].

وممن كان يأخذ به ابن حبش[(٩)] وأبو الحسين الخبازي[(١٠)] وورد عن حميد الأعرج[(١١)] وابن محيصن[(١٢)] وابن شنبوذ[(١٣)].

(١) ()انظر كنز المعاني للجعبري ص٨٣٤ (خ) والتبصرة ص٧٣٥ والنشر ٢ / ٤١١ وسنن القراء ص٢٢٣.

(٢) ()أحد القراء السبعة واسمه زبان بن العلاء التميمي المازني البصري، وأحد جلة التابعين بالبصرة، سمع من أنس بن مالك، وقرأ على الحسن بن أبي الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وحميد الأعرج، وعاصم بن أبي النجود الكوفي، وهو أكثر القراء السبعة شيوخاً، مات سنة أربع وخمسين ومائة. (مشاهير علماء الأمصار ص١٥٣ ومعرفة القراء الكبار ١ / ١٠٠ وغاية النهاية ١ / ٢٨٨.

(٣) ()أبو شعيب السوسي الرقّي واسمه صالح بن زياد، أحد الراويين لقراءة أبي عمرو، مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب تسعين سنة رحمه الله تعالى. معرفة القراء ١ / ١٩٣ وغاية النهاية ١ / ٣٣٣.

(٤) ()يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وقال الذهبي: قال غير واحد: قرأ أيضاً على أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم، ويقال: إنه قرأ على زيد بن ثابت، وصلى وراءه ابن عمر رضي الله عنهم، توفي بالمدينة سنة ثلاثين ومائة. معرفة القراء ١ / ٧٢ ومشاهير علماء الأمصار ص٧٦ وغاية النهاية ٢ / ٣٨٢.

(٥) ()الزبير بن محمد بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الله العمري، كان إمام المسجد النبوي، قال ابن الجزري: وهو ثقة تلقى الناس روايته عن أبي جعفر بالقبول، مع ما فيها من غرائب التسهيل، توفي بعد السبعين ومائتين. غاية النهاية ١ / ٢٩٣.

(٦) ()كما نقله عنه ابن الجزري في النشر ٢ / ٤١٠ وأبو الفضل هو: عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار أبو الفضل الرازي العجلي، مصنف كتاب اللوامح، والوقوف، وغيرهما، ولد بمكة ثم ما زال ينتقل في البلدان إحدى وسبعين سنة، حتى توفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة عن أربع وثمانين سنة. غاية النهاية١ / ٣٦٣.

(٧) ()في كتابه الكامل في القراءات الخمسين ص٤٧٦ والهذلي هو: يوسف بن على بن جبارة، أبو القاسم الهذلي اليشكري، الأستاذ الكبير الرحال، والعلم الشهير الجوال، ولد في حدود التسعين وثلاثمائة تخميناً، وطاف البلاد في طلب القراءات، قال ابن الجزري: " لا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ " غاية النهاية ٢ / ٣٩٧ وانظر معرفة القراء ١ / ٤٢٩.

(٨) ()في غاية الاختصار ٢ / ٧١٩ وأبو العلاء الهمذاني هو: الحسن بن أحمد بن الحسن، الإمام الحافظ الأستاذ أبو العلاء الهمذاني العطار، شيخ همذان، وإمام العراقيين، أحد حفاظ العصر، ثقة ديّن خيّر كبير القدر، توفي سنة تسع وستين وخمسمائة. معرفة القراء ١ / ٤٢٩ وغاية النهاية ١ / ٢٠٤.

(٩) ()الحسين بن محمد بن حبش، أبو على الدينوري، حافظ ضابط متقن، متقدم في علم القراءات، مشهور بالإتقان، ثقة مأمون، توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة. معرفة القراء ١ / ٣٢٢ وغاية النهاية ١ / ٢٥٠.

(١٠) ()علي بن محمد بن الحسن بن محمد، أبو الحسين الخبازي الجرجاني، نزيل نيسابور، وشيخ القراء بها، إمام ثقة مؤلف محقق، كان من أقرأ الناس وأحسنهم أداءً وأكثرهم اجتهاداً في التلقين، تخرج به أكثر من عشرة آلاف رجل، توفي بنيسابور سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة غاية النهاية ١ / ٥٥٧.

(١١) ()حميد بن قيس، أبو صفوان المكي الأعرج، ثقة، أخذ القراءة عن مجاهد بن جبر، وعرض عليه ثلاث مرات، روى عنه القراءة عرضاً أبو عمرو بن العلاء، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن أبي حية، وسمع منه مالك، والثوري، وحدث عنه معمر، وثقه أبو داود، قال ابن عيينة: لم يكن بمكة أقرأ منه ومن ابن كثير، توفي حميد سنة ثلاثين ومائة. معرفة القراء ١ / ٩٧ وغاية النهاية ١ / ٢٦٥.

(١٢) ()محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ مكة مع ابن كثير، ثقة، كان له اختيار في القراءة على مذهب العربية، فخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتّباعه، توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة معرفة القراء ١ / ٩٨ وغاية النهاية ١٦٧.

(١٣) ()محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، أبو الحسن ابن شنبوذ البغدادي، شيخ الإقراء بالعراق، أستاذ كبير، أحد من جال في البلاد في طلب القراءات مع الثقة والخير والصلاح والعلم، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. معرفة القراء ٢ / ٢٧٢ وغاية النهاية ٢ / ٥٢.

وثبت موقوفاً على ابن عباس، كما أسند أبو الحسن بن غلبون[(١)] وأبو عمرو الداني[(٢)] وابن الفحام الصقلي[(٣)] وأبو الكرم الشهرزوري[(٤)] وابن الجزري[(٥)]عن مجاهد قال: ختمت على ابن عباس تسع عشرة ختمة، كلها يأمرنيبالتكبير من﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾.

وأسند ابن الفحام وأبو عمرو الداني[(٦)] عن حنظلة بن أبي سفيان[(٧)]قال: قرأت على عكرمة بن خالد المخزومي[(٨)]فلما بلغت ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾قال:هيها، قلت: وماتريد بهيها ؟ قال: كبّر، فإني رأيت مشايخنا ممن قرءوا على ابن عباس يأمرهم بالتكبير إذا بلغوا ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾.

وأسند أبو عمرو الداني[(٩)] عن شبل بن عباد[(١٠)]قال: رأيت محمد بن عبد الرحمن بن محيصن[(١١)]وعبد الله بن كثير القارئ إذا بلغا ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ كبّرا حتى يختما، ويقولان: رأينا مجاهداً يفعل ذلك، وذكر مجاهد أن ابن عباس كان يأمر بذلك.

وقال الحافظ أبو العلاء: " فأما الرواية في ذلك فعن عبد الله بن عباس ومجاهد، قال: وقد روي عن عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان يقول: إذا قرأت القرآن فبلغت بين المفصّل فاحمد الله وكبّر بين كل سورتين، وفي رواية فتابع بين المفصّل في

(١) ()التذكرة ٢ / ٦٦١ ووقع عنده "بضعاً وعشرين ختمة "بدل "تسع عشرة ختمة".
(٢) ()جامع البيان ٤ / ١٧٤٢.
(٣) ()التجريد ص٣٤٦.
(٤) ()المصباح الزاهر ٤ / ١٥٦٣.
(٥) ()النشر ٢ / ٤١٥.
(٦) ()التجريد ص٣٤٥ وجامع البيان ٤ / ١٧٤٣.
(٧) ()حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن الجمحي القرشي، ثقة حجة، روى عن عكرمة، مات سنة ١٥١هـ. التقريب ص١٨٣، غاية ١ / ٢٦٥.
(٨) ()عكرمة بن خالد بن العاص، أبو خالد المخزومي، تابعي ثقة حجة، روى عن أصحاب ابن عباس، عرض عليه حنظلة، مات سنة ١١٥هـ. غاية النهاية١ / ٥١٥.
(٩) ()جامع البيان ٤ / ١٧٤١.
(١٠) ()شبل بن عباد المكي، صاحب ابن كثير ومقرئ أهل مكة، حدث عنه سفيان بن عيينة، ووثقه ابن معين، وحديثه مخرج في صحيح البخاري وسنن أبي داود والنسائي، توفي بعد سنة ثمان وأربعين ومائة. معرفة القراء ١ / ١٢٩.
(١١) ()محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي ولاء مقرئ أهل مكة، ثقة، عرض على مجاهد، مات سنة ١٢٣هـ وأعرض العلماء عن الأخذ بقراءته. غاية النهاية ٢ / ١٦٧.

السور القصار، فاحمد الله تعالى وكبّر بين كل سورتين "[(١)].

وروى الداني وابن الفحام عن عبد الملك بن جريج، عن مجاهد: أنه كان يكبّر من (الضحى) إلى (الحمد) قال ابن جريج: وأرى أن يفعله الرجل إماماً كان أو غير إمام[(٢)].

وقال أبو عمرو الداني: نا أبو الفتح[(٣)] قال: نا عبد الله[(٤)] قال: نا أحمد[(٥)] قال: نا عبد الله[(٦)] قال: نا يعقوب[(٧)] قال: نا الحميدي[(٨)] قال: نا سفيان[(٩)] قال: رأيت حميداً الأعرج يقرأ والناس حوله، فإذا بلغ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ كبّر إذا ختم كل سورة حتى يختم[(١٠)].

وروى الداني بإسناده السابق عن الحميدي قال: سألت سفيان بن عيينة قلت: يا أبا محمد رأيت شيئاً ربما فعله الناس عندنا، يكبر القارئ في شهر رمضان إذا ختم ! فقال: رأيت صدقة بن عبد الله بن كثير[(١١)] يؤم الناس منذ أكثر من سبعين سنة، وكان إذا ختم القرآن كبر[(١٢)].

---

(١) ()ليس في غاية الاختصار له، ونقله أبو شامة في إبراز المعاني ٢ / ٢٨٤ وابن الجزري في النشر ٢ / ٤١٦.

(٢) ()جامع البيان ٤ / ١٧٤٤ والتجريد ص٣٤٥.

(٣) ()أبو الفتح فارس بن أحمد بن موسى بن عمران الحمصي الضرير، نزيل مصر، الأستاذ الكبير الضابط الثقة، قرأ على عبد الباقي بن الحسن وعبد الله بن الحسين وأبي الفرج الشنبوذي وغيرهم، قرأ عليه الحافظ أبو عمرو الداني وقال: لم ألق مثله في حفظه وضبطه، توفي بمصر سنة إحدى وأربعمائة، انظر غاية النهاية ٢ / ٥.

(٤) ()عبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري، مشهور ضابط ثقة مأمون كما قال الداني، واختلط في آخر عمره، ورواية فارس عنه كانت قبل أن يختلط في أيام ضبطه، وحفظه، انظر معرفة القراء ١ / ٣٢٨ وغاية النهاية ١ / ٤١٧.

(٥) ()أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الحافظ الأستاذ، أبو بكر البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبع السبعة، قرأ على عبد الرحمن بن عبدوس عشرين ختمة، وعلى قنبل المكي وغيرهم، وقرأ عليه خلق كثير، وبعد صيته، واشتهر أمره، وفاق نظراءه مع الدين والحفظ والخير، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، انظر غاية النهاية ١ / ١٤٢.

(٦) ()عبد الله بن سليمان بن الأشعث، أبو بكر السجستاني، ابن الإمام أبي داود، مشهور ثقة، روى عن يعقوب،وعنه ابن مجاهد، مات سنة ٣١٠هـ، غاية ١ / ٤٢١.

(٧) ()يعقوب بن سفيان، أبو يوسف الفسوي، روى عن أصحاب ابن أبي حية، وعنه ابن أبي داود، مات سنة ٢٧٧هـ، غاية ٢ / ٣٩٠، قال في التقريب ص٦٠٨: ثقة حافظ.

(٨) ()عبد الله بن الزبير بن عيسى، أبو بكر، إمام ثقة حجة، روى عن ابن عيينة، وعنه يعقوب بن سفيان، مات سنة ٢١٩هـ، التهذيب ٥ / ١٨٩.

(٩) ()أي ابن عيينة.

(١٠) ()جامع البيان ٤ / ١٧٤٥ وأسنده أيضاً ابن غلبون في التذكرة ٢ / ٦٦٢، والذهبي في معرفة القراء ١ / ١٧٧.

(١١) ()صدقة بن عبد الله بن كثير الداري، أبو الهذيل، أخذ القراءة عرضاً عن أبيه، روى عنه الحروف مطرف بن معقل، وسلام بن سليمان، والحارث بن قدامة، غايةالنهاية ١ / ٣٣٦،وذكره ابن حبان في الثقات ٦ / ٤٦٨.

(١٢) ()جامع البيان ٤ / ١٧٤٥ وهذا الأثر يدل على اشتهار أمر التكبير بين الناس في مكة بلا نكير مما يؤكد أن له أصلاً مأثوراً، خاصة وأن المدة طويلة جداً، أكثر من سبعين سنة.

وأسند الداني به أيضاً عن الحميدي أيضاً قال: نا محمد بن عمر بن عيسى أن أباه أخبره أنه قرأ بالناس في شهر رمضان فأمره ابن جريج أن يكبّر من ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ حتى يختم[(١)].

وأسند الداني به أيضاً عن الحميدي قال: سمعت عمر بن عيسى صلى بنا في شهر رمضان يكبّر من ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ وأنكر بعض الناس عليه فقال: أمرني به ابن جريج، فسألنا ابن جريج فقال: أنا أمرته[(٢)].

وقال أبو عمرو الداني: " نا فارس بن أحمد، قال: نا عبد الله، قال: نا أبو الحسن الرقي، قال: أخبرني قنبل، قال: حدثني ابن المقري[(٣)] قال: سمعت ابن الشهيد الحجبي يكبّر خلف المقام في شهر رمضان، قال قنبل: ثم لقيني بعد ذلك فقال ابن الشهيد أو بعض الحجبة أو ابن بقية، قال أبو الحسن: وأخبرني قنبل، قال: حدثني أحمد بن محمد بن عون القواس، قال: سمعت ابن الشهيد يكبر خلف المقام في شهر رمضان، قال قنبل: وأخبرني دكين بن الحصيب مولى الْـجُبَيْرِيِّين[(٤)] قال: سمعت ابن الشهيد الحجبي يكبر خلف المقام في شهر رمضان حتى ختم من ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾"[(٥)].

فهذه السنة – سنة التكبير – مشهورة عند أهل مكة، يتناقلونها عن شيوخهم، لا يعتبرون في ذلك البزي ولا غيره، فهي أثبت عندهم وأشهر من أن تعزى روايتها لفرد.

قال الأهـوازي[(٦)]: " والتكبير عند أهل مكة في آخر القرآن سنة مأثورة،

---

(١) ()المصدر السابق.

(٢) ()المصدر السابق.

(٣) ()محمد بن عبد الله بن يزيد القرشي، أبو يحيى المكي العدوي ولاءً، مولى آل عمر بن الخطاب،ثقة روى عن أبيه، توفي سنة ست وخمسين ومائتين. انظر التقريب ص٤٩٠ وغاية النهاية ٢ / ١٨٨.

(٤) ()نسبة إلى جُبَيْر– والد سعيد – الإمام التابعي، انظر الأنساب ١ / ٢٣، أما دكين فلم أجد له ترجمه.

(٥) ()جامع البيان ٤ / ١٧٤٥.

(٦) ()الحسن بن على بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز، الأستاذ أبو على، شيخ القراء في عصره، وأعلى من بقى في الدنيا إسناداً، إمام كبير محدث، توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة. معرفة القراء ١ / ٤٠٢ وغاية النهاية١ / ٢٢١.

يستعملونه في قراءتهم في الدروس والصلاة "[1].

وقال مكي في التبصرة: " وهي سنة كانت بمكة، ولا يعتبر قراء مكة في التكبير ابن كثير ولا غيره.. "[2].

وقال في الكشف: "تفرد ابن كثير في رواية البزي عنه خاصة بالتكبير... حجته أنها رواية نقلها عن شيوخه من أهل مكة في الختم يجعلون ذلك زيادة في تعظيم الله جل ذكره.."[3].

ونقل الجعبري وابن الجزري عن أبى الطيب عبد المنعم بن غلبون[4] قوله:" وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ عن الصحابة والتابعين، وهي سنة بمكة لا يتركونها ألبتة، ولا يعتبرون رواية البزي ولا غيره "[5].

وروى الداني بإسناده؛ عن موسى بن هارون[6] قال: قال لي البزي: قال لي أبو عبد الله؛ محمد بن إدريس الشافعي: " إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ "[7].

وعن أبي محمد الحسن القرشي[8] قال: " صليت بالناس في المسجد الحرام خلف المقام التراويح، فلما كانت ليلة الختمة كبّرت من خاتمة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ إلى آخر القرآن في الصلاة، فلما سلّمت فإذا بأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي قد صلّى ورائي، فلما أبصرني قال: أحسنت وأصبت السنة "[9].

(١) ()نقله عنه ابن الجزري في النشر ٢ / ٤١٠.

(٢) ()التبصرة ص٧٣٥.

(٣) ()الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٣٩١.

(٤) ()عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون، أبو الطيب الحلبي المقرئ، والد أبي الحسن صاحب التذكرة والتلخيص، أما أبو الطيب فمؤلف (الإرشاد) في القراءات، أستاذ ماهر كبير كامل محرر ضابط ثقة خيّر صالح ديّن، توفي بمصر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة. معرفة القراء ١ / ٧٥٥ وغاية النهاية ١ / ٤٧٠.

(٥) ()كنز المعاني مجلد ٣ / ٨٣٤خ، والنشر ٢ / ٤١١.

(٦) ()موسى بن محمد بن هارون، أبو محمد المكي، روى عن البزي،وهو من جلة أصحابه، وروى عنه ابن الصباح. غاية النهاية ٢ / ٣٢٣.

(٧) ()قال ابن الصباح – وهو الراوي عن موسى –: "ماسمعت هذه الحكاية إلا من طريق موسى بن هارون، وهو ثقة فيما روى "غايةالنهاية ٢ / ٣٢٣،وذكر الأثر الذهبي في معرفة القراء١ / ١٧٦ وابن الجزري في النشر٢ / ٤١.

(٨) ()الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد، أبو محمد المكي، مقرئ متصدر، قرأ على شبل بن عباد عن ابن كثير، وابن محيصن، وحميد بن قيس الأعرج، أم بالمسجد الحرام، وروى عن الشافعي رحمه الله، انظر غاية النهاية ١ / ٢٣٢.

(٩) ()انظر كنز المعاني للجعبري مجلد ٣ / ٨٣٤خ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٦٧٤، وسنن القراء ص٢٢٣.

قال الحافظ ابن كثير بعد إيراده هذا الخبر عقب حديث البزي في التكبير: " وهذا يقتضي صحة هذا الحديث "[1].

وقال الإمام شمس الدين المقدسي: "وهل يكبر لختمة من ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أو ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ آخر كل سورة ؟ قال: فيه روايتان ولم يستحبه شيخنا لقراء الجمهور غير ابن كثير وقيل ويهلل، وعنه لايجوز" قال الشارح الشيخ علاء الدين المرادي تحت قوله: (فيه روايتان):إحداهما: يكبر آخر كل سورة من ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ وهو الصحيح، قال في المغني والشرح: واستحب أبو عبد الله التكبير عند آخر كل سورة من ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى أن يختم،وجزم به ابن رزين في شرحه، وابن حمدان في رعايته الكبرى، وقدمه ابن تميم، والمصنف في آدابه، والرواية الثانية يكبر من أول ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ اختاره المجد.قال المرادي: قد صح هذا وهذا عمن رأى التكبير فالكل حسن، وتحرير النقل عن القراء أنه وقع بينهم اختلاف، فرواه الجمهور من أول ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ أو من آخر ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ على خلاف"[2].

ثم استفاضت هذه السنة واشتهرت لدى القراء في جميع الأمصار، وجرى العمل بها عندهم، بل قرئ بها لجميع القراء كما تقدم، وبهذا استغنت هذه السنة في ثبوتها عن الإسناد.

ومن المقرر أنه إذا كان الخبر ضعيف الإسناد وتلقى أهل العلم معناه بالقبول فإنه لا يضره ضعف إسناده، ويعد عمل العلماء به قرينة قوية على صحته[3].

---

(١) ()٤ / ٥٢١، ويدل كلامه رحمه الله على احتجاجه بهذا الخبر.

(٢) ()الفروع ١ / ٥٥٣، وانظر المغني لابن قدامة ٢ / ١٧٢، والآداب الشرعية ٢ / ٢٩٥.

(٣) ()قال الخطيب البغدادي عند كلامه على حديث معاذ في القضاء: " إن أهل العلم قد تلقوه واحتجوا به فوقفنا بذلك على صحته عندهم كما وقفنا في صحة قول رسول الله ﷺ (لا وصية لوارث) وقوله في البحر (هو الطهور ماؤه) وقوله (إذا اختلفت المتبايعان في الثمن والسلعة قائمة تحالفا وترادا البيع) وقوله (الدية على العاقلة) وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد، ولكن لما تلقتها الكافة عن الكافة غَنُوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد.. " الفقيه والمتفقه١ / ١٨٩.

وهنا في مسألة التكبير كذلك، مع أن التكبير ثابت موقوفاً على ابن عباس، ولو لم يرد فيه إلا هذا لكفى، فكيف وقد رواه التابعون بمكة عن النبي ﷺ كما تدل عليه كلمة الإمام الشافعي، ولذلك استدل الحافظ ابن كثير في تفسيره على صحة هذه السنة بعمل أهل مكة، وكلمة الإمام الشافعي.

قال أبو محمد سبط الخياط: "وحكى شيخناالشريف عن الإمام أبي عبد الله الكارزيني أنه كان إذا قرأ القرآن في درسه على نفسه وبلغ إلى ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ كبر لكل قارئ قرأ له،فكان يبكي ويقول: ما أحسنها من سنة لولا أني لا أحب مخالفة سنة النقل لكنت أخذت على كل من قرأ عليّ بروايةٍ بالتكبير،لكن القراءة سنة تتبع ولا تبتدع"[(١)].

وقال ابن الجزري: " اعلم أن التكبير صح عند أهل مكة، قرائهم وعلمائهم وأئمتهم، ومن روى عنهم، صحة استفاضت واشتهرت وذاعت وانتشرت، حتى بلغت حد التواتر... وقد صار على هذا العمل عند أهل الأمصار في سائر الأقطار، عند ختمهم في المحافل واجتماعهم في المجالس لدى الأماثل، وكثير منهم يقوم به في صلاة رمضان، ولا يتركه عند الختم على أي حال كان "[(٢)].

وأما بقية القراء العشرة غير ابن كثير فالجمهور على عدم التكبير لهم، وإن أخذ بعض الأئمة بالتكبير لهم أو لبعضهم، فقد نص العلماء على ثبوت التكبير عن ابن كثير من رواية البزي دون بقية القراء العشرة، مع إشارتهم إلى أن بعض الأئمة أخذوا به في قراءة غيره[(٣)].

(١) ()المبهج ٢ / ٨٨٨.

(٢) ()النشر ٢ / ٤١٠.

(٣) ()انظر النشر ٢ / ٤١٠ وما بعدها، وإيضاح الرموز ص٧٣٨ وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٦٤١ ولطائف الإشارات ١ / ٣٢٣.

قال مكي بن أبي طالب: " وروي أن أهل مكة كانوا يكبرون في آخر كل ختمة من خاتمة والضحى لكل القراء لابن كثير وغيره، سنة نقلوها عن شيوخهم، لكن الذي عليه العمل عند القراء أن يكبر في قراءة البزي عن ابن كثير خاصّة، وبذلك قرأت "[1].

وقال الصفاقسي: "وأجمعأهلالأداءعلىالأخذبهللبزي،واختلفوافيالأخذبهلقنبل،والجمهورمنالمغاربةعلىتركهلهكسائرالقراء.. "[2].

وفي مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: " وأما التكبير في آخر كل سورة، من سورة الضحى إلى آخر القرآن ففيه خلاف، ولم يستحبه الشيخ تقي الدين – ابن تيمية – إلا لمن يقرأ بقراءة ابن كثير "[3].

(١) ()الكشف ٢ / ٣٩٢.

(٢) ()غيث النفع ٣ / ١٢٨٧.

(٣) ()٢ / ٤٠ وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٤١٧-٤١٨.

المبحث الخامس:

حكم التكبير داخل الصلاة وخارجها

من خلال النصوص الواردة في المبحث السابق يتبين لنا أن التكبير سنة ثابتة عن النبي ﷺ، كما ثبت عن ابن عباس ومجاهد وحميد الأعرج وابن جريج وغيرهم.

ويؤكد ذلك قول الإمام الشافعي: " إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ "[(١)].

والتكبير سنة مروية عند أهل مكة، واشتهروا به عن غيرهم، وإن حكاه بعضهم لغيرهم، وقد نص على استحبابه في قراءة المكيين خاصة جمع من الأئمة، ومن تلك الأقوال:

قول الإمام البغوي: " والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبّر من أول سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ على رأس كل سورة حتى يختم القرآن "[(٢)].

وقول الأهوازي: " والتكبير عند أهل مكة في آخر القرآن سنة مأثورة، يستعملونه في قراءتهم في الدروس والصلاة "[(٣)].

وقول مكي: " وهي سنة كانت بمكة، ولا يعتبر قراء مكة في التكبير ابن كثير ولا غيره.. "[(٤)].

وقول أبي الطيب بن غلبون: " وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ عن الصحابة والتابعين، وهي سنة بمكة لا يتركونها ألبتة، ولا يعتبرون رواية البزي ولا غيره "[(٥)].

---

(١) ()غاية النهاية ٢ / ٣٢٣ ومعرفة القراء١ / ١٧٦ والنشر٢ / ٤١٥.

(٢) ()معالم التنزيل ٨ / ٤٥٩.

(٣) ()نقله عنه ابن الجزري في النشر ٢ / ٤١٠.

(٤) ()التبصرة ص٧٣٥.

(٥) ()انظر كنز المعاني للجعبري مجلد ٣ / ٨٣٤خ، والنشر ٢ / ٤١١.

ونص عليه أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى[(١)] والزركشي في البرهان[(٢)] والسيوطي في الإتقان[(٣)].

ونصوا على أن فعل التكبير إنما هو على سبيل الاستحباب، ولم يقل أحد بوجوبه، فهو سنة كسائر السنن.

قال أبو الفتح فارس بن أحمد: "لا نقول إنه لا بد لمن ختم أن يفعله، لكن من فعله فحسن، ومن لم يفعله فلا حرج عليه، وهو سنة مأثورة عن رسول الله وعن الصحابة والتابعين"[(٤)].

وقال الإمام القرطبي: " يكبر القارئ في رواية البزي عن ابن كثير... ولا يكبر في قراءة الباقين، لأنها ذريعة إلى الزيادة في القرآن، قلت: القرآن ثبت نقلاً متواتراً، سوره وآياته وحروفه، لا زيادة فيه ولا نقصان، فالتكبير على هذا ليس بقرآن، فإذا كان (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) المكتوب في المصحف بخط المصحف ليس بقرآن، فكيف بالتكبير الذي هو ليس بمكتوب، أما إنه ثبت سنةً بنقل الآحاد، فاستحبّه ابن كثير، لا أنه أوجبه، فخطَّأ من تركه.. "[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ولم ينقل أحد من أئمة الدين أن التكبير واجب، وإنما غاية من يقرأ بحرف ابن كثير أن يقول إنه مستحب.. "[(٦)].

وسنة التكبير عند الختم ثابتة في كل حال سواء كان القارئ منفرداً أم بحضرة آخرين، وسواء كان في الصلاة أو خارجها.

---

(١) ()مجموع الفتاوى ١٣ / ٤١٧.
(٢) ()البرهان ٢ / ١٠٣.
(٣) ()الإتقان ١ / ٣١١.
(٤) ()انظر النشر ٢ / ٤٤٩.
(٥) ()الجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ٣٥٢.
(٦) ()مجموع الفتاوى ١٣ / ٤١٩.

لِمَا تقدم عن ابن جريج، عن مجاهد: أنه كان يكبّر من (الضحى) إلى (الحمد) وقول ابن جريج: وأرى أن يفعله الرجل إماماً كان أو غير إمام[(١)].

وعن الحميدي قال: سألت سفيان بن عيينة قلت: يا أبا محمد رأيت شيئاً ربما فعله الناس عندنا، يكبر القارئ في شهر رمضان إذا ختم ! فقال: رأيت صدقة بن عبد الله بن كثير يؤم الناس منذ أكثر من سبعين سنة، وكان إذا ختم القرآن كبر[(٢)].

ولِمَا تقدم من قول قنبل: حدثني ابن المقري قال: سمعت ابن الشهيد الحجبي يكبّر خلف المقام في شهر رمضان، وقول قنبل: وأخبرني دكين بن الحصيب مولى الجبيريين قال سمعت ابن الشهيد الحجبي يكبر خلف المقام في شهر رمضان حتى يختم من ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[(٣)].

وقول أبي محمد الحسن القرشي: " صليت بالناس في المسجد الحرام خلف المقام التراويح، فلما كانت ليلة الختمة كبّرت من خاتمة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى آخر القرآن في الصلاة، فلما سلّمت فإذا بأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي قد صلّى ورائي، فلما أبصرني قال: أحسنت وأصبت السنة"[(٤)].

قال ابن الجزري: "ولما من الله تعالى عليّ بالمجاورة بمكة؛ودخل شهر رمضان؛ فلم أر أحداً ممن صلى التراويح بالمسجد الحرام إلا يكبر من الضحى عند الختم، فعلمت أنها سنة باقية فيهم إلى اليوم، والله أعلم"[(٥)].

(١) ()جامع البيان ٤ / ١٧٤٤ والتجريد ص٣٤٥.

(٢) ()جامع البيان ٤ / ١٧٤٥ وفيه دلالة على اشتهار التكبير – في الصلاة – بين الناس في مكة هذه المدة الطويلة، أكثر من سبعين سنة، لثبوته سنة عندهم.

(٣) ()جامع البيان ٤ / ١٧٤٦.

(٤) ()انظر كنز المعاني للجعبري مجلد ٣ / ٨٣٤خ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٦٧٤، وسنن القراء ص٢٢٣.

(٥) ()النشر ٢ / ٤٢٨.

وقال أيضاً:"بلغنا عن شيخ الشافعية وزاهدهم وورعهم في عصرنا الإمام العلامة الخطيب أبي الثناء محمود بن محمد بن جملة، الإمام والخطيب بالجامع الأموي بدمشق، الذي لم ترعيناي مثله، رحمه الله، أنه كان يفتى به، وربما عمل به في التراويح في شهر رمضان "((١)).

وقال أيضاً: "ورأيت أنا غير واحد من شيوخنا يعمل به، ويأمر من يعمل به في صلاةالتراويح، وفي الإحياء في ليالي رمضان، حتى كان بعضهم إذا وصل في الإحياء إلى (الضحى) قام بما بقى من القرآن في ركعة واحدة يكبر إثر كل سورة، فإذا انتهي إلى﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾كبّر في آخرها ثم يكبر ثانياً للركوع... وفعلت أنا كذلك مرات لما كنت أقوم بالإحياء إماماً بدمشق ومصر.. "((٢)).

وممن أفتى بسنة التكبير خاتمة المحققين في المذهب الشافعي ابن حجر الهيتمي، فقد سئلرحمه الله: "هل ورد حديث صحيح في مشروعية التكبير أواخر قصار السور.

فأجابرحمه الله: حديث التكبير ورد من طرق كثيرة عن أحمد بن محمد بن أبي بزة - وذكر حديث البزي في التكبير الذي أخرجه الحاكم في مستدركه - ثم قال: وقديعارضه تضعيف أبي حاتم والعقيلي للبزي، ويجاب: بأن هذا التضعيف غير مقبول، فقد رواه عن البزي الأئمة الثقات وكفاه فخراً قول إمامنا الشافعي للبزي: إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ،وقال ابن كثير: وهذا يقتضي صحة الحديث.

(١) ()النشر ٢ / ٤٢٧.

(٢) ()الإحالة السابقة.

ومما يقتضي صحته أيضاً أن أحمد بن حنبل رواه عن أبي بكر الأعين، وكان أحمد يجتنب المنكرات، فلو كان منكراً مارواه، وقد صح عند أهل مكة فقاءهم، وعلماءهم، ومن روى عنهم، وصحته استفاضت وانتشرت حتى بلغت حد التواتر.

وسئل رحمه الله: التكبير عند ختم القرآن أواخر السور في الصلاة هل هو سنة.

فأجاب: نعم هو سنة في الصلاة، كما نص عليه الشافعي، وشيخه سفيان بن عيينة وابن جريج وغيرهم، ونقله جماعة من أئمتنا المتأخرين كأبي شامة والسخاوي والجعبري وابن جملة خطيب المسجد الأموي. وناهيك بأبي شامة الذي قال عنه التاج الفزاري: عجبت له كيف قلد الشافعي ؟ وأفتوا به من يعمل به في صلاة التراويح، وردوا على من أنكر ذلك..."[1].

وسئل أيضاً عن استحباب التكبير من سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى الآخر، هل هو مختص بمن يختم القرآن من أوله إلى آخره، أو عام فيمن ابتدأ القراءة منها أو مما قبلها؟.

فأجاب بقوله: "الذي حكاه الزركشي عن الحليمي والبيهقي وابن الجزري في النشر عن طوائف من السلف وجمع من متأخري الشافعية، وأطال فيه أن من سنن القراءة التكبير في آخر سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى أن يختم، وهي قراءة أهل مكة، أخذها ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس رضي اللهعنهما عن النبي ﷺ، ورواه ابن خزيمة، وروى الحاكم في المستدرك نحوه وصححه.

قال الحافظ ابن كثير: وقول الشافعي رحمه الله: إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ يقتضي تصحيحه لهذا الحديث.

(١) الفتاوى الحديثية ص٢٢٤.

إذاتقرر ذلك علم منه أن التكبير يقيد بتلك السورة سواء أَقَرَأَ قبلها شيئاً أم لا.

قلت: لم يبق هناك إشكال بأن التكبير وارد عن الإمام الشافعي، وقد ذكر ابن حجر الهيتمي أن سنة التكبير حكاها الزركشي والحليمي والبيهقي، وهؤلاء من كبار الشافعية، وقد ذكره البيهقي فيكتابه شعب الإيمان، وناهيك بالإمام الكبير البيهقي، الذي قال عنه إمام الحرمين: مامن شافعي إلا وللشافعي عليه منة، إلا أبا بكر البيهقي فإن له منة على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه... "[1].

وبسنية التكبير يقول الحنابلة، وهو سنة عندهم ، واستدلوا برواية أحمد بن حنبل عن أبي بكر الأعين عن البزي.

قال موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة في المقدسي: "واستحسن أبو بكر التكبير عند آخر كل سورة من الضحى إلى آخر القرآن، لأنه روي عن أبيِّ بن كعب أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك رواه القاضي في الجامع بإسناده "[2].

وقال شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي: "واستحسن أبو عبد الله التكبير عند آخر كل سورة من سورة الضحى إلى آخر القرآن، لأنه يروى عن أبي بن كعب أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك، رواه القاضي بإسناده في الجامع "[3].

وقال شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي: "وهل يكبر لختمه من الضحى أو﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ آخر كل سورة ؟ فيه روايتان، ولم يستحبه شيخنا، لقراءة غير ابن كثير، وقيل ويهلل "[4].

(١) الفتاوى الكبرى ١ / ٥٢.
(٢) المغني ٣ / ٣٩٩.
(٣) الشرح الكبير ١ / ٧٥٦.
(٤) الفروع ٢ / ٣٨٣.

وقال المرداوي عند شرح قوله هذا:" قوله: وهل يكبر لختمه من ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أو﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾ آخر كل سورة ؟ فيه روايتان" انتهى، إحداهما: يكبر آخر كل سورة من الضحى، وهو الصحيح، قال في المغني والشرح: واستحسن أبو عبد الله التكبير عند آخر كل سورة من الضحى إلى أن يختم، وجزم به ابن رَزِين في شرحه، وابن حمدان في رعايته الكبرى، وقدمه ابن تميم، والمصنف في آدابه.

والرواية الثانية: يكبر من أول ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾اختاره المجد، قلت[(١)]: قد صح هذا وهذا عمن رأى التكبير، فالكل حسن، وتحرير النقل عن القراء أنه وقع بينهم اختلاف، فرواه الجمهور من أول ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾ أو من آخر الضحى على خلاف مبناه هل التكبير لأول السورة أو لآخرها ؟ على قولين كبيرين عندهم... "[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "نعم إذا قرأوا بغير حرف ابن كثير كان تركهم لذلك هو الأفضل، بل المشروع المسنون، فإن هؤلاء الأئمة من القراء لم يكونوا يكبرون لا في أوائل السور ولا في أواخرها.

فإنجاز لقائل أن يقول: إن ابن كثير نقل التكبير عن رسول الله ﷺ، جاز لغيره أن يقول: إن هؤلاء نقلوا تركه عن رسول الله ﷺإذ من الممتنع أن قراءة الجمهور التي نقلها أكثر منقراءة ابن كثير قد أضاعوا فيها ما أمرهم به رسول الله ﷺ، فإن أهل التواتر لايجوز عليهم كتمان ما تتوفر الهمم والدواعي إلى حفظه، فمن جوز على جماهير القراء أن رسول الله ﷺأقرأهم بتكبير زائد فعصوا لأمر رسول الله ﷺ، وتركوا ما أمرهم به استحق العقوبة البليغة التي تردعه وأمثاله عن مثل ذلك.

---

(١) ()القائل علاء الدين المرداوي.

(٢) ()تصحيح الفروع ٢ / ٣٨٣.

وأبلغمن ذلك البسملة، فإن من القراء من يفصل بها ومنهم من لايفصل بها، وهي مكتوبة في المصاحف ثم الذين يقرؤون بحرف من لا يبسمل، لايبسملون، ولهذا لاينكر عليهم ترك البسملة إخوانهم من القراء الذين يبسملون، فكيف ينكر ترك التكبير على من يقرأ قراءة الجمهور، وليس التكبير مكتوباً في المصاحف، وليس هو من القرآن باتفاق المسلمين.

ومنظن أن التكبير من القرآن فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وأما التكبير فمن قال: إنه من القرآن فإنه ضال باتفاق الأئمة، والواجب أن يستتاب وإلا قتل، فكيف ينكر على من تركه، ومن جعل تارك التكبير مبتدعاً أو مخالفاً للسنة أو عاصياً فإنه إلى الكفر أقرب.

ولوقدر أن النبي ﷺأمر بالتكبير لبعض من أقرأه كان غاية ذلك يدل على جوازه أو استحبابه. فإنه لو كان واجباً لما أهمله جمهور القراء، ولم يتفق أئمة المسلمين على عدم وجوبه، ولم ينقل أحد من أئمة الدين أن التكبير واجب، وإنما غاية من يقرأ بحرف ابن كثير أنه يقول: إنه مستحب،وهذا خلاف البسملة، فإن قراءتها واجبة عند من يجعلها من القرآن، ومع هذا فالقراء يسوغون ترك قراءتها لمن لم ير الفصل بها، فكذلك يسوغ ترك التكبير لمن ليس داخلاً في قراءته"((١)).

(١) ()في مجموع الفتاوى ١٣ / ٤١٧.

فابن تيمية رحمه الله لاينكر التكبير، وإنما يقرر أنه ليس قرآناً، وأن التكبير سنة لكن عند من يقرأ بحرف ابن كثير، وأن الأفضل للإنسان إذا قرأ بغير حرف ابن كثير أن لايكبر، وأن التكبير ليس واجباً، وهذا كله باتفاق القراء.

فالتكبير صحيح ثابت عن أهل مكة في الصلاة وغيرها، كما روى البزي عن ابن كثير المكي رحمهم الله جميعاً.

قال ابن الجزري: "فقد ثبت التكبير في الصلاة عن أهل مكة فقهائهم وقرائهم وناهيك بالإمام الشافعي وسفيان بن عيينة وابن جريج وابن كثير وغيرهم"((١)).

(١) ()النشر ٢ / ٤٢٦.

المبحث السادس:

الأحكام المتعلقة بالتكبير في التلاوة

أولاً: أوجه التكبير بين السورتين:

للتكبير ثمانية أوجه بين كل سورتين من سور الختم، وهي إجمالاً:

١- قطع التكبير عن آخر السورة، ووصله بالبسملة مع الوقف عليها، ثم الابتداء بأول السورة التالية.

٢- قطعه عن آخر السورة، ووصله بالبسملة مع وصل البسملة بأول السورة التالية.

٣- وصل آخر السورة بالتكبير مع الوقف عليه، ثم الإتيان بالبسملة مع الوقف عليها، ثم الابتداء بأول السورة.

٤- وصل آخر السورة بالتكبير مع الوقف عليه، ثم الإتيان بالبسملة مع وصلها أول السورة.

٥- قطع الجميع، أي الوقف على آخر السورة، وعلى التكبير، وعلى البسملة، ثم الإتيان بأول السورة التالية.

٦- الوقف على آخر السورة، وعلى التكبير، ووصل البسملة بأول السورة التالية.

٧- وصل الجميع، أي وصل آخر السورة بالتكبير مع وصل التكبير بالبسملة ومع وصل البسملة بأول السورة التالية.

٨- وصل التكبير بآخر السورة موصولاً بالبسملة مع الوقف عليها.

والجائز من هذه الأوجه سبعة، ويمتنع منها وجه واحد، وهو الوجه الثامن، وإنما منع لأن فيه إيهاماً بأن البسملة لآخر السورة لا لأولها، والبسملة ليست لأواخر السور بل لأوائلها، فلا يجوز اتصالها بالأواخر وانفصالها عن الأوائل.

قال ابن الجزري في الطيبة[1]:

وَامْنَعْ عَلَى الرَّحِيمِ وَقْفاً إِنْ تَصِلْ كُلّاً وَغَيْرَ ذَا أَجِـــزْ مَا يَحْتَمِلْ

وهذه الأوجه السبعة تجوز بين سور الختم بدءاً من بين الضحى و ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾وبين ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ والتين وهكذا إلى الفلق والناس، أما بين الليل والضحى فيجوز خمسة أوجه فقط، ويمتنع الوجهان اللذان لآخر السورة، إذ لا قائل بأن التكبير لآخر الليل.

وأما بين الناس والحمد فيجوز خمسة أوجه أيضاً فقط، ويمتنع الوجهان اللذان لأول السورة، إذ لا قائل بأن التكبير لأول الفاتحة[2].

وتنقسم هذه الأوجه السبعة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: على تقدير أن يكون التكبير لأول السورة، وهو وجهان:

الأول: قطع التكبير عن آخر السورة، ووصله بالبسملة مع الوقف عليها، ثم الابتداء بأول السورة التالية.

الثاني: قطعه عن آخر السورة، ووصله بالبسملة مع وصل البسملة بأول السورة التالية.

القسم الثاني: على تقدير أن يكون التكبير لآخر السورة، وهو وجهان:

الأول: وصل آخر السورة بالتكبير مع الوقف عليه، ثم الإتيان بالبسملة مع الوقف عليها، ثم الابتداء بأول السورة.

الثاني: وصل آخر السورة بالتكبير مع الوقف عليه، ثم الإتيان بالبسملة مع وصلها بأول السورة.

(١) ()طيبة النشر ص١٠٢.

(٢) ()انظر غيث النفع ٣/ ١٢٩٦.

القسم الثالث: ما يحتمل التقديرين، وهو ثلاثة أوجه:

الأول: قطع الجميع، أي الوقف على آخر السورة، وعلى التكبير، وعلى البسملة، ثم الإتيان بأول السورة التالية.

الثاني: الوقف على آخر السورة، وعلى التكبير، ووصل البسملة بأول السورة التالية.

الثالث: وصل الجميع، أي وصل آخر السورة بالتكبير مع وصل التكبير بالبسملة ومع وصل البسملة بأول السورة التالية.

وسميت هذه الأوجه الثلاثة محتملة لاحتمالها حصول التكبير لأول السورة وآخرها.

وهذه الأوجه السبعة جائزة بين كل سورتين من سور الختم، أي بين الضحى و ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ وبين ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ والتين، وهكذا إلى الفلق والناس، وأما بين الليل والضحى فيجوز خمسة أوجه فقط ويمتنع الوجهان اللذان لآخر السورة، إذ لا قائل بأن ابتداءالتكبير من آخر الليل كما سبق.

وأما بين الناس والفاتحة فيجوز خمسة أوجه فقط ويمتنع الوجهان اللذان لأول السورة إذ لا قائل بأن انتهاء التكبير أول الفاتحة، والله أعلم.

ولا يجب الإتيان بجميع وجوه التكبير بين كل سورتين، فليس الاختلاف في هذه الأوجه السبعة اختلاف رواية، بل هو اختلاف تخيير، فيكفي الإتيان ببعض الوجوه، ولو واحداً منها، ولايعد ذلك إخلالاًبالرواية.

لكن إذا قصد القارئ جمع الطرق تعين عليه الإتيان بوجه مما يختص بكونه لآخر السورة، وبوجه مما يختص بكونه لأولها، وبوجه من الأوجه الثلاثة المحتملة؛ إذ الاختلاف في ذلك اختلاف رواية[(١)].

(١) () انظر النشر ٢ / ٤٣١-٤٣٦ والبدور الزاهرة للنشار ٤ / ٢٨٧ والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٥٠.

وإذا قرأ القارئ بالتكبير وحده أو مع التهليل أو مع التهليل والتحميد وأراد قطع القراءة على آخر سورة من سور التكبير فعلى مذهب من جعل التكبير لآخر السورة يأتي بالتكبير موصولاً بآخر السورة ويقف عليه ويقطع القراءة.

وإذا أراد قراءة سورة أخرى من سور الختم يأتي بالبسملة من غير تكبير، وعلى مذهب من جعل التكبير لأول السورة يقطع على آخر السورة من غير تكبير، فإذا أراد قراءة سورة أخرى من سور الختم أتى بالتكبير موصولاً بالبسملة، فالتكبير لابد منه إما لآخر السورة وإما لأولها[(١)].

ثانياً: الترتيب بين التهليل والتكبير والتحميد:

إذا جمع القارئ بين التهليل والتكبير والتحميد وجب الترتيب بينها، فيبدأ بالتهليل، ويثني بالتكبير، ويثلث بالتحميد، فيقول (لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد).

كما يجب وصل بعضها ببعض وتكون بمثابة جملة واحدة، فلا يصح الوقف على التهليل ولا على التكبير، وأيضاً يجب تقديم ذلك كله على البسملة، وقد ثبت ذلك رواية وصح أداءً.

ويجوز التهليل مع التكبير من غير تحميد، فيقول (لا إله إلا الله والله أكبر) ولا يجوز التحميد مع التكبير من غير تهليل، فلا يقول (الله أكبر ولله الحمد) بل إذا أتى بالتحميد مع التكبير تعين الإتيان بالتهليل معهما، فيقول (لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد)[(٢)].

(١) () انظر البدور الزاهرة للقاضي ص٣٥٣.

(٢) () انظر النشر ٢ / ٤٣٦ والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٥٢.

ثالثاً: حكم آخر السورة حين وصله بالتكبير والتهليل:

إذا وصل التكبير بآخر السورة، فإذا كان آخر السورة ساكناً نحو﴿ فَٱرۡغَب ﴾[الشرح] وجب كسره تخلصاً من التقاء الساكنين، وكذلك إذاكان منوناًوجب كسر تنوينه، سواء أكان مرفوعاً نحو﴿ حَامِيَةٌ ﴾[القارعة] أم منصوباً نحو ﴿ تَوَّابًا ﴾[النصر] أم مجروراً نحو﴿ مَّأۡكُولٍ ﴾[الفيل]فإذا كان متحركاً غير منون وجب إبقاؤه على حاله نحو ﴿ بِٱلصَّبۡرِ ﴾[العصر]﴿ ٱلۡمَاعُونَ ﴾[الماعون]﴿ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾[الكوثر].

وإذا كان آخر السورة هاء ضمير موصولة بواو لفظية وجب حذف واو الصلة للساكنين، نحو﴿ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾[البينة].

ولا يخفى أن همزة لفظ الجلالة همزة وصل تثبت في الابتداء وتسقط في الدرج، كما لا يخفى أن لام لفظ الجلالة ترقق إذا وقعت بعد كسرة، وتفخم إذا وقعت بعد ضمة أو فتحة.

أما إذا وصل التهليل بآخر السورة فإن آخر السورة يجب إبقاؤه على حاله سواء أكان ساكناً أم متحركاً إلا إذاكان منوناً فحينئذ يجب إدغام تنوينه في اللام.

ويجوز في المد المنفصل في (لا إله إلا الله) القصر والتوسط لكل من البزي وقنبل وإنما جاز فيه التوسط باعتباركون التهليل ذكراً أو للتعظيم وإنكان التوسط للتعظيم لم يثبت من طريق التيسير والشاطبية، بل ثبت من طرق النشر[(١)].

رابعاً: أوجه الاستعاذة مع التكبير:

للبزي حال البدء بأي سورة من سور الختم أربعون وجها، وبيانها كالآتي:

الأول:قطع الجميع: أي الوقف على الاستعاذة، وعلى التكبير، وعلى البسملة،

(١) () انظر جامع البيان ٤ / ١٧٥٤ والنشر ٢ / ٤٣٨ والبدور الزاهرة للنشار ٤ / ٢٨٨.

والابتداء بأول السورة.

الثاني: الوقف على الاستعاذة، وعلى التكبير، مع وصل البسملة بأول السورة.

الثالث: الوقف على الاستعاذة، ووصل التكبير بالبسملة مع الوقف عليها.

الرابع: الوقف على الاستعاذة، ووصل التكبير بالبسملة مع وصل البسملة بأول السورة.

الخامس: وصل الاستعاذة بالتكبير مع الوقف عليه، وعلى البسملة، والابتداء بأول السورة.

السادس: وصل الاستعاذة بالتكبير مع الوقف عليه، ثم وصل البسملة بأول السورة.

السابع: وصل الاستعاذة بالتكبير ووصل التكبير بالبسملة مع الوقف عليها، والابتداء بأول السورة.

الثامن: وصل الجميع، أي وصل الاستعاذة بالتكبير ووصل التكبير بالبسملة ووصل البسملة بأول السورة.

وهذه الأوجه الثمانية تأتي على التكبير وحده، وعليه مع التهليل، مقصوراً وموسطاً، من غير تحميد، وعليه مع التهليل، مقصوراً وموسطاً، مع التحميد، فيكون مجموع الأوجه أربعين وجهاً.

وأما قنبل فله على القول بثبوت التكبير عنه أربعة وعشرون وجهاً، وهي الثمانية المذكورة على التكبير وحده، وعليه مع التهليل، مقصوراً وموسطاً، فالجملة أربعة وعشرون وجهاً.

وله على القول بعدم التكبير أوجه الاستعاذة الأربعة، وهي معلومة مشهورة، فيكون مجموع الأوجه له ثمانيةً وعشرين وجهاً على كلا القولين[1].

(١) انظر غيث النفع ٣/ ١٣٣٧ والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٥٤.

الخاتمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد:

فلما يسر الله إتمام هذا البحث، حول سنة التكبير بين السور عند ختم القرآن، والمرويات الواردة فيها عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وأقوال الأئمة في إثباتها ، فإنه يتجلى للناظر جملة أمور هامة أوجزها فيما يلي:

١- عدالة أئمة القراءة، ووثاقتهم في أمر إقراء القرآن الكريم - حتى من كان منهم مشهوراً بالضعف في علم الحديث - مما لا يدع مجالاً للطعن في نقلهم للقرآن الكريم، ومنهم الإمام البزي رحمه الله.

٢- جلالة قدر الإمام البزي، ومكانته بين علماء القراءة، ومكانة قراءته وتواترها، حيث أثنى العلماء عليه، وبينوا أنه إمام في القراءة ثبت فيها.

٣- ثبوت سنة التكبير عن ابن كثير المكي، حيث ثبت نقله عنه من رواية البزي، واشتهر عند طائفة من رواية قنبل أيضاً، بل نص العلماء على أنه سنة عند أهل مكة عامة غير مختص بالبزي ولا غيره.

٤- أن ما ورد عن بعض المحدِّثين من تضعيف للبزي، لا يلزم منه ضعفه في كل ما يروى، ولا يطعن ذلك في نقله للقرآن وما يتعلق به، ومن ذلك التكبير الذي هو ألصق ما يكون بقراءة القرآن بل هو منقول في ثنايا القراءة وبين السور.

٥- أن العلماء قد اعتنوا بالتكبير فذكروه في مؤلفاتهم الجامعة، وألفوا فيه مؤلفات ورسائل مستقلة، وقفت في هذا البحث على جملة منها.

وبعد فهذا ما يسر الله تعالى تقييده في ختام هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وله الفضل والمنة، وما كان فيه من خطأ أو خلل فمن عجزي وتقصيري، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع:

إبراز المعاني من حرز الأماني: لأبي شامة، تحقيق محمود عبد الخالق جادو، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الأولى ١٤١٣هـ.

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى (منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات): لأحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق الدكتور: شعبان محمد إسماعيل، طبعة عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٧ه١٩٨٧م.

الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية ببيروت، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: لابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤١٢هـ.

الآداب الشرعية: لابن مفلح، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٦م.

إرشاد البصير إلى سنية التكبير عن البشير النذير: لأحمد الزعبي الحسيني، طبعة دار الإمام مسلم ببيروت، الأولى ١٤٠٩هـ١٩٨٨م.

إرشاد المبتدئ وتذكره المنتهي في القراءات العشر: لأبي العز القلانسي، تحقيق: عمر ابن حمدان الكبيسي، طبعة المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة، الأولى ١٤٠٤-١٩٨٤م.

إرشاد المريد إلى مقصود القصيد: لعلى بن محمد الضباع، طبعة مكتبة محمد صبيح، الأزهر.

الإقناع في القراءات السبع: لابن الباذش، تحقيق: د.عبد المجيد قطامش، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الأولى١٤٠٣هـ.

الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات: للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه١٩٩٩م.

إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة، لشمس الدين محمد بن خليل القباقبي، تحقيق: د. أحمد خالد شكري، طبعة دار عمار بعمان، الأردن، الأولى ١٤٢٤ه٢٠٠٣م.

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: للنشار، تحقيق: أ.د. أحمد عيسى المعصراوي، طبعة الهيئة القطرية للأوقاف، الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: للشيخ عبد الفتاح القاضي، طبعة مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولى ١٤٠٤ه.

بستان الهداة في اختلاف الأئمة والرواة: لابن الجندي، تحقيق حسين بن محمد العواجي، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية.

تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ:للخطيب البغدادي،طبعة دار الفكر للطباعة والنشر.

التبصرة في القراءات السبع: لمكي بن أبي طالب،تحقيق: د.محمد غوث الندوي، طبعة الدار السلفية بالهند، الثانية ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

التجريد لبغية المريد في القراءات السبع: لابن الفحام، تحقيق: د.ضاري إبراهيم الدوري، طبعة دار عمار بعَمَّان، الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م.

تدريب الراوي: للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، طبعة الدار السلفية بباكستان.

تذكرة الحفاظ: للذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

التذكرة في القراءات الثمان: لطاهر بن غلبون، تحقيق: أيمن رشدي سويد، نشر جماعة تحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

تصحيح الفروع: لعلي بن سليمان المرداوي، تحقيق: عبد اللهبن عبد المحسن التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد على شاهين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، الأولى ١٤١٧هـ.

تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، طبعة مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.

تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، طبعة دار الوطن بالرياض، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

تفسير اللباب لابن عادل الحنبلي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، طبعة دار المعرفة ببيروت.

تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع: لابن بليمة،تحقيق: حمزة حاكمي، طبعة مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

التلخيص في القراءات الثمان: لأبي معشر الطبري، تحقيق: محمد حسن عقيل موسى طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة.

تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الكتابالإسلامي لإحياء ونشر التراث الإسلامي بالقاهرة، بدون تاريخ.
التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني، تصحيح: اوتويرتزل، طبعة مكتبة الجعفي التبريزي بطهران، بدون تاريخ.
جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري، طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الثالثة ١٣٨٨هـ.
جامع البيان في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني، مجموعة رسائل جامعية، طبعة مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.
الجامع الصحيح (صحيح البخاري): للإمام البخاري، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، تحقيق: د. عبد الله التركي، طبعة مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٧ه٢٠٠٦م.
الجرح والتعديل: للرازي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند / الأولى ١٣٧١هـ.
جمال القراء وكمال الإقراء: لعلم الدين السخاوي، تحقيق: د.علي حسين البواب، طبعة مكتبة التراث بمكة المكرمة الأولى ١٤٠٨هـ.
حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: للشاطبي، ضبط ومراجعة: محمد تميم الزعبي، طبعة مكتبة دار المطبوعات الحديثة، الثانية ١٤١٠ هـ.
الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الأولى ١٣١١هـ١٩٩٠م.

رسالة في التكبير: للشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولي، مطبوع ملحقاً في آخر كتابه: (إتحاف الأنام وإسعاف الأفهام بشرح توضيح المقام في وقف حمزة وهشام) بتصحيح الشيخ: عبد الفتاح القاضي، طبعة المكتبة المحمودية التجارية (محمود علي صبيح وأولاده).

الرسالة: للإمام الشافعي، تحقيق أحمد محد شاكر، طبعة مكتبة دار التراث، الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: للكنوي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

زاد المسير فى علم التفسير: لابن الجوزي، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، الثالثة ١٤٠٤هـ.

السبعة في القراءات: لابن مجاهد، تحقيق: د.شوقي ضيف، طبعة دار المعارف الثالثة، بدون تاريخ.

سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: لعلي بن عثمان بن القاصح العذري، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ.

سنن الترمذي: تحقيق: أحمد شاكر، طبعة القاهرة ١٩٣٨م.

سنن القراء ومناهج المجودين: لعبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، طبعة مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولى ١٤١٤هـ.

سير أعلام النبلاء: للذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت.

شرح الشاطبية: للسيوطي، تحقيق: مكتب قرطبة للبحث العليم وإحياء التراث الإسلامي حسن بن عباس بن قطب، طبعة مؤسسة قرطبة، الأولى ٢٠٠٤م.

شرح صحيح مسلم: للنووي، طبعة دار الفكر.

شرح علل الترمذي: لابن رجب الحنبلي، طبعة دار الملامح بدمشق.
الشرح الكبير:
صحيح البخاري: طبعة دار الكتب العلمية ببيروت.
صحيح مسلم: طبعة دار الكتب العلمية ببيروت.
الضعفاء الكبير: للعقيلي، طبعة عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية.
طيبة النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، تحقيق: محمد تميم الزعبي، طبعة دار الهدى بالمدينة المنورة، الأولى ١٤١٤هـ.
العنوان في القراء السبع: لإسماعيل بن خلف الأنصاري، تحقيق: الدكتور زهير زاهد والدكتورخليل العطية، طبعة عالم الكتب ببيروت، الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار: لأبي العلاء الهمذاني العطار، تحقيق: د.أشرف محمد فؤاد طلعت، نشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولى الرواية والدراية: لابن الجزري، تحقيق: ج براجستراسر، طبعة دار الكتب العلمية، الثانية ١٤٠٢هـ.
غيث النفع في القراءات السبع: لعلي النوري الصفاقسي، تحقيق: سالم بن غرم الله الزهراني، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، ١٤٢٦ه.
الفتاوى الحديثية: لابن حجر الهيتمي، طبعة دار الفكر ببيروت.
فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩ه.

فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم: لمحمد بن أحمد المتولي، مع شرحه الروض النضير في أوجه الكتاب المنير، تحقيق: الشيخ محمد إبراهيم سالم، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م.

الفروع: لمحمد بن مفلح شمس الدين المقدسي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م.

الفقيه والمتفقه: للخطيب البغدادي، تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط - علوم القرآن - مخطوطات القراءات، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، بالأردن، الطبعة الثانية ١٤١٥ه١٩٩٤م.

الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط - علوم القرآن - مخطوطات التجويد، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، بالأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٦ه١٩٨٦م.

فهرس المخطوطات الأصلية في مركز المخطوطات والتراث والوثائق التابعة لمشروع عبد الله المبارك الصباح لإحياء وإنقاذ التراث الإسلامي في العالم بالتعاون مع مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الطبعة الأولى ١٤١٤ه١٩٩٣م.

فهرس المخطوطات والمصورات (المصاحف والتجويد والقراءات) بمكتبة المخطوطات بعمادة شئون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٣ه١٩٨٢م.

قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبى سعيد ورش مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري: للدكتور عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

القصيدة الطاهرة في القراءات العشر المتواترة: لطاهر بن عرب الأصبهاني، نسخة خطية محفوظة في مكتبة الحرم المكي، برقم (٣٠ تجويد وقراءات).

القصيدة المالكية في القراءات السبع: لمحمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق: الدكتور أحمد بن علي السديس، طبعة مكتبة دار الزمان بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٩ه٢٠٠٨م.

قواعد في علوم الحديث: للتهانوي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

الكافي في القراءات السبع: لابن شريح، تحقيق: سالم بن غرم الله الزهراني، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ.

الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: لأبي القاسم يوسف بن جبارة الهذلي، تحقيق: جمال بن السيد رفاعي الشايب، طبعة مؤسسة سما للنشر والتوزيع، الأولى ١٤٢٨ه٢٠٠٧م.

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الرابعة ١٤٠٧هـ.

الكفاية الكبرى: لسبط الخياط، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن الشثري، رسالة ماجستير بجامعة الإمام، ١٤١٤هـ.

كنز المعاني شرح حرز الأماني: للجعبري، تحقيق أحمد اليزيدي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

لطائف الإشارات لفنون القراءات: للقسطلاني، تحقيق عامر السيد عثمان، والدكتور عبدالصبور شاهين، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ١٣٩٢هـ.

المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي: لسبط الخياط، تحقيق: وفاء عبد الله قزمار، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى عام ١٤٠٥هـ.

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، فصلية علمية محكمة، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية، السنة الثامنة عشرة، العدد: الخامس والأربعون، شوال ١٤٢٤ه ديسمبر ٢٠٠٣م.

مجمع السرور وملطع الشموس والبدور في القراءات الأربع عشرة: لشمس الدين محمد بن خليل القباقبي، تحقيق: مكتب قرطبة للبحث العلمي حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: أشرف على طبعها عبد السلام بن برجس، الطبعة الثانية ببيروت ١٤٠٩ه١٩٨٩م.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

المستدرك: للحاكم، طبعة حيدر آباد، ١٣٤١هـ.

المستنير في القراءات العشر: لابن سوار، تحقيق: أحمد طاهر أويس، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية عام ١٤١٣ هـ.
المسند: للإمام أحمد، طبعة المكتب الإسلامي.
مشاهير علماء الأمصار: لابن حبان، تصحيح م فلايشهمر، طبعة دار الكتب العلمية.
المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر: لأبي الكرم الشهرزوري، تحقيق إبراهيم بن سعيد الدوسري، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام، ١٤١٤هـ.
معالم التنزيل: للبغوي، تحقيق محمد النمر وعثمان ضميريه، وسليمان الحرش، طبعة دار طيبة، ١٤١١هـ.
معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: للذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرنـاؤوط وصالح مهدي عباس، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت،الأولى١٤٠٤ه١٩٨٤م.
المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: لابن قدامة المقدسي، طبعة دار الفكر، بيروت، الأولى ١٤٠٥ه.
المفردات السبع : لأبي عمرو الداني، طبعة مكتبة القرآن.
المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر: للدكتور محمد سالم محيسن، طبعة: مكتبة الكليات الأزهرية، الثانية ١٩٧٨م.
المنهاج: لأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي، تحقيق: عثمان بن مسفر الزهراني، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، ١٤١٨ه.
ميزان الاعتدال في أسماء الرجال: للذهبي، طبعة دار المعرفة، بيروت.
النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، طبعة دار الفكر للطباعة، بدون تاريخ.

النهاية في القراءات الثلاث الزائدة عن العشرة: للإمام ابن الجزري، تحقيق: جمال السيد رفاعي، ضمن مجموعة مهمة في التجويد والقراءات والرسم وعد الآي، طبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧ه٢٠٠٦م.

نهاية القول المفيد في علم التجويد: لمحمد مكي نصر، صححه الشيخ علي محمد الضباع، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٩هـ.

الهادي في القراءات السبع: لابن سفيان القيرواني، تحقيق حنان عبد الحميد الدوبي، رسالة ماجستير بكلية التربية للبنات بمكة المكرمة، ١٣١٩هـ.

هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: للشيخ عبد الفتاح المرصفي، طبعة مكتبة طيبة بالمدينة المنورة، الثانية، بدون تاريخ.

هدي الساري: لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الطباعة المنيرية.

الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي،طبعة مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولى ١٤٠٤هـ.

الوجيز في شرح أداء القراء الثمانية: لأبي علي الأهوازي، تحقيق الدكتور دريد حسن أحمد، طبعة دار الغرب الإسلامي، الأولى ٢٠٠٢م.

القيم الأخلاقية

في الأعمال الوظيفية من خلال النصوص القرآنية

بحث مُقَدَّمٌ للملتقى الدولي الأول في موضوع

(أخلاقيات العمل الوظيفي)

الذي ينظمه قسم العلوم الاجتماعية بكلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية

(جامعة تبسة - الجزائر) في الفترة: ٢٨ - ٢٩ أكتوبر ٢٠١٣م

إعداد

أ . د. سالم بن غرم الله الزهراني

الأستاذ بقسم القراءات بجامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل كتابه العظيم هداية للناس في جميع شؤون حياتهم، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء ٩] وهداية للتي هي أقوم هداية شاملة لكل المجالات، ومما جاء القرآن الكريم بالهداية فيه الأعمال كافة، سواء ما يتعلق بأعمال العبادات الشرعية، أو أعمال العلاقات الاجتماعية، أو الأعمال الوظيفية.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الموضوع، الذي أشارك به في الملتقى الدولي الأول في موضوع (أخلاقيات العمل الوظيفي) الذي ينظمه قسم العلوم الاجتماعية بكلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة تبسة، بالجزائر.

وقد عنونت لهذا الموضوع بـ (القيم الأخلاقية في الأعمال الوظيفية من خلال النصوص القرآنية).

ولا يخفى أن القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، قد اشتمل على الهداية لكل خير، واشتملت آياته وسوره على كثير من القواعد والدلالات الأخلاقية في التعامل الوظيفي، كما سيظهر خلال البحث.

ومن هنا تنبع أهمية هذا الموضوع، ليكون تأصيلاً لهذا الأمر من أعظم مصدر للتأصيل وهو كتاب الله تعالى، للتعريف بأهم القيم الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم التي تبني في نفس الإنسان المبادئ والأخلاقيات النبيلة، وتؤدي إلى نجاح المتخلق بها في الأعمال الوظيفية التي ينتمي إليها ويمارسها.

والتي تهدف إلى تحقيق درجة عالية من الجودة والمثالية، وترسم دستوراً أخلاقياً يلزم كل فرد ينطوى في منظومة عملية أن يحترمه ويتبعه ويعمل به ليحقق تلك الغاية.

خطة البحث:

رسمت لهذا البحث خطة تتكون من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، وبيانها كما يلي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.

تمهيد: تعريف القيم الأخلاقية.

المبحث الأول: أهمية الأخلاق في التعامل الإنساني مطلقاً.

المبحث الثاني: أهمية الأخلاق بوصفها عاملاً مؤثراً في النجاح الوظيفي.

المبحث الثالث: القيم الأخلاقية الوظيفية في القرآن الكريم.

الخاتمة: وتحوي أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

تمهيد: تعريف القيم الأخلاقية:

تعريف القيم:

القيم جمع قيمة، وأصل القيمة الواو ، ومنه: قومت الشيء تقويماً ، قال ابن فارس: " (قوم) القاف والواو والميم أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدهما على جماعةِ ناسٍ، وربَّما استعير في غيرهمْ، والآخَر على انتصابٍ أو عَزْم، فالأوّل: القوم، يقولون: جمع امرئٍ، ولا يكون ذلك إلا للرِّجال، قال الله تعالى ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾[الحجرات ١١] ثمَّ قال﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾ وقال زُهير:

وما أدري وسَوْف إخالُ أدْري ××× أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نِسَاءُ

ويقولون: قومٌ وأقوامٌ، وأقاوِمُ جمعُ جمعٍ ... وأمّا الآخر فقولُهم: قامَ قياماً، والقَوْمة المَرَّةُ الواحدة، إذا انتصب، ويكونُ قامَ بمعنى العَزيمة، كما يقال: قامَ بهذا الأمر، إذا اعتنَقَه... "[1].

تعريف الأخلاق:

الأخلاق: جمع خلق، وهو اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها.

قال ابن منظور: " الخُلُقُ بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها "[2] وكذلك قال الفيروزآبادي[3].

وقال الراغب الأصفهاني: " والخلق والخلق في الأصل واحد، كالشرب والشرب، والصرم والصرم، لكن خص الخَلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة "[4].

(١) معجم مقاييس اللغة ٥ / ٤٣ وانظر القاموس المحيط ٤ / ١٦٨والمفردات ص ٤١٦ – ٤١٧.
(٢) لسان العرب ١٠ / ٨٦.
(٣) القاموس المحيط ص٨٨١.
(٤) المفردات ص٢٩٧.

وعرف الجرجاني الخلق بأنه: " عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً "[١].

وعرفه ابن مسكويه بقوله: " حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرّب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا " [٢].

وذهب الجاحظ إلى أن الخلق هو: " حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلّا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمّل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة " [٣].

(١) التعريفات ص١٠١.
(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص٤١.
(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص١٢

وعلم الأخلاق علم قائم وقد عُرِّف بعدة تعريفات منها:

أنه: " علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاً، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصد إليها الناس في أعمالهم وينير السبيل لما ينبغي " [1].

وموضوع الأخلاق: هو كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد [2].

وحقيقة الخلق أنه وصف لصورة لإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة.

وندرك من خلال هذا ثلاثة أمور هامة، الأول: أن الخُلُق يدل على الصفات الطبيعية في خِلقة الإنسان الفطرية (أي الصفات الكامنة في النفس البشرية) والثاني: أن الأخلاق تدل أيضاً على الصفات التي اكتُسبت وأصبحت كأنها خلقت مع طبيعته، والثالث: أن للأخلاق جانبين: جانباً نفسياً باطنياً، وجانباً سلوكياً ظاهرياً.

وقد عُرِّف الخُلُق بأنه: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب.

وعرفه الغزالي بأنه: " عبارة عن هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية " [3].

---

(١) كتاب الأخلاق لأحمد أمين ص٨.

(٢) موسوعة الأخلاق لخالد الخراز ص ٢٢.

(٣) إحياء علوم الدين ٢ / ١٤٣٤.

والخلق منه ما هو حسن وما هو قبيح، فإن كان الصادر عن النفس فعلاً جميلاً محموداً عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة وذاك الفعل خُلُقا حسناً، وإن كان الصادر عنها فعلاً قبيحاً سُمي خلقاً سيئاً.

ويظهر بهذا أن الخلق عام لا يختص بالأخلاق الإسلامية بل يدخل تحته كل خلق مهما كان فكر صاحبه أو عقيدته أو مبادئه وقيمه.

ولا ريب أن النبي ﷺ حين بعث بدين الإسلام بعث في أمة لها قيم وأخلاق حميدة، كما أن لها اعوجاجاً وانحرافاً، ولذا قال ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [1].

وقد عرفت القيم الأخلاقية عند القدماء بأنها: علم يعرف به حال النفس من حيث ماهيتها وطبيعتها وعلة وجودها وفائدتها وما هي وظيفتها التي تؤديها وما الفائدة من وجودها، وعن سجاياها وأميالها وما ينقلها بسبب التعاليم عن الحالة الفطرية، وذُكر أن هذا أول علم تأسس منذ بدء الخليقة [2].

وعرَّف بعض الباحثين القيم الخلقية بأنها: " ذلك الجانب في الشخصية الذي يمكن الفرد من اصدار الحكم الاخلاقي الذي يتفق مع طبيعة الاعراف والقوانين التي تسود في بيئته وتتوافق كذلك مع قناعته الشخصية وضميره ،ذلك بالنسبة للقضايا الخلقية التي تعرض عليه او يتعرض لها " [3].

وموضوع الأخلاق: كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد.

---

(١) الحديث في مسند البزار ١٥ / ٣٦٤ برقم (٨٩٤٩) والسنن الكبرى للبيهقي ١٠ / ١٩١ برقم (٢١٣٠١) والمستدرك ٢ / ٦٧٠ برقم (٤٢٢١) والأحكام الشرعية للإشبيلي ٤ / ٣٠٨.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ص٦٦.

(٣) وهو سامي محمود أبو بيه في كتابه: النمو الأخلاقي.. ص٧٠٧.

المبحث الأول:

أهمية الأخلاق في التعامل الإنساني مطلقاً

لقد اهتمت الرسالات السماوية كلها بالجانب القيَمي أو الأخلاقي الذي يعتبر ثمرة للجانب الإيماني والاعتقادي، والإسلام يعتبر الإيمان الحقيقي مجسداً في أخلاق، سواء كانت الأخلاق أخلاقاً ربانية كالتوكل على الله، والشكر لنعمه، والحياء منه، والخوف منه، والرجاء في رحمته.

أو كانت أخلاقاً إنسانية، كالصدق والأمانة والشجاعة والسخاء والبذل والتضحية والتعاون والإحسان إلى الآخرين والتواضع والحياء.

والمهمة الأخلاقية في الإسلام من أهم الدعائم والأسس التي يقوم عليها نظام الحياة البشرية، ومن هنا نجد القرآن الكريم حينما يذكر لنا الإيمان يجسده في الأخلاق، مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال] فهنا يمثل الأخلاق الربانية، وقوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾[المؤمنون] عمل الخير من الناحية الإنسانية ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾ العفة، وهذا أيضاً من الأخلاق الأساسية في الإسلام، العفة عن الحرام سواء كانت العفة عن المال الحرام أو عفة الفروج عن ارتكاب الحرام ومن هنا كان النبي عليه الصلاة والسلام طوال العهد المكي خلال ثلاثة عشر عاماً وهو يربي الجيل الأول الذي سيحمل عبء الدعوة الإسلامية فيما بعد ويقوم على أساسه وعلى أكتافه المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية ونشر الإسلام في العالم كان أهم ما يربى عليه هذا الجيل الجانب الإيماني، لم

يكن هناك تشريعات ولا أحكام في ذلك الوقت المبكر لفجر الدعوة الإسلامية، وذلك لأن الأخلاق هي قوام الشخصية الإنسانية.

فالإنسان بأخلاقه، والأمم بأخلاقها، والمستوى الأخلاقي للأمة مقياس حضارتها وأساس بناء مجتمعها، كما قال أحمد شوقي [1]:

وإنما الأمم بالأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لقد احتلّت الأخلاق الحميدة في الإسلام مكانة مرموقة وأخذت حيزاً متسعاً في أحكامه وتعاليمه، ويظهر ذلك في الحث والتشديد على الاستمساك بها وتأكيده على التحلّي بها، ودعوته إلى التخلّي عن أضدادها.

وصدق الشاعر في قوله [2]:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبـد الإنسانَ إحسانُ

وقبل ذلك يقول ربنا عز وجل ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[الرحمن].

ومكارم الأخلاق علامة لكمال الإيمان، وسمة من سمات المؤمن، ومقصد لرسالته ومهمته، فقد عدَّ النبي ﷺ حسن الخلق من كمال الإيمان، فقال: " إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا... " [3] وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال: " تقوى الله وحسن الخلق " [4] وقال ﷺ: " وخالق الناس بخلق حسن " [5] فلم يقتصر على المسلم فقط، بل حتى غير المسلم، كما جاء في قصة زيد بن سعنة حين باع النبي ﷺ تمراً إلى أجل، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة دنا من جدار

(١) البيت مشهور لأحمد شوقي، غير أنه ليس في ديوانه، ولعله كان من مفردات شعره، والذي في ديوانه الشوقيات ١ / ٢٦٩ هو:
وإنّما الأمُ الأخلاقُ ما بقيت ××× فإن تولّت مضوا في إثرها قُدُما

(٢) هو أبو الفتح البستي في ديوانه ص١٨٧.

(٣) سنن أبي داود ٤ / ٣٥٤ برقم (٤٦٨٤) والترمذي ٣ / ٤٦٦ برقم (١١٦٢) وقال: " حسن صحيح ".

(٤) سنن الترمذي ٤ / ٣٦٣ برقم (٢٠٠٤) وقال: " حديث صحيح " وحسنه الشيخ الألباني، والمستدرك ٤ / ٣٦٠ برقم (٧٩١٩).

(٥) سنن الترمذي ٤ / ٣٥٥ برقم (١٩٨٧) والمسند ٥ / ١٥٣ برقم (٢١٣٩٢).

فجلس إليه فأخذ زيد بمجامع قميصه ﷺ ونظر إليه بوجه غليظ، ثم قال: ألا تقضيني يا محمد حقي، فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره وقال: أي عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل به ما أرى ؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ثم قال: إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة... [1].

وقد بين المصطفى ﷺ الأثر العظيم والثواب الجزيل لحسن الخلق، فقال: " إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار " [2].

وهو أكثر ما يدخل الناس الجنة، كما بين ذلك ﷺ، وغير ذلك من الأجور العظيمة.

وخلق المسلم ملازم له في كل مكان وزمان، يحببه إلى الناس، ويقربه منهم في كل طريق يطرقه، وفي كل مكان يكون فيه، له سهم من المحبة والمودة، في بيته، مع أهله، وجيرانه، وفي عمله، وفي طريقه.

وقال ﷺ: " أثقل شيءٍ في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن " [3].

(١) صحيح ابن حبان ١ / ٥٢٣ ودلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٢٧٩.

(٢) رواه أحمد في المسند ٦ / ١٨٧ برقم (٢٥٥٧٨) والحاكم في المستدرك ١ / ١٢٨ برقم (١٩٩) وقال: " صحيح على شرط الشيخين " ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد في المسند ٦ / ٤٤٢ برقم (٢٧٥٣٦) وابن أبي عاصم في السنة ٢ / ٦٣ برقم (٧٨٢) والبيهقي في شعب الإيمان ١٠ / ٣٦٩ برقم (٧٦٤٠).

إن خيرية المرء لا تقاس بصلاته وصيامه فحسب بل لا بد من النظر في أخلاقه وشيمه فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: " لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: خياركم أحاسنكم أخلاقاً " [1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته"[2].

فمكارم الأخلاق غاية من أسمى الغايات الإنسانية، ومن أعظم المقومات للحضارة الإنسانية، لا يمكن الاستغناء عنها لأي نوع من الأنواع البشرية، ولا لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، من أجل ذلك منذ أول وجود المجتمع الإنساني كانت المهمة الأخلاقية من أحسن المهمات لسائر الأديان والمذاهب.

وحُسن الخلق من أفضل ما يقرب العبد إلى الله تعالى، وإذا أحسن العبد خلقه مع الناس أحبّه الله وأحبه الناس، وحُسن الخلق يدل على سماحة النفس وكرم الطبع، ويرفع الدرجات ويعلي الهمم، ويحول العدو إلى صديق.

والمبادئ الأخلاقية ضرورة في بناء المجتمعات سياسياً واجتماعياً ودينياً وثقافياً، كما أنها محاور فكرية متباينة مستنيرة ترسي دعائم قيام المجتمع الإنساني، كما يريد خالق البشر، ويشعر الإنسان من خلالها أنه خليفة الله في الأرض، بما ناله من تكريم إلهي يحيا من خلاله حياة آدمية كما ينبغي أن تكون.

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٦ برقم (٦٠٣٥) ومسلم ٧/ ٧٨ برقم (٦١٧٧).
(٢) الفوائد ص٧٢.

قال أحمد شوقي [1]:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فإقم عليهم مأتماً وعويلاً

والأخلاق أساس الصلاح، كما قال أيضاً [2]:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوِّم النفس بالأخلاق تستقيم

ومكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تنال الدرجات وترفع المقامات، وقد خص الله جل وعلا نبيه محمداً ﷺ بآية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب، فقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم].

وحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف، كما أن سوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر.

(١) الشوقيات ١ / ٢٢٧.

(٢) الشوقيات ١ / ٢٤٣.

المبحث الثاني:
أهمية الأخلاق بوصفها عاملاً مؤثراً في النجاح الوظيفي

إن مما لا ريب فيه أن لكل عمل مقومات لنجاحه، والعمل الوظيفي من أهم الأمور التي يتطلب النجاح فيها توافر عدة مقومات، ومن أهم تلك المقومات القيم الأخلاقية التي ينبغي استصحابها في ممارسة الأعمال الوظيفية، وتلك القيم مما تتفق عليه الأديان والشرائع والمذاهب والأعراف عند جميع البشر، وقد جاء دين الإسلام بتقرير القيم الأخلاقية التي تضمن نجاح المرء وسعادته في الدارين.

ذلك أن العمل الذي تحفه القيم البناءة يكون محفوفاً بالصواب والسلامة والإتقان والنجاح، وبقدر ما يتحق في العمل من المقومات والقيم اللازمة، ويخلو من الخوارم والمكدرات، يكون نجاحه، والعكس كذلك، فحين تختل القيم في العمل أو تعتريه المكدرات يكون فيه من الضعف والخلل وعدم السلامة بقدر ذلك.

ولا ريب أن الاهتمام بالعلم والاقتصاد والتقنية العصرية سبب للنهوض بالحياة والرقي بالمجتمعات وبناء الحضارات، لكنها لا تؤتي ثمارها ولا تظهر آثارها الإيجابية على الأفراد والمجتمعات إلا إذا كانت وفق إطار أخلاقي عام يضمن تطبيقها بشكل صحيح.

فحين يُوجَّه العلم أو الاقتصاد أو غيرهما لغير الوجهة الصحيحة يكون ذلك سبباً لتدمير المجتمعات لا لرقيها وتقدمها، كاستخدام العلم في إنتاج الأسلحة المدمرة (كالكيمائية أو الجرثومية) التي تحصد أرواح الأبرياء وتدمر مكتسبات الشعوب.

ومما يعطي أهمية كبرى للأخلاق أن من أهم أهدافها تحقيق السعادة في الحياة الفردية والجماعية، فبالأخلاق تتحقق السعادة التي هي مطلب يسعى إليه العقلاء في كل مجتمع ، والقيم الأخلاقية ضرورية لتحقيق السعادة، فالشقاء والتعاسة الاجتماعية ناشئة عن الشرور وهيمنة الانحراف الاجتماعي، والتربية على الخلق الفاضل تسهم كثيراً في استقرار المجتمعات وسيادة الخير وانحسار الشر أو زواله.

والحياة الأخلاقية هي الحياة الخَيِّرة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، وكلما انتشرت هذه الحياة انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والاجتماعي، وانتشرت الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس، وتحقق التعاون والتكامل والبناء والإنتاج في كل مجالات الحياة، وكلما غابت هذه الحياة انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء والنفور والتناحر من أجل المناصب والمادة والشهوات، وانعدم التعاون البنَّاء، وضعف الإنتاج، وساد الفشل.

وانهيار الأخلاق من أبرز أسباب سقوط الأمم والحضارات، وتمزيق وحدة المجتمع ، وإضعاف رابطة الأخوة، وانتشار الظلم الذي يمزق البناء الاجتماعي مهما كان صغيراً أو كبيراً.

والقيم الأخلاقية الإسلامية تبعد الناس عن هذه الشرور وتحافظ على المجتمع قوياً متجانساً متماسكاً.

والأمة القوية المتماسكة لا تكتسب قوتها إلا بصلاح مواطنيها وإخلاصهم وولائهم لها، فإذا استشعر كل فرد فيها مسئوليته تجاه وطنه وأمته، وقام بعمله بأمانة وإخلاص ونزاهة، سار العمل في كل ميادين الحياة على الوجه الأكمل وانتشر العدل وعمت المساواة.

وعلى العكس من ذلك فما من أمة ينخر الفساد والانحلال الخلقي في بنائها إلا وتسقط شاءت أم أبت، عاجلا أم آجلا.

وقد قال النبي ﷺ: " لا قدست أمة لا يأخذ فيها صاحب الحق حقه غير متعتع "[1].

إن بناء منظومة القيم الأخلاقية والتخلق بها في مجالات العمل الوظيفي يساعد في الإرتقاء بأخلاقيات الموظفين وينعكس ذلك بشكل مباشر على طريقة تعاملهم وإنتاجهم.

ويعزز من ترابط الموظفين وتفاعلهم مع بعضهم، والتخلص من الاختلافات الناشئة بسبب الطبيعة الإنسانية وبسبب البيئة المتغيرة بشكل مستمر.

فالقيم الأخلاقية الفاضلة البنَّاءة ضرورة لصلاح المجتمع واستقراره وبنائه ونموه، ووضوح القيم الأخلاقية يجعل الطريق واضحاً لدى الإنسان والموظف، ويبعده عن دائرة الخلل أو الضعف أو الفشل.

والالتزام بالقيم الأخلاقية في الأعمال الوظيفية يؤدي إلى تنمية قدرات العاملين وتحفيزهم على تحسن الأداء، وزيادة الثقة بالمنظمة ويعزز من مكانتها لدى عملائها، ويعزز من الأداء المنظمي من خلال العمل كفريق واحد، ويعزز من ولائهم تجاه المنظمة التي يعملون بها، وبالتالي تحسين أدائهم، ونجاحهم في عملهم[2].

(١) رواه ابن ماجة ٣/ ٤٩٦ برقم (٢٤٢٦) والبزار ١٠/ ٣٣٤ برقم (٤٤٦٤) وغيرهما.

(٢) أخلاقيات الوظيفة العامة ص٨.

المبحث الثالث:

القيم الأخلاقية الوظيفية في القرآن الكريم

لما كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع والهداية للناس في جميع شؤون حياتهم، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء ٩] حيث ذكر جلَّ وعلا أنَّ هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً بربّ العالمين جل وعلا، يهدي للتي هي أقوم، أي الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب، وقد أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها [1].

فهو يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان.

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى، وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة، متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعاً واستمتاعاً بالحياة.

(١) أضواء البيان ٣/ ١٧.

ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة، بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض، أفراداً وأزواجاً، وحكومات وشعوباً، ودولاً وأجناساً، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض، الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان [1].

فمن هداية القرآن للناس هدايته إلى القيم الأخلاقية في التعامل مطلقاً، وفي مجال التعامل المهني والوظيفي على وجه الخصوص، حيث جاء الإسلام بكثير من القيم الأخلاقية التي ينبغي الالتزام بها والحرص عليها في أداء الأعمال الوظيفية، أياً كانت تلك الأعمال، وسواء كانت متعلقة بالعمل ذاته، أو بالعامل، أو بربِّ العمل سواء كان فرداً أو جهةً أياً كانت، وهذه القيم الأخلاقية لازمة لنجاح العمل وتطوره وريادته، ومن أهم هذه القيم ما يلي:

١- مشروعية العمل:

من أهم القيم لصلاح أي عمل أن يكون مشروعاً، فالواجب على كلِّ مسلم تحرِّي العمل المشروع المباح واجتناب أي عمل نهى عنه الإسلام وحذَّر منه؛ وقد تضمن القرآن تقرير ذلك في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢١٥.

طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[البقرة] بل حتى الإنفاق جاء الأمر بأن يكون من كسب طيب، حيث قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾[البقرة ٢٦٧].

فالمسلم مُطالَب بأنْ يأكُل من حَلال، وإذا أنفق فعليه أنْ يُنفِق من طيِّبات ما كسب، ولا يتحقَّق ذلك إلا بأنْ يكون العمل الذي اختاره وعمل فيه مشروعاً قد أباحه الإسلام [١].

ويعني ذلك أنَّه لا يجوز للمسلم أنْ يعمل في أيِّ عملٍ يعدُّه الشرع معصية، كما أنَّه لا يجوز له أنْ يعمل عملاً يُؤدِّي إلى مفسدة، وهو ما يُطلَق عليه في العرف الحديث (الكسب غير المشروع) أو (العمل غير اللائق) [٢].

وخلاصة آراء الفقهاء في مشروعيّة العمل والكسب الحلال: أنّ عمل المسلم وكسبه يجب أن يكونا من وجهٍ مشروع، فعلى المسلم أن يتحرّى وجوه العمل والكسب قبل الإقدام عليها، فإن وجده عملاً حلالاً طيباً عمل فيه، وإن كان عملاً مشبوهاً أو غلب عليه الحرام فعليه اجتنابه [٣].

كما أنَّ الإسلام حرَّم كلَّ عملٍ من شأنه إهلاكُ العامل أو إلحاق الضرر به، وذلك وفق قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" وقد قصَد الشارع الحكيم بذلك حفْظ الضروريَّات الخمس للإنسان وأوجب حمايتها، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال.

ولكي تتحقَّق حماية هذه الكليَّات الضروريَّة والمحافظة عليها، اعتبَر الإسلام أنَّ كلَّ عملٍ يخلُّ بها أو يؤثِّر عليها أو يكون سبيلاً إلى ذلك من الأعمال المحرَّمة

(١) الحرية الاقتصادية في الإسلام ص٣٧١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) العمل في الإسلام – أخلاقه، مفاهيمه، قيمه: لعز الدين الخطيب – عمان – الأردن: دار عمار ودار الفيحاء، ص٢٧.

التي يجب على المسلم اجتنابها والبعد عنها [١].

٢- الالتزام بعقد العمل:

فكل عمل لا بد أن يكون فيه تعاقد بين القائم بالعمل والمنتفع منه، وهو صاحب العمل، فرداً كان أو جهة، وفائدة العقد تحقيق العدل بين الطرفين، واجتناب التنازُع والخصام بينهما، حيث يتضمن أهم القضايا كبيان نوع العمل وحجمه، ومدته، ومقدار الأجرة.

وقد نص القرآن الكريم على وجوب الالتزام بالعقد والوفاء به، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[المائدة١] وعدّ ذلك ضمن صفات المؤمنين فقال ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨﴾ [المؤمنون].

ولا تخفى الحكمة من هذا الأمر فبالعقود تُضبط العلاقة بين المتعاقدين، و تحدَّد الحقوق والواجبات لكلٍّ منهما، لتبقى العلاقة بينهما في إطارها الأخلاقي الصحيح، فالعقد شريعة المتعاقدين فيما لا يخالف الشرع [٢].

٣- القوة والقدرة:

فمن ولي عملاً لا بد أن يكون قوياً قادراً على القيام بذلك العمل، كما حكى القرآن الكريم في وصف نبي الله موسى عليه السلام على لسان ابنة الرجل الصالح شعيب، حين طلبت من أبيها استئجار موسى عليه السلام، فقالت ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾[القصص] فعبَّرت فوصفته بالقوة، وهي أحد أهم القيم اللازمة لتحقق الكفاءة ونجاح العمل [٣].

---

(١) انظر الحرية الاقتصادية في الإسلام ص٣٧١ - ٣٧٢ والعمل عند المسلمين رؤية حضارية ص٩٦-٩٧.

(٢) انظر العمل في الإسلام ص٦٥.

(٣) ويؤيد ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي ذرّ رضِي الله عنه، حين طلب من النبي ﷺ أن يستعمله في الولاية، فضرب بيده على منكبه، ثم قال: " يا أبا ذرّ، إنَّك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقّها وأدّى الذي عليه فيها " صحيح مسلم ١٢ / ٢٠٩.

فأبو ذرٍّ رضي الله عنه لا تنقصه الأمانة، فهو من صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الأجلاء، وإنما تنقصه القوة والقدرة على تولي تلك المهمة،

وعدم وجود القوة والقدرة على القيام بالعمل ضياع للعمل وإفساد له.

والقوة تكون في البدن، وهي قوَّة حسيَّة؛ كما في قوله تعالى﴿ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت١٥] وتكون أيضاً في القلب، وهي قوَّة معنويَّة، كما في قوله تعالى ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾[مريم١٢] [١] أي: تعلَّم الكتاب بجدٍّ وحرص واجتهاد [٢].

وينبغي أن يتَّصِف العامل بصفة القوَّة الحسيَّة والمعنويَّة؛ ليكون مُؤَهَّلاً للعمل الذي يقوم به، وذلك بأنْ يتَّخذ جميع الوسائل والأساليب المشروعة التي تجعَلُه قويًّا في بدنه وجاهزيته للعمل وقويًّا في جدِّه واجتهاده، وقويًّا في معلوماته ومهاراته وفي إدراكه لاحتِياجات ومتطلَّبات العمل الذي يَرغَب في القِيام به؛ ليُحَقِّق أقصى درجات الخدمة للمنتَفِعين من هذا العمل [٣].

وتختلف محددات القوة ومعاييرها من عمل إلى آخر، بحسب طبيعة العمل والقدرات الذاتية اللازمة للقيام به، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: " والقوة في كل ولاية بحسبها؛ فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحروب، وإلى القدرة على أنواع القتال، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العمل بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام" [٤].

ولذا قال صلَّى الله عليه وسلَّم ".. إنَّك ضعيف " لأن في طبعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لين ورقَّة لا تناسب ما تقتضيه الولاية من قوَّة وشدَّة ترهِب الظالم المعتدي وتردعه عن الاعتداء والظلم. انظر أخلاق العمل في الإسلام.

(١) انظر المفردات ص٤١٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١١٣.

(٣) أخلاق العمل في الإسلام..

(٤) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص١٤.

٤- الأمانة:

وهي خلق يعفّ به الإنسان عما ليس له به حق، وهي من أهمِّ القيم الأخلاقية التي يجب أنْ يتَّصِف بها العامل، ويؤدي ما عليه من الحقوق [١] وهي الحافز الذي يدفع العامل إلى إحسان العمل وإتقانه وإجادته، ويحول بينه وبين الغش والإهمال [٢].

وهذه القيمة من القيم الجليلة والخلال الثقيلة، ولثقلها أبَت السماوات والأرض والجبال حمْلها وحمَلها الإنسان، كما قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب].

وورد في القرآن الكريم ما يؤكِّد أهميَّتها، فأمر الله تعالى بها في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[النساء٥٨] وأثنى على المتصفين بها، فقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المؤمنون] ونهى عن تضييعها فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأنفال] وأكد النبي ﷺ أهمتيَّتها بقوله: " لا إيمان لمن لا أمانة له " [٣]، وقوله: " أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك " [٤].

وجاء أيضاً في وصف نبي الله موسى عليه السلام على لسان ابنة الرجل الصالح شعيب ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[القصص] فوصفته بالأمانة، وهي من أهم القيم اللازمة لتحقق الكفاءة ونجاح العمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: " .. والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلاً، وترك خشية الناس " [٥].

(١) انظر موسوعة نضرة النعيم ٣ / ٥٠٩ و الأخلاق الإسلامية وأسسها للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني ١ / ٦٤٥.
(٢) انظر العمل في الإسلام ص٧٤.
(٣) رواه أحمد في المسند ١٩ / ٣٧٥ برقم (١٢٣٨٣) وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢ / ٣٦١ برقم (٧٣٣).
(٤) رواه أبو داود ٣ / ٢٩٠ برقم (٣٥٣٥) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١ / ١٢٧ برقم (٢٣٨).
(٥) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص١٤.

والأمانة هي الحافز الذي يدفع العامل إلى إحسان العمل وإتقانه وإجادته، وهي الخلق الذي يحول بينه وبين الغش والإهمال [1].

والأمانة في مجال العمل الوظيفي واسعة الدلالة؛ فهي شاملة لمعانٍ وصور عديدة، من أهمها: الحرص على وقت العمل، وعدم إضاعته وتبديده في أمورٍ لا علاقة لها به، والإنجاز في العمل، وأداء الواجب كاملاً، كما هو محدد ومطلوب، ومراعاة حقوق الناس، وعدم إضاعتها، واجتناب الغش في أداء العمل، والمحافظة على الأموال وممتلكات العمل وأدواته، وعدم استغلال العمل للانتفاع الشخصيّ، أو الاستيلاء على المال بطُرُق ملتوية، أو صرف الأموال في غير ما خُصِّصت له، أو التكسُّب المادي غير المشروع؛ كتلقِّي الهدايا والرَّشاوَى [2].

فقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[البقرة١٨٨] وقال النبي ﷺ: "لا يحلّ مال امرئٍ مسلم إلا بطيب نفسٍ منه" .

فلا بد من الأمانة مع القوة، بل إنها تفوقها في الأهمية، فليس كل قوي قادراً أن يكون أميناً على العمل، ومن فقد الأمانة – مهما كانت قوته – فسد العمل ولم يكن له ثمرة.

---

(١) وكل ذلك داخل في دائرة المحرَّم، وينافي قيمة الأمانة، قال الله تعالى ﴿.. وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[آل عمران١٦١] وقال النبي ﷺ: "مَن استعمَلناه على عملٍ فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلولٌ" وفي روايةٍ أخرى: "مَن استعملناه منكم على عملٍ فكتمنا مخيطًا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة" رواه أبو داود ٣ / ١٣٤ برقم (٢٩٤٣) وأحمد ٢٩ / ٢٦١ برقم (١٧٧٢٣) وقال محقِّقو المسند: "إسناده صحيحٌ على شرط مسلم، ورجاله ثقات، رجال الشيخين" وقال ﷺ: "مَن غشَّنا فليس منَّا" رواه مسلم ٢ / ١٠٨ ولعن صلَّى الله عليه وسلَّم الراشي والمرتشي كما روى الحاكم في "المستدرك" ٤ / ١١٥برقم (٧٠٦٦) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٢) رواه الدارقطني ٣ / ٢٦ وأحمد ٥ / ١١٣، ورجال أحمد ثقات، كما في مجمع الزوائد ٤ / ١٧١.

٥- الصدق:

وهو من أهم القيم الأخلاقية في حياة الإنسان مطلقاً، ومن ضروريات النجاح في الأعمال الوظيفية، فهو إضافة إلى كونه من المأمور به شرعاً فإنه من الأمور المحمودة خلقاً وطبعاً عند جميع الأمم، ولدى المجتمعات المتقدمة.

وقد ورد الحث عليه وبيان فضله في القرآن الكريم في صور عديدة، حيث أمر الله تعالى بمتابعة المتصفين به، فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة].

وأثنى به على بعض أنبيائه، فقال عن نبيه إسماعيل عليه السلام ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم].

وأثنى على المتصفين به، وبين عاقبتهم الحسنة يوم القيامة فقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الزمر].

وبين أنه ينفع صاحبه يوم القيامة وأن عاقبته الفوز بالخلود في جنات النعم، فقال تعالى ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة].

وقد بين القرآن الكريم عاقبة الصدق الحميدة في قصة الثلاثة الذين خلفوا، التي قصها الله تعالى في سورة التوبة، فقال سبحانه ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾[التوبة]

ثم ختم ذكر توبته عليهم بالأمر بملازمة الصدق وأهله فقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ كما جاء الأمر به والحث عليه في السنة النبوية في أحاديث عديدة، منها قول النبي ﷺ: " إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً... " (١).

وقوله ﷺ " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبةٌ " (٢) وفي حديث أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الطويل مع هرقل، قال هرقل : " فماذا يأمركم - يعنى النبي ﷺ- قال أبو سفيان : قلت : يقول : " اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة " (٣).

وقوله ﷺ " البيعان بالخيار مالم يتفرقا، فإن صدقاً وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما " (٤).

ولا تخفى أهمية الصدق في بيئة العمل من جميع المنتسبين له، ولا ريب أنه متى وجد الصدق وجدت الثقة وسادت الطمأنية والألفة، وتم إنجاز الأعمال بكل إتقان ومسؤولية، والعكس بالعكس، فإذا اختل الصدق، ووجد ضده وهو الكذب انعدمت الثقة، وشاعت الفرقة، وضعف الأداء، وساء الإنتاج.

٦- كتم أسرار العمل والمحافظة عليها:

وهو من القيم الأخلاقية الحميدة التي حَثَّ عليها الإسلام (٥) ويشمل في مجال

---

(١) رواه البخاري ٨ / ٣٠ برقم (٦٠٩٤) ومسلم ٨ / ٢٩ برقم (٦٨٠٥).

(٢) رواه أحمد في المسند ١ / ٢٠٠ برقم (١٧٢٣) والترمذي ٤ / ٦٦٨ برقم (٢٥١٨) وقال: " حديث حسن صحيح ".

(٣) رواه البخاري ٤ / ٥٦ برقم (٢٩٤١).

(٤) رواه الترمذي ٣ / ٥٤٨ برقم (١٢٤٦) وقال: " حديث صحيح " وابن ماجه.

(٥) حيث ورد الأمر به ضمناً في آية الوفاء بالعهد؛ وهي قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء٣٤] لأنَّ السرَّ من العهد، ولذا نبَّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد أمرائه في العراق وهو أبو عبيد الثقفي إلى هذا الخلق الكريم بقوله: " وأحرز لسانك ولا تفشينَّ سرَّك؛ فإنَّ صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يُؤتَى من وجهٍ يكرهه، وإذا ضيَّعه كان بمضيعة " الكامل في التاريخ ٢ / ٤٣٧.

العمل الوظيفي الأسرار التي تخص العمل ذاته، أو العاملين به، أو المرتبطين بجهة العمل من المراجعين، لأنَّ معاملات الناس قد تحوي أسراراً لا يحسن اطِّلاع الآخرين عليها، مما يتعلق بأمورهم الشخصية والعائلية.

وهذا الخُلق الكريم من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لصلاح الأحوال وتحقيق الطموحات، قال الماوردي: "اعلم أنَّ كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح "[1].

وقال أبو حاتم البستي: "مَن حصَّن بالكتمان سِرَّه تَمَّ له تدبيرُه، وكان له الظَّفَر بما يُريد، والسلامة من العيب والضَّرَر، وإنْ أخطَأَه التمكُّن والظَّفَر "[2].

ولا يقدر على هذا الخلق النبيل إلا مَن اتَّسَمت شخصيَّته بقوَّة الصبر والوفاء والأمانة، وكان من أصحاب العزائم القويَّة، قال علي بن أبي طالب رضِي الله عنه: "سِرُّك أسيرُك، فإن تكلَّمتَ به صرتَ أسيره "[3].

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: "القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كلُّ امرئٍ مفتاح سرِّه "[4].

وقال أبو حاتم البستي: "والحازم يجعل سرَّه في وعاء، ويكتمه عن كلِّ مستودع، فإن اضطرَّه الأمر وغلَبَه أوْدَعَه العاقل الناصح له؛ لأنَّ السرَّ أمانة، وإفشاءَه خيانة "[5].

٧- الأهلية للعمل والمعرفة التامة به:

فمن أهم الأسباب والدوافع للنجاح في العمل الوظيفي إسناده إلى من تتوافر فيه الأهلية والكفاية والمعرفة، كما حكى القرآن الكريم عن نبي الله يوسف عليه السلام حيث قال ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ

(١) أدب الدنيا والدين ص٢٩٥.
(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص١٨٩.
(٣) أدب الدنيا والدين ص٢٩٥.
(٤) المصدر السابق ص٢٩٦.
(٥) روضة العقلاء ص١٨٩.

عَلِيمٌ﴾[يوسف٥٥] فعبَّر بقوله: "إني حفيظ عليم" عن توافر الأهلية والكفاءة فيه لتولِّي خزائن أرض ملك مصر.

ولذلك فإن من أسباب الفشل وعدم النجاح في العمل إسناده لمن لا تتوافر فيه الأهليَّة والكفاءة، وقد جعل النبي ﷺ من علامات الساعة إسناد العمل إلى من ليس له بأهل، حيث قال حينما سُئِل: متى الساعة ؟ " إذا وُسِّد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة " [1].

وقد راعى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم هذا الأمر فيما يخصُّ الولايات والمسؤوليات، فاختار لكل عامل من يناسب له، كاختياره معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقضاء في اليمن؛ واختار خالد بن الوليد رضِي الله عنه لقيادة الجيش، وهكذا.

وكذلك سار صحابته الكرام من بعده فاختار أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجمع القرآن؛ لعلمه وقوَّة حفظه واشتغاله بكتابة الوحي.

فيجب أن يكون معيار اختيار العامل وتوظيفه هو أهليَّته للعمل، دون أي اعتبارات أخرى من قرابة أو صداقة أو مصلحة شخصيَّة، أو غير ذلك من المعايير الزائفة، التي ابتليت الأمة الإسلامية بكثير منها في هذه الأزمان، والله المستعان.

والعمل الذي تشيع فيه المحاباة والوساطات، وتعبث فيه المصالح الشخصيَّة بالمصالح العليا له، ويُتجاهل فيه أصحاب الكفاءات ويُقدّم عليهم من دونهم أبعد ما يكون عن النجاح.

(١) رواه البخاري ١ / ٢٣ برقم (٥٩).

٨- التكليف بالمستَطاع من الأعمال:

وهو من الأسس العامة والأصول العظيمة التي قررها الشرع المطهر، فلا تكليف للإنسان بأمرٍ يشقُّ عليه القيام به، وقد قرر القرآن الكريم ذلك ونص عليه في عدة آيات كقوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة٢٨٦] وقوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[الطلاق٧] وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة١٨٥] وعلى هذا فلا يصح أن يُكلَّف العامِل بعملٍ ليس في طاقته القيام به، أو يلحقه منه ضرر.

وقد أكَّد النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ذلك حتى في حق الأرقاء، حيث قال: " إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم "[(١)].

قال ابن حجر رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: " ويلتحق بالرقيق من في معناه من أجير وغيره "[(٢)].

فتكليف العامل والموظف بما يطيقه، والرفق به، سبب من أسباب تفانيه وإنتاجه، ونجاحه في العمل الموكل إليه.

بخلاف حال تكليفه بما يشق عليه، فإنه مدعاة للتفريط والإخلال بما أوكل إليه من عمل.

(١) رواه البخاري ٥ / ١٧٣، ١٧٤، برقم (٢٥٤٥).
(٢) فتح الباري ٥ / ١٧٤.

٩- أداء الواجبات قبل المطالبة بالحقوق:

وهو من المبادئ والقيم الأخلاقية الكريمة التي ينبغي الالتزام بها والحرص عليها في بيئة العمل، وهذا ينطبق على جميع أطراف العمل، من الموظف أو العامل أو صاحب العمل، فعلى كل واحد أن يحرص على أداء ما يجب عليه نحو الآخرين، ثم يطالب بعد ذلك بحقوقه المشروعة، لأن الواجب الذي يؤديه أي طرف من أطراف العقد هو في الحقيقة حق للطرف الآخر.

فإذا التزم الجميع بهذا المبدأ الخلقي سادت بينهم روح التعاون والإخاء في أجواء العمل، وزالت أسباب الخلاف والنزاع، وكان لذلك أعظم الأثر في جودة الإنجاز والإنتاج.

وهذا المبدأ في التعامل البشري قرره النبي ﷺ حتى في التعامل بين الخالق عز وجل والمخلوق، كما في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال له ﷺ: " يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: ألا يعذِّبهم "[1].

١٠- إتقان العمل وتحسينه:

وهو من القيم الهامّة في مجال العمل الوظيفي، وقد حض الإسلام على الإتقان في كل الشؤون، ويعدّ من مقتضيات الأمانة، وله دور كبير في النجاح وزيادة الإنتاج، فليس المطلوب مجرَّد القيام بالعمل، بل لا بُدَّ من إتقانه وأدائه بمهارة وإحكام؛ وقد ورد في القرآن الكريم الأمر بالإحسان والثناء على أهله في كثير من الآيات كقوله تعالى ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة ١٩٥] وقوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟

(١) رواه البخاري ٩/ ١٤٠ برقم (٣٧٣٧) ومسلم ١ / ٤٤ برقم (١٥٤).

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[آل عمران] وقوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس ٢٦] وقوله تعالى﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾[النحل ٣٠] وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النحل].

وقد قال النبي ﷺ: " إنَّ الله يحبُّ إذا عمِل أحدُكم عملاً أنْ يتقنه " [١].

ورغَّب في هذا الخلق وحث عليه بقوله: " إنَّ الله كتب الإحسان على كلّ شيءٍ؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحِدَّ أحدكم شفرتَه وليُرِح ذبيحته " [٢].

والله عز وجل قد وصف نفسه بالإتقان، فقال تعالى﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[النمل٨٨].

والعمل بلا إتقان مردود على صاحبه، فقد ردّ النبي ﷺ ذلك المصلّي الذي لم يتقن صلاته، وقال له: " ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ " [٣].

والإتقان سبب للتفوق، كما يشهد الواقع بذلك، فكلما كان الإنسان متقناً في عمله كان ناجحاً ومتفوقاً في إنتاجه، وكثير من الدول التي تعتني بالإتقان في أعمالها ومنتجاتها نجحت وتفوقت واشتهرت بجودة منتجاتها وإقبال العالم عليها، فأضحت في صدارة دول العالم [٤].

والأمة الإسلامية رغم ما تملكه من خيرات وطاقات ومقومات للتقدم والنجاح والريادة التي لا يملكها غيرها، لكنها بالتفريط في الإتقان، وبانتشار الفوضى والتكاسل فيها تقاصرت عن غيرها وتخلفت في كثير من المجالات عن التفوق والنجاح والرقي والريادة.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٤ / ٣٣٤ برقم (٥٣١٢) وصحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ / ١٠٦ برقم (١١١٣).

(٢) رواه مسلم ٦ / ٧٢ برقم (٥١٦٧) وورد بلفظ " وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة " سنن الترمذي ٤ / ٢٣ برقم (١٤٠٩) وسنن النسائي ٧ / ٢٢٧ برقم (٤٤٠٥) ومسند أحمد ٤ / ١٢٤ برقم (١٧١٦٩).

(٣) صحيح البخاري ١ / ١٩٢ برقم (٧٥٧) وصحيح مسلم ٢ / ١٠ برقم (٩١١).

(٤) ولا يخفى حال اليابان على سبيل المثال، وكيف استطاعت أن تستعيد قوتها بعد تعرضها للضربة النووية، وذلك بإتقانها في عالم الصناعات، فعادت قوية مرة أخرى

ولا بد لإتقان العمل من الشعور بالمسؤولية تجاهه، وحسن رعايته، وتطويره، والإسراع في إنجازه، وبذْل الوسع والطاقة في اجتناب الوقوع في الأخطاء في أداء العمل وممّا يُعين على ذلك اختيار العمل الذي المناسب الذي يستطيع أداءه بكفاءة ومقدرة، ومعرفة نظام العمل ومتطلَّباته.

١١- الإخلاص في العمل:

ولا يمكن القيام بالعمل على أكمل وجه إلا بالإخلاص فيه؛ فهو الباعث الذي يحفِّز العامل على إتقان العمل وإجادته وبذل الجهد في إنجازه، ويُعينه على تحمّل المتاعب فيه، وهو من أقوى العوامل للسلامة من الخلل والانحراف عن الطريق الصحيح في أداء العمل.

والإخلاص يقتضي النية الحسنة التي يبنى عليها صلاح الأعمال، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: " إنما الأعمال بالنيَّات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى... "[١].

فإذا نوى الإنسان بعمله إغناء نفسه ومن يعول عن الحاجة والسؤال، والإسهام في بناء المجتمع والأمة، والإخلاص والنصح لمن يعمل لديه كان ذلك دافعاً كبيراً لسلامة العمل، وحسن الإنتاج.

ومن معاني الإخلاص ولوازمه الرقابة الذاتيَّة في العامل، واستشعار أنَّ الله تعالى يراه ويرى عمله، وأنَّه سيجازيه على عمله؛ ومن الآيات التي تقرر هذا المعنى قول الله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[الإسراء] وقوله تعالى﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الأحزاب ٥٢].

(١) رواه البخاري ٣/ ١٣٥ برقم (٢٣٢٠) ومسلم ٥/ ٢٧ برقم (٤٠٥٠).

والإخلاص لله في أي عمل دنيوي يرفع منزلته ليجعله عملاً صالحاً متقبّلاً، يؤجر صاحبه، قال النبي ﷺ: " ما من مسلم يغرسُ غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة " [١].

بل إن الإخلاص والنية الصالحة تحول العمل الدنيوي الصرف إلى عمل أخروي يؤجر عليه الإنسان، كما قال ﷺ: " وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر " [٢].

فعلى العامل أيّاً كان مجال عمله أنْ يجعل كلَّ ما يعمله وما يكدُّ فيه ويتعب عملاً صالحاً خالصاً لله، يقصد به مصلحة البلاد والعباد، ورضا رب العباد؛ ليكون من عباد الله المخلصين الذين أثنى الله عليهم في محكم كتابه الكريم.

١٢- طاعة المسؤولين في العمل:

فطاعة العامل التامَّة لرئيسه المباشر في أيِّ مجالٍ من مجالات العمل فيما يخدم العمل ويطوِّره ويَزيد الإنتاج ويحسنه خلقٌ كريم ينبغي التحلِّي به؛ قال الله عزَّ وجلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء ٥٩] إلا أنَّه يُشترَط في هذه الطاعة أن تكون بالمعروف، بحيث لا يتجاوب العامل أو الموظَّف مع رئيسه إلا بما يُرضِي الله تعالى ولا يُسخطه؛ لقول الرسول ﷺ: (لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الله عزَّ وجلَّ)[٣].

وقال ﷺ: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة) [٤]

.

(١) رواه البخاري ٣ / ١٣٥ برقم (٢٣٢٠) ومسلم ٥ / ٢٨ برقم (٤٠٥٥).
(٢) رواه مسلم ٣ / ٨٢ برقم (٢٣٧٦).
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٣ / ٦٠ برقم (١٤٧٩٥) والبغوي في شرح السنة ١٠ / ٤٤ برقم (٢٤٥٥) وابن أبي شيبة في المصنف ١٢ / ٥٤٦.
(٤) رواه البخاري ٩ / ٧٨ برقم (٧١٤٤).

١٣- التعاون في أداء العمل:

والتعاون بين عموم المسلمين على البر والتقوى خلقٌ رفيع دعا إليه الإسلام ورَغَّب فيه ؛ قال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[المائدة ٢] وقال النبي ﷺ: ".. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .. "(١).

ومن صُوَرِ التعاون الذي حثّ عليه الإسلام: تعاونُ العاملين فيما بينهم في أداء العمل فيما يُحَقِّق النفع والخير للعامِلين، ويُفعِّل أنظمةَ العمل وقوانينه، ويحقِّق الفائدة والتطوير لهذا العمل.

١٤- الالتزام بأداء الواجبات الشرعية:

فإن من أعظم القيم الأخلاقية والصِّفات الحميدة في العامل التزامه بأداء الواجبات الشرعية، وقيامه بالعبادات المفروضة التي أوجبها الله على عباده، وعلى رأسها أداء الصلوات المفروضة جماعة، وصيام شهر رمضان، وغير ذلك من شعائر الدين العظيمة، قال الله تعالى ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[إبراهيم٣١] وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[البقرة ١٨٣] والآيات الدالة على فرائض الإسلام كثيرة مشهورة معلومة.

فيجب على العامل أن لا يكون عمله الوظيفي صارفاً له عن أداء ما أوجب الله تعالى عليه من الفرائض الشرعية، إلا ما جاء الترخيص فيه شرعاً(٢).

ويلزم من أداء هذه الواجبات الشرعية اجتناب جميع المحرَّمات والمعاصي الموجبة لغضب الله سبحانه وسخطه وعقابه.

---

(١) رواه مسلم ٨/ ٧١ برقم (٧٠٢٨).

(٢) كالترخيص لمن يتولى حراسة أو نحوها في أداء الصلاة منفرداً، ونحو ذلك، لقول الله تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[التغابن ١٦] وقول النبي ﷺ: " وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " رواه البخاري ٩/ ١١٧ برقم (٧٢٨٨) ومسلم ٤/ ١٠٢ برقم (٣٣٢١).

والالتزام بهذا المبدأ الخلقي سبب لكثير من المنافع والآثار الإيجابيَّة على العامل في أداء عمله، لأنه سبب لتحقيق رضا الله سبحانه وتعالى وتسديده وتوفيقه، وحصول البركة في العمل والرزق، وتحقق النجاح والفلاح في أمور الدنيا والآخرة، قال الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦ ﴾ [الأعراف].

وبالالتزام به تتحقق الطمأنينة والسكون، والاستقرار النفسي والصفاء الذهني لدى العامل، وتترسخ كثير من القيم الخلقيَّة المطلوبة في أداء العمل؛ كالأمانة والإخلاص وإتقان العمل، وتترسخ روح المحبَّة والتآلف بين العاملين في مقرِّ العمل.

١٥- حسن التعامل مع المراجعين:

وهو من القيم التي ينبغي على العامل أن يحسنها، ويحرص عليها، ويكون ذلك برحمتهم والرّفق بهم واحترامهم واللّطف معهم، قال الله تعالى في وصف حال عباده المؤمنين مع بعضهم﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[المائدة ٥٤] وقال تعالى﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح ٢٩] وقال النبي ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "(١) وقال ﷺ: " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله "(٢) وقال ﷺ: " إنَّ الله يُحبُّ الرِّفق في الأمر كله "(٣) وقال ﷺ: " إنَّ الرِّفق لا يكون في شيءٍ إلا زانَه، ولا يُنزَع من شيءٍ إلا شانَه "(٤).

(١) رواه أبو داود ٤ / ٤٤٠ برقم (٤٩٤١) والترمذي ٤ / ٣٢٣ برقم (١٩٢٩) وقال: " حديث حسن صحيح " والحاكم ٤ / ١٧٥ برقم (٧٢٧٤) وصحَّحه.

(٢) رواه مسلم ٧ / ٧٧ برقم (٦١٧٢).

(٣) رواه البخاري ٨ / ١٤ برقم (٦٠٢٤) ومسلم ٧ / ٤ برقم (٥٧٨٤).

(٤) رواه مسلم ٨ / ٢٢ برقم (٦٧٦٧).

وقال ﷺ: " اللهم مَن ولي من أمر أمَّتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقق عليه، ومَن ولي من أمر أمَّتي شيئًا فرفق بهم فارفق به " (١).

فالقسوة والغلظة والجفاء ليست من الأخلاق الفاضلة، بل من الطباع السيّئة التي ينكرها الإسلام وينهى عنها.

ومما يدخل في ذلك أيضاً البشاشة وطلاقة الوجه عند لقائهم وطيب الكلام معهم، فهذا الخلق الكريم مصدرٌ عظيم للنجاح في العمل، وسببٌ في تكوين مجتمع راقٍ متحابٍّ متكافل.

وقد دعا القرآن الكريم إلى حسن التعامل، فقال تعالى﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[الإسراء٥٣] وقال تعالى ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة٨٣] وقال سبحانه ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الحجر٨٨] وقال النبي الله عليه وسلم: " لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أنْ تلقى أخاك بوجهٍ طلق " (٢) وقال ﷺ: " اتَّقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمَن لم يجد فبكلمةٍ طيِّبة " (٣)، وقال أيضاً: "الكلمة الطيِّبة صدقة " (٤).

ومما يدخل في ذلك أيضاً الإحسان إليهم، والنُّصح لهم، واختيار الأفضل لهم في معاملاتهم، وسرعة إنجازها، وذلك من مقتضيات الأخوة الإيمانية، وقد قال الله تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات ١٠] وقال النبي ﷺ: (مَن نفَّس عن مؤمنٍ كُربةً من كُرَبِ الدنيا نفَّس الله عنه كُربة من كُرَبِ يوم القيامة) (٥).

(١) رواه مسلم ٦ / ٧ برقم (٤٨٢٦).
(٢) رواه مسلم ٨ / ٣٧ برقم (٦٨٥٧).
(٣) رواه البخاري ٢ / ١٣٥ برقم (١٤١٣).
(٤) رواه البخاري ٨ / ١٤ باب طيب الكلام (٣٤).
(٥) رواه مسلم ٨ / ٧١ برقم (٧٠٢٨).

ومما يدخل في ذلك أيضاً: الصبر عليهم، والصفح عن أخطائهم، واحتمال الأذى منهم، فقد أمر الله عز وجل بذلك في أكثر من آية، كقوله تعالى ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف] وقوله ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾[الحجر] وقوله﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى] وأخبر عن محبَّته لأصحاب هذا الخلق وأثنى عليهم بالإحسان فقال ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

وبما أن العامل يأتيه أصناف من البشر، بتفاوت أخلاقهم وطباعهم؛ فإن عليه أن يوطّن نفسه على احتمال ما قد يلحقه من الأذى، وأن يصبر ويصفح عن أخطائهم؛ احتساباً للأجر من الله تعالى، وحرصاً على النجاح في أداء مهمته الوظيفية في عمله، فإن ذلك من أسباب نجاحه.

١٦- أعطاء العامل والموظف أجره:

وهو من أهم القيم الأخلاقية في التعامل المادي، فكل عامل وموظف يرقب حقه وأجرة عمله لقاء أدائه ما كلف به، دون إخلال أو تأخير.

وهو مما أمر به الشرع المطهر، قال الله تعالى ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق٦] وقال النبي ﷺ: "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه"(١).

وتوعّد عز وجل من منع أجرة العامل أو أنكرها بأنه يكون خصمه يوم القيامة؛ ففي الحديث القدسي: " قال الله تعالى: ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة؛ رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حُرّاً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره "(٢).

ويجب أيضاً أن يكون هناك تناسبٌ بين حجم العمل وأجرته، لقوله تعالى﴿وَلَا

(١) رواه ابن ماجه ٣/ ٥١٠ برقم (٢٤٤٣) وصحّحه الشيخ الألباني.
(٢) رواه الإمام البخاري ٣/ ١٠٨، ١١٨ برقم (٢٢٢٧) و(٢٢٧٠).

﴿تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾[الأعراف ٨٥] أي: لا تنقصوهم أمواله [١] وحذر سبحانه من بخس حقوق الناس، فقال تعالى﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[المطففين].

فإعطاء العامل أجره دون تأخير أو نقص أوبخص من أقوى العوامل لإبداع العامل في عمله وتفانيه وإنتاجه، وهو من أهم أسباب النجاح والإبداع في أي عمل.

١٧- العدل بين العاملين:

والعدل خلاف الجور، وهو ما قام في النفس أنه مستقيم [٢] وهو: إعطاء كل ذي حق حقه من غير إفراط أو تفريط [٣] وتسوية المستحقين في حقوقهم [٤].

وهو من المبادئ الأساسيّة في الإسلام، وعليه يقوم بناء كل مجتمع إنساني، وكلُّ عمل لا بد أن يقوم على العدل، وإلا فإنه سيضطرب ويختل، مهما كانت قوة تنظيمه.

وقد أوجب الله العدل في كل الأمور وجعل إقامة العدل بين الناس من أعظم الغايات لإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد ٢٥] والقسط هو العدل [٥].

وجاء الأمر بالعدل في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة؛ منها قوله تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[النحل٩٠] وقوله﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[النساء٥٨] وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٥ / ١٥٢٠ وتفسير ابن كثير ٣ / ٣٤٥ والكشف والبيان ٤ / ٢٦٠.
(٢) انظر موسوعة نضرة النعيم ٧ / ٢٧٩٠.
(٣) انظر التعريفات للجرجاني ص ١٩١.
(٤) موسوعة نضرة النعيم ٧ / ٢٧٩٢.
(٥) انظر تفسير القرطبي ١٧ / ٢٦٠ والبحر المحيط ١٠ / ١١٣ والتحرير والتنوير ٤ / ١٦٣ واللباب ١ / ٤٨٣٤.

كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[النساء ١٣٥].

وقال في أكثر من آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾[المائدة ٤٢] أي: العادلين [١].

ووعد النبي ﷺ المقسط العادل بالجزاء الحسن يوم القيامة؛ فقال ﷺ: "إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا" [٢].

والعدل في مجال العمل الوظيفي له صور كثيرة؛ منها: المساواة بين العاملين في التكليف بالأعمال، مع مراعاة الفروق الفردية بينهم وتفاوت قدراتهم، والمساواة بينهم في بذل الحقوق، وفي حسن التعامل، وعدم تمييز بعضهم على بعض من غير مبرّر، وتقديم من يستحق التقديم في التعيين أو المرتبة أو الاستحقاق المالي وغير ذلك، ولا يقتضي ذلك عدم مكافأة المحسن على إحسانه، ومعاقبة المسيء على إساءته، ولا المساواة بينهم مع اختلاف حالهم وعطائهم.

ومن صور العدل بينهم إنصافهم عند تقييم أدائهم، وعدم محاباة بعضهم، دون الآخرين، وإنصاف المظلوم منهم من الظالم.

ومتى كان العدل سائداً في بيئة العمل كانت الآثار إيجابيةً، والنتائج ظاهرة، حيث ينشط العاملون، فيعملون بإخلاص وإتقانٍ، ويبذلون غاية جهدهم لرفع مستوى الأداء والإنتاج.

١٨- التواضع:

وهو من القيم الأخلاقية الحميدة الفاضلة، وهو مطلوب من المسلم مطلقاً، وقد ورد الأمر به، والنهي عن ضده، قال الله تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ

(١) انظر تفسير الطبري ١٠ / ٣٣٥ والبغوي ٣ / ٥٩ والنكت والعيون ٥ / ٣٣١.
(٢) رواه مسلم ٦ / ٧ برقم (٤٨٢٥).

ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾[لقمان١٨] وقال تعالى﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾[الإسراء ٣٧].

قال الشيخ السعدي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: " يقول تعالى:﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴾ أي: كبراً وتيهاً وبطراً، متكبراً على الحق، ومتعاظماً على الخلق ﴿ إِنَّكَ ﴾ في فعلك ذلك ﴿ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾ في تكبرك، بل تكون حقيراً عند الله، ومحتقراً عند الخلق، مبغوضاً ممقوتاً، قد اكتسبت أشر الأخلاق، واكتسيت أرذلها، من غير إدراك لبعض ما تروم " [1].

وقال ﷺ: " .. وإن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد " [2]، وقال عليه الصلاة والسلام: " ما تواضع أحد لله إلا رفعه " [3].

وتتأكد هذه القيمة الأخلاقية في مجال العمل الوظيفي، لأنها من أعظم أسباب التآلف والتعاون والتراحم بين العاملين، ومن أعظم ثمراتها النجاح والإتقان والإبداع في العمل.

وهذه القيمة النبيلة مطلوبة من جميع أطراف العمل، وإن كانت تتأكَّد بدرجة أكبر في حق ربِّ العمل، وفي حق الرئيس والمسؤول مع مرؤوسيه ومن تحت سلطته.

لأن التعالي والتكبر من قبل أرباب الأعمال والمسؤولين نحو من يعمل معهم أمر مفسد لجو العمل، يؤدِّي إلى الحقد والكراهية، ويحول دون الألفة والمحبة، ويقود إلى التنافر والفشل.

والتواضع يظهر في أخلاق النفس وفي أقوال المرء وأفعاله، فلا يتعالى على

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٤٥٧.
(٢) رواه مسلم ٨ / ١٦٠ برقم (٧٣٨٩).
(٣) رواه الترمذي ٤ / ٣٧٦ برقم (٢٠٢٩) وقال: " حسن صحيح ".

الآخرين، وإنما يتلطف معهم ويجالسهم ويحادثهم، ويشاركهم همومهم، ويتفقّدهم ويساعدهم في احتياجاتهم.

١٩- احترام العاملين وتقدير كرامتهم:

وهذه القيمة الأخلاقية من الحقوق الواجبة للإنسان مطلقاً، فالله تعالى قد كرم بين الإنسان كما قال تعالى﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء٧٠] وجعل من أصول الحياة البشرية وقواعدها الأساسية الإخاء بين المؤمنين، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات ١٠].

وجعل مقياس التفاضل بينهم واحداً وهو التقوى وأبطل ما عدا ذلك، فقال تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات ١٣] وقال النبي ﷺ: " يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى "(١).

والعامل والموظف مهما كان مستواه التعليمي أو المهني أو الاقتصادي أو الاجتماعي له شأن مهم وأثر بالغ في حياة المجتمع الذي يعيش فيه؛ فعلى كاهله يقوم النشاط اليومي، فهو عضو فعّال في المجتمع أيّاً كان النشاط الذي يزاوله، أو المجال الذي يعمل فيه، كما أنه ورب العمل كلّ منهما يتمّ رسالة الآخر، فهو يحتاج إلى تأمين مصدر للعيش والرزق بالأجر الذي يتقاضاه، ورب العمل يحتاج إلى إنجاز العمل وإتقانه، وكلاهما يحقق تطلعات المجتمع في الإنتاج والرقي، وغاية الأمة في الرخاء والأمن بكافة مجالاته المتعددة.

ولذا فمن أبرز الأخلاق التي ينبغي على رب العمل الحرص عليها والالتزام بها: احترام العامل وتقدير كرامته الإنسانية، ومعاملته بالرفق واللين، واجتناب

(١) رواه أحمد ٥ / ٤١١ برقم (٢٣٥٣٦) والبيهقي في شعب الإيمان ٧ / ١٣٢ برقم (٤٧٧٤) ومعجم شيوخ ابن عساكر ٢ / ٣ برقم (١٠٤٥).

كل سلوك أو تصرف يتضمن مهانةً أو مذلةً له، ولرب العمل في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة في معاملة العمال؛ فعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: " خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعتَ ؟ ولا: ألا صَنعت؟ " (١).

وهذه القيمة الأخلاقية من أقوى عوامل رفع الروح المعنوية في نفوس العاملين، وتحميسهم، وتنشيطهم للعمل، واهتمامهم به، وبالتالي نجاحهم في العمل، وجودة إنتاجهم فيه.

٢٠- مراعاة الخصائص النفسية للعاملين واختلاف الجنسين الذكر والأنثى:

فيكلف كل من الأعمال بما يناسب طبيعته، لأنه وإن وُجِدَ من الأعمال ما يمكن للرجل والمرأة القيام به على حد سواء، إلا أن من الأعمال ما لا يطيق القيام به إلا الرجل لتناسبه مع قدرته، ومنها أيضاً ما لا يطيق القيام به إلا المرأة لمناسبته لقدرتها الجسدية وتركيبتها النفسية، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران ٣٦] وذلك يقتضي أن يتولى كل منهما ما يتناسب معه، ومخالفة ذلك خلاف الفطرة، وفيها تكليف بما لا يطاق، والله تعالى يقول ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة٢٨٦] وقال تعالى﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق٧] وقاله سبحانه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة١٨٥].

٢١- تجنب دواعي الفتنة بين الرجال والنساء:

وذلك في الأعمال المشتركة وبيئات عمل النساء مع الرجال، فعلى المرأة أن تكون محتشمة متعففة غير فاتنة ولا مفتتنة، ملتزمة بالحجاب الشرعي، مجتنبة للتبرج والسفور.

(١) رواه الإمام البخاري ٨/ ١٧ برقم (٦٠٣٨).

وقد نهى الله تعالى المؤمنات عن التبرج والسفور، وعد ذلك من أعمال الجاهلية الأولى، فقال تعالى ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[الأحزاب٣٣] .

قال قتادة: " ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ إذا خرجتن من بيوتكن - وكانت لهن مشية تكسُّرٍ وتغنُّج - فنهى عن ذلك "[1] وقال مقاتل بن حيان: " والتبرج: أن تلقي خمارها على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج "[2].

وأمر تعالى في كتابه الكريم باجتناب دواعي الفتنة، فقال تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ...﴾

إلى قوله تعالى ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النور].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: " يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل؛ لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها "[3].

وبين الله تعالى أن الحجاب فيه طهارة للقلب وبعد عن الفتنة فقال في حق نساء النبي ﷺ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب٥٣] ذاك وهن أطهر نساء الأرض وأتقاهن، وهن أمهات المؤمنين، فغيرهن من باب أولى.

وحين أذن الله عز وجل للنساء الكبيرات اللواتي قعدن لكبر السن، وانقطع

(١) تفسير ابن كثير ٦ / ٤١٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) رواه البخاري ٦ / ١٣٦ برقم (٤٧٥٨).

عنهن الحيض، ويئسن من الولد، ولم يبق لهن تَشوُّف إلى التزويج، لانصراف الأنفس عنهن، في ترك التستر كباقي النساء، بوضع الجلباب أو الرداء، فأبيح لهن ما لم يبح لغيرهن، وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن، شرط ذلك بأن لا يكنّ متبرجات بزينة، أي غير مظهرات ولا متعرضات بالزينة لينظر إليهن، فإن ذلك من أقبح الأشياء وأبعده عن الحق، قال تعالى﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾[النور٦٠] هذا وهن أبعد عن الفتنة، ومع ذلك قال الله تعالى﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ أي: وترك وضع الثياب، وإن كان جائزاً خير وأفضل لهن [1] فغيرهن من النساء والشابات على وجه الخصوص من باب أولى والأمر في حقهن أوجب.

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات - وخاصةً أزواجه وبناته لشرفهن - بالستر والحشمة بأن يرتدين الجلابيب التي تسترهن، فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب].

كل ذلك يدل على وجوب حرص المرأة على الستر والحشمة والتعفف والحذر من الفتنة، والالتزام بالحجاب الشرعي عند مخالطة الرجال في أي مكان، ومن ذلك في مجال العمل، وأن تحذر من التبرج والسفور وإظهار الزينة.

هذه أهم القيم الأخلاقية للعمل الوظيفي التي أمكن استنباطها، ولا ريب أن جميع القيم الأخلاقية التي جاء الأمر بها والحث عليها في القرآن الكريم وكذلك في السنة النبوية فإنها تكون من القيم الأخلاقية المطلوبة في مجال العمل الوظيفي، فإنه لا انفكاك بين المسلم وبين أخلاقه في أي بيئة كان.

(١) انظر تفسير القرطبي ١٢ / ٣٠٩ وابن كثير ٦ / ٨٣.

والله نسأل أن يسلك بنا سبيل عباده المتقين، وأن يوفقنا للتخلق بالأخلاق الكريمة الفاضلة في كل شؤون حياتنا، وفي كل زمان ومكان، وهو المستعان، وعليه التكلان ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن.

الخاتمة

في ختام هذا البحث المتواضع أسجل أهم النتائج والتوصيات التي ظهرت لي من خلاله، وهي كما يلي:

١- أن القرآن الكريم والسنة النبوية متضمنان لأصول القيم الأخلاقية مطلقاً، ومنها قيم العمل الوظيفي، مما يؤكد ضرورة الإفادة من دلالاتهما، واستخراج القيم الأخلاقية للعمل الوظيفي منهما.

٢- أن القيم الأخلاقية من أهم عوامل النجاح الوظيفي، وسلامة الأعمال، وجودة الإنتاج، والتقدم والرقي.

٣- تنوع القيم الأخلاقية في الأعمال الوظيفية، حيث إن منها ما يخص العمل ذاته، ومنها منا يخص العامل، ومنها ما يخص رب العمل.

٤- تربية الأجيال منذ الصغر على القيم الأخلاقية، ليتربوا عليها في جميع شؤون حياتهم، وذلك بتقرير مقررات دراسية في علم السلوك والأخلاق في مراحل الدراسة المختلفة بدءاً من مراحل الدراسة الابتدائية.

٥- تقرير مقرر في (القيم الأخلاقية للعمل الوظيفي) على وجه الخصوص، في مراحل التعليم المتقدمة.

٦- الإفادة من الأبحاث العلمية المتعددة في أخلاقيات العمل الوظيفي سواء كانت رسائل أكاديمية أو مؤلفات خاصة أو أبحاثاً علمية مقدمة في المؤتمرات والندوات العلمية - كهذا المؤتمر المبارك - وذلك بصياغة مقررات تعليمية منها، وتعميمها على جهات العمل المختلفة .

٧- تفعيل دور الإعلام - سواء كان مرئياً أم مقروءاً - في إبراز القيم الأخلاقية للعمل الوظيفي ونشرها كثقافة في المجتمع .

٨- سعي جهات العمل المختلفة، حكومية كانت أو خاصة إلى إبراز القيم

الأخلاقية للعمل الوظيفي، واتِّخاذ الإجراءات اللازمة والقَرارات المناسبة لتفعيل الالتِزام بها في مجالات العمل المختلفة.

٩- الحرص على زيادة الوعي لدى العاملين والموظفين في مختلف القطاعات بالقيم الأخلاقية للعمل الوظيفي عن طريق عقد الدوارت التدريبية اللازمة لذلك.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأحكام الشرعية الكبرى: لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢- إحياء علوم الدين: للغزالي، طبعة دار الشعب، القاهرة.

٣- الأخلاق الإسلامية وأسسها: لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، طبعة دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤- أخلاق العمل في الإسلام: للدكتور مفرح بن سليمان القوسي، نشر مجلة الدرعية العددان ٤٤-٤٥ ذو الحجة ١٤٢٩هـ - ربيع الأول ١٤٣٠ - ديسمبر ٢٠٠٨- مارس ٢٠٠٩م.

٥- أخلاقيات الوظيفة العامة وأثرها على أداء منظمات الإعمال: للدكتور أنمار أمين حاجي والدكتور محفوظ حمدون الصواف، جامعة الموصل - كلية الإدارة والاقتصاد.

٦- أدب الدنيا والدين: للماوردي، تحقيق: مصطفى السقا - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين الشنقيطي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨- البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٩- التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، طبعة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠- التعريفات: لعلي بن محمد الجرجاني، طبعة مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة ١٩٨٥هـ.
١١- تفسير ابن أبى حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، طبعة المكتبة العصرية، صيدا.
١٢- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٣- تفسير اللباب: لابن عادل الحنبلى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤- تهذيب الأخلاق: للجاحظ: طعبة دار الصحابة للتراث، القاهرة.
١٥- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: لابن مسكويه، تقديم حسن تميم، طبعة دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت.
١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٧- جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
١٨- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٩- الحرية الاقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية: لسعيد أبو الفتوح بسيوني، طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٠- دلائل النبوة: للإمام البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢١- ديوان أبي الفتح البستي: تحقيق الأستاذين درية الخطيب ولطفي الصقال، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق محمد حامد الفقي، طبعة مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.
٢٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة: لمحمد ناصر الدين لألباني، طبعة مكتبة المعارف، الرياض.
٢٤- السنة: لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
٢٥- سنن ابن ماجة: تحقيق خليل مأمون، طبعة دار المعرفة، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٦- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٧- سنن الترمذي: (الجامع الصحيح سنن الترمذي): لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨- سنن الدارقطني: تحقيق عبدالله المدني، طبعة دار المحاسن.
٢٩- سنن الدارمي: طبعة دار حديث أكادمي، باكستان ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣٠- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.
٣١- سنن النسائي (المجتبى من السنن): لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣٢- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٣٣- شرح السنة: للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٤- شعب الإيمان: للبيهقي، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، طبعة مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالتعاون مع الدار السلفية بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٥- الشوقيات: لأحمد شوقي، طبعة مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، ١١٩٧.

٣٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حبان البُستي، ترتيب: علي بن بلبان الأمير، طبعة مؤسسة الرسالة.

٣٧- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٨- صحيح الجامع الصغير: لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٩- صحيح مسلم: بن الحجاج القشيري، طبعة دار الريان، القاهرة.

٤٠- العمل عند المسلمين رؤية حضارية: لإبراهيم المزيني، طبعة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، الرياض ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤١- العمل في الإسلام: أخلاقه، مفاهيمه، قيمه: لعز الدين الخطيب، طعبة دار عمار ودار الفيحاء عمان – الأردن.

٤٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: تحقيق محمد عبدالباقي، طبعة دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٣- الفوائد: لابن القيم، تحقيق أحمد راتب عرموش، طبعة دار النفائس،

بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤٤- في ظلال القرآن: لسيد قطب، طبعة دار الشروق -القاهرة.
٤٥- القاموس المحيط: للفيروزآبادي ، طبعة دار الفكر، بيروت.
٤٦- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٤٧- كتاب الأخلاق: لأحمد أمين، طبعة المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
٤٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: للزمخشرى، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ.
٤٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: للثعلبي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٥٠- لسان العرب: لابن منظور، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٥١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٥٢- المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
٥٣- المسند: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنـاؤوط وآخرين، طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٥٤- مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار): لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: عادل بن سعد، طبعة مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
٥٥- مصنف ابن أبي شيبة: أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، طبعة الدار السلفية الهندية.

٥٦- معالم التنزيل: للبغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٧- المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٥٨- معجم الشيوخ: لابن عساكر، تحقيق: الدكتورة وفاء تقي الدين، طبعة دار البشائر، دمشق.

٥٩- معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٠- المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت،

٦١- موسوعة الأخلاق: لخالد بن جمعة الخراز: طبعة مكتبة أهل الأثر، الكويت، ٢٠٠٩م.

٦٢- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، طبعة دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.

٦٣- النكت والعيون: للماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٤- النمو الأخلاقي وعلاقته بوجهة الضبط واضطراب عملية التنشئة الاجتماعية: سامي محمود أبو بيه، ضمن مجلة كلية التربية بالقاهرة، المجلد ٢، العدد ٦، ١٩٩٠.

سِمَاتُ الرُّجُولَةِ
فِي القُرْآنِ الْكَرِيمِ

بحث مقدم للمؤتمر القرآني الرابع بعنوان (الشباب ومستقبل الأمة)

المنعقد في جمعية المحافظة على القرآن الكريم (بعمان – الأردن)

٢٥-٢٦ / ٦ / ١٤٣٥هـ - الموافق ٢٦-٢٧ / نيسان / ٢٠١٤هـ .

إعداد

أ . د . سالم بن غرم الله الزهراني

الأستاذ بقسم القراءات بجامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلما هيأ الله تعالى لجمعية المحافظة على القرآن الكريم بعمَّان بالمملكة الأردينة الهاشمية عقد المؤتمر القرآني الرابع بعنوان (الشباب ومستقبل الأمة) فإني رغبت المشاركة فيه بموضوع بعنوان (سمات الرجولة في القرآن الكريم) ولا يخفى ما له صلة وثيقة بموضوع المؤتمر، فإن أعظم ما تطمح له نفوس الشباب المسلم، وتأمله الأمة منهم هو أن يتصفوا بالرجولة، على ما أرادها لهم خالقهم عز وجل، وفق السمات التي رسمها لهم في كتابه العزيز، الذي يتضمن جميع الهدايات لجميع الخلق.

ولا ريب أن أعظم سمات الرجولة ما قرره القرآن الكريم وأثنى به على الرجال العظماء من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن بعدهم من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم.

خطة البحث: ستكون خطته كما يأتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجي فيه.

المبحث الأول: تعريف الرجولة، والفرق بينها وبين الذكورة، وبيان استعمالاتها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: سمات الرجولة من خلال آيات القرآن الكريم .

المبحث الثالث: وسائل تنشئة الرجولة في نفوس الشباب.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

فهرس المصادر والمراجع .

منهجي في البحث: أوجز منهجي في البحث في ما يأتي:

- قدمت بمسائل تعريفية عن الموضوع تشمل تعريف الرجولة، والفرق بينها وبين الذكورة، وبيان استعمالاتها في القرآن الكريم، معتمداً في ذلك على المصادر والمعاجم اللغوية.

- استعرضت سمات الرجولة من خلال آيات القرآن الكريم سواء مما جاء النص فيه على لفظ الرجولة وهي في آيات عديدة، أو لم ينص فيه على لفظ الرجولة، ولكن جاءت في معرض الثناء على أصحابها المتصفين بها من عظماء الرجال، من الأنبياء والرسل والصحابة الكرام.

- ومع كون البحث مقتصراً على سمات الرجولة في القرآن الكريم إلا أني قد أوردت ما يدل على تلك السمات ويبينها من سنة النبي ﷺ التي هي بيان للقرآن الكريم.

هذا موجز منهجي في البحث، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول:

تعريف الرجولة، والفرق بينها وبين الذكورة، وبيان استعمالاتها في القرآن الكريم:

الرجولة في اللغة:

الرجل الذكر من نوع الإنسان، خلاف المرأة، ولذلك قال تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾[الأنعام ٩] وقيل: إنما يكون رجلاً فوق الغلام، وذلك إذا احتلم وشَبَّ، وقيل: هو رجلٌ ساعة تلدُه أمُّه إلى ما بعد ذلك، وتصغيره (رجيل) و(رويجل) على غير قياس، والجمع رجال، ورِجالاتٌ جمع الجمع، وقد يجمع رَجُل أيضاً على رَجْلة، وقد يكون الرَّجُل صفة، أي: الشدّة والكمال، وهذا أَرْجَل الرَّجُلين، أي أَشدُّهما، أو فيه رُجْلِيَّة ليست في الآخر، وقد يأْتي رَجُلٌ بمعنى راجل قال الزِّبْرِقان بن بدر:

آليت لله حَجًّا حافياً رَجُلاً إن جاوز النَّخْل يمشي وهو مندفع

ومثله ليحيى بن وائل وأدرك قَطَريّ بن الفُجاءة الخارجي أحد بني مازن حارثي:

أَمَا أُقاتِل عن ديني على فرس ولا كذا رَجُلاً إلا بأصحاب

لقد لَقيت إذاً شرّاً وأدركني ما كنت أَرْغَم في جسمي من العاب

وقوله رجلاً أي راجلاً كما تقول العرب جاءنا فلان حافياً رَجُلاً أي راجلاً، كأنه قال أما أُقاتل فارساً ولا راجلاً إلا ومعي أصحابي لقد لقيت إذاً شَرّاً إن لم أُقاتل وحدي.

ورَجِلَ الرَّجُلُ رَجَلاً فهو راجل، ورَجُل ورَجِلٌ ورَجِيلٌ ورَجْلٌ ورَجْلان الأخيرة عن ابن الأعرابي إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه، وأنشد ابن الأعرابي:

عَلَيّ إذا لاقيت لَيْلى بخلوة ××× أَنَ ازدار بَيْتَ الله رَجْلانَ حافياً

والجمع رِجَالٌ ورَجَّالة ورُجَّال ورُجَالى ورُجَّالى ورَجَالى ورُجْلان ورَجْلة ورِجْلة ورِجَلة وأَرْجِلة وأَراجل وأَراجيل [١].

وفي الاصطلاح:

هي قوة إيمانية روحية تكمن في النفس فتحمل صاحبها على التحلي بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وتُبعده عن المنكرات وكل سفاسف الحياة، وتجعل الصغير كبيراً في سلوكه مع الآخرين، وقوياً في ضعفه، وغنياً في فقره، يؤدي واجبه نحو نفسه، ونحو ربه، ونحو أمته ودينه ووطنه [٢].

الفرق بين الرجولة والذكورة:

الذَّكر ضد الأنثى، وجمعه ذُكُور وذُكْران وذِكارة، كحجر وحجارة، والتَّذكير ضد التَّأنيث [٣].

فالذكورة تعني الجنس، وهي مقابلة للأنوثة، وأما الرجولة فأصل إطلاقها على مرادف الذكورة، وهي مقابلة الأنوثة، فجنس الرجال مقابل لجنس النساء، وبهذا الإطلاق فليست هي الصفة الممدوحة التي وردت النصوص بالثناء على المتصفين بها، وإنما هي كما سبق: قوة إيمانية روحية تكمن في النفس فتحمل صاحبها على التحلي بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وتُبعده عن المنكرات وكل سفاسف الحياة، وتجعل الصغير كبيراً في سلوكه مع الآخرين، وقوياً في ضعفه، وغنياً في فقره، يؤدي واجبه نحو نفسه، ونحو ربه، ونحو أمته ودينه ووطنه [٤].

---

(١) إكمال الإعلام بتثليث الكلام ص٥٦٣ تاج العروس ٢٩ / ٣٣-٥٣ كتاب العين ٦ / ١٠١ لسان العرب ١١ / ٢٦٥ المحكم والمحيط الأعظم ٧ / ٣٧٧-٣٨٤ والمفردات ١ / ٣٤٤.

(٢) الرجولة في القرآن الكريم دراسة موضوعية ص١٨٥.

(٣) ينظر العين ٥ / ٣٤٦ والمحيط في اللغة ٦ / ٢٣٥ ومختار الصحاح ص٢٢٦.

(٤) الرجولة في القرآن الكريم دراسة موضوعية ص١٨٥.

وعلى هذا فإن كل رجل ذكر، وليس كل ذكر رجلاً، وعليه أيضاً فإن الإنسان لا يمدح لكونه ذكراً لأن ذلك خلق الله، ولا دور للإنسان فيه، وإنما يمدح الذكر لرجولته واتصافه بصفاتها، وتحقيقه لمقتضياتها.

استعمالات الرجولة في القرآن الكريم:

لم يرد ذكر الرجولة في القرآن الكريم بصيغة المصدر، وإنما ورد عدد من مشتقاتها في سبعة وخمسين موضعاً، وهي (رجل، ورجلان، ورجال - منكَّرة ومعرَّفة-) ويختلف المراد بها، فبعضها يراد به النوع والجنس المقابل للأنوثة، وبعضها يراد به بعض صفات الرجولة، وبعضها يراد به النوع والصفة معاً.

وقد ذكر ابن الجوزي أن لفظ (رجال) بالجمع معرَّفاً كان أو منكراً ورد في القرآن على أحد عشر وجهاً [1] وهي:

الأول: الرسل، ومنه قوله تعالى ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾[الأنبياء ٧].

الثاني: الملائكة، ومنه قوله تعالى ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ [الأعراف ٤٦].

الثالث: الصابرون من أصحاب النبي ﷺ في الغزوات، ومنه قوله تعالى﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[الأحزاب ٢٣].

الرابع: أهل قباء، ومنه قوله تعالى﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾[التوبة ١٠٨].

الخامس: المحافظون على أوقات الصلاة، ومنه قوله تعالى﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة..﴾[النور ٣٧].

السادس: المقهورون من مؤمني أهل مكة، ومنه قوله تعالى﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾[الفتح ٢٥].

(١) ينظر نزهة الأعين النواظر ١ / ٣٢٦.

السابع: فقراء المسلمين، ومنه قوله تعالى﴿وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾[ص ٦٢].

الثامن: المشاة، ومنه قوله تعالى﴿فإن خفتم فرجالا أو ركبانًا﴾[البقرة ٢٣٩] وقوله﴿يأتوك رجالًا﴾[الحج ٢٧].

التاسع: الأزواج، ومنه قوله تعالى﴿وللرجال عليهن درجة﴾[البقرة ٢٢٨] وقوله﴿الرجال قوامون على النساء﴾[النساء ٣٤].

العاشر: الذكور، ومنه قوله تعالى﴿وبث منهما رجالًا كثيرًا﴾[النساء ١] وقوله﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾[الأحزاب ٤٠].

الحادي عشر: الكفار، ومنه قوله تعالى﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالًا يعرفونهم بسيماهم﴾ [الأعراف ٤٨].

وذكر أن لفظ (رجل) المفرد معرَّفاً كان أو منكَّراً ورد على ثلاثة عشر وجهاً[1]، وهي:

الأول: مثال ضربه الله عز وجل لنفسه، ومنه قوله تعالى﴿ورجلًا سلمًا لرجل﴾[الزمر ٢٩] فالرجل الثاني ضربه مثلاً لنفسه عز وجل، والأول المؤمنون.

الثاني: النبي محمد ﷺ، ومنه قوله تعالى﴿أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾[يونس ٢] وقوله﴿هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق﴾[سبأ ٧].

الثالث: نوح عليه السلام، ومنه قوله تعالى﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا﴾[الأعراف ٦٣].

الرابع: هود، ومنه قوله تعالى﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾[الأعراف ٦٩].

---

(١) ينظر نزهة الأعين النواظر ١ / ٣٢٨.

الخامس: موسى عليه السلام، ومنه قوله تعالى﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله﴾[غافر ٢٨].

السادس: يوشع بن نون وكالب بن يوحنا، ومنه قوله تعالى﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾[المائدة ٢٣].

السابع: حزقيل (مؤمن فرعون) وقيل: شروان، ومنه قوله تعالى﴿وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى﴾[القصص ٢٠] وقوله﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾[غافر ٢٨].

الثامن: حبيب النجار، ومنه قوله تعالى﴿وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى﴾[يس ٢٠].

التاسع: يمليخا وفرطس، ومنه قوله تعالى﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب﴾[الكهف ٣٢] وقال مقاتل: يمليخيا مؤمن وفرطس كافر.

العاشر: أبو مسعود الثقفي أو الوليد بن المغيرة، ومنه قوله تعالى﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾[الزخرف ٣١] أي: لولا نزل على أحد هذين.

الحادي عشر: جميل بن معمر الفهري، ومنه قوله تعالى﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[الأحزاب ٤] والآية عامة وإن كانت نزلت في حق شخص معين.

الثاني عشر: الوثن، ومنه قوله تعالى﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم﴾[النحل ٧٦] يعني به الوثن.

الثالث عشر: الشيطان، ومنه قوله تعالى﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾[الزمر ٢٨] قيل: هو الشيطان لأنه يزين لقوم المعاصي فيتبعهم غيرهم فيختصم التابع والمتبوع.

وذكر الفيروزآبادي أن لفظ الرّجل فى القرآن على وجوه [1]:

(١) بصائر ذوي التمييز ٣/ ٤١.

الأول: بمعنى الشخص﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[الأحزاب ٤] أى لشخص من البشر.

الثانى: بمعنى أبو [١] مسعود الثقفى ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف ٣١].

الثالث: بمعنى النبيِّ صلىَّ اللهُ عليه وسلَّمَ ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾[يونس ٢] ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾[سبأ ٧].

الرَّابع: بمعنى حزبيل مذكِّر قوم فرعون﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر ٢٨].

الخامس: بمعنى رجلين من بنى إسرائيل مؤمن وكافر، يهودا وفُطروس ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا﴾[الكهف ٣٢].

السَّادس: بمعنى يُوشَعَ بن نُون وكالب بن يوحنا من قرابة موسى الكليم﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾[المائدة ٢٣].

السّابع: بمعنى حَبيبٍ النَّجار﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾[يس ٢٠].

الثامن: بمعنى حزبيل مخبر موسى من مكر فرعون﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾[القصص ٢٠].

التَّاسع: بمعنى الصَّنم﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾[النحل ٧٦].

العاشر: بمعنى المؤمن والكافر﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾[الزمر ٢٨] يعنى المؤمن والكافر.

ويظهر توافقهما في أكثر المعاني في لفظ رجل، ويختلفان في المواضع الآتية:

في قوله تعالى﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ عند ابن الجوزي أن

(١) تصحف إلى (ابن مسعود) وهو خطأ ظاهر، والصواب (أبو مسعود) كما عند ابن الجوزي.

المراد به جميل بن معمر الفهري، وعند الفيروزآبادي المراد به الشخص.

وفي قوله تعالى﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ المراد به عند ابن الجوزي: الشيطان، وعند الفيروزآبادي: المؤمن والكافر.

وفي قوله تعالى﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾المراد به عند ابن الجوزي: أبو مسعود الثقفي أو الوليد بن المغيرة، وأما الفيروزآبادي فاقتصر على أبي مسعود الثَقَفي [1].

وفي قوله تعالى﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ المراد به عند ابن الجوزي: حزقيل وقيل شروان، وأما الفيروزآبادي فاقتصر على حزقيل وتصحف عنده إلى (حزبيل).

وفي قوله تعالى﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلًا سلمًا لرجل﴾ فصل فيه ابن الجوزي، فالمراد عنده بقوله﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ الشيطان، وأما قوله﴿ورجلًا سلمًا لرجل﴾ فهو مثال ضربه الله لنفسه.

وأما الفيروزآبادي فاقتصر على أن المراد بقوله﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾الشيطان.

وانفرد ابن الجوزي بثلاثة مواضع، الأول: قوله تعالى﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا﴾ فذكر أن المراد به نوح عليه السلام، والثاني: قوله تعالى﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ ذكر أن المراد به هود عليه السلام، والثالث: قوله تعالى﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله﴾ ذكر أن المراد به موسى عليه السلام.

(١) وإن كان قد تصحف عنده إلى (ابن مسعود) كما سبق.

المبحث الثاني:

سمات الرجولة من خلال آيات القرآن الكريم

لما كان القرآن الكريم هو مصدر الهداية الأول للناس في جميع شؤون حياتهم، كما قال تعالى﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[الإسراء ٩] حيث ذكر جلَّ وعلا أنَّ القرآن العظيم يهدي للتي هي أقوم، أي الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب، وقد أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها [1].

فهو يهدي للتي هي أقوم على وجه الإطلاق في من يهديهم وفي ما يهديهم، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان.

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى، وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة، متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعاً واستمتاعاً بالحياة.

ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة، بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

(١) أضواء البيان ٣/ ١٧.

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض، أفراداً وأزواجاً، وحكومات وشعوباً، ودولاً وأجناساً، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض، الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان [1].

ومن هداية القرآن للناس هدايته إلى القيم الأخلاقية التي تحكم تعاملهم، والسمات النبيلة التي حث الإسلام على التخلق بها والحرص عليها والالتزام بها، ومن تلك السمات التي جاءت دلالات القرآن الكريم بالحث عليها وتأكيدها؛ سمات الرجولة، التي متى عرفها الرجال وتخلقوا بها حققوا معنى الرجولة التامة التي يريدها الله، ويحث عليها الشرع المطهر.

وفيما يأتي ذكر أهم سمات الرجولة في القرآن الكريم، وهي:

١- تعلق القلوب بالمساجد:

وهو من أعظم السمات التي أثنى الله بها على أصحاب الرجولة، فقال تعالى ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوِّ والآصال رجال..﴾[النور ٣٦].

والبيوت هي المساجد، وهي بيوت الله، كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: " الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، تُضِئُ لأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِئُ نُجُومُ السَّمَاءِ لأَهْلِ الأَرْضِ " [2] وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: " أخبرنا رسول الله ﷺ أن المساجد بيوت الله في الأرض وأنه لحق على الله أن

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢١٥.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٢٦ برقم (١٠٤٦١) والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٨٠ برقم (٢٦٨٧).

يكرم من زاره فيها "[1].

وهذال التعلق بالمساجد والملازمة لها إنما هو للعبادة، وعلى رأسها فريضة الصلاة التي أوجب الله على الرجال أداءها في بيوته، وتعلق القوب ببيوت الله وأداء الفرائض والعبادات فيها من أعظم سمات شخصية الرجل المسلم؛ لأن ذلك يوثق صلته بالله تعالى، الذي يستمد منه كل عون وتوفيق، ومتى حافظ الرجل على صلته بربه وعلى الصلاة في بيوته وفقه الله تعالى للكمال في أخلاقه وتصرفاته وأعماله، وقد قال الله تعالى﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[العنكبوت ٤٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط "[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا "[3].

وقد قرر القرآن الكريم ذلك أيضاً في قول الله تعالى﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة ١٠٨] فدلت الآية على أن من سمات الرجال المتقين أنهم من

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١ / ٢٩٦ برقم (٢٠٥٨٤).

(٢) رواه مسلم ١ / ١٥١ برقم (٦١٠) ومالك في الموطأ ١ / ١٦١ برقم (٣٨٤) والترمذي ١ / ٧٣ برقم (٥٢) والنسائي ١ / ٨٩ برقم (١٤٣) وعند مسلم (فذلكم الرباط) مرة واحدة.

(٣) رواه مسلم ١ / ١٥١ برقم (٦١٠) ومالك في الموطأ ١ / ١٦١ برقم (٣٨٤) والترمذي ١ / ٧٣ برقم (٥٢) والنسائي ١ / ٨٩ برقم (١٤٣) وعند مسلم (فذلكم الرباط) مرة واحدة.

أهل المسجد الذي أسس على التقوى، فهم فيه من القانتين العابدين لله رب العالمين، وهذا هو سر نجاحهم وفلاحهم ومكمن رجولتهم وعزتهم وقوتهم، فهم من أهل بيوت الله، المتصلين بحبل الله، المحافظين على الصلوات في المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله [1] وهي مكانهم الذي يألفونه ويأوون إليه كل يوم وليلة، فليسوا كغيرهم ممن لا يأبه بتلك البقاع، ولا يحرص عليها.

وقد امتثل السلف ذلك حتى قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ " [2].

ولذلك جاء التأكيد عليها في قول المصطفى ﷺ عليها " لقد هممت أن آمر بالصلاة فتُقامَ، ثم أخالف إلى منازل قوم لا يشهدون الصلاة فأحرِّق عليهم بيوتهم " [3].

أما النساء فَصَلاتهن في بيوتهن أفضل لهن؛ لقول النبي ﷺ: " صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها " [4].

---

(١) كما في حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في مسند البزار ٨ / ٣٥٢ برقم (٣٤٣٠).

(٢) رواه مسلم ٢ / ١٢٤ برقم (١٥٢٠).

(٣) رواه البخاري ٣ / ١٦٠ برقم (٢٤٢٠) ومسلم ٢ / ١٢٣ برقم (١٥١٤).

(٤) رواه أبو داود ١ / ٢٢٣ برقم (٥٧٠) والبيهقي في السنن الكبرى ٣ / ١٣١ برقم (٥٥٦٧) والحاكم في المستدرك ١ / ٣٢٨ برقم (٧٥٧) وقال: " صحيح على شرط الشيخين " ووافقه الذهبي.

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن رسول الله ﷺ أنه قال: " خير مساجد النساء قعر بيوتهن "[1].

فالمحافظة على الصلوات المفروضة مع الجماعة في المسجد من أهم وأبرز سمات الرجولة الحقة، والشرع المطهر جاء بالتوازن في الأمور، فمع أمر الرجال بالصلاة في المساجد، جاء التوجيه النبوي الشريف بالصلاة في البيوت أيضاً، ولكنها ليست الفرائض وإنما هي النوافل كما في حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفرُّ من البيت الذي تُقرأُ فيه سورة البقرة "[2].

قال القاضي عياض: " قوله: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر) أي: صلوا فيها من صلاتكم، ويفسره الحديث الآخر (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً) لأن القبور لا صلاة فيها ولا عمل "[3].

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: " أَفْضَل الصَّلَاة صَلَاة الْمَرْء فِي بَيْته إِلَّا الْمَكْتُوبَة "[4].

هذه صفة من صفات الرجال العظماء الذين حازوا على شرف الرجولة، وفازوا بظل الله يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - ذكر منهم: ورجل قلبه معلق في المساجد - "[5].

---

(١) رواه أحمد في المسند ٦ / ٢٩٧ برقم (٢٦٥٨٤) وابن خزيمة في صحيحه ٣ / ٩٢ برقم (١٦٨٣) والبيهقي في السنن الكبرى ٣ / ١٣١ برقم (٥٥٦٦).

(٢) رواه مسلم ٢ / ١٨٨ برقم (١٨٦٠).

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢ / ١٦٩، وحديث: « اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا » رواه مسلم في صحيحه ٢ / ١٨٧ برقم (١٨٥٦) قال النووي: « مَعْنَاهُ: صَلُّوا فِيهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا كَالْقُبُورِ مَهْجُورَة مِنْ الصَّلَاة، وَالْمُرَاد لَهُ صَلَاة النَّافِلَة، أَيْ: صَلُّوا النَّوَافِل فِي بُيُوتكُمْ.. » شرح النووي ٣ / ١٢٩.

(٤) صحيح البخاري ١ / ١٨٦ برقم (٧٣١).

(٥) رواه البخاري ١ / ١٦٨ برقم (٦٦٠) ومسلم ٣ / ٩٣ برقم (٢٤٢٧).

إن المسجد بيتٌ لكل تقي، ولا يعمره إلا صفوة البشر ولا يهجره إلا أراذلهم؛ لأنه منبع كل خير وله ينتهي كل معروف وهو مهبط الرجال فيه ينشأون على حب الخيرات وبغض المنكرات، ومكارم الأخلاق، قال تعالى﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة ١٠٨].

فهؤلاء الرجال عمّروا بيوت الله عمارة معنوية بكثرة التردد عليها والصلاة فيها، وبالأذكار وتلاوة القرآن، هؤلاء هم الصفوة المختارة الثابتة على منهج الله تعالى، والله يدلنا على منابع الصدق وأماكن الثبات على الحق، وأحب البقاع إليه، حيث قال تعالى﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[النور ٣٦].

فالمساجد محاضن لوجود القلوب النورانية الصادقة، والله أمر أن تعظم بتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال التي لا تليق بها ؛ لأن المساجد لها قدسيتها ولها الدور الأول في صناعة الرجال الأقوياء بإيمانهم وعقيدتهم [١].

ويقول الحق سبحانه وتعالى﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ فكأن مأوى هذه القلوب هي المساجد، وهذا يدل على أن التربية الإيمانية الشاملة إنما تكون في المساجد ؛ لأنها المناخ الجيد للتربية الصالحة.

وهذا يجعلنا نهتم بعمارة المساجد وجلب الناس إليها لينهلوا من آدابها الجمة وأخلاقها الوفيرة وليبنوا نفوسهم على أسس متينة وقواعد صلبة لا تهتز أمام المحن والشدائد [٢].

(١) الأساس في التفسير ٧/ ٣٧٧٥.
(٢) الأساس في التفسير ٧/ ٣٧٨٥.

و﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بقوله﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ وتقديم المجرور للاهتمام بتلك البيوت وللتشويق إلى متعلق المجرور وهو التسبيح وأصحابه، والتقدير: يسبح لله رجال في بيوت، ويكون قوله﴿فِيهَا﴾ تأكيداً لقوله:﴿فِي بُيُوتٍ﴾ لزيادة الاهتمام بها، وفي ذلك تنويه بالمساجد وإيقاع الصلاة والذكر فيها كما في الحديث: صلاة أحدكم في المسجد أي الجماعة تفضل صلاته في بيته بسبع وعشرين درجة.

والمراد بالغدو: وقت الغدو وهو الصباح لأنه وقت خروج الناس في قضاء شؤونهم، والآصال: جمع أصيل وهو آخر النهار.

وتخصيص التسبيح بالرجال لأنهم الغالب على المساجد كما في الحديث " ورجل قلبه معلق بالمساجد " ولأنهم المكلفون بالصلاة في المساجد .

٢- الحرص على الطهارة:

وقد أثنى الله على المؤمنين بأنهم يحبون الطهارة ويحرصون عليها، فيأتون إلى المساجد وهم على طهارة، قال تعالى﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة ١٠٨] فالصلاة لا تصح بلا وضوء، لأن من يقف بين يدي ربه لا بد أن يتصف بأجمل الخصال من الطهارة والنظافة لملاقاة الله بطهارة في ثوبه وبدنه.

وقد امتدح الله أهل مسجد قباء لأنهم رجال يحبون أن يتطهروا حسياً بأبدانهم من الحدث وبأثوابهم والمكان الذي يؤدون فيه العبادة، ولحرصهم على الغسل والوضوء والله يحب أهل الطهارة والنظافة ويرضى عنهم [١].

(١) التحرير والتنوير ١٨ / ١٩٦.

ومن اعتنى بطهارة الظاهر من الثوب والبدن كان لزاماً أن يكون أشد حرصاً على طهارة الباطن ، فيتطهرون طهارة معنوية من المعاصي والخصال الذميمة لتحقيق مرضاة الله تعالى ؛ لأن الطهارة تكون من الذنوب بالتوبة والأعمال المكفرة للذنوب، قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[التحريم ٨] وذلك مكمن اتصافهم بالرجولة الحقة، التي يحب الله المتصفين بها﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾.

فالرجال في المجتمع الإسلامي يحرصون على نيل الطهارة بكافة أنواعها، فهم يطهرون أجسادهم بالماء فلا تمرض ويطهرون أرواحهم بالصلاة فلا تنحرف ويطهرون أموالهم بالزكاة فلا تنقص، ومن خلال ذلك كان المجتمع مجتمعاً طاهراً نظيفاً [١].

والرجل مطلوب منه أن يكون حريصاً على التطهر والنظافة والجمال، ولما قيل للنبي ﷺ: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: " إن الله جميل يحب الجمال " [٢].

٣- الذكر الدائم لله تعالى:

وهو من أخص صفات الرجال التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم، قال تعالى﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ أي: في أول النهار وآخره [٣]، لأنهم﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ فهم أصحاب همم عالية وعزيمة صادقة، ورجولة حقه.

(١) ينظر التفسير الوسيط ١ / ٩١٩.
(٢) ينظر رجال أنزل الله فيهم قرآناً ٨ / ١٨.
(٣) رواه مسلم ١ / ٦٥ برقم (٢٧٥).

فالله تعالى أذن لعباده أن يذكروا اسمه في بيوته، والذكر يعم جميع الأذكار التي منها تلاوة القرآن الكريم ؛ لأن التلاوة من معاني ذكر الله، كما يشمل الذكر توحيد الله تعالى وهو قول لا إله إلا الله، وذكر أسمائه الحسنى.

فالرجال المؤمنون لا تتوقف ألسنتهم عن ترديد ما توقن به قلوبُهم من الإيمان الصادق بالله، فهم يذكرون الله على كل أحوالهم، قال تعالى﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران ١٩١].

٤- الخشيةُ من الله:

من سمات الرجال الأتقياء خشيتهم من الله وخوفهم منه سبحانه، فهم لإيمانهم بالله لا يخافون إلا منه سبحانه، ولا يهتمون بقوة أحد سواه ؛ لأنهم موقنون أن كل ما سوى الله فهو ضعيف عاجز أمام قوة الله.

وقلوب الرجال لا تعرف الجبن أو الخور، فهي قوية متينة، لكنها تذوب من خشية الله تعالى ولا سيما عندما تتذكر الآخرة يوم الحساب، ويؤدون ما افترض الله عليهم من الواجبات ويتقربون إليه بأنواع الطاعات لأنهم يخافون ربهم ويخشون يوم الحساب والجزاء [(١)]، قال تعالى:﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[النور ٣٧] ومع هذا الخوف يعلقون رجاءهم بثواب الله ومغفرته، ومن خاف ربه خافه كل شيء، وأمنه ربه من كل شيء.

(١) ينظر في ظلال القرآن ٤ / ٢٥٢٠، وأيضاً فتح الرحمن ٤ / ٢٣٥٢.

٥- إقامة الصلاة:

الصلاة هي أهم العبادات العملية وأعظمها، وهي الصلة بين العبد وربه، يستمد العبد منها قوة الإيمان والصبر وتحمل مصاعب الحياة، وتخفف مصائبه، وتجلو همومه، وقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [١] وكان ﷺ يقول: " أرحنا بها يا بلال " [٢].

وبصلاحها تصلح أعمال العبد يوم القيامة، قال النبي ﷺ: " أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله " [٣].

وإقامة الصلاة والمحافظة عليها أعظم سمات الرجال الصادقين، فهم يحرصون على أدائها في بيوت الله، يحافظون عليها، ولا يشغلهم عنها شاغل، قال تعالى ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة...﴾.

فالرجال يقيمون الصلاة في مواقيتها بدون تأخير أو تقصير، وهم مع اشتغالهم بالتجارة والبيع والشراء لا يغفلون عن الصلاة، ولا يلهيهم ذلك عن أدائها مع الجماعة في المسجد [٤].

ويؤدونها كما أمر الله بتواضع وخشوع وخضوع لله تعالى، قال سبحانه ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ()الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ () وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[المؤمنون ١-٣].

٦- إيتاء الزكاة:

(١) كما روى ابن قانع في معجم الصحابة ٢ / ١٨٩، برقم (٦٨٤).
(٢) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٤ / ١٦٧.
(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٢ / ٢٤٠ برقم (١٨٥٩) والطوسي في مختصر الأحكام ٢ / ٣٦٥.
(٤) ينظر الأساس في التفسير ٧ / ٣٧٧٥ والتحرير والتنوير ١٨ / ٢٤٨ ومحاسن التأويل ٧ / ٣٩١ وفي ظلال القرآن ٤ / ٢٥٢٠.

ومن سمات الرجولة بذل الأموال بكرم وطيب نفس، وأداء حق الله في الأموال بإيتاء الزكاة إلى مستحقيها، والزكاة طهارة للمال، وطهارة لنفس صاحبها من الشح والبخل، فبها يزكو ويطهر من أدران الجشع والأنانية، ويشعر بجوع الفقراء وتوجع المعوزين، لهذا يتصف الرجال بالعطاء والنجدة لكل المحتاجين ويسرعون في سد حاجات إخوانهم بدون تردد، قال تعالى﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وإيتاء الزكاة﴾[النور ٣٧].

وإيتاء الزكاة من الأوصاف المهمة والأساسية للمؤمنين المفلحين المخلصين، فالرجال المؤمنون لا يقصرون في حق أحد، فهم يقيمون صلاتهم على أكمل وجه ويمدون أيديهم بالخير والنفع لإخوانهم، فالخير يجري على أيديهم وألسنتهم دون توقف ؛ لأنهم صادقون مع الله ومع أنفسهم وأمتهم.

ولقد كان موقف أبي بكر في شأن مانعي الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ من أبرز مواقف الرجولة حين شدد عليهم واعتبرهم مرتدين عن الإسلام، فحاربهم لتفريقهم بين الصلاة والزكاة، وقال كلمته الشهيرة: "والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها" (١).

٧- قوة الإيمان بالله والخوف منه والتوكل عليه:

ويجسد هذه السمة ذانك الرجلان المؤمنان من أتباع موسى عليه السلام، فقد أثنى الله عليهما بأنهما ثبتا لما امتنع بنو إسرائيل عن ما دعاهم إليه موسى عليه السلام حين قال لهم﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[المائدة ٢١] فردوا عليه بقولهم ﴿يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ وعند ذلك برزت قيمة إيمان الرجلين بالله تعالى، وخوفهما

(١) ينظر صحيح البخاري ٢ / ١٣١ برقم (١٤٠٠) وإتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص٢٤- ٢٥ ومختصر سيرة الرسول ١ / ٢٥٧.

منه، وتوكلهما عليه، وأنشأ لهما ذلك الخوف والتوكل قوة وعزيمة وشجاعة وأمناً في ساعة الشدة والخوف، فاستهانا بأولئك الجبارين، وصمدا في وجه الخطر الموهوم، فقالا لقومهم: ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وهذه ثمرة الإيمان بالله والخوف منه سبحانه، فإنه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين، مخافته جل جلاله، ومخافة الناس، والذي يخاف اللّه لا يخاف أحداً بعده ولا يخاف شيئاً سواه.

وقد رسما قاعدة في علم القلوب وفي علم الحروب، حين دعوا قومهم إلى الإقدام والدخول (أقدموا واقتحموا) فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم، بقدر ما تقوى قلوبكم، وشعروا بالهزيمة في أرواحهم، وكتب لكم الغلب عليهم.

وأوضحا لهم مأخذ تلك الجرأة ومنبع تلك القوة والعزيمة وهي التوكل على الله الذي هو من مقتضيات الإيمان به﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فعلى اللّه وحده يتوكل المؤمن، وهذه هي خاصية الإيمان وعلامته وهذا هو منطق الإيمان ومقتضاه [1].

٨- المسارعة والمنافسة في الخيرات:

وقد أثنى الله على عبادة المسارعين في فعل الخيرات فقال تعالى﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً﴾[الأنبياء ٩٠] فأصحاب الرجولة الحقة يبادرون للأعمال الصالحة قبل ظهور العوائق وقبل فجأة الموت وإستتمام الرحيل، كما جاء في وصية النبي عليه الصلاة والسلام: " اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك

(١) ينظر في ظلال القرآن ٢ / ٨٧٠.

قبل شغلك، حياتك قبل موتك "[1].

فصاحب الرجولة الحقة ينبغي له أن يغتنم فرصة الصحة والقوة والشباب والراحة ليجعل أوقاته كلها طاعة لله، وينافس في المتاجرة مع الله عز وجل، قال تعالى﴿وفي ذلك فليتنافس المنافسون﴾[المطففين ٢٦] وقال الحسن رحمه الله: " إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة "[2].

فالرجل الحق يريد الجنة ويبحث عن السعادة الحقيقية ويجعل حياته وقفاً على طاعة الله ومرضاته، وإرادته مقصورة على محابه، وتنافسه في الدنيا من أجل تحصيل النعيم المقيم في الدار الآخرة، وهذه الهمة أعلى همة شمر إليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون.

والمنافسة في أمر الآخرة ترتفع بأرواح المتنافسين، حتى إن أحدهم قتل في سبيل الله، وهو يقول في لحظة فراقه للدنيا: " فزت ورب الكعبة "[3] إنه الفوز بالشهادة لدخول دار الكرامة.

والتنافس في أمر الآخرة، والسعي لنعيمها يصلح الأرض ويعمرها ويطهرها للجميع، ويجعل الدنيا مزرعة للآخرة، ويجعل منها عبادة تحقق غاية وجود هذا الإنسان كما قررها الله سبحانه وهو يقول﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[الذاريات ٥٦].

وقد كان أبو مسلم الخولاني عندما يقوم الليل إذا تعبت قدماه ضربها بيديه قائلاً: أيحسب أصحاب محمد أن يسبقونا برسول الله، والله لنزاحمنهم عليه في الحوض، فهو يريد المنافسة، ويريد أن يزاحم صحابة رسول الله في الدار الآخرة، وهنيئاً له بهذه المنافسة الشريفة.

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى ١٠ / ٤٠٠ برقم (١١٨٣٢) والحاكم في المستدرك ٤ / ٣٤١ برقم (٧٨٤٦).

(٢) ينظر الزهد لابن أبي الدنيا ٢ / ٣٨.

(٣) صحيح البخاري ٤ / ٢٢ برقم (٢٨٠١) ومسلم ٦ / ٤٥ برقم (٥٠٢٦).

٩- الحرص على ترك المعاصي والسيئات:

فمن سمات الرجولة الحقة أن أصحابها من أحرص الناس على ترك النقائص ومجانبتها، وعلى رأسها المعاصي والمنكرات لا سيما الكبائر والفواحش، فيبتعدون عن المعاصي والسيئات، ويجتنبون الفواحش، ويبادرون إلى ذكر الله وطلب مغفرته عند الوقوع في شيء من ذلك جهلاً؛ لعدم علم أو غلبة هوى، ويحذرون من الإصرار على الزلات.

وقد أثنى الله على من يقلعون عن المعاصي والفواحش ويستغفرون ربهم، فقال تعالى﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[آل عمران ١٣٥].

فإذا أحدث أحدهم ذنباً سارع بالتوبة، وجعل من نفسه رقيباً وبادر لغسل الخطايا بالإنابة والاستغفار وعمل الصالحات، قال تعالى﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾[الأعراف ٢٠١].

وقد جسد ذلك أعظم الرجال في هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، وهم صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فقد كان كثير منهم يشربون الخمر ويألفونها لسنين طويلة فلما أنزل الله تعالى قوله﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبعضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾[المائدة ٩١] قالوا من فورهم: انتهينا انتهينا [(١)]، بل قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "..فإني لقائم أسقى أبا طلحة وفلاناً وفلاناً وفلاناً، إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر ؟ فقالوا: وما ذاك، قال: حرمت الخمر، قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد الرجل" [(٢)].

١٠- الصدق في العهد والثبات على المنهج الحق:

(١) ينظر الدر المنثور ٢ / ٥٤٥ وتفسير ابن كثير ١ / ٥٧٨ والنكت والعيون ٢ / ٦٤.
(٢) صحيح البخاري ٦ / ٦٧ (٤٦١٧).

وهو من السمات اللازمة للرجال، سواء كان عهداً مع الله أو مع الناس، قال تعالى﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[الأحزاب ٢٣] قال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: "﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عليه﴾ أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبَّلوا أنفسهم في طاعته﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل اللَّه، أو مات مؤدياً لحقه، لم ينقصه شيئاً﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجد﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال "[1].

وقد أثنى الله على صحابة رسوله ﷺ ورضي الله عنهم بأنهم حققوا ذلك، فكانوا من عظماء الرجال، وشهد لهم رسول الله ﷺ بذلك، فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " لما فرغ رسول الله ﷺ يوم أحد مر على مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقتولاً على طريقه فقرأ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ "[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٠.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٢ / ٢٧١ برقم (٢٩٧٧) وصححه، والبيهقي في الدلائل ٣ / ٢٨٤.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ يَا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ قَالَ سَعْدٌ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ قَالَ أَنَسٌ فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ " [1].

فالرجولة تجعل صاحبها يتمسك بالحق ولا يحيد عنه؛ لأنه عرف الصواب وآمن به، فلا تراجع إلى الباطل ولا دفاع عمّا سوى الحق، بل يوفي بما عاهد الله عليه من الإيمان والطاعة وفعل الصالحات ومجانبة السيئات والإخلاص في كل الأعمال والصبر والجهاد، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح ١٠] [2].

والرجولة تُلزم صاحبها أيضاً بالوفاء بالعهد مع الناس، ممتثلين في ذلك لقول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[المائدة ١] ولقوله تعالى ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾[الرعد ٢٠].

وهكذا الرجال الذين تربوا على مائدة القرآن الكريم، في صدقهم والتزامهم بعهودهم ومواثيقهم مع خالقهم ومع أنفسهم ومع الناس جميعاً [3].

(١) رواه البخاري ٤ / ٢٣ برقم (٢٨٠٥) ومسلم ٦ / ٤٥.
(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٦ / ٣٩٢ ومحاسن التأويل ٨ / ٥٨ وفتح الرحمن في تفسير القرآن ٥ / ٢٧٩٠.
(٣) الرجولة في القرآن الكريم - دراسة موضوعية ص١٩٤.

١١- الهمة في الدعوة إلى الله ونصرة الدعاة والناصحين:

وهي من سمات الرجال العقلاء الذين وفقهم الله لاتباع الحق، ومناصرة الدعاة إليه، والاستجابة لدعوتهم، وقد امتدح الله بها حبيباً النجار صاحب يس [١] في قوله تعالى﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ( ) اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[يس ٢٠-٢١] .

فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتاً ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره. سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون. وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغي، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين.

وظاهر أن الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان، ولم يكن في عزوة من قومه أو منعة من عشيرته، ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها [٢].

(١) ينظر تفسير ابن كثير٣ / ٥٦٩ والدر المنثور ٧/ ٥١.

(٢) ينظر في ظلال القرآن ٥ / ٢٩٦٣.

١٢- تقديم النصيحة في حال الخوف:

ولقد كان هذا موقف مؤمن آل فرعون ذلك الرجل المؤمن الذي ذكره الله في كتابه بقوله﴿وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فجاء إلى موسى عليه السلام وكشف له مخططاتهم، وعرَّى دسائسهم ونياتهم الخبيثة، ونصحه بأن يخرج من المدينة.

قال ابن كثير رحمه الله: " وصفه بالرّجُولية لأنه خالف الطريق، فسلك طريقًا أقرب من طريق الذين بُعثوا وراءه، فسبق إلى موسى، فقال له: يا موسى﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي: يتشاورون فيك﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ أي: من البلد﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ "[1].

انظر إلى عجيب أمر هذا الرجل يأتي يسعى، ويختصر الطريق؛ ليحذر نبي الله موسى عليه السلام، وفي حال الخوف إنما يتقدم الرجال بالنصح لله عز وجل رغم الخوف الذي يكتنفهم، وأجواء الإرهاب التي تحيط بهم، فيقومون بواجب النصيحة.

رجل واحد يفعل أفعالاً لا تفعلها أمة بأسرها، رجل واحد يعدل غثاءً، بل إنه يرجح على هذا الغثاء المترامي الأطراف، الذي لا يجمعه تصور واحد، ولا منهج واحد، ولا عقيدة واحدة، يقوم هؤلاء الرجال بواجب النصح لله عز وجل، ويحذرون أولياء الله من المخاطر التي تحدق بهم.

(١) تفسير ابن كثير ٦ / ٢٢٦.

١٣- الوقوف في وجه الظلم:

وهذه السمة من سمات الرجولة ظاهرة في موقف مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، لكنه لم يستطع السكوت عندما علم بعزم فرعون على قتل نبي الله موسى عليه السلام، وقرر الوقوف في وجه الظلم، ومناصرة الحق، ولم يخش على حياته التي توقع أن يدفعها ثمنًا لموقفه، ولم يخش على منصبه الكبير عند فرعون، فنهاه عن قتل موسى عليه السلام وحاول إقناعه بأن ذلك ليس من الحكمة والمصلحة، ولم يكتف بذلك، بل توجه إلى موسى وأخبره بما يخطط له فرعون وزبانيته، ونصحه بالخروج من مصر.

وقد استحق هذا المؤمن وصف الله له بالرجولة حيث قال سبحانه﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[غافر ٢٨].

وأكد على وصفه بالرجولة في موضع آخر فقال تعالى﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[القصص ٢٠].

١٤- الشجاعة والإقدام عند الجبن والإحجام:

وهي من أخص سمات الرجولة، فلما أمر نبي الله موسى عليه السلام قومه لدخول الأرض المقدسة التي سكنها العمالقة أو العماليق؛ وقال لهم﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾[المائدة ٢١] فكلفهم بالجهاد في سبيل الله تعالى لتطهير الأرض المقدسة من الاحتلال ظهر الجبن والخور والضعف والاستكانة التي ملأت قلوبهم وطفحت على ألسنتهم وعندها﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين

وإن لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾[القصص ٢٢] هكذا وبلا قتال ولا بذل للمال أو النفس، بلا تعب ولا نصب، بلا جهاد ولا رباط، لأن الأمر هنا لا يوافق هواهم ولا يستقيم مع أمزجتهم، إنهم يريدون أن ينتصروا دون أدنى تكلفة.

وفي هذا الجو الذي خيم عليه الجبن والخور، تظهر الرجولة في أسمى معانيها تدفعها قوة الإيمان وصدق اليقين، وحسن التوكل على الله عز وجل.

تظهر الرجولة في رجلين من قوم موسى، خلع الله عليهم حلة الرجال وكساهم بسرباله وزياهم بزيه، لم يسموا أنفسهم ولم يرفعوا شعاراً لينضووا تحته ؛ بل الذي رفع لهم الشعار ونصب لهم اللواء إنما هو الله جل في علاه قال تعالى﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾[القصص ٢٣].

وعلى هذا المعنى العظيم للرجولة والفهم الدقيق لمعالمها ربى الحبيب محمد ﷺ أصحابه والأمة كلها من بعده تربية عملية، فكان ﷺ أشجع الرجال بل لم تسمع العرب عن رجل فاقت شجاعته شجاعة المصطفى ﷺ.

١٥- الشدة على الكافرين والرحمة للمؤمنين:

فمن صفات الرجولة أن يكون الرجل شديداً على أعداء الله الكافرين، وأن يكون رفيقاً رحيماً بإخوانه المؤمنين، قال الله تعالى في وصف عباده المؤمنين ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[الفتح ٢٩] وقال تعالى﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾[المائدة ٥٤].

فأصحاب الرجولة الحقة أذلة للمؤمنين من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم، وهم على الكافرين بالله؛ المعاندين لآياته؛ المكذبين لرسله؛ أعزة،

قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم [1].

١٦- الصبر على البلاء:

وهو من أعظم سمات الرجولة، وقد ورد الأمر بالصبر وبيان عاقبة أهله في آيات كثيرة من القرآن الكريم، فأمر الله تعالى به نبيه ﷺ وبيَّن له أنه منهج صفوة الله من أنبيائه المرسلين، قال تعالى﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾[الأحقاف ٣٥] وأخبر أن الصبر مؤهل أساس للقيادة والإمامة فقال ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة ٢٤] وأخبر بمعيته ومحبته للصابرين فقال﴿وَاللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة ٢٤٩] وقال﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران ١٤٦] وقال في جزاء الصابرين ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[النحل ٩٦] وقال﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر ١٠].

وسطر النبي ﷺ بسيرته وحياته كلها أعظم نماذج للصبر، إذ لقي من المصاعب والأذى في سبيل تبليغ رسالة ربه ما لقي من قومه ومن أعداء دينه، وكذلك أصحابه الأطهار رضوان الله عليهم، كانت حياتهم مليئة بنماذج الصبر العظيمة، فعذب كثير منهم، وطردوا وشردوا من ديارهم وأهليهم وأموالهم، وكان رسول الله ﷺ يصبرهم ويسليهم بأن عاقبة صبرهم الجنة، فكانوا حقاً رجالاً صابرين، والأمثلة في ذلك من سيرة المصطفى ﷺ وصحابته الكرام أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، قال أبو العتاهية [2]: اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلَّدِ ××× واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مخلَّدِ

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن ص٢٣٥.
(٢) ديوان أبي العتاهية ص١٢٩.

١٧- ضبط النفس عند الغضب:

من سمات الرجولة ضبط النفس عند الغضب وعدم التسلط على من هو أضعف، كالمريض والمرأة والصغار، فإن التسلط عليهم وعدم ضبط النفس ليس من سمات الرجولة، ولذلك وصف موسى عليه السلام فعله حين زل فضرب ذلك الرجل وقضى عليه بقوله﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ ويوضح ذلك أيضاً قول النبي ﷺ " ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يمسك نفسه عند الغضب " [١].

١٨- علو الهمة وعدم الرضا بما دون الكمال:

فمن سمات الرجولة أن يسمو إلى الكمال ما دام قادراً على ذلك، ويستصغر ما دون النهاية من معالى الأمور، ويطلب من كل أمر أعلاه وأقصاه، ويستصغر كل ما وصل إليه إن كان هناك ما هو فوقه أو أعلى منه.

والإنسان القادر على الكمال إن ترك ذلك وفرط فيه كان عيباً في حقه، كما قال المتنبي [٢]:

ولم أر في عيوب الناس عيباً ××× كنقص القادرين على التمام

ومن كان قادراً على بلوغ الكمال يلوم نفسه على تَرْك الكمال، فتكون نفسه لَوَّامَة، كما ورد في تفسير قوله تعالى﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[القيامة ٢][٣].

والهمة في طلب الكمال علامة على كمال العقل ورجحانه يقول ابن الجوزي: " من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء " [٤].

(١) رواه البخاري ٨/ ٣٨ برقم (٦١١٤) ومسلم ٨/ ٣٠ برقم (٦٨٠٩).
(٢) ديوان المتنبي ص٤٨٣.
(٣) ينظر الدر المنثور ١٥/ ٩٧ وتفسير الطبري ٢٣/ ٤٦٩ والقرطبي ٢١/ ٤٠٦.
(٤) صيد الخاطر ص٤٣.

وسقوط الهمة هو أصل ما وصلت إليه الأمة من ذل وهوان وحقارة وخذلان، والهمم الكبار تغير التاريخ بل هي التي تسطره وتكتبه، وقد رأينا كيف أن نبينا محمداً ﷺ وهو رجل واحد في وسط عالم كامل من الشرك كيف عبّده بهمته لله رب العالمين ؟.

وأسقط الصحابة رضي الله عنهم أكبر إمبراطوريتين وأعظم دولتين في زمنهم (فارس والروم) وفتحوا بلاد السند والهند والمغرب والأندلس في فترة وجيزة هي كالحلم في عمر الزمان.

في عهد صلاح الدين زمان العز وعلو الهمم كان المسلم يربط عشرات الأسرى في طنب خيمة، ولقد باع مسلم أسيراً نصرانياً بنعل، فلما سألوه لماذا ؟ قال: أردت أن يخلد التاريخ هوانهم وذلهم، وأن رجلاً منهم بيع بنعل [1]، فخلدها له التاريخ.

ثم مرت الأيام وقعدت الهمم وأصيبت الأمة بالضعف والمسكنة والمذلة والهوان فكان الجندي التتري يأمر المسلم قعيد الهمة، بل العدد منهم، أن يجلسوا مكانهم حتى يذهب فيأتي بالسيف ليقتلهم فيمنعهم الخوف أن يتحركوا حتى يعود إليهم فيقتلهم أجمعين [2] !!

ولا نزال نرى كيف تتعثر الأمة في مهاوي الذل والمهانة وتفقد من عزها وديارها ما تفقد عندما ضعفت همم أبنائها وتدنت، وأخلدت إلى حب الحياة وسفاسف الأمور.

(١) ينظر البداية والنهاية ١٢ / ٣٩٣.
(٢) الكامل ١٠ / ٤١٢.

١٩- التواضع:

وهو من سمات الرجال العظماء؛ وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده، والله يحب التواضع ويبغض المهانة والضعة، وقد أمر الله به نبيه الكريم الله ﷺ فقال تعالى﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾[الحجر ٨٨] وقال تعالى﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾[الشعراء ٢١٥] وقد قال ﷺ: " إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد "[١] فامتثل ذلك الخلق، فكان سيد المتواضعين، وقد أنزل الله عليه أن الجنة دار المتواضعين، قال تعالى﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾[القصص ٨٣].

فتواضع ﷺ تواضعاً لم تشهد له الدنيا مثيلاً، تواضع مع أهله وأصحابه ومع الناس أجمعين، وكان في خدمة أهله وهو قادر على أن يستعين بالخدم لخدمته، ولبس الثياب المتواضعة النقية النظيفة مع قدرته على لبس أفخر الثياب.

ومن تواضعه أنه أتاه رجل فأصابته من هيبته ﷺ رعدة فهدأ من روعه وسكن نفسه وبين له أنه ابن امرأة نشأت متواضعة فقيرة خشنة العيش تأكل اللحم المشقق المملح المجفف بالشمس منتسباً لها تواضعاً قائلاً: " هون عليك إني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد "[٢].

(١) رواه أبو داود ٤ / ٤٢٥ برقم (٤٨٩٧) والبخاري في الأدب المفرد ١ / ١٥٣ برقم (٤٢٨) والبيهقي في شعب الإيمان ٩ / ٥٢ برقم (٦٢٤٥).
(٢) رواه ابن ماجة ٤ / ٤٣٠ برقم (٣٣١٢) والحاكم في المستدرك ٢ / ٥٠٦ برقم (٣٧٣٣) والبيهقي في دلائل النبوة ٥ / ٦٩.

ولما دخل ﷺ مكة عام الفتح وتحت قيادته عشرة آلاف مقاتل وقد خرج منها مستخفياً قبل سنين مع صاحبه أبي بكر دخلها خاشعاً متواضعاً قد طأطأ رأسه وانحنى على رحله متواضعاً لربه مستشعراً منة الله عليه بالفتح والظفر والنصر والمغفرة، في حين أن الموقف يستهوي النفوس البشرية أن تبلغ ذروة الكبرياء والجبروت والتعالي، ولكنه إمام المتواضعين صاحب الخلق العظيم ﷺ.

وهكذا كان عظماء الرجال من أصحابه الكرام ومن بعدهم، فكان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جلالته حين يأتيه جواري الحي بأغنامهن يحلبها لهن وهو خليفة المسلمين، ويودع جيشه ماشياً وهو يقول: ما علي أن أغبر قدمي في سبيل رب العالمين، وهو من رفع في وجوه المادحين (اللهم اجعلني خيراً مما يظنون) وأمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج فمر بمكان كان يرعى فيه الغنم في الجاهلية فقال: لا إله إلا الله كنت أرعى الغنم بهذا الوادي وأتعب، وإذا قصرت أضرب، وقد أمسيت ليس بيني وبين الله من أحد، ويردد: يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله، وضالاً فهداك الله وذليلاً فأعزك الله، ثم حملك على رقاب الناس فماذا تقول لربك غدا إذا أتيته ؟ ثم يندفع في البكاء.

ويقول لابنه وهو يودع الدنيا شهيداً: ضع خدي على الأرض لا أم لك ! ويلي إن لم يرحمني ربي.

وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطب يوم الجمعة وعليه ثوب بأربعة دراهم وهو أمير المؤمنين وينام في المسجد فيقوم وأثر الحصى في جنبه وهو تاجر المسلمين ويخدم نفسه بالليل ولا يوقظ الخدم ويقول: الليل لهم فيه يستريحون.

وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشتري الطعام ويحمله بنفس لا تعرف الكبر ولا تأنف من حمل المتاع ويقول: أبو العيال أحق أن يحمل.

وسلمان يلبس جبة خشنة ويقول لمن لامه: إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد فإذا عتقت لبست ثياباً لا تبلى حواشيها في جنات وعيون.

ولما عُزل سيف الله خالد بن الوليد قال: والله لو ولى علي أمير المؤمنين امرأة أو مملوكاً لسمعت له وأطعت ما دام يقودني بكتاب رب العالمين.

فالتواضع من سمات الرجولة العظيمة، وأحسن من يكون من العظماء، كما قال القائل:

وقبيح بالوضيع الكبرُ لكن ××× حسن خفض جناح الكبراء

فالرجل كريم الأصل كالغصن كلما تحمل من خير تواضع وانحنى، والرجل الحق يتواضع فيتقبل شرع الله لا على أنه آصار وأغلال، بل تقبل الفرح الجذلان المستسلم المنقاد المحب المعظم لله رب العالمين، الموقن في أن في ذلك الفلاح.

وكم من جاهل متواضع ستر التواضع جهله، ومميز في علمه هدم التكبر علمه، ومن رأى أنه متواضع فقد تواضعه.

٢٠- الكرم:

وهو من سمات الرجولة، التي يفاخر بها العرب، وخاصة إكرام الضيف، وقد أثنى الله بها على خليله إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين () إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون () فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين () فقربه إليهم...﴾[الذاريات ٢٤-٢٧] وقال تعالى﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾[هود ٦٩] وقال النبي ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " [١].

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٣ برقم (٦٠١٨).

وكان ﷺ سيد الكرماء، يجود بما يملك، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: " كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة "[1].

ومع كونه أكرم الخلق فلم يكن يتكلف أكثر مما عنده، روى البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه " أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من يَضُمُّ أو يُضيفُ هذا، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياننا، فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما، فأنزل الله﴿ ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ "[2].

٢١- الحياء:

وهو من السمات الكريمة الفاضلة الحميدة، ومن اتصف به حاز الخير الكثير، وابتعد به عن الشر المستطير، ونال به الثواب الكبير، وهو عظيم الشأن، رفيع القدر، ويكفي لعظمه وجلاله أن الله سبحانه وتعالى متصف به، قال رسول الله ﷺ: " إن الله عز وجل حييّ ستّير يحب الحياء والستر "[3] وقال ﷺ: " إنَّ الله حييٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً "[4].

(١) صحيح البخاري ١ / ٥ برقم (٦) ومسلم ٧ / ٧٣ برقم (٦١٤٩).
(٢) صحيح البخاري ٥ / ٤٢ برقم (٣٧٩٨).
(٣) رواه أبو داود ٤ / ٧٠ برقم (٤٠١٤) والنسائي ١ / ٢٠٠ برقم (٤٠٦) وأحمد ٤ / ٢٢٤ برقم (١٧٩٩٧).
(٤) رواه أبو داود ١ / ٥٥٣ برقم (١٤٩٠) والترمذي ٥ / ٥٥٦ برقم (٣٥٥٦) وابن ماجة ٥ / ٣٣ برقم (٣٨٦٥) وابن حبان ٣ / ١٦٠ برقم ٨٧٦).

وهذه السمة وإن لم ترد بها آيات القرآن الكريم صراحة، إلا في ما حكى الله تعالى في قصة موسى عليه السلام حين ورد ماء مدين وسقى للفتاتين، قال الله تعالى﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾[القصص].

لكن هذه السمة من أبرز سمات العظماء من أنبياء الله تعالى ومن بعدهم، ممن امتثلوا الرجولة الحقة، وقد كان من صفات نبينا ﷺ، كما وصفه أبو سعيد الخدري بقوله: " كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها " (١).

وقال ﷺ: " إن الحياء والإيمان قُرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر "(٢) فكل واحد منهما مرتبط بالآخر، فإذا ذهب الواحد ذهب الآخر.

ومرّ ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال: " دعه، فإن الحياء من الإيمان " (٣).

وهو خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق من الحقوق، ويدعو إلى التحلي بالفضائل والبعد عن الرذائل، ويدعو إلى أن يخجل الرجل في نفسه، ويستحي من ربه، ثم يستحي من الناس.

وأعظم الحياء الحياء من الله تعالى، وقد أمر به النبي ﷺ أصحابه فقال: " استحيوا من الله حق الحياء، فقالوا: يا رسول الله، إنا نستحي من الله حق الحياء ! قال: ليس ذلك ؛ الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، من فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء " (٤).

---

(١) رواه البخاري ٤ / ٢٣٠ برقم (٣٥٦٢) ومسلم ٧ / ٧٨ برقم (٦١٧٦).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ١ / ٤٤٥ برقم (١٣١٣) والحاكم في المستدرك ١ / ٧٣ برقم (٥٨).

(٣) رواه البخاري ١ / ١٢ برقم (٢٤) ومسلم ١ / ٤٦ برقم (١٦٣).

(٤) رواه الترمذي ٤ / ٦٣٧ برقم (٢٤٥٨) والبزار ٥ / ٣٩١ برقم (٢٠٢٥) والمستدرك ٤ / ٣٥٩ برقم (٧٩١٥)

وصدق القائل [١]:

وإذا خلوتَ بريبةٍ في ظُلْمَةٍ والنَّفْسُ داعيةٌ إلى الطُغْيانِ
فاستحي من نظرِ الإلهِ وقُلْ لها إنَّ الذي خلقَ الظلامَ يَرَاني

ومن الحياء الحياء من الناس، وهو يمنع صاحبه من أن تقع أعينهم على ما يعيبونه عليه، وحياؤه من الناس يقوده إلى رفع الأذى عنهم، فالحياء من أعظم الأخلاق وأكرمها، قال النبي ﷺ: " إن لكل دين خُلقاً، وخُلق الإسلام الحياء " [٢].

والحياء مأثور عن الأنبياء المتقدمين، وتوارثه الناس عنهم قرناً بعد قرن، وفي الحديث عن النبي ﷺ: " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت " [٣].

فالمرء حينما يفقد حياءه لا يزال يهوي وتنحدر أخلاقة، وإذا لم يكن للمرء حياء جهر بالمعاصي أمام الناس ولا يبالي، والمجاهرون بالمعاصي لا يستحيون من الله، ولا يستحيون من الناس، ولهذا استحقوا الوعيد الشديد الذي أخبر به النبي (ص) بقوله: " كل أمتي معافى إلا المجاهرين " [٤].

فالجهر بالمعصية أعظم إثماً وأشدّ جرماً من الإسرار بها، لأنه يقود إلى إشهارها والوقوع فيها واستحلالها، وقد أبو تمام في قوله [٥]:

يعيش المرء ما استحيى بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء

(١) نونية القحطاني ١ / ٢٥.
(٢) رواه ابن ماجه ٥ / ٢٧٦ برقم (٤١٨١).
(٣) رواه البخاري ٨ / ٣٥ برقم (٦١٢٠).
(٤) رواه البخاري ٨ / ٢٤ برقم (٦٠٦٩).
(٥) ديوان أبي تمام مع شرح التبريزي ٢ / ٣١١.

وقال الآخر [1]:

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياءك فاحفظه عليك فإنما يدلّ على وجه الكريم حياؤه

٢٢- القوامة على النساء:

وهي من أخص سمات الرجولة، بل هي حق شرعي للرجال على النساء، وأمر واجب عليهم، قال الله تعالى﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[النساء ٣٤] فتفضيلهم عليهن لما جبلوا عليه من الصفات، وما أودعه الله فيهم من زيادة القوة والإرادة والعزيمة في تصدر الأمور، واختصاصهم بالولايات والنبوة والرسالة، وكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع ، وبما خصهم الله به من الصفات والقدرات التي ليس للنساء مثلها، ولما خصهم به من النفقات على الزوجات، وكثير من النفقات التي يختص بها الرجال ويتميزون بها عن النساء، ولذلك حذف المفعول في الآية من قوله﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ ليدل على عموم النفقة [2].

والقوامة ليست تشريفاً للرجال فحسب، بل هي تكليف لهم أيضاً، وواجب عليهم، فلا تنتظم مصالح الحياة الزوجية والأسرة إلا بقيام الرجال بواجب القوامة، فهم المكلفون شرعاً بإعالة الأسر وصيانتها وحمايتها، وعلى عاتقهم تقع مسؤولية البيت، وعليهم القيام بتبعات القوامة على أحسن وجه، ولهذا رفعهم الله على النساء درجة، قال تعالى﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[البقرة ٢٢٨] أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة [3]﴿

(١) ينظر الفاضل للمبرد ص٤٣ ولباب الآداب ص٢٨٥.

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن ص١٧٧ وأضواء البيان ٣ / ١٧.

(٣) ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف، وهو العادة الجارية في ذلك البلد وذلك الزمان من مثلها لمثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأحوال، والأشخاص والعوائد، وفي هذا دليل على أن النفقة والكسوة، والمعاشرة، والمسكن، وكذلك الوطء الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق، وأما مع الشرط، فعلى شرطهما، إلا شرطاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً. ينظر تيسير الكريم الرحمن ص١٠١.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي: زيادة حق عليهن، وهي درجة القوامة [١].

وهذه الرفعة للرجال بالقوامة لا تعني إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني ولا إلغاء دورها البارز في بناء الأسرة والمجتمع، ولا إهمال المرأة أو إنقاص أهليتها أو الطعن في كفايتها وعلمها، وإنما هو توزيع للواجبات، بما يتفق مع طبيعة وفطرة وقدرة كل من الرجل والمرأة، فالإسلام أراد بهذا أن يصون المرأة ويحافظ على كرامتها، وألا يعرضها للأذى والسوء [٢].

والقوامة أيضاً لا تعطي الحق للرجال في الاستبداد والتعسف والتسلط على النساء، وإنما هي تكليف وعبء على الرجال بالإدارة والرعاية والولاية والنفقة [٣].

والقوامة لا تنافي ما أمر الله به الأزواج من حسن التعامل والرحمة لأهلهم وزوجاتهم واللين والرفق بهم، قال تعالى﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[الروم ٢١] وقد حث النبي ﷺ على حسن التعامل مع الأهل والزوجات فقال: " خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي " [٤] وقال ﷺ: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم " [٥].

ومن أخطر المخاطر وأدهى الدواهي وشر البلايا أن لا تكون القوامة بيد الرجل، فإن ذلك من أسباب ما أصاب الحياة البشرية من تخبط وفساد، ومن تدهور وانهيار، ومن تهديد بالدمار والبوار، حين تهتز سلطة القوامة في الأسرة، أو تختلط معالمها، أو تشذ عن قاعدتها الفطرية الأصيلة، ولعل من هذه الدلائل توقان نفس المرأة ذاتها إلى قيام هذه القوامة على أصلها الفطري في الأسرة،

---

(١) ينظر التفسير الوسيط ١ / ١٢٥ وتيسير الكريم الرحمن ص١٠١.

(٢) ينظر التفسير الوسيط ١ / ١٢٤.

(٣) ينظر التفسير الوسيط ١ / ١٢٥.

(٤) رواه الترمذي ٥ / ٧٠٩ برقم (٣٨٩٥) وقال: "هذا حديث حسن غريب صحيح".

(٥) رواه الترمذي ٣ / ٤٦٦ برقم (١١٦٢) وقال: "حديث حسن صحيح" وابن حبان ٩ / ٤٨٣ برقم (٤١٧٦) ونحوه في سنن ابن ماجه ٣ / ١٤٨ برقم (١٩٧٨) ومسند البزار ١٤ / ٣١١ برقم (٧٩٤٧) وتهذيب الآثار ١ / ٤٠٩ برقم (٦٨٠).

وشعورها بالحرمان والنقص والقلق وقلة السعادة عند ما تعيش مع رجل لا يزاول مهام القوامة، بل تنقصه صفاتها اللازمة، فيكل إليها هي القوامة [١].

٢٣- الغيرة:

وهي من أبرز سمات الرجولة التي كان العرب قبل الإسلام يحرصون عليها، فكانوا يفاخرون بالعفة والغيرة على المحارم، ويعدون المرأة ذروة شرفهم وعنوان عرضهم، ولذلك تفانوا في حمايتها والمحافظة عليها والدفاع عنها زوجة وأماً، وابنة وأختاً، وقريبة وجارة، حتى يظل شرفهم سليماً من الدنس، وعرضهم بعيداً عن أن يمس، ولم يكن شيء يثير القوم كالاعتداء على نسائهم، أو المساس بهن، ولذلك كانوا يتجشمون في الدفاع عنهن كل صعب، ولا يبخلون بكل غالي، وكانت العفة شرطاً من شروط السيادة، كالشجاعة والكرم.

وكانوا يحرصون على عفة النساء عامةً ونسائهم خاصة، ويعتنون بستر النساء ومنعهن من الظهور أمام الرجال، يقول الأفوه الأودي [٢]:

نقاتل أقواماً فنسبي نساءهم ولم يرَ ذو عزٍ لنسواننا حجلا

فيفخر بأنه لا يرى أي إنسان الخلخال الذي تلبسه المرأة من نسائهم في قدميها لشدة تحريهم في عدم إظهار نسائهم.

وكانوا يفخرون بغض البصر عن الجارات، ويعتبرون ذلك من العفة والغيرة على الأعراض، قال عروة بن الورد [٣]:

وإن جارتي ألوت رياح ببيتها تغافلت حتى يستر البيت جانبه

وقال عنترة [٤]:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

(١) ينظر في ظلال القرآن ٢ / ٦٥١.
(٢) ينظر الأغاني ١٢ / ١٩٨.
(٣) ديوان عروة بن الورد ص٤٨.
(٤) ديوان عنترة ص٣٠٨.

وقد جاء دين الإسلام بالحث على مكارم الأخلاق ونشر الفضائل ومنها الغيرة على الأعراض، فأكد ذلك الخلق الأصيل الكريم، وحث عليه وعززه، وحمد تلك الغيرة، وشجع المسلمين عليها، قال النبي ﷺ: " أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني " [١] وقال ﷺ: " إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله " [٢] وقال ﷺ: " ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش " [٣].

فالمؤمن الحق صاحب الرجولة يستمد غيرته على محارمه من أمر ربه له بحفظ محارمه وأهل بيته قال تعالى﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة..﴾[التحريم ٦] ومن اقتدائه بنبيه وهو أغير البشر ﷺ، فالرجل غيور بلا شطط، يغار على محارم الله أن تنتهك، يغار على أي امرأة، قريبة له كانت أم أجنبية، يغار عليها من كل مجرم أثيم.

وهكذا يكون الرجال، يقومون بهذه الوظيفة ويدبرون شؤون النساء ويؤدبوهن ولا يكونون بين أهلهم كالمفقودين لا يأمرونهم بالخير والرشاد ولا ينهونهم عن الشر والفساد، فإن في ذلك إهداراً لكرامتهم وإبطالاً لرجولتهم بين أهلهم، وإضاعة لما أوجب الله عليهم من القيام عليهم، فإن الله تعالى لم يجعلهم قوامين على النساء إلا سيسألهم عن هذه المسؤولية التي حملهم إياها.

(١) رواه البخاري ٨/ ٢١٥ برقم (٦٨٤٦) ومسلم ٤/ ٢١١ برقم (٣٨٣٧).
(٢) رواه البخاري ٧/ ٤٥ برقم (٥٢٢٣).
(٣) رواه البخاري ٧/ ٤٥ برقم (٥٢٢٠) ومسلم ٨/ ١٠٠ برقم (٧١٦٧).

المبحث الثالث:

وسائل تنشئة الرجولة في نفوس الشباب

إنّ لتنشئة الرجولة في نفوس الشباب وسائل عديدة، وفيما يلي ذكر أهم وسائل وأسباب تنشئتها وتدعيمها في نفوسهم، وهي كما يلي:

١- مناداة الأبناء بالكنية:

مناداة الصغير بكنية ينمّي الإحساس بالمسئولية، ويُشعره بأنّه أكبر من سنّه فيزداد نضجه، ويرتقي بشعوره عن مستوى الطفولة المعتاد، ويحسّ بمشابهته للكبار، إضافة إلى ما في الكنية من الإكرام والتقدير.

وقد كان النبي ﷺ يكنّي الصّغار؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال أحسبه فطيم، وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير ما فعل النغير.. " (١).

وعن أم خالد بنت خالد قال: " أتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: من ترون نكسو هذه؟ فسكت القوم، قال: ائتوني بأم خالد، فأتي بها تُحمل، فأخذ القميصة بيده فألبسها، وقال: أبلي وأخلقي، وكان فيها علم أخضر، أو أصفر، فقال: يا أم خالد هذا سناه، وسناه بالحبشية حسن " (٢).

والتكنية نوع تكبير وتفخيم للمكنى، وإكرام له، قال الشاعر (٣):

أكنيه حين أناديه لأكرمه ××× ولا أناديه والسوءة اللقب

وعقد ابن القيم فصلاً في جواز تكنية المولود بأبي فلان وأورد فيه حديث أنس، ثم قال: " وكان أنس يكنى قبل أن يولد له بأبي حمزة، وأبو هريرة كان يكنى بذلك ولم يكن له ولد إذ ذاك، وأذن النبي لعائشة أن تكنى بأم عبد الله...

(١) رواه البخاري ٨/ ٥٥ برقم (٦٢٠٣).
(٢) رواه البخاري ٧/ ١٩١ برقم (٥٨٢٣).
(٣) ينظر خزانة الأدب ٩/ ١٤٢.

ويجوز تكنية الرجل الذي له أولاد بغير أولاده، ولم يكن لأبي بكر ابن اسمه بكر، ولا لعمر ابن اسمه حفص، ولا لأبي ذر ابن المنذر ابن اسمه ذر، ولا لخالد ابن اسمه سليمان، وكان يكنى أبا سليمان، وكذلك أبو سلمة، وهو أكثر من أن يحصى، فلا يلزم من جواز التكنية أن يكون له ولد، ولا أن يكنى باسم ذلك الولد "[1].

وهذا المنهج التربوي هو من سنة النبي ﷺ الذي قال الله عنه﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ فقد كان ﷺ ينبسط إلى النساء والصبيان ويمازحهم ويداعبهم.

٢- أخذ الأبناء للمجامع العامة وإجلاسهم مع الكبار:

وهذا مما يلقّح أفهامهم ويزيد في عقولهم، ويحملهم على محاكاة الكبار، ويرفعهم عن الاستغراق في اللهو واللعب، وكذا كان الصحابة يصحبون أولادهم إلى مجلس النبي ﷺ، ومن القصص في ذلك: ما جاء عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: " كان نبي الله صلى الله عليه و سلم إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه... "[2].

وقد كان السلف من الصحابة ومن بعدهم يحرصون على ذلك مع أبنائهم بل ومع غيرهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم لِـمَ تُدخلُ هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله، فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال وما رُئيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون﴾ حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي

(١) تحفة المودود ١ / ١٣٤.

(٢) رواه النسائي ٤ / ١١٨ برقم (٢٠٨٨) وصححه الشيخ الألباني.

يا ابن عباس أكذاك تقول ؟ قلت: لا، قال: فما تقول ؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إن كان تواباً﴾ قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم"[1].

٣- تربيتهم على السيرة النبوية وسير العظماء من رجال الإسلام:

لأن سيرة المصطفى ﷺ تمثل أعظم نموذج للرجولة ولسمات الرجولة الحقة، وقد قال الله تعالى﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[الأحزاب ٢١] فهو ﷺ قدوة في جميع الأمور، ثم أصحابه الكرام رضوان الله عليهم ومن بعدهم من السلف الصالح، فقد تربوا في مدرسة النبوة وتخلقوا بأخلاق الرجولة الحقة.

والجهل بالسيرة النبوية وسير السلف الصالح من أسباب ضياع سمات الرجولة، والتخلق بضدها.

٤- تحديثهم عن بطولات السابقين واللاحقين وانتصارات المسلمين:

وفي ذلك تعظم للشجاعة في نفوسهم، وهي من أبرز سمات الرجولة، كان للزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طفلان أشهد أحدهما بعضَ المعارك، وكان الآخر يلعب بآثار الجروح القديمة في كتف أبيه كما جاء في الرواية عن عروة بن الزبير أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: " ألا تشدُّ فنشدُّ معك ؟ فقال: إني إن شددت كذبتم، فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم (أي على الروم) حتى شقّ صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً فأخذوا (أي الروم) بلجامه (أي لجام الفرس) فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضُربها يوم بدر.

(١) رواه البخاري ٥/ ١٩٠ برقم (٤٢٩٤).

قال عروة : كنت أُدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس ووكل به رجلاً " [1].

قال ابن حجر في شرح الحديث: " وكأن الزبير آنس من ولده عبد الله شجاعة وفروسية فأركبه الفرس وخشي عليه أن يهجم بتلك الفرس على ما لا يطيقه، فجعل معه رجلاً ليأمن عليه من كيد العدو إذا اشتغل هو عنه بالقتال.

وروى ابن المبارك في الجهاد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير أنه كان مع أبيه يوم اليرموك ، فلما انهزم المشركون حمل فجعل يجهز على جرحاهم - أي يُكمل قتل من وجده مجروحاً، وهذا مما يدل على قوة قلبه وشجاعته من صغره [2].

٥- إعطاء الصغار قدرهم وقيمتهم في المجالس:

ومما يوضّح ذلك حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: " أُتي النبي ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ ؟ قال: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله فأعطاه إياه " [3].

٦- تعليمهم الرياضات الرجولية:

كالرماية والسباحة وركوب الخيل، وقد أمر النبي ﷺ بتعلم الرمي، فعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون، فقال: ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان، قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: ما لكم لا ترمون ؟ قالوا:

(١) رواه البخاري ٥ / ٩٧ برقم (٣٩٧٥).
(٢) فتح الباري ٧ / ٣٠٠.
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦ / ٤٩٣.

كيف نرمي وأنت معهم؟!! قال: ارموا فأنا معكم كلكم "[1].

وعن ثُمَامَةَ بن شُفَيٍّ أنه سمع عقبة بن عامر يقول: " سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي "[2].

وقال ﷺ: " كل شيء ليس من ذكر الله فهو سهو ولهو إلا أربعاً، مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وتعلمه السباحة، وملاعبته أهله "[3].

وقال ﷺ: "علموا أبناءكم السباحة والرمي، والمرأة المغزل"[4].

٧- تجنيبهم الميوعة وأفعال النساء:

فمن واجب الأولياء أن يحرصوا على أن يتخلق أبناؤهم بأخلاق الرجولة وأن يبتعدوا عن الميوعة وسمات الأنوثة والأعمال التي لا تليق إلا للنساء، وهي كثيرة منها: كثرة التأنق، وقصات وتسريحات الشعر، وصبغه بألوان معينة، والملابس الضيقة، والتكسر في الكلام والمشي، واستخدام عبارات النساء، وإطالة الأظافر، واستخدام مساحيق التجميل الخاصة بالنساء، والرقص كالنساء، ولبس ما يخص النساء، فذلك كله ليس من شأن الرجال ولا من سمات الرجولة، وإنما هو من شأن النساء، فقد قال الله عنهن ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾[الزخرف ١٨] وهذا لا يناسب الرجال، بل ينافي الرجولة، وحسب ما يتربى عليه الأبناء يكونون، وقد قال أبو العلاء

(١) صحيح البخاري ٤ / ٤٥ برقم (٢٨٩٩).

(٢) صحيح مسلم ٦ / ٥٢ برقم (٥٠٥٥).

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى ٨ / ١٧٧ برقم (٨٨٩١) والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ١٥ برقم (٢٠٢٣٣) وصحح الألباني إسناده كما في صحيح الجامع ٢ / ٨٣٣ وفي رواية: " كل لهو باطل، إلا ركوب الخيل والرمي، ولهو الرجل مع أهله، فعليكم بركوب الخيل والرمي، والرمي أحبها إلي " فضائل الرمي للقراب ١ / ٢٨٧ برقم (١٤).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١١ / ١٣٥ برقم (٨٢٩٧) وفي رواية: " علموا أبناءكم السباحة والرماية، ونعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل، وإذا دعاك أبواك فأجب أمك » معرفة الصحابة ٤ / ١١١ برقم (١١٩٤) وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " علموا أولادكم العوم والرماية، ونعم لهو المرأة المغزل " العيال ٢ / ٥٧٩ برقم (٣٩٨).

المعري [1]:

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منَّا على ما كانَ عودهُ أبوهُ

وعلى الأولياء أن يحذروا مما يؤدي إلى الميوعة في الشباب كضعف تربيتهم، وعدم مراقبة سلوكياتهم، والسكوت عن أخطائهم بدعوى صغر السن، والتهاون في ملابسهم التي قد تكون في ضيقها وصفتها كملابس النساء، والخلط الدائم بين الأولاد والبنات بدعوى أنهم أقارب وصغار، والتدليل الزائد للأطفال، والإعلام الفاسد على اختلاف وسائله، التي تحمل من ثقافات الغرب التي تدعو صراحة إلى الميوعة، والصحبة السيئة التي تزين السوء في صورة الانفتاح والأريحية، والاختلاط بين الطلاب والطالبات في بعض المدارس والجامعات.

٨- زرع الثقة في نفوسهم وعدم إهانتهم واحتقار أفكارهم:

فالثقة بالنفس من أكبر دوافع الشعور بالرجولة الحقة، أما إهانتهم واحتقارهم وانتقاص قدرهم واطّراح أفكارهم، وخاصة أمام الآخرين، فهي مما يكسر في نفوسهم الشعور بالثقة.

فالواجب تشجيع الأبناء وإعطاؤهم قدرهم وإشعارهم بأهميتهم، ورفع معنوياتهم، فهو مما يزرع الثقة في نفوسهم، ويمكّن سمات الرجولة فيهم.

٩- إلقاء السّلام عليهم:

فقد جاء عن أنس بن مالك: " أنّ رسول الله ﷺ مرَّ على غلمان فسلّم عليهم " [2].

وكان من أثر ذلك الخلق وتلك التربية توارث الأجيال لها وحرصهم عليها، فعن شعبة عن سيار قال: " كنت أمشي مع ثابت البناني فمرَّ بصبيان فسلم

(١) ديوان اللزوميات ٢ / ٤١٣.

(٢) رواه مسلم ٧ / ٥ برقم (٥٧٩١).

عليهم، وحدَّث ثابت أنه كان يمشي مع أنس فمرَّ بصبيان فسلم عليهم، وحدَّث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فمرَّ بصبيان فسلم عليهم "[1].

١٠- استكتامهم الأسرار:

وقد كان ذلك من أفعال النبي صلى الله عليه مع صغار الصحابة، كما فعل ﷺ مع أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد روى مسلم عن ثابت عن أنس قال: " أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان قال فسلم علينا فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمي فلما جئت قالت ما حبسك ؟ قلت بعثني رسول الله ﷺ لحاجة قالت ما حاجته ؟ قلت إنها سر قالت لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحدا قال أنس والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت "[2].

فكان أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشعر بهذه الخاصية العظيمة، وهي أن رسول الله ﷺ خصه بسرّه، ولذلك كتمه حتى عن أمه، وذلك من سمات الرجولة، التي يزرعها هذا الأمر في نفوس الصغار قبل الكبار.

١١- تعليمهم الجرأة في مواضعها:

وتعليم الأبناء الجرأة في محلها، كالجرأة على الأذان، أو الإمامة في الصلاة، أو الخطابة، أو الحديث في أي مجمع ، ونحو ذلك، مما يزرع في نفوسهم الثقة وقوة الشخصية ويبني فيهم سمات الرجولة.

١٢- إبعادهم عن حياة التّرف والدّعة والكسل والرّاحة والبطالة:

لأن الترف والكسل مما يفسد أخلاق الرجال، وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اخشوشنوا فإنّ النِّعَم لا تدوم.

وكمال الرجولة والمقامات العلية لا تنال بالترف، ولذلك لما أراد الله أن يبعث

(١) رواه مسلم ٤/ ١٧٠٨ برقم (٢٦٩٦).
(٢) رواه مسلم ٧/ ١٦٠ برقم (٦٥٣٣).

رسوله ﷺ هيأه لهذه المهمة الجليلة، فعصمه منذ صغره مما يقع فيه أمثاله وأترابه من فتيان قريش وشبانها، ونشأ تلك النشأة الخاصة التي نشأ بها فتعلم خلالها الصبر على الشدائد وعلى مكابدة الحياة بين اليتم وبين رعي الغنم وبين التجارة.

فلم ينشأ في حلل الترف والنعيم، وإنما نشأ يتيم الأبوين يرعى الغنم في فتوته ويشتغل بالتجارة في شبابه حتى يتعلم الصبر على الشدائد وعلى مكابدة الحياة.

ومن أسوأ نتائج حياة الترف اللاهية العابثة المتحللة من القيود والضوابط الأخلاقية والآداب الشرعية ذلك الانفلات الأخلاقي والتحلل المعنوي الذي يصيب أصحابها حتى لا يبقى لديهم شيء من الغيرة والحشمة والحياء، كما حدث لعزيز مصر لما قام الدليل لديه على إدانة امرأته، وثبت له أنها هي التي راودت يوسف عن نفسه، فلم يحرك ساكناً، وإنما كان غاية ما تصرف به أن قال ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾[يوسف ٢٨] وهكذا تصنع الحياة المترفة المسرفة المتحللة اللاهية العابثة، فتقضى على ما في الرجل من معاني الرجولة والغيرة والحياء، وهي الدياثة التي ذم الرسول ﷺ صاحبها بقوله: " لا يدخل الجنة ديوث " [1] والديوث هو الذي يرضى على أهله بالسوء والفحشاء والدنس، لا يغار عليهم ولا يحاول منعهم من السوء والفحشاء وحمايتهم من الدنس.

فالواجب حماية الأبناء من حياة الترف، التي لا تضبطها الضوابط الأخلاقية ولا تقيدها الآداب الشرعية، للحفاظ على رجولتهم وتقويتها في نفوسهم.

(١) رواه الطيالسي في مسنده ٢/ ٣٣ برقم (٦٧٧) وابن خزيمة في التوحيد ١/ ٥٥٢ برقم (٥٨٢) وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٢٤٣ برقم (٢٠٤٣٧).

١٣-: تجنيبهم مجالس الباطل واللهو والغناء:

وذلك لأنها منافية للرّجولة ومناقضة لصفة الجِدّ، وقد أثنى الله على من يجتنب ذلك، فبين أن من صفات عباد الرحمن أنهم﴿لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾[الفرقان ٧٢] أي: لا يحضرون الزور وهو القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والغناء المحرم وشرب الخمر، ونحو ذلك، ولا يقولونه ولايفعلونه، ويحذرون الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة دينية ولا دنيوية.

فينزهون أنفسهم ويكرمونها عن الخوض فيه ويرون أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفه ونقص للمروءة فيربأون بأنفسهم عنه [١].

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٦ / ١٣٠ البغوي ٦ / ٩٨ وتيسير الكريم الرحمن ص٥٨٧.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وبعد:

ففي تمام هذ البحث الشيق الذي عشت فيه بفضل الله ثم بفضل مشاركتي به في هذا المؤتمر المبارك مع آيات كتاب الله تعالى التي تسطر معالم الرجولة وسماتها، وهو من أنفع ما يعمل فيه المسلم ذهنه ويقضي فيه وقته.

وفي ختامه أسطر أهم النتائج التي ظهرت لي من خلاله، وهي كالآتي:

- أعظم سمات الرجولة ما قرره القرآن الكريم وأثنى به على الرجال العظماء.

- الرجولة في أصل إطلاقها مرادفة للذكورة، وهي مقابلة الأنوثة، وبهذا الإطلاق ليست صفة ممدوحة، وإنما الممدوح هو الرجولة التي هي قوة إيمانية روحية تكمن في النفس فتحمل صاحبها على التحلي بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وتُبعده عن المنكرات والسفاسف.

- كل رجل ذكرٌ، وليس كل ذكر رجلاً، والإنسان لا يمدح لكونه ذكراً لأن ذلك خلق الله، ولا دور للإنسان فيه، وإنما يمدح الذكر لرجولته واتصافه بصفاتها، وتحقيقه لمقتضياتها.

- لم يرد ذكر الرجولة في القرآن الكريم بصيغة المصدر، وإنما ورد عدد من مشتقاتها في سبعة وخمسين موضعاً، وهي (رجل، ورجلان، ورجال - منكَّرة ومعرَّفة-) ويختلف المراد بها، فبعضها يراد به النوع والجنس المقابل للأنوثة، وبعضها يراد به بعض صفات الرجولة، وبعضها يراد به النوع والصفة معاً.

- سمات الرجولة عديدة منها ما جاء التصريح فيه بأحد الألفاظ المشتقة من لفظ الرجولة، ومنها ما لم يرد فيه شيء من ألفاظها لكنه متضمن لسمات الرجال العظماء، والحث على الاتصاف بها.

- سمات الرجولة منها ما هو في علاقة المرء بربه، ومنها ما هو في علاقته بالخلق،

ومنها سمات ذاتية تحمل صاحبها على التخلق بالأخلاق الفاضلة، والتصرفات الحميدة.

- لتنشئة الرجولة في نفوس الشباب وسائل عديدة، تقوم على التربية الأسرية، والمخالطة الاجتماعية، والربط بسير العظماء من رجال الإسلام، والنأي بهم عن مفسدات الرجولة.

هذه أهم النتائج التي تتجلى من هذا البحث، وإن كان قد حوى في طياته أكثر منها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

١- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء: لمحمد الخضري بك، طبعة مطبعة الاستقامة- القاهرة، الطبعة الرابعة.

٢- الأدب المفرد: للبخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م.

٣- الأساس في التفسير: لسعيد حوى، طبعة، دار السلام، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين الشنقيطي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥- الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، طبعة دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.

٦- إكمال الأعلام بتثليث الكلام: لابن مالك، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، طبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٧- البداية والنهاية: لابن كثير، تحقيق: علي شيري، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزآبادي، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، طبعة المكتبة العلمية، بيروت.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس: للزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية.

١٠- التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور، طبعة مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١١- تحفة المودود بأحكام المولود: لابن القيم، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، طبعة مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ١٩٧١م.
١٢- تفسير البغوي (معالم التنزيل) تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٣- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.
١٤- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٥- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) تحقيق: محمد رضوان عرقسوس، طبعة موسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.
١٦- التفسير الوسيط: لوهبة الزحيلي، طبعة دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.
١٧- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار: لاجرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، طبعة مطبعة المدني، القاهرة.
١٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: للبغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٠- الدر المنثور في التفسير بالماثور: للسيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، طبعة دار هجر – مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢١- دلائل النبوة: للبيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور

عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.
٢٢- ديوان أبي العتاهية: طبعة دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٢٣- ديوان اللزوميات: لأبي العلاء المعري، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، طعبة مكتبة الهلال - بيروت، ومكتبة الخانجي - القاهرة، ١٣٤٢هـ.
٢٤- ديوان المتنبي: طبعة دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٥- ديوان عروة بن الورد: دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٢٦- ديوان عنترة: تحقيق: محمد سعيد مولوي، طبعة المكتب الإسلامي، ١٩٦٤م.
٢٧- رجال أنزل الله فيهم قرآناً: لعبد الرحمن عميرة، طبعة درا الجيل، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.
٢٨- الرجولة في القرآن الكريم (دراسة موضوعية): للدكتور عصام العبد زهد، منشور بمجلة الجامعة الإسلامية - غزة - سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠١٠م، ص(١٧٩-٢١٣).
٢٩- سنن ابن ماجة: كتب حواشيه: محمود خليل، طبعة مؤسسة الرسالة.
٣٠- سنن أبي داود: طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٣١- سنن الترمذي: تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٢- السنن الكبرى: للبيهقي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد – الهند، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

٣٣- السنن الكبرى: للنسائي: تحقيق: حسن عبد المُنعم حسن شلبي، طبعة مؤسسة الرسالة.
٣٤- سنن النسائي: (المجتبى من السنن) تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٣٥- شرح ديوان أبي تمام: للخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، طبعة دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ١٩٩٤م.
٣٦- شرح صحيح البخارى: لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، طبعة مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٧- شرح مشكل الآثار: للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٤٩٤م.
٣٨- شعب الإيمان: للبيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، طبعة مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: تحقيق: شعيب الأرنـؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٣م.
٤٠- صحيح ابن خزيمة: تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
٤١- صحيح البخاري: طبعة دار الشعب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته: لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٤٣- صحيح مسلم: طبعة دار الجيل - بيروت، ودار الأفاق الجديدة - بيروت.
٤٤- صيد الخاطر: لابن الجوزي، تحقيق: عامر بن علي ياسين، طبعة دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤٥- الفاضل: للمبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، طبعة مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
٤٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، طبعة دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤٧- فتح الرحمن في تفسير القرآن: لعبد المنعم أحمد، طبعة دار السلام، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
٤٨- فضائل الرمي في سبيل الله: لابن القراب، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ضمن جامع الحديث النبوي، طبعة دار الخراز بجدة ودار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٤٩- في ظلال القرآن: لسيد قطب، طبعة دار الشروق - القاهرة.
٥٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير: لزين الدين المناوي، طبعة دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٥١- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، راجعه وصححه الدكتور محمد يوسف الدقاق، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٥٢- كتاب التوحيد: لابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، طبعة مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥٣- كتاب العيال: لابن أبي الدنيا، تحقيق: الدكتور نجم عبد الرحمن خلف، طبعة دار إبن القيم - الدمام، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٥٤- كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، طبعة دار ومكتبة الهلال.
٥٥- لباب الآداب: لابن منقذ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة مكتبة السنة بالقاهرة، ١٩٨٧م.
٥٦- لسان العرب: لابن منظور، طبعة دار صادر - بيروت.
٥٧- محاسن التأويل: للقاسمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٥٨- المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
٥٩- المحيط في اللغة: للطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، طبعة عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٦٠- مختار الصحاح: للرازي، تحقيق: محمود خاطر، طبعة مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٦١- مختصر الأحكام: للطوسي (مستخرج الطوسي على جامع الترمذي) تحقيق: أنيس بن أحمد، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٦٢- مختصر السيرة: لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، ود. محمد بلتاجي، ود. سيد حجاب، طبعة مطابع الرياض.

٦٣- المستدرك على الصحيحين: للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٦٤- مسند أبي داود الطيالسي: طبعة دار المعرفة - بيروت.
٦٥- مسند أحمد بن حنبل، طبعة مؤسسة قرطبة - القاهرة.
٦٦- مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار): تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م.
٦٧- مشارق الأنوار على صحاح الآثار: للقاضي عياض، طبعة المكتبة العتيقة ودار التراث.
٦٨- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
٦٩- المعجم الأوسط: للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن الحسيني، طبعة دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
٧٠- معجم الصحابة: لابن قانع ، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٧١- معرفة الصحابة: لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، طبعة دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.
٧٢- المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودى، طبعة دار العلم الدار الشامية، دمشق - بيروت، ١٤١٢هـ.

٧٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢.
٧٤- موطأ الإمام مالك (رواية محمد بن الحسن) تحقيق: د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة، طبعة دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩١م.
٧٥- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٧٦- النكت والعيون: للماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.
٧٧- نونية القحطاني: تحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، طبعة مكتبة السوادي للتوزيع - جدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.

المَاهِرُ بالْقُرْءَانِ
ضَوَابِطُهُ وَفَضَائِلُهُ

بحث مقدم للمؤتمر للمؤتمر العالمي الثاني للقراءات القرءانية، في موضوع
(التلقي القرءاني في العهد النبوي أنماط ومآلات)
بمدينة مراكش ـ المملكة المغربية
(في المدة من ١٧ إلى ١٩ مارس ٢٠١٥م)

إعداد

أ . د . سالم بن غرم الله الزهراني

الأستاذ بقسم القراءات بجامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل كتابه الكريم هداية للخلق أجمعين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين أما بعد:

فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر] واصطفى له من العباد وارثين، كما قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . . ﴾ [فاطر٣٢] وخص من شاء من عباده بحفظ كتابه، وألهمه العمل بشروطه وآدابه، وهيأ سبحانه لهذا القرآن المجيد أئمة ثقات، بذلوا أنفسهم في تصحيح حروفه وإتقانه، وتلقوه من النبى ﷺ حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً، ولا إثباتاً ولا حذفاً، وبلغوه من بعدهم كما تلقوه من في رسول الله ﷺ.

ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قوم أسهروا ليلهم في ضبط قراءة القرآن الكريم، وأتعبوا نهارهم في نقلها، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم، ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم، حيث تلقوها وأتقنوها، ونقلوها إلى من بعدهم على وجه التحقيق والإتقان، وسار من بعدهم على نهجهم في الدقة والتحرى في نقل القرآن الكريم وقراءاته، لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.

فكانت العمدة في قراءة القرآن وإقرائه على التلقي عن الشيوخ الضابطين المتقنين، ونقل القراءات والروايات بالأسانيد المتصلة إلى سيد المرسلين، إضافة إلى ما حرره العلماء المحققون في كتبهم المعتبرة المسندة.

ولما كان القرآن الكريم أعظم كتاب أنزل، على أفضل رسول أرسل، كان حاملوه أشراف الأمة كما قال النبي ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن علمه" [1] وقال الإمام ابن الجزري [2]:

لِـــذَاكَ كَـــانَ حَـامِـلُـو الـقُـرْآنِ أَشْـرَافَ الْأُمَّـةِ أُولِي الْإِحْسَانِ
وَإِنَّـــهُـــمْ فِي الـنَّـاسِ أَهْـــلُ اللهِ وَإِنَّ رَبَّـنَـا بِـهِـمْ يُـبَـاهِـي
وَقَـالَ فِي الْـقُـرْآنِ عَـنْـهُـمْ وَكَـفَى بِـأَنَّـهُ أَوْرَثَـــهُ مَـنِ اصْـطَـفَى

وقد وفق الله تعالى مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرائية المتخصصة بالرابطة المحمدية للعلماء لتنظيم المؤتمر العالمي الثاني للقراءات القرءانية، في موضوع (التلقي القرءاني في العهد النبوي
أنماط ومآلات) الذي يهدف إلى الوقوف على معالم المنهج النبوي في التلقي القرآني بالبحث العلمي العميق لمنهج تلقي القرآن في العهد النبوي، ودراسة مفرداته وبيان مميزاته، والاسترشاد بما ذكره الأئمة العلماء في مؤلفاتهم المتعددة في الفنون المختلفة.

فانعقدت رغبتي على المشاركة في هذا المؤتمر البديع في بابه، الفريد في متناوله، وأحببت أن تكون مشاركتي بموضوع مستلهم من كلام سيد البشر، في توصيف حال القارئين لكتاب الله تعالى، وما لهم من الفضل الكبير، الذي يختلف على اختلاف أحوالهم.

فقد يسر الله تعالى لعباده قراءة كتابه الكريم وحفظه وفهمه، وبين نبيه ﷺ فضل قراءته، وأجر قارئيه، وأنهم على اختلاف ملكاتهم وقدراتهم في أخذ القرآن وتلقيه وتلقينه مأجورون على ذلك، وكان من دقيق بيانه أن التالين له

(١) سيأتي تخريجه في المبحث الثالث.
(٢) طيبة النشر ص٣١.

يختلفون في حالهم وقدرتهم على ذلك، إذ قال ﷺ، في توصيف حالهم، وتقسيمه لهم: " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران "[1].

فكان موضع اهتمامي، وغاية مقصدي، الوقوف مع الفاضل من الحالين، فتناولت (الماهر بالقرآن) لكشف حاله وبيان معناه، مع بيان مقابله وهو (المتتعتع) واستجلاء ضوابط الماهر بالقرآن، والتماس فضائله، رجاء أن يلحقنا الله وسائر القارئين بركب المهرة المتقنين، وأن نكون حلقة ضمن سلسلة الإقراء على منهج سيد المرسلين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، فكان عنوان البحث (الماهر بالقرآن الكريم ضوابطه وفضائله).

خطة البحث:

يتكوّن البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهذا بيانها:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجي فيه.

المبحث الأول: معنى الماهر بالقرآن والمتتعتع فيه.

المبحث الثاني: ضوابط الماهر بالقرآن.

المبحث الثالث: فضائل الماهر بالقرآن على غيره.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم نتائج البحث.

ثم فهرس المصادر والمراجع .

(١) سيأتي تخريجه في المبحث الأول.

منهجي في البحث:

سلكت في البحث المنهج الاستقرائي، ثم التحليلي، وسرت في مباحثه وفق الخطوات التالية:

- اعتمدت في تعريف الماهر على ما أورده أئمة اللغة والمعاجم في كتبهم، إضافة إلى ما أورده شراح الحديث عند تناولهم لحديث الماهر بالقرآن.
- استعرضت أقوال العلماء في بيان معنى الماهر، مع بيان ما رأيته الراجح منها.
- كما أفدت من مصادر متنوعة أيضاً كالتفاسير وغيرها.
- استنتجت العديد من الضوابط للماهر أخذاً من الأحاديث التي تناولت حملة القرآن وجلَّتْ أوصافهم، مع النظر إلى واقع الماهر وما ينبغي أن يتوفر فيه من صفات الحذق والمهارة.
- استعرضت جملة من فضائل الماهر وذلك من خلال نصوص الأحاديث التي تناولت الماهر بالتصريح أو حملة القرآن على وجه العموم لدخول الماهر فيهم دخولاً أولياً، وكذلك بالنظر إلى واقع الماهر بالقرآن وما يتحقق له من فضائل، ويمتاز به من مزايا عن غيره.

والله أسأل أن يسلك بنا سبيل عباده المتقين، وأن يتقبل منا أجمعين، وأن يجعلنا من خدام كتابه الكريم.

المبحث الأول:

معنى الماهر بالقرآن والمتتعتع فيه

الماهر في اللغة: الحاذق بكل عمل، والجمع مَهَرَة، والمَهارة الحذق في الشيء، ويقال مَهَرْتُ بهذا الأمر أَمهَرُ به مَهارة أَي صرتُ به حاذقاً، وقد مَهَر الشيءَ وفيه وبه يَمْهَر مَهْراً ومُهُوراً ومَهارة ومِهارة، فَهُوَ مَاهِرٌ أَيْ حَاذِقٌ عَالِمٌ بِذَلِكَ، وَمَهَرَ فِي صِنَاعَتِهِ وتمهّر فيها وَمَهَرَ بِهَا وَمَهَرَهَا أَتْقَنَهَا مَعْرِفَةً، وهو ماهر بيّن المهارة، وخطيب ماهر، وسابح ماهر، وقوم مهرة، وتمهّر فلان: سبح [1].

والمتتعتع: من يتردد في كلامه ويعيا من حَصرٍ أو عِيٍّ، قال الزبيدي: " ومِنْهُ الحَدِيثُ: "الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ ويَتَتَعْتَعُ فِيه له أَجْرَانِ" أَيْ يَتَرَدَّدُ في قِرَاءَتِه، ويَتَبَلَّدُ فيها لِسَانُه " [2].

والتعتعة الحركة العنيفة، وقد تعتع في كلامه، وتعتعه العي، وتَعْتَعَةُ الدابة: ارتطامها في الرمل والوحل، وقَدْ تَعْتَعَ البَعِيرُ وغَيْرُهُ: إذا سَاخَ في الخَبَارِ، أَي في وُعُوثَةِ الرِّمَالِ، قال أَعْشَى هَمْدانَ يَصِف بَغْلَ خَالِدِ بن عَتَّابِ بنِ وَرْقَاءَ:

أَتَـذْكُـرُنَـا ومُـرَّةَ إِذْ غَـزَوْنَـا ... وأَنْتَ عَلَى بُغَيْلِكَ ذِي الوُشُومِ

يُـتَـعْـتِـعُ في الخَـبَـارِ إِذا عَـلاهُ ... ويَـعْـثُرُ في الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ

يقال تَعْتَعَ الرَّجُلُ إذا تَبَلَّدَ في كلامه، وكلُّ من أُكرِهَ في شيءٍ حتى يَقْلَقَ فقد تُعْتِعَ، وفي الحديث: "حتى يُؤخَذَ للضَّعيف حقُّه من القويّ غيْرَ مُتَعْتَعٍ". والتَّعْتَعَةُ: كَلامُ الأَلْثَغِ، ووقع القومُ في تَعاتِعَ، إذا وقعوا في أراجيفَ وتخليطٍ [3].

---

(١) ينظر أساس البلاغة ٢ / ٢٣١ ولسان العرب ٥ / ١٨٤ والمحكم والمحيط الأعظم ٤ / ٣١٦ والمصباح المنير ٢ / ٥٨٢ والمغرب في ترتيب المعرب ١ / ٤٤٩.

(٢) تاج العروس ٢٠ / ٣٩٥

(٣) ينظر تهذيب اللغة ١ / ٧٣ وشرح نهج البلاغة ٢ / ٢٨٥ والصحاح ٣ / ١١٩١ والمحكم والمحيط الأعظم ١ / ٨٥ والمعجم الوسيط ١ / ٨٥ ولسان العرب ٨ / ٣٥ ومعجم مقاييس اللغة ١ / ٣٣٨.

أقوال العلماء في معنى (الماهر بالقرآن):

وقد ورد ذكر الماهر بالقرآن وبيان فضله في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: " قال رسول الله ﷺ: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران " (١).

وقد اختلف أهل العلم في بيان المراد بـ"الماهر بالقرآن" على خمسة أقوال:

القول الأول: أن المراد به الحافظ المتقن لحفظه:

ولحفظه وإتقانه لا يكادُ يخطئ في سَرْده غيباً، ويدل لهذا القول رواية البخاري ونصها: " مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران " (٢).

وهذه جملة من أقوال القائلين بهذا القول:

قال النووي رحمه الله: "والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف، ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه... وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه، فله أجران، أجر بالقراءة وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته" (٣).

وقد استدل المهلب بإيراد البخاري لحديث عائشة: "أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن" (٤) على أن فيه معنى ما ترجم به من

---

(١) رواه مسلم ٢ / ١٩٥ برقم (١٨٩٨) وأبو داود ٢ / ٧٠ برقم (١٤٥٤) والترمذي ٥ / ١٧١ برقم (٢٩٠٤) وابن ماجه ٢ / ١٢٤٣ برقم (٣٧٧٩) والنسائي في النسن الكبرى ٥ / ٢٠ برقم (٨٠٤٥) وأحمد ٦ / ٩٨ برقم (٢٤٧١١) والدارمي ٢ / ٥٣٧ برقم (٣٣٦٨) وأبو نعيم في المسند ٢ / ٣٨٨ برقم (١٨١٢) والبيهقي في السنن الكبرى ٢ / ٣٩٥ برقم (٣٨٦١) والبغوي في شرح السنة ٤ / ٤٢٩ برقم (١١٧٤) وابن حبان ٣ / ٤٤ برقم (٧٦٧) وابن أبي شيبة ١٠ / ٤٩٠ برقم (٣٠٦٥٩) وعبد الرزاق ٢ / ٤٩١ برقم (٤١٩٤).

وأما البخاري فلم يورده بهذا اللفظ إلا عنواناً للباب لكنه أورده مختصراً، فقال في كتاب بدء الوحي: " ٥٢- باب قول النبي ﷺ: الماهر بالقرآن مع الكرام البررة.. " ٦ / ٢٧٤٢.

وأورده بتمامه في كتاب التفسير عند تفسير قوله تعالى ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ في سورة عبس، لكنه بلفظ مختلف ونصه: " مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران " ٤ / ١٨٨٢ برقم (٤٦٥٣).

(٢) صحيح البخاري ٤ / ١٨٨٢ برقم (٤٦٥٣) ونحوها رواية سعيد بن منصور: "مثل الذي يقرأ القرآن وهو له حافظ مثل السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرؤه وليس بحافظ، وهو عليه شديد، وهو يتعاهده فله أجران" سنن سعيد بن منصور ١ / ٧٠ برقم (١٤).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٦ / ٨٥.

(٤) صحيح البخاري ١ / ١١٤ برقم (٢٩٣).

معنى المهارة بالقرآن، لأنه كان قد يسرّ الله عليه قراءته حتى كان يقرؤه على كل أحواله لا يحتاج أن يتهيأ له بقعود، ولا بإحضار حفظه؛ لاستحكامه فيه، فلا يخاف عليه توقفاً؛ فلذلك كان يقرؤه راكباً وماشياً وقاعداً وقائماً، ولا يتأهب لقوة حفظه ومهارته ﷺ [١].

وقال السيوطي: " الماهر بالقرآن المراد به هو الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه هو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجران أجر بالقراءة وأجر بمشقته"[٢].

القول الثاني: أن المراد به المتقن لتلاوة القرآن وإن لم يكن حافظاً له كله:

ومن أقوال القائلين بهذا القول ما يأتي:

قال ابن الجوزي: "الماهر بالقرآن وهو الحاذقُ بالقراءة" [٣].

وقال السندي: " قَوْله: (الْمَاهِر بِالْقُرْآنِ) أَي: الْحَاذِق بِقِرَاءَتِهِ " [٤].

وقال العراقي: " المراد بتخفيف القراءة على داود عليه الصلاة والسلام تيسيرها وخفة لسانه بها، حتى يقرأ في الزمن اليسير ما لا يقرؤه غيره في الزمن الكثير، مع الترسل وإعطاء كل حرف حقه، ومن تخفيف القراءة وتسهيلها لهذه الأمة ما في قوله عليه الصلاة والسلام: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران) وبسبب تخفيف القراءة تيسر لكثير من صالحي هذه الأمة من كثرة التلاوة ما عسر على أكثرهم " [٥].

(١) نقله ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري ١٠ / ٥٤٦.
(٢) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ٢ / ٣٩٦.
(٣) غريب الحديث ٢ / ٣٧٨.
(٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٢ / ٤١٥ برقم (٣٧٧٩).
(٥) طرح التثريب ٦ / ١٧٦.

القول الثالث: أن المراد به الحافظ المتقن لحفظه ولتلاوته، أي من جمع بين إتقان الحفظ والتلاوة معاً:

ومن أقوال القائلين بهذا القول:

قال الحافظ ابن حجر: " باب قول النبي ﷺ (الماهر) أي: الحاذق، والمراد به هنا جودة التلاوة مع حسن الحفظ " [١].

ونقل عن القرطبيّ في بيان معناه قوله: " والمراد بالمهارة بالقرآن جودة الحفظ وجودة التّلاوة من غير تَردُّد فيه لكونه يسّره الله تعالى عليه كما يسّره على الملائكة فكان مثلها في الحفظ والدرجة " [٢].

ونقل ابن بطال عن المهلب قوله: "المهارة بالقرآن :جودة التلاوة له بجودة الحفظ، فلا يتلعثم فى قراءته، ولا يتغير لسانه بتشكك في حرف أو قصة مختلفة النص، وتكون قراءته سمحة بتيسير الله له، كما يسره على الملائكة الكرام البررة، فهو معها في مثل حالها من الحفظ، وتيسير التلاوة، وفي درجة الأجر إن شاء الله، فيكون بالمهارة عنده كريماً براً " [٣].

وقال المناوي: " (الماهر بالقرآن) أي: الحاذق به الذي لا يتوقف ولا يشق عليه قراءته لجودة حفظه وإتقانه ورعاية مخارجه بسهولة من المهارة وهي الحذق "[٤].

وقال العيني: "والماهر: الحاذق، المراد به هنا جودة التلاوة مع حسن الحفظ"[٥].

وقال أيضاً: "والماهر: الحاذق الكامل الحفظ، الذي لا يتوقف، ولا تشق عليه القراءة، لجودة حفظه وإتقانه" [٦].

---

(١) فتح الباري ١٣ / ٥١٨.
(٢) فتح الباري ١٣ / ٥١٩.
(٣) شرح صحيح البخاري ١٠ / ٥٤٢.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦ / ٣٣٧.
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٥ / ١٩٢.
(٦) شرح سنن أبي داود ٥ / ٣٦٧.

وقال المناوي في: "الماهر بالقرآن: أي الحاذق به الذي لا تشق عليه قراءته لجودة حفظه وإتقانه" [1].

وقال الشوكاني: "قوله (ماهر به) أي: حاذق في حفظه وتلاوته، لا يتوقف ولا يتردد عند التلاوة، ولا يشق عليه قراءته؛ لجودة حفظه وحسن أدائه" [2].

القول الرابع: أن المراد الحافظ له مع حسن الصوت في القراءة:

ولم أجد هذا القول إلا عند ابن بطال، حيث قال: " وكأن البخاري أشار بهذه الترجمة [3] وما ضَمَّنها من الأحاديث في حُسن الصوت، إلى أنَّ الماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حسن الصوت به، ألا تراه أدخل بأثر ذكر الماهر قوله ﷺ (زينوا القرآن بأصواتكم) فأحال ﷺ على الأصوات التي تتزين بها التلاوة في الأسماع، لا الأصوات التي تمجها الأسماع لإنكارها وجفائها على حاسة السمع، وتألمها بقرع الصوت المنكر وقد قال تعالى ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[لقمان] لجهارته والله أعلم، وشدة قرعه للسمع، وفى إتباعه أيضاً لهذا المعنى بقوله (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن) ما يقوى قولنا ويشهد له " [4].

ثم قال: " إن الجهر المراد في قوله (يجهر به) هو إخراج الحروف في التلاوة عن مساق المحادثة بالأخبار، بإلذاذ أسماعهم بحسن الصوت وترجيعه، لا الجهر المنهي عنه الجافي على السامع، كما قال عز وجل للنبي ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾[الإسراء] وكما قال تعالى في النبي ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[الحجرات ٢] وقوله ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ دليل أن رفع الصوت على المتكلم بأكثر من صوته

(١) التيسير شرح الجامع الصغير ٢ / ٨٧٨.

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين ١ / ٣٩٠.

(٣) يريد تبويب البخاري بقوله: "باب قول النبي ﷺ: الماهر بالقرآن مع الكرام البررة، وزينوا القرآن بأصواتكم" ٦ / ٢٧٤٢.

(٤) شرح صحيح البخارى ١٠ / ٥٤٢.

من الأذى له، والأذى خطيئة.." [1].

القول الخامس: أن المراد أعم مما ذكر:

وقد أشار إلى ذلك السيوطي، بقوله: " الماهر بالقرآن: أي الحاذق في الحفظ، أو جودة اللفظ، أو أراد ما هو أعم منهما" [2].

وملا علي قاري بقوله: "الماهر بالقرآن أي الحاذق، من المهارة، وهي الحذق، جاز أن يريد به جودة الحفظ، أو جودة اللفظ، وأن يريد به كليهما، وأن يريد به ما هو أعم منهما" [3].

وقد قال الجعبري في وصف أئمة القراءة: " كل من أتقن حفظ القرآن وأدمن درسه، وأحكم تجويد ألفاظه، وعلم مباديه ومقاطعه، وضبط رواية قراءته، وفهم وجوه إعرابه ولغاته، ووقف على حقيقة اشتقاقه، وتصريفه، ورسخ في ناسخه ومنسوخه، وأخذ حظاً وافراً من تفسيره وتأويله، وصان نقله عن الرأي، وتجافى عن مقايس العربية، ووسعته السنة، وجلله الوقار، وغمره الحياء، وكان عدلاً متيقظاً ورعاً

معرضاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة قريباً من الله، فهو الإمام الذي يُرجع إليه، ويُعوَّلُ عليه، ويُقتدى بأقواله، ويُهتدى بأفعاله " [4].

وعند تأمل هذه الأقوال يتبين لنا جملة من الأمور، وهي:

أن الإحاطة بما ذكره الإمام الجعبري من فهم وجوه إعراب القرآن ولغاته، والوقوف على حقيقة اشتقاقه وتصريفه، والرسوخ في ناسخه ومنسوخه، وأخذ حظٍ وافرٍ من تفسيره وتأويله، إنما هو وصف للأئمة العلماء الراسخين في العلم الذين الذي يُرجع إليهم ويُعوَّلُ عليهم ويُقتدى بأقوالهم، ويُهتدى

(١) شرح صحيح البخارى ١٠ / ٥٤٣.
(٢) شرح سنن ابن ماجه ١ / ٢٦٧.
(٣) مرقاة المفاتيح ٥ / ٨ ومثله أيضاً في مرعاة المفاتيح للمباركفوري ٧ / ١٧٤.
(٤) كنز المعاني شرح حرز الأماني ٢ / ٦٦.

بأفعالهم، كما نص في آخر كلامه.

وليس كل ذلك بلازم لكون الإنسان ماهراً بالقرآن، وليس فقد شيء من ذلك مانعاً من إتقان القرآن الكريم والمهارة فيه.

كما يتبين أن حسن الصوت مكمل لزينة التلاوة، ولكنه ليس بلازم لها، فإنه مما ينعم الله به على بعض عباده، وليس للإنسان أن يغير صوته الذي خلقه الله وجبله عليه، إلا أن يحسّنه بالدربة، فيدخل ذلك في قوله ﷺ: "زينوا القرآن بأصواتكم" (١).

لكن ليس شرطاً أن يكون كل من له صوت حسن ماهراً بالقرآن، كما أنه ليس كل من لم يكن صوته حسناً تنتفي عنه صفة المهارة بالقرآن.

بل إن العيني ذهب إلى أنه ليس مراد البخاري بإيراد حديث (زينوا القرآن بأصواتكم) في هذا الباب هو حسن الصوت، كما فهمه ابن بطال، وإنما أراد به حسن الأداء، وذلك بتطبيق أحكام التلاوة، فقال:

" ومعنى (زينوا القرآن بأصواتكم) يعني بالمد والترتيل وليس بالتطريف الفاحش الذي يخرج إلى حد الغناء " (٢).

وقال الإمام ابن الجزري:" ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء؛ قيمًا باللفظ؛ فكان إذا قرأ أطرب المسامع ؛ وأخذ من القلوب بالمجامع ، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان"(٣).

(١) رواه أبو داود ١ / ٥٤٨ برقم (١٤٧٠) والنسائي ٢ / ١٧٩ برقم (١٠١٥) وابن ماجه ١ / ٤٢٦ برقم (١٣٤٢) وأحمد ٤ / ٢٨٣ برقم (١٨٥١٧) وابن خزيمة ٣ / ٢٤ برقم (١٥٥١) والحاكم ١ / ٧٦١ برقم (٢٠٩٨) وصححه الشيخ الألباني.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٥ / ١٩٢.

(٣) النشر ١ / ٢١٢.

وعليه فالظاهر والله أعلم أن أولى الأقوال بالصواب هو القول الثالث وهو أن الماهر بالقرآن هو من جمع بين إتقان الحفظ والتلاوة معاً، وهذا أولى ما يحقق وصف المهارة بالقرآن، فليس الاقتصار على أحد الأمرين أولى من الآخر، بل الكمال في تحققهما معاً.

المبحث الثاني:

ضوابط الماهر بالقرآن

من خلال ما سبق في بيان المراد بالماهر بالقرآن وخلاف العلماء فيه، يتبين لنا جملة من الضوابط للماهر بالقرآن، وهي على النحو الآتي:

الأول: أن يكون حافظاً للقرآن الكريم حفظاً متقناً:

وهذا جاء منصوصاً عليه في رواية البخاري ونصها: "مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران"(١).

ولا يصدق على الإنسان أنه ماهر ويستحق هذه المنزلة الرفيعة من معيته للسفرة الكرام البررة وهو ليس حافظاً لكتاب الله تعالى، حتى لو أتقن تلاوة القرآن وأداءه، ولذلك جاءت نصوص عديدة تبين منزلة حافظ القرآن الكريم، منها قوله ﷺ: "من حفظ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه.."(٢).

ومنها قوله ﷺ: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه..."(٣).

ومنها تقديمه ﷺ الأكثر حفظاً للقرآن على غيره عند الدفن، كما في حديث عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "كان النَّبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد..."(٤).

---

(١) سبق تخريجها في المبحث الأول.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١ / ٧٣٨ برقم (٢٠٢٨) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٣) رواه أبو داود ٤ / ٢٦١ برقم (٤٨٤٣) والبخاري في الأدب المفرد ١ / ١٣٠ برقم (٣٥٧) والبيهقي في السنن الكبرى ٨ / ١٦٣ برقم (١٦٤٣٥) وحسنه الألباني.

(٤) رواه البخاري ١ / ٤٥٠ برقم (١٢٧٨).

ومنها تقديم حافظ القرآن في الإمارة والرئاسة، كما في حديث عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: "من استعملتَ على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفتَ عليهم مولى ؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين"[1].

ولـمَّا كان القرآن الكريم أفضل الكلام على الإطلاق، لأنه كلام الله جل وعلا [2] كان حفظه من أهم المهمات، ولذلك كان حرص النبي ﷺ كبيراً على حفظ القرآن، فكان عندما ينزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي يسابقه القراءة، فتكفل الله بجمعه في صدره، فقال تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة].

وحرص السلف على حفظه، ورغَّبوا فيه، وكانوا يشيدون بمن يحفظ العلم عموماً، كما قال الرحبي في منظومته [3]:

..... ××× فاحفظْ فكلُّ حافظٍ إمامُ

ونصوا على أن أساس العلم هو الحفظ في الصدور، حيث يمكن استذكاره، دون الرجوع للكتب، قال الشافعي [4]:

عِلْمِيْ مَعِيْ حَيْثُمَا يَـمَّمْتُ يَنْفَعُنِي إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيْ قَلْبِي وِعَاءٌ لَهُ لا بَطْنُ صُندُوقِ أَوْ كُنتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

(١) رواه مسلم ٢ / ٢٠١ برقم (١٩٣٤) والأحاديث في فضل حافظ القرآن كثيرة مشهورة في مظانها من كتب السنة.

(٢) وفي الحديث عن أبي سعيد قال: " قال رسو الله ﷺ: يقول الرّبُّ عز وجل: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه " رواه الترمذي وقال: " هذا حديث حسن غريب " ٥ / ٣٤ برقم (٢٩٢٦).

(٣) الرحبية ص٤٦.

(٤) ديوان الشافعي ص١١٢.

وقال الخليل بن أحمد [1]:

ليس بعلم ما حوى القِمطْر ما العلم إلا ما حواه الصدرُ

وقال ابن حزم [2]:

فَإِنْ تُحْرِقُوا الْقِرْطَاسَ لا تُحْرِقُوا الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْقِرْطَاسُ بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي

يَسِيرُ مَعِيْ حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ رَكَائِبِي يَنْزِلُ إِنْ أَنْزِلْ وَيُدْفَنُ فِي قَبْرِي

فلا يكفي في أخذ العلم الفهم فقط دون الحفظ، ولا يكفي في مقام المهارة بالقرآن جودة التلاوة دون الحفظ، بل لا بد من الحفظ المتقن، ولذا كان السلف يبدؤون بحفظه في الصغر، ويحرصون على البدء به في تعليم أبنائهم ولا يقدمون عليه شيئاً من العلوم.

الثاني: أن يكون متقناً للتلاوة والأداء:

فيقرأ القرآن الكريم مجوَّداً، خالياً من اللحن جليّه وخفيّه، والتجويد لا يقل أهمية عن الحفظ، فلو كان المرء حافظاً ولكنه لم يكن ضابطاً للقراءة الصحيحة لاختل جانب هام من جوانب المهارة في كتاب الله تعالى، وهو صحة القراءة وإتقانها.

وقد نسب الله عز وجل ترتيل القرآن إليه، فقال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان] ولم يكتف سبحانه بأمر رسوله ﷺ بالترتيل بل أكده تأكيداً من لفظه، فقال تعالى ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل] فالقراءة بترتيل وإتقان من خصائص القرآن الكريم، فإنه الكلام الوحيد الذي يقرأ مرتلاً مجوداً.

(١) نقله ونسبه له ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص٢٩٣، وينظر الحث على حفظ العلم لابن الجوزي ص٣٤.

(٢) ديوان ابن حزم ص٨٨.

وفي قراءته بالتجويد امتثال لأمر الله تعالى واتباع لسنة رسوله ﷺ في كيفية القراءة، وتمييز له عن غيره من الكتب، والتجويد يجمل القراءة ويزيينها، كما قال الإمام ابن الجزري [1]:

وَهُوَ أَيْضاً حِلْيَةُ التِّلاوَة وَزِينَةُ الْأَدَاءِ وَالْقِرَاءَة

والقراءة المتقنة المجودة تعين على تدبر الآيات وفهمها وتأملها، وبقدر ما تكون القراءة متقنة مجودة يكون إعمال الذهن في التفكر في معاني الآيات ومدلولاتها، بخلاف القراءة غير المتقنة التي تصرف الذهن عن التأمل والتفكر في معاني الآيات إلى الاشتغال بالألفاظ وما فيها من خطأ، وينصرف التفكير إلى تصويب ما يقع في التلاوة من خلل.

والقراءة المتقنة المجودة يحصل بها الخشوع والتأثر، الذي يتبعه العمل بمدلول الآيات وما تنطوي عليه من حكم وأحكام، وهذا هو ثمرة التدبر والتأمل في الآيات.

قال ابن الجزري عند تعريفه للتجويد: "..فهو عندهم عبارة عن الإتيان بالقراءة مجودة بالألفاظ بريئة من الرداءة في النطق، ومعناه إنتهاء الغاية في التصحيح، وبلوغ النهاية في التحسين، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده؛ متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه، على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة، المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية، التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها.." [2].

إلى أن قال: "قال الشيخ الإمام أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي في كتابه الموضح في وجوه القراءات في فصل التجويد منه بعد ذكر الترتيل والحدر ولزوم التجويد فيها قال: فإن حسن الأداء فرض في القراءة، ويجب

(١) المقدمة الجزرية ص٢٨.
(٢) النشر ١/ ٢٣٧.

على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلاً.. "[1].

فالتجويد هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته، وكمال هيئته؛ من غير إسراف ولا تعسُّف ولا إفراط ولا تكلُّف، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله "من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد"[2] يعني عبد الله بن مسعود.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أُعطى حظاً عظيماً في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى، وناهيك برجل أحب النبيُّ ﷺ أن يسمع القرآن منه، ولما قرأ أبكى رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين[3].

قال ابن الجزري: "وهذه سنة الله تبارك وتعالى، فمن يقرأ القرآن مجوداً مصححاً كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ الألباب؛ سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه، ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه جيد الأداء؛ قيماً باللفظ؛ فكان إذا قرأ أطرب المسامع؛ وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان "[4].

(١) النشر ١ / ٢٣٨.

(٢) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني ١ / ٤٩ برقم (١٣٨) وأحمد ١ / ٤٤٥ برقم (٤٢٥٥) وابن حبان ١٥ / ٥٤٣ برقم (٧٠٦٧) والبزار ١ / ٦٦ برقم (١٣) والحاكم ٢ / ٢٢٧ برقم (٢٨٩٤) وقال: "صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٣) ونصه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل ؟! قال: نعم، فقرأت حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[النساء] قال: حسبك الآن، فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان" رواه البخاري ٤ / ١٩٢٥ برقم (٤٧٦٣) ومسلم ٢ / ١٩٥ برقم (١٩٠٣).

(٤) النشر ١ / ٢٣٩.

فالماهر يجود تلاوة القرآن من دون تكلف ولا مبالغة، كما قال ابن الجزري في مقدمته [1]:

مُكَمَّلاً مِنْ غَيرِ مَا تَكَلُّفِ بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلا تَعَسُّفِ .

وقال أيضاً: " فليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغنات، ولا بحصرمة الراءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسُّف ولا تكلُّف، ولا تصنُّع ولا تنطُّع، لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء "[2].

الثالث: أن يكون متخلقاً بأخلاق القرآن:

فإن مقتضى حفظ القرآن الكريم وإتقانه أن يكون حافظه عاملاً به، ممتثلاً لآدابه، قال الشيخ الألباني رحمه الله في ختام تعليقه على حديث: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها":

" ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حفظه لوجه الله تبارك وتعالى، وليس للدنيا والدرهم والدينار، وإلا فقد قال ﷺ: "أكثر منافقي أمتي قراؤها " [3].

وفي حديث الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار: "ومنهم رجل جمع القرآن فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت ؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله

(١) المقدمة الجزرية ص٢٨.
(٢) النشر ١ / ٢٤٠.
(٣) السلسلة الصحيحة ٥ / ٢٨١ برقم (٢٢٤٠).

له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلاناً قارئ فقد قيل.. "[1].

الرابع: أن يكون فصيح اللسان:

فيقرأ القرآن باللسان العربي المبين، وبلحون العرب، ولا يدخل فيه شيئاً من لحون العجم.

في الحديث عن حذيفة بن اليمان قال: "قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم"[2].

الخامس: أن يكون متقناً للوقف والابتداء في كتاب الله تعالى:

والوقف والابتداء وإن أدرجه عدد من العلماء ضمن علم التجويد، لكن كثيراً من العلماء أفردوه كعلم مستقل، لمزيد العناية به من ناحية، ولتناوله المعاني دون تجويد الألفاظ من ناحية أخرى، ولذلك جاء مقابلاً لتجويد الألفاظ، كما في الأثر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لـمَّا سُئِلَ عن قوله ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾[المزمل] قال: الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف"[3].

قال ابن الجزري: "في كلام عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليل على وجوب تعلم الوقف والابتداء ومعرفته"[4].

فسلامة المعنى مرهونة بحسن الوقف والابتداء، ومتى كان القارئ متقناً للوقف والابتداء، أدى المعاني سلمية، وفهم السامع له المراد منها، أما إذا لم

---

(١) رواه الترمذي ٤ / ١٧١ برقم (٢٣٨٢) وقال "حديث حسن غريب" وصححه الألباني، وابن خزيمة ٤ / ١١٥ برقم (٢٤٨٢) وابن حبان ٢ / ١٣٥ برقم (٤٠٨).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٧ / ١٨٣ برقم (٧٢٢٣) والبيهقي في شعب الإيمان ٤ / ٢٠٨ برقم (٢٤٠٦).

(٣) ذكره الهذلي في كتابه الكامل ص٩٣ والسمرقندي في رَوْح المريد في شرح العقد الفريد، ص٦٠، و٢١٢، وابن الجزري في التمهيد ص٦٠ وفي النشر ١ / ٢٠٩ و١ / ٢٢٥.

(٤) النشر ١ / ١٢٥.

يحسن الوقف والابتداء فإنه يؤدي إلى تخليط المعاني وإفسادها، وقد يجعل ما ليس مراداً هو المراد.

قال الإمام الداني: "معرفة ما يتم الوقف عليه وما يحسن وما يقبح من أجل أدوات القراء المحققين والأئمة المتصدرين وذلك مما تلزم معرفته الطالبين وسائر التالين، إذ هو قطب التجويد، وبه يوصل إلى نهاية التحقيق"(١).

وقال علم الدين السخاوي: "ففي معرفة الوقف والابتداء الذي دونه العلماء تبيين معاني القرآن العظيم وتعريف مقاصده وإظهار فوائده، وبه يتهيأ الغوص على درره وفرائده"(٢).

وقال الصفاقسي: "ومعرفة الوقف والابتداء متأكد غاية التأكيد، إذ لا يتبين معنى كلام الله، ويتم على أكمل وجه إلا بذلك، فربما قارئ يقرأ ويقف قبل تمام المعنى، فلا يفهم هو ما يقرأ ومن يسمعه كذلك، ويفوت بسبب ذلك ما لأجله يقرأ كتاب الله تعالى، ولا يظهر مع ذلك وجه الإعجاز، بل ربما يُفهم من ذلك غير المعنى المراد، وهذا فساد عظيم"(٣).

فالماهر يحرص على الوقف الصحيح، ويحذر من الوقف القبيح، فلا يقف على ما لا يفهم المراد منه، ولا يفصل بين المبتدأ وخبره، أو بين المضاف والمضاف إليه، أو بين الشرط وجزائه، أو بين المستثنى والمستثنى منه، ولا يقف على العامل دون المعمول، ولا على المعمول دون العامل، ولا على الموصول دون صلته، ولا على المتبوع دون تابعه، ولا على الحكاية دون المحكي، ولا على القسم دون المقسم به، أو غير ذلك مما لا يتم به المعنى.

فضلاً عن ما هو أقبح من ذلك من الوقف الذى يفسد المعنى، ويثبت خلاف

(١) شرح القصيدة الخاقانية للداني ٢/ ٩٦.
(٢) جمال القراء ٢/ ٥٥٣.
(٣) تنبيه الغافلين ص١٢٠.

المقصود، كالوقف على ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ من قوله تعالى ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ...﴾ [النساء ١١] لأنه يجعل الأبوين شريكين في النصف، وهذا خلاف المقصود، وهو أن حق الأبوين في بقية الآية، وهو ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ...﴾ وكالوقف على ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام ٣٦] لأنه يوهم أن الموتى يستجيبون كذلك، أو أنهم يسمعون، والصواب الوقف على ﴿يَسْمَعُونَ﴾ والبدء بـ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في كتاب الله تعالى.

ويحرص أيضاً على البدء الصحيح، ويحذر من البدء الذي لا يصح، كالبدء بما بعد ﴿قَالُوٓاْ﴾ في قوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة ١٧،٧٢] وفي قوله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة ٧٣] وفي قوله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران ١٨١] أو بما بعد ﴿وَمَا لِيَ﴾ في قوله ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [يس ٢٢] لأن الابتداء به يؤدي إلى إثبات معنى باطل.

قال ابن الجزري: " ومن ثَمّ اشترط كثيرٌ من أئمة الخلف على المجيز ألا يجيزَ أحدًا إلا بعدَ معرفته الوقف والابتداء، وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ويشيرون إلينا فيه بالأصابع سنة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين رحمة الله عليهم أجمعين " [1].

روى الإمام أبو عمرو الداني عن ميمون بن مهران التابعي قال: "إني لأقشعر من قراءة أقوام يرى أحدهم حتماً عليه ألا يقصر عن العشر، إنما كانت القراء تقرأ القصص إن طالت أو قصرت يقرأ أحدهم اليوم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة] ويقوم في الركعة الثانية

(١) النشر ١/ ٢٢٥.

فيقرأ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[البقرة] "[1].

ثم قال أبو عمرو: " فهذا يبين أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتجنبون في قراءتهم القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض، ويتعلق آخره بأوله لأن ميمون بن مهران إنما حكى ذلك عنهم إذ هو من كبار التابعين وقد لقي جماعة منهم "[2].

هذه جملة من ضوابط الماهر بالقرآن، أما ما زاد عن ذلك كما سبق في قول الجعبري في وصف أئمة القراءة: " وكل من أتقن حفظ القرآن وداوم درسه، وأحكم تجويد ألفاظه، وعلم مبادئه ومقاطعه، وضبط رواية قراءته، وفهم وجوه إعرابه ولغاته، ووقف على حقيقة اشتقاقه وتصريفه، ورسخ في ناسخه ومنسوخه، وأخذ حظاً وافراً من تفسيره وتأويله، وصان نقله عن الرأي، وتجافى عن مقايس العربية، ووسعته السنة، وجلله الوقار، وغمره الحياء، وكان عدلاً متيقظاً ورعاً معرضاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة قريباً من الله، فهو الإمام الذي يُرجع إليه، ويُعوَّلُ عليه، ويُقتدى بأقواله، ويُهتدى بأفعاله "[3].

فقد سبق التنبيه إلى أن ما ذكره من فهم وجوه إعراب القرآن ولغاته، والوقوف على حقيقة اشتقاقه وتصريفه، والرسوخ في ناسخه ومنسوخه، وأخذ حظٍ وافرٍ من تفسيره وتأويله، إنما هو وصف للأئمة العلماء الراسخين في العلم الذين الذي يُرجع إليهم ويُعوَّلُ عليهم ويُقتدى بأقوالهم، ويُهتدى بأفعالهم، كما نص في آخر كلامه.

وليس كل ذلك بلازم لكون الإنسان ماهراً بالقرآن، وليس فقد شيء من ذلك مانعاً من إتقان القرآن الكريم والمهارة فيه.

---

(١) المكتفى ص١٣٥.

(٢) المكتفى ص١٣٥-١٣٦.

(٣) كنز المعاني شرح حرز الأماني ٢ / ٦٦.

المبحث الثالث:

فضائل الماهر بالقرآن على غيره

إن العيش في معية القرآن الكريم، تعلماً وتعليماً واهتداءً واتباعاً أصل كل فضيلة وخير في الدنيا والآخرة، فكتاب الله تعالى هو الهدى والنور، وهو الهادي إلى كل خير، وقد قرر الله تعالى ذلك في مواضع عديدة من كتابه، فقال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الإسراء] وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأعراف] وقال تعالى﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة] وقال تعالى ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر] بل ذكر الله وصف الجن للقرآن وهداتيه حين سمعوه وذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف] وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾[الجن] وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

فمن عاش مع القرآن واشتغل به كان في حفظ الله وعنايته وبلغ عند الله أفضل المنازل [1].

والماهر بالقرآن جمع الله له الفضائل بحفظه لكتاب الله تعالى وإتقانه لتلاوته وفصاحة لسانه به ودرايته بوقفه وابتدائه إضافة إلى تخلقه بأخلاقه وتأدبه بآدابه.

ويمكن استجلاء جملة من فضائل الماهر بالقرآن، منها ما يكون في حياته، ومنها ما يكون بعد مماته، وهي الفضائل الآتية:

الأولى: امتثاله لأمر الله تعالى بتلاوته للقرآن وترتيله كما أمر الله، واتباعه لسنة رسوله ﷺ في كيفية القراءة، لأن المسلم مأمور بتلاوة القرآن مرتلاً كما أمر الله، لا أن يقرأه كما يقرأ سائر الكلام في غيره من الكتب، والماهر بالقرآن مؤهل لذلك بما أنعم الله عليه به من حفظه وإتقان تلاوته.

الثانية: أنه أكثر الناس تلاوة للقرآن، لما يلزمه لتثبيت حفظه من المراجعة الدائمة وكثرة القراءة والتكرار، ولا يخفى ما في ذلك من الأجور العظيمة، كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" [2].

الثالثة: قدرته على قراءة القرآن في أي زمان ومكان، لما يسر الله له من حفظ القرآن وإتقانه، فلا تتوقف قراءته على توفر المصحف لديه، فلا تصعب قراءة القرآن في كل حال إلا على من لم يكن حافظاً له، أو على من لا يتقن قراءته ويحتاج إلى معلم يُقيم له تلاوته.

---

(١) وفي الحديث عن أبي سعيد قال: " قال رسو الله ﷺ: يقول الرّبُّ عز وجل: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين... " رواه الترمذي وقال: " هذا حديث حسن غريب " ٥ / ٣٤ برقم (٢٩٢٦).

(٢) رواه الترمذي ٥ / ٢٥ برقم (٢٩١٠) وقال: "هذا حديث حسن صحيح" والبيهقي في شعب الإيمان ٣ / ٣٧١ برقم (١٨٣٠).

الرابعة: كونه الأقدر على تدبر القرآن الكريم: وكل مؤمن مطالب شرعاً بتدبر القرآن، كما قال تعالى﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص] وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء] وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد] والماهر بالقرآن أولى الناس بتدبر القرآن الكريم، لما هيأ الله له من حفظ القرآن واستظهاره وإتقانه، مما يُسهّل عليه تدبره، وفهم مدلولاته وتأمل حِكَمه وأحكامه.

الخامسة: أحقّيته بإمامة الناس في الصلاة، ويدل عليه قوله ﷺ: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله.." [1] وقوله ﷺ: "إذا اجتمع ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم" [2] فالماهر بالقرآن هو الأحق بالإمامة لما يجتمع له من كثرة الحفظ وجودة التلاوة.

وقد اتفق العلماء على أنه لو تساوى قارئان في مقدار الحفظ، وكان أحدهما أجود قراءة فإنه أولى بالإمامة، وإن تساويا في جودة القراءة وأحدهما أكثر حفظاً فإنه الأولى بالإمامة.

أما لو كان أحدهما أكثر حفظاً، والآخر أجود قراءة، فإنه محل خلاف بينهم، فعند بعضهم الأولى بالإمامة هو الأكثر حفظاً للقرآن، وذلك لظاهر السنة، قال ابن رجب: "وأكثر الأحاديث تدل على اعتبار كثرة القرآن" [3].

(١) رواه مسلم ١ / ٤٦٥ برقم (٢٩٠).

(٢) رواه أحمد ٣ / ٣٤ برقم (١١٣١٦) والدارمي ١ / ٣١٨ برقم (١٢٥٤) وأبو يعلى ٢ / ٤٨٦ برقم (١٣١٩) قال شعيب الأرناؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٣) فتح الباري لابن رجب ٤ / ١٢٠.

وعند بعضهم الأولى بالإمامة هو الأجود قراءة، لأنه أعظم أجراً في قراءته؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: "أعربوا القرآن فإنه من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات وكفارة عشر سيئات ورفع عشر درجات" [1].

ولأنه داخل في عموم قوله ﷺ "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله" وقد فسروا الأقرأ بأنه الأحسن قراءة، قالوا ومن هذا المعنى قوله ﷺ: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمري الله عمر... وأقرؤهم أبيّ" [2] فقوله (وأقرؤهم) أي: أحسنهم قراءة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال عمر: أبيٌّ أقرؤنا" [3]، أي: أحسننا قراءة [4].

السادسة: أنه الأقدر على إيصال جمال القرآن وهداياته ولذة ألفاظه للناس والتأثير به على نفوس السامعين، وهو الأفضل في إسماع الناس القرآن في الصلاة وغيرها.

السابعة: أنه بحفظه للقرآن وإتقانه قادر على التمكن من كثير من العلوم، والاستشهاد بآيات القرآن الكريم في تعليمه وخطبه ومواعظه، ونحو ذلك، بخلاف غير الحافظ، الذي قد يشق عليه ذلك.

الثامنة: دخوله في الخيرية التي أخبر عنها النبي ﷺ في قوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" [5] وفي رواية عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: "خيركم من قرأ القرآن وأقرأه" [6].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٧ / ٣٠٧ برقم (٧٥٧٤) ونحوه في شعب الإيمان للبيهقي ٣ / ٥٤٩ برقم (٢٠٩٧).

(٢) رواه الترمذي ٦ / ١٣٥ برقم (٣٧٩٠) وابن ماجه ١ / ٥٥ برقم (١٥٤) والحاكم ٣ / ٤٢٢ برقم (٥٧٨٤) وقال: "صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه" وصححه الشيخ الألباني.

(٣) رواه البخاري ٤ / ١٩١٣ برقم (٤٧١٩).

(٤) ينظر الإنصاف ٢ / ١٧٣ وكشف المخدرات ١ / ٩٤ والشرح الممتع ٤ / ٢٠٥.

(٥) رواه البخاري ٤ / ١٩١٩ برقم (٤٧٣٩).

(٦) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٣ / ٢٥٢ برقم (٣٠٦٢) والبيهقي في شعب الإيمان ٣ / ٥٠٣ برقم (٢٠٢١).

فالماهر بالقرآن من أولى الناس بذلك، وهو أقدر الناس على تعليم القرآن الكريم، وإنما يجري على يديه نفع كبير بتعليم الأمة القرآن الكريم، ويحصل له بذلك أجور عظيمة، وقد استشعر سلف الأمة ذلك الفضل، حتى كان الإمام أبو عبد الرحمن السلمي وهو الذي روى حديث "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" عن عثمان، يقول: "هذا الذي أقعدني مقعدي هذا" يشير إلى كونه جالساً في المسجد الجامع بالكوفة يعلم القرآن ويقرئه أكثر من أربعين سنة[١].

وكان السلف رحمهم الله لا يعدلون بإقراء القرآن شيئاً، فعن شقيق قال: "قيل لعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنك تقل الصوم، قال: إني إذا صمت ضعفت عن القرآن، وتلاوة القرآن أحب إلي"[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين"[٣].

التاسعة: كونه من أهل الله تعالى وخاصته، الذين أخبر عنهم النبي ﷺ في قوله: "إن لله أهلين من الناس، قالوا: من هم يا رسول الله ؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته"[٤].

قال المناوي: " أي: الذين يختصون بخدمته، قال العسكري: هذا على المجاز والتوسع فإنه لما قرَّبهم واختصهم كانوا كأهله، ومنه قيل لأهل مكة أهل الله، لـمّا كانوا سكان بيته وما حوله كانوا كأهله"[٥].

---

(١) ينظر صحيح البخاري ٤ / ١٩١٩ برقم (٤٧٣٩) وفضائل القرآن لابن كثير ص٢٠٥ وفهم القرآن للمحاسبي ص٢٩٩ والنشر ١ / ٣.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣ / ٣٩٤ برقم (١٨٦٢) وابن أبي شيبة في مصنفه ٣ / ٧ برقم (٩٠٠٢).

(٣) سبق في المبحث الثاني.

(٤) رواه ابن ماجه ١ / ٧٨ برقم (٢١٥) وأحمد ٣ / ١٢٧ برقم (١٢٣٠١) والنسائي في السنن الكبرى ٥ / ١٧ برقم (٨٠٣١) قال شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن".

(٥) فيض القدير ٢ / ٦٢٨.

وقال أبو السعادات ابن الجزري: "أي: حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله والمختصّون به اختصاص أهل الإنسان به "[1].

العاشرة: معيته للملائكة الكرام: وقد ورد النص عليه في حديث الماهر، في قوله ﷺ: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة"[2] والسفرة هم الملائكة، وفي سبب تسميتهم بالسفرة قولان:

أحدهما: أنه مأخوذ من البيان والإيضاح، فسموا سفرة أي كتبة، جمع سافر، مثل كاتب وزنه ومعناه، سمي الكاتب سافراً لأنه يبين الشيء ويوضحه، وهم الذين يكتبون من اللوح المحفوظ، والأسفار الكتب، سمي الكتاب سِفْراً لأنه يسفر الشيء ويبينه.

والثاني: أنه مأخوذ من السفارة، والسفير الذي يصلح بين الاثنين، فسموا بذلك لأنهم ينزلون بوحي الله وما يقع به الصلاح بين الناس، فشبهوا بالسفير الذى يصلح بين الرجلين.

والكرام: أي المكرمين على الله المقربين عنده، لعصمتهم ونزاهتهم عن دنس المعصية، و(البررة) أي المطيعين جمع بار بمعنى محسن، من البر وهو الطاعة[3].

ومعنى كون الماهر مع السفرة الكرام البررة أنه في مرتبتهم في هذه العبادة، وهي إبلاغ كلام الله إلى خلقه، فهم سفراء بين رسل الله تعالى وبين خلقه، وهو مثلهم في إبلاغ القرآن للناس وتعليمهم إياه.

ويستفيد من هذا حملة القرآن التحرُّز في التبليغ والتعليم، والاجتهاد في تحصيل الصدق، وإخلاص النية لله؛ حتى تصح لهم المناسبة بينهم وبين الملائكة[4].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ١٩٩.

(٢) سبق تخريجه في المبحث الأول.

(٣) ينظر فتح الباري ١٣ / ٥١٩ وعمدة القاري للعيني ٣٦ / ٢٤٤ وإكمال المعلم ٣ / ١٦٦ وكشف المشكل من حديث الصحيحين ١ / ١٢٣١ وشرح السنة ٤ / ٤٢٩- ٤٣٠ والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٩٤١ ومرعاة المفاتيح ٧ / ٣٥١.

(٤) المفهم لما أشكل من تخليص كتاب مسلم ٢ / ٤٢٥.

وقيل إن الماهر لجودة حفظه وجودة تلاوته يسر الله تعالى عليه ذلك كما يسره على الملائكة فهو معها في مثل حالها في الحفظ والدرجة [1].

وقيل: المعنى أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم [2].

وقيل: المعنى الجامع بين الماهر بالقرآن وبين الملأ المكرمين أن الماهر بالقرآن تعلم التنزيل واستظهره حتى صار من خزنة الوحي وأمناء الكتاب وحفظة السِفر الكريم، ليسفر عن الأمة بما استُبْهِمَ عليهم من ذلك، ويبين لهم حقائقه، كما أن السفرة يردونه إلى أنبياء الله المرسلين، ويكشفون به الغطاء مما التبس عليهم من الأمور المكنونة حقائقها [3].

وقال القاضي عياض: "يحتمل والله أعلم أنّ له فى الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة، لاتصافه بوصفهم بحمل كتاب الله، ويحتمل أن يكون المراد أنه عامل بعمل السفرة وسالك مسلكهم، كما يقال: فلان مع بنى فلان، إذا كان يرى رأيهم ويذهب مذهبهم، كما قال لوط ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ ..." [4].

وكون الماهر مع الملائكة السفرة البررة يدل على عظم مكانته وأجره عند الله، فإن الملائكة عباد مكرمون ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

وكون المتتعتع له أجران ليس معناه أنه أكثر أجراً من الماهر، بل المعنى أن المتتعتع له أجر قراءته للقرآن، وأجر التعتعته والمشقة التي تحصل له فيها، ولا يعني ذلك أجره ضعف أجر الماهر، بل الماهر أفضل منه وأكثر أجراً، لأن المضاعفة للماهر

(١) فتح الباري ١٣ / ٥١٩.
(٢) ينظر فيض القدير ٦ / ٣٣٧ والتسهيل لعلوم التنزيل ٤ / ١٧٩.
(٣) ينظر مرعاة المفاتيح ٧ / ٣٥١.
(٤) إكمال المعلم ٣ / ١٦٦ وينظر شرح النووي ٣ / ١٥٢ والديباج على مسلم ٢ / ٣٩٦ وتفسير الخازن ١ / ٥.

لا تحصر، فإن الأجر شيء مقدر، والحسنة تضاعف إلى عشرة أضعاف، وإلى سبعمائة ضعف، أو أكثر، وللمتتعتع أجران من تلك المضاعفات [١].

وكون الماهر مع السفرة أفضل من حصول أجرين للمتتعتع، فإن الآجر الواحد قد يفضل أجوراً كثيرة [٢].

وأيضاً فإن العملين إذا لم يتساويا لا يلزم تفضيل أشقهما بدليل أن الإيمان أفضل الأعمال مع سهولته وخفته على اللسان، وكذا الذكر كما شهدت به الأخبار [٣].

قال القاضي: " ليس فيه دليل على أنه أعظم أجراً من الماهر، ولا يصح هذا إذا كان عالماً به، لأن من هو مع السفرة فمنزلته عظيمة، وله أجور كثيرة، ولم تحصل هذه المنزلة لغيره ممن لم يمهر مهارته، ولا يُسَوَّى أجر من علم بأجر من لم يعلم، فكيف يفضله ؟ " [٤].

فإن قيل: هلا جعل أجر الذي يشق عليه القرآن أكثر لأن مشقته أعظم ؟ فالجواب أن الماهر لا يمهر غالباً إلا عن كثرة الدراسة، ولا يقع التتعتع غالباً إلا عن قلتها، فباجتهاد الماهر حتى أتقن ومهر ارتفع أجره [٥].

قال القسطلاني: لا نسلم أن الحافظ الماهر خال من مشقة لأنه لا يصير كذلك إلا بعد عناء كثير ومشقة شديدة غالباً [٦].

وقال القرطبي: "وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأنه قد كان القرآن متعتعاً عليه، ثم ترقَّى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة، والله أعلم" [٧].

(١) ينظر تفسير الخازن ١ / ٥ وكشف المشكل ١ / ١٢٣ ومرعاة المفاتيح ٧ / ١٧٤.
(٢) ينظر فيض القدير ٦ / ٣٣٧.
(٣) ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٨٧٨.
(٤) إكمال المعلم ٣ / ١٦٧.
(٥) ينظر كشف المشكل ١ / ١٢٣١ والمفهم لما أشكلم من تخليص كتاب مسلم ٢ / ٤٢٥.
(٦) نقله المباركفوري في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧ / ١٧٤.
(٧) تفسير القرطبي ١ / ٧.

الحادية عشرة: رفعة درجته في الجنة:

ويدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها "[1].

وورد ذلك أيضاً عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعاً وموقوفاً، ففي شعب الإيمان للبيهقي عن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: " عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة "[2].

وعند ابن أبي شيبة عن أم الدرداء قالت: " دخلت على عائشة، فقلت: ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة، فقالت عائشة: إن عدد درج الجنة على عدد آي القرآن، فليس أحد ممن دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن "[3].

قال ابن حجر الهيتمي معلقاً على حديث (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل..): " الخبر خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها "[4].

وقال الشيخ الألباني عقب تخريجه له: "واعلم أن المراد بقوله (صاحب القرآن) حافظه عن ظهر قلب، على حد قوله ﷺ (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله)[5] أي: أحفظهم، فالتفاضل في درجات الجنة إنما هو على حسب الحفظ في الدنيا، وليس على حسب قراءته يومئذ واستكثاره منها، كما توهَّم بعضهم.."[6]

انتهى.

(١) رواه أبو داود ٢ / ٧٣ برقم (١٤٦٤) والترمذي ٥ / ٢٧ برقم (٢٩١٤) وقال " هذا حديث حسن صحيح " وكذلك قال الشيخ الألباني.

(٢) شعب الإيمان ٣ / ٣٨٠ برقم (١٨٤٣) ونقل عن الحاكم أنه قال عنه: " هذا إسناد صحيح ولم يكتب هذا المتن إلا بهذا الإسناد وهو من الشواذ".

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٠ / ٤٦٦ برقم (٣٠٥٧٢) وأورده ابن بطال أيضاً موقوفاً على عائشة، ولفظه: "جعلت درج الجنة على عدد آى القرآن، فمن قرأ ثلث القرآن كان على الثلث من درج الجنة، ومن قرأ نصفه كان على النصف من درج الجنة، ومن قرأ القرآن كله كان في عاليه، لم يكن فوقه أحد إلا نبي أو صديق أو شهيد" شرح صحيح البخاري لابن بطال ١ / ٢٥٧، وينظر شرح سنن أبي داود للعيني ٥ / ٣٨١ وعون المعبود ٤ / ٣٣٨ ومرعاة المفاتيح ٧ / ٢٠٩.

(٤) الفوائد الحديثية ١ / ١٥٦.

(٥) رواه مسلم ٢ / ١٣٣ برقم (١٥٦٤).

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥ / ٢٨١.

الثانية عشرة: شفاعة القرآن له يوم القيامة:

وقد وردت جملة من الأحاديث في شفاعة القرآن لأصحابه، والماهر بالقرآن داخل في ذلك دخولاً أولياً لمصاحبته للقرآن التي أفضت إلى مهارته في حفظه وتلاوته، ومن ذلك ما ورد عن أبي أمامة الباهلي قال: " سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة" (١).

الثالثة عشرة: أنه ينجو بحفظه للقرآن من النار:

فحفظ القرآن ينجي صاحبه من النار، كما في حديث عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لو جُعل القرآن في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق" (٢).

الرابعة عشرة: أنه يُلبس تاج الكرامة وحلة الكرامة، ويكسى والداه حُلَّتين:

وهذا الفضل مما اختص به حامل القرآن ووالداه، ولا ريب أن الماهر من أولى الناس بذلك لحفظه كتاب الله ومهارته فيه وفي تلاوته، وقد جاء النص على هذا الفضل في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلِّه، فيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زِدْه، فيُلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال له اقرأ وارق وتزاد بكل

---

(١) رواه مسلم ٢ / ١٩٧ برقم (١٩١٠) وأخرج نحوه عن النواس بن سمعان قال: " سمت النبي ﷺ يقول: يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمُه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بَعْدُ، قال: كأنهما غمامتان، أو ظُلّتان سوداوان بينهما شَرْق، أو كأنهما حِزْقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما" ٢ / ١٩٧ برقم (١٩١٢).

(٢) رواه أحمد ٤ / ١٥١ برقم (١٧٤٠٣) وأبو يعلى ٣ / ٢٨٤ برقم (١٧٤٥) والدارمي ٢ / ٥٢٢ برقم (٣٣١٠) والبغوي في شرح السنة ٤ / ٤٣٦ برقم (١١٨٠) والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٢ / ٣٦٣ برقم (٩٠٦) والبيهقي في شعب الإيمان ٤ / ٢٣١ برقم (٢٤٤٣) وحسَّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١ / ٩٤٠ برقم (٩٣٩٧).

آية حسنة "[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً قال: "قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنتُ أُسهر ليلك وأظمئ هواجرك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيُعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلَّتين لا تقوم لهما الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب أنى لنا هذا ؟ فيقال لهما: بتعليم ولدكما القرآن" [2].

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن وتعلَّم وعمل به أُلبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن" [3].

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والده تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟ " [4].

هذه أهم فضائل الماهر بالقرآن على غيره، وبالجملة فإن كل فضيلة لحامل القرآن وحافظه ثابتة للماهر بالقرآن، لأنه من أولى الناس بذلك لحفظه المحكم وجودة قراءته، نسأل الله تعالى من واسع فضله.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) رواه الترمذي ٥ / ١٧٨ برقم (٢٩١٥) وقال: "هذا حديث حسن صحيح" وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٣٢٨).
(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦ / ٥١).
(٣) رواه الحاكم (١ / ٧٥٦) وقال: " صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ".
(٤) رواه أبو داود ١ / ٥٤٣ برقم (١٤٥٥) والحاكم ١ / ٧٥٦ برقم (٢٠٨٥) وقال: " صحيح الإسناد ولم يخرجاه ".

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد هادي البريات أما بعد:

فبعون الله تعالى تم هذا البحث المبارك، الذي تناولت فيه الماهر بالقرآن، وضوابطه وفضائله، وكان من أهم النتائج التي ظهرت لي فيه ما يأتي:

١- أن الله تعالى قد يسر لعباده قراءة كتابه الكريم وحفظه، وهم مأجورون على ذلك مع اختلاف ملكاتهم وقدراتهم في حفظه وتلاوته.

٢- تعددت أقول العلماء في معنى الماهر بالقرآن، والذي ظهر لي رجحانه أنه من جمع بين إتقان الحفظ والتلاوة معاً.

٣- للماهر بالقرآن ضوابط عديدة، في مقدمتها إتقان الحافظ والتلاوة، إضافة إلى التخلق بأخلاق القرآن والتأدب بآدابه، وفصاحة اللسان، والقراءة بلحون العرب، وإتقان الوقف والابتداء.

٤- للماهر بالقرآن فضائل عديدة:

منها ما يكون في حياته: كأحقّيّته بإمامة الناس في الصلاة، وكونه أكثر الناس تلاوة للقرآن، لكثرة مراجعته وفي ذلك أجور عظيمة، وكونه الأقدر على قراءة القرآن في أي زمان ومكان، والأقدر على تدبر القرآن وفهم مدلولاته وتأمل حِكَمه وأحكامه، والأقدر على إيصال جمال القرآن وهداياته للناس، وهو قادر على التمكن من كثير من العلوم.

ومنها ما يكون بعد مماته: كمعيته للملائكة الكرام، ورفعة درجته في الجنة، وشفاعة القرآن له يوم القيامة، وأنه يُلبس تاج الكرامة وحلة الكرامة، ويكسى والداه حُلَّتين يوم القيامة.

٥- كل فضيلة لحامل القرآن وحافظه ثابتة للماهر بالقرآن، لأنه من أولى الناس

بذلك لحفظه المحكم وجودة قراءته، نسأل الله تعالى من واسع فضله.

هذه أهم النتائج التي ظهرت لي، وغيرها كثير مما هو ظاهر ضمن مباحث الموضوع، ونسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن الماهرين به، وأن يوفقنا جميعاً لخدمة كتابه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع:

١- الأدب المفرد: للبخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢- أساس البلاغة: للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣- إكمال المعلم بفوائد مسلم: للقاضي عياض، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

٤- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: للمرداوي الدمشقي الصالحي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس: للزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية.

٦- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين: للشوكاني، طبعة دار القلم، بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٨٤م.

٧- تفسير ابن جزري الكلبي (التسهيل لعلوم التنزيل): طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

٨- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل): تحقيق: محمد على شاهين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

٩- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٠- التمهيد في علم التجويد: لابن الجزري، تحقيق: غانم قدورى الحمد، طبعة مؤسسة الرسالة، الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

١١- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين: لعلي النوري الصفاقسي، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

١٢- تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٣- التيسير بشرح الجامع الصغير: للمناوي، طبعة مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٤- جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، طبعة دار ابن الجوزي.

١٥- جمال القراء وكمال الإقراء: لعلم الدين السخاوي، تحقيق: د.علي حسين البواب، طبعة مكتبة التراث بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٦- حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه): لمحمد بن عبد الهادي التتوي السندي، طبعة دار الجيل، بيروت.

١٧- الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ: لابن الجوزي، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم، طبعة مؤسسة شباب الجامعة، بالإسكندرية، الطعبة الثانية، ١٤١٢هـ.

١٨- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: للسيوطي، تحقيق وتعليق: أبي إسحاق الحويني الأثري، طبعة دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

١٩- ديوان الإمام ابن حزم الظاهري: جمع وتحقيق ودراسة: د. صبحي رشاد عبد الكريم، طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا.

٢٠- ديوان الإمام الشافعي المسمى (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن

إدريس): إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، طبعة مكتبة ابن سينا، القاهرة.
٢١- رَوْحُ المريد في شرح العقد الفريد: السمرقندي (ت٧٨٠هـ) تحقيق: إبراهيم عواد، طبعة الجامعة الإسلامية، بغداد١٤٢٠ه - ١٩٩٩م.
٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة: لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي.
٢٣- سنن ابن ماجه: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار الفكر، بيروت.
٢٤- سنن أبي داود: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الفكر.
٢٥- سنن الترمذي: تحقيق: بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٦- سنن الدارمي: تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٢٧- سنن الدارمي: تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٢٨- سنن الدارمي: للدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٢٩- السنن الكبرى: للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبعة مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣٠- السنن الكبرى: للنسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣١- سنن النسائي (المجتبى من السنن): تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة

مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطعبة الثانية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٣٢- سنن سعيد بن منصور: دراسة وتحقيق: الدكتور سعد بن عبد الله آل حميد، طبعة مكتبة الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٣٣- شرح السنة: للبغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٤- شرح القصيدة الخاقانية: لأبي عمرو الداني، تحقيق: غازي بن بنيدر العمري، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، ١٤١٩هـ.
٣٥- الشرح الممتع على زاد المستقنع: لمحمد بن صالح العثيمين، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-١٤٢٨هـ.
٣٦- شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج): طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٣٧- شرح سنن ابن ماجه - السيوطي، طبعة: قديمي كتب خانة - كراتشي.
٣٨- شرح سنن أبي داود: لبدر الدين العينى، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٩- شرح سنن أبي داود: لبدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٤٠- شرح صحيح البخارى: لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، طبعة: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٤١- شرح مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٤٩٤م.
٤٢- شرح نهج البلاغة: لعبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، طبعة دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٣- شعب الإيمان: للبيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، طبعة مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٤٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبعة: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.
٤٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٤٦- صحيح ابن خزيمة: تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ١٩٧٠م.
٤٧- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، طبعة: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٤٨- صحيح الجامع الصغير وزيادته: لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي.
٤٩- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف، ١٤١٩ه-١٩٩٨م.
٥٠- صحيح مسلم (الجامع الصحيح): للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، طبعة دار الجيل، بيروت، ودار الأفاق الجديدة، بيروت.
٥١- طرح التثريب في شرح التقريب: لزين الدين العراقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٢- طيبة النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، تحقيق: محمد تميم الزعبي، طبعة دار الهدى بالمدينة المنورة، الأولى ١٤١٤هـ.
٥٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين العيني، طبعة دار إحياء

التراث العربي، بيروت.
٥٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود: للعظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ،١٩٦٨م.
٥٥- غريب الحديث: لابن الجوزي، تحقيق: د.عبد المعطي أمين قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
٥٦- فتح الباري: لابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، طبعة: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
٥٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٥٨- فضائل القرآن: لابن كثير، طبعة مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى١٤١٦هـ.
٥٩- فهم القرآن ومعانيه: للمحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، طبعة دار الكندي ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
٦٠- الفوائد الحديثية: لابن حجر الهيتمي، طبعة دار المعرفة مصورة عن طبعة مصطفى الحلبي الثانية.
٦١- فيض القدير شرح الجامع الصغير: لزين الدين المناوي، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
٦٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير: لزين الدين المناوي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ه-١٩٩٤م.
٦٣- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: لأبي القاسم الهذلي، تحقيق: جمال بن السيد رفاعي الشايب، طبعة مؤسسة سما للنشر والتوزيع، الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٦٤- كشف المخدرات والرياض الزاهرات لشرح أخصر المختصرات: لأحمد

بن عبد الله الحلبي البعلي، طبعة دار النبلاء.
٦٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين: لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، طبعة دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٦٦- كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني: للجعبري، تحقيق: الأستاذ أحمد اليزيدي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٦٧- لسان العرب: لابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت.
٦٨- المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، طعبة: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
٦٩- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لعبيد الله بن محمد المباركفوري، طبعة إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس، الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.
٧٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لعلي بن سلطان محمد القاري الشهير بـ(علي ملا قاري) تحقيق: الشيخ جمال عيتاني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٧١- المستدرك على الصحيحين: للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٧٢- مسند أبي يعلى: تحقيق: حسين سليم أسد، طبعة دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤هـ.
٧٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل: طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٧٤- مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار) تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

٧٥- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٧٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد الفيومي، طبعة المكتبة العلمية، بيروت.
٧٧- مصنف ابن أبي شيبة: تحقيق: محمد عوام، طبعة الدار السلفية الهندية ودار القبلة.
٧٨- مصنف عبد الرزاق: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
٧٩- المعجم الأوسط: لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ
٨٠- المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، طبعة: دار الدعوة.
٨١- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طعبة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٨٢- المغرب في ترتيب المعرب: لبرهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزيّ، طبعة دار الكتاب العربي.
٨٣- المفهم لما أشكل من تخليص كتاب مسلم: لأحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو ورفاقه، طبعة دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ١٩٦٦م.
٨٤- المقدمة في ما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه: لابن الجزري، تحقيق الدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت، طبعة مكتبة الإمام البخاري، الطبعة

الثانية، ١٤٢٧هـ.
٨٥- المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل: لأبي عمرو الداني، تحقيق يوسف المرعشلي، طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٨٦- الرحبية في علم الفرائض: لمحمد بن علي الرحبي، مع شرحها لسبط المارديني، تعليق وتخريج: الدكتور مصطفى ديب البغا، طبعة دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٨٧- النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، طبعة دار الفكر للطباعة.
٨٨- النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات ابن الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

الْمُبَرِّدُ وَتَوْجِيْهُهُ لِلْقِرَاءَاتِ فِي كِتَابِهِ (الْكَامِل)

إعداد

أ . د . سالم بن غرم الله الزهراني

الأستاذ بقسم القراءات بجامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم، قال تعالى﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[الحجر ٩] وقد هيأ الله تعالى له نقلة مخلصين، ومقرئين ثقات أفنوا أعمارهم في خدمة القرآن الكريم وإقرائه، ونقله على الوجه الصحيح، حتى غدت قراءاتهم منشرة في الأمصار، وصار ذكرهم شائعاً في الآفاق، ومن أولئك الأئمة الأعلام الذين شاع ذكرهم وانتشرت قراءاتهم القراء العشرة الذين تواترت قراءاتهم.

وقد اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بقراءاتهم ما بين تحرير وتخريج وتوجيه، ولا تكاد تخلو مؤلفات العلماء على اختلافها من إيراد بعض القراءات، إما على سبيل على الاحتجاج بها، أو التوجيه لها، وقد حفلت كتب النحاة والمعاجم اللغوية وكتب اللغة عموماً بإيراد كثير من القراءات، ومن تلك المؤلفات الأصيلة الشهيرة كتاب الكامل للمبرد، الذي يُعد من أهم كتب الأدب الإسلامي، حتى عدّه ابن خلدون أحد أهم أصول الأدب، فقال: " وسمعنا من شيوخنا في مجلس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكتاب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبعٌ لها وفروع عنها "[1].

(١) () مقدمة ابن خلدون ٢ / ٣٧٦.

وقد بدأه مؤلفه بمقدمة مختصرة بين فيها مقصده ومنهجه في الكتاب، فقال: " هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً شافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحدٍ في تفسيره مستغنياً "[1].

وهو كتاب حافل بغرائب النقول والقصص والأخبار والعبر والفوائد اللغوية والنحوية، التي لا يستغني عنها طالب العلم، رتبه المبرد على أبواب مختلفة، أولها باب (باب وصف رسول الله للأنصار) وآخرها باب (آيات من القرآن الكريم وبيان ما فيها من المجاز).

وقد اشتمل على ذكر عدد من القراءات وتوجيهها، ولذا رغبت أن أجمع في هذا البحث توجيه المبرد للقراءات في كتابه الكامل، للوقوف على توجهيات هذا العلم الشهير المتبحر في علوم اللغة، مع مقارنتها بتوجيهات غيره من العلماء.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة وفصلين، وخاتمة، ثم فهرس المصادر والمراجع، وهذا بيانها:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

الفصل الأول: ترجمة المبرد، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

---

(١) () الكامل ١ / ٦.

المبحث الثاني: مولده ونشأته ووفاته.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الخامس: مؤلفاته.

الفصل الثاني: توجيه المبرد للقراءات في كتابه الكامل.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

وأما منهجي في البحث: فأوجزه في الأمور الآتية:

نقلت كل نص ضمَّنه المبرد ذكر القراءة وتوجيهها، وأسبقته بالعنوان الذي أوردها تحته.

أوردت جميع القراءات التي وجهها المبرد سواء كانت من القراءات المتواترة أو من الشاذة.

رتبت القراءات التي أوردها المبرد في كتابه حسب ترتيب ورودها في سورها وبترتيب سور القرآن الكريم، بخلاف ترتيب ورودها في كتاب الكامل.

عزوت القراءات الواردة في النص لمن قرأ بها، سواء كانت متواترة أو شاذة، ووثقتها من مصادرها.

أوضحت توجيه المبرد للقراءة بإيجاز.

قارنت توجيه المبرد لكل قراءة بتوجيه غيره من العلماء، مع الإشارة إلى اتفاقهم أو اختلافهم في توجيهها.

ذكرت بعض الوجوه الأخرى المذكورة في توجيه القراءة؛ إتماماً للفائدة.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول:

ترجمة المبرد[1]، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليم بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف وهو ثمالة بن أسلم بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث[2].

وهو من أهل البصرة، ونزل بغداد، ويلقب بالمبرد: وقيل في سبب ذلك أقوال:

منها: أن المازني أعجبه جوابه، فقال له: قم فأنت المبرد، أي: المثبت للحق، ثم غلب عليه: بفتح الراء[3].

ومنها: أنه سئل: لم لقبت بهذا اللقب ؟ فقال: كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة، فكرهت الذهاب إليه، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني، فجاء رسول الوالي يطلبني، فقال لي أبو حاتم: ادخل في هذا - يعني: غلاف مُزَمَّلة[4] فارغاً- فدخلت فيه، وغطى رأسه، ثم خرج إلى الرسول وقال: ليس هو عندي، فقال: أخبرت أنه دخل إليك فقال: ادخل الدار وفتشها، فدخل، فطاف كل موضع في الدار، ولم يفطن لغلاف المزملة، ثم خرج، فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة: المبرد، المبرد، وتسامع الناس بذلك، فلهجوا به[5].

---

(١) () مصادر ترجمته: إنباه الرواة ٣ / ٢٤١-٢٥٣ البداية والنهاية ١١ / ٧٩-٨٠ بغية الوعاة ١ / ٢٦٩-٢٧١ البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٥٠-٢٥١ تاريخ الإسلام للذهبي ٢١ / ٢٩٩ تاريخ بغداد ٣ / ٣٨٠-٣٨٧ سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٧٦ شذرات الذهب ٢ / ١٩٠-١٩١ طبقات المفسرين ٢ / ٢٦٧-٢٧١ طبقات النحويين واللغويين ص١٠١-١١٠ العبر ٢ / ٧٤-٧٥ غاية النهاية ٢ / ٢٨٠ الفهرست ١ / ٦٤-٦٥ لسان الميزان ٥ / ٤٣٠-٤٣٢ معجم الأدباء ١٩ / ١١١-١٢٢ المنتظم ٦ / ٩-١١ ضمن وفيات سنة (٢٨٥) النجوم الزاهرة ٣ / ١١٧ الوافي بالوفيات ٥ / ٢١٦-٢١٨ وفيات الأعيان ٤ / ٣١٣-٣٢٢.

(٢) () ينظر الأنساب ١ / ٥١٣ وتاريخ بغداد ٣ / ٣٨٠.

(٣) () ينظر تاريخ الإسلام ٢١ / ٢٩٩ وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٧٧.

(٤) () المُزَمَّلة: بضم الميم، وفتح الزاي، والميم المشددة: جرة خضراء يبرد فيها الماء. ينظر المعجم الوسيط ١ / ٤٠١.

(٥) () ينظر وفيات الأعيان ٤ / ٣٢١.

المبحث الثاني: مولده ونشأته ووفاته:

الذي عليه الأكثرون أن مولده كان في سنة عشر ومائتين، وقيل سنة سبع ومائتين[١].

ونشأ المبرد في البصرة، وكان من أهل البصرة، فسكن بغداد، وروى بها عن أبى عثمان المازني وأبى حاتم السجستاني وغيرهما.

وذكر ابن النديم أن أبا عبد الله محمد بن القاسم قال: كان المبرد من السورحيين بالبصرة ممن يكسر الأرضين وكان يقال له حيان السورحي وانتمى إلى اليمن ولذلك تزوج المبرد ابنة الحفصي والحفصي شريف من اليمنية[٢].

وكانت وفاة المبرد على ما نص عليه أكثر من ترجم له سنة خمس وثمانين ومائتين في آخر السنة[٣].

وعند الذهبي وابن الجزري أنه توفي سنة ست وثمانين ومائتين[٤].

وكانت وفاته بالكوفة، ودفن في مقابر باب الكوفة[٥].

(١) ( ) ينظر تاريخ بغداد ٣ / ٣٨٠ ووفيات الأعيان ٤ / ٣١٣.

(٢) ( ) ينظر الفهرست ١ / ٦٥.

(٣) ( ) ينظر ينظر البداية والنهاية ١١ / ٩١ وتاريخ بغداد ٣ / ٣٨٠ وشذرات الذهب ٢ / ١٩٠ ووفيات الأعيان ٤ / ٣١٣.

(٤) ( ) ينظر سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٧٧ وغاية النهاية ٢ / ٢٨٠ والوفيات لابن الخطيب ١ / ١٩١.

(٥) ( ) ينظر الفهرست ١ / ٦٥.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

إن نشأة المبرد بين علماء البصرة، وسكناه في بغداد، وهي معقل من معاقل العلم والعلماء لتتيح له فرصة اللقاء بجموع من العلماء والتلقي عنهم، ويؤيد ذلك ويدل عليه ما خلفه المبرد من مؤلفات كثيرة، يُلاحظ من خلالها أنه ألّف في فنون متنوعة[1]، وهذا يدل على أن المبرد قد أخذ عن جمع من الشيوخ في تلك الفنون المختلفة، والذين أمكن معرفتهم من شيوخه من كتب التراجم ثمانية، وهم[2]:

١- إبراهيم بن سفيان أبو إسحاق الزيادي (ت ٢٤٩هـ).

٢- بكر بن محمد أبو عثمان المازني (ت٢٤٩هـ).

٣- سهل بن محمد أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ).

٤- صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي (ت ٢٢٥هـ).

٥- العباس بن الفرج أبو الفضل الرياشي (ت ٢٥٧هـ).

٦- عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير (ت ٢٣٩هـ).

٧- عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ).

٨- المغيرة بن محمد المهلبي.

---

(١) () كما سيأتي في المبحث الخامس.

(٢) () تنظر تراجم شيوخه في: أخبار النحويين البصريين ص٦٨ وإنباه الرواة ٢ / ٣٦٨ وبغية الوعاة ص١١٦ وتاريخ بغداد ١٢ / ٢٨٢ وجمهرة أنساب العرب ص٣٦٩ ومرآة الجنان ٢ / ٢١٠ ومراتب النحويين ص٨٣ والمزهر ٢ / ٤٠٨ ومعجم الأدباء ١ / ١٥٨ ونزهة الألباء ص٢٦٩ والوافي بالوفيات ٥ / ٢١٦.

تلاميذه:

أخذ عن المبرد وروى عنه جماعة من التلاميذ، ومنهم عدد من العلماء المشهورين، ومنهم[1]:

١- إبراهيم بن محمد بن السَّريّ (ت٣١١هـ).

٢- إبراهيم بن محمد بن عرفة (نفطويه) (ت ٣٢٣هـ).

٣- أبو طاهر الصيدلاني[2].

٤- أحمد بن الفضل بن شبابة أبو الصقر الهمذاني.

٥- أحمد بن جعفر الدينوري (ت٢٨٩هـ).

٦- أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس بن النحاس، أبو جعفر المرادي (ت٣٣٧هـ).

٧- إسماعيل بن محمد الصفار (ت ٣٤١هـ).

٨- علي بن إبراهيم القطان (ت ٣٤٥هـ). ٩- علي بن سليمان بن الفضل أبو الحسن الأخفش الصغير.

١٠- محمد بن أحمد أبو الحسن بن كيسان (ت ٢٩٩هـ).

١١- محمد بن أحمد بن منصور بن الخياط (ت٣٢٠هـ).

١٢- محمد بن السَّريّ ابن السراج.

١٣- محمد بن عبد الواحد الزاهد أبوعمر غلام ثعلب (ت٣٤٥).

١٤- محمد بن مروان أبو بكر الدينوري.

١٥- محمد بن يحيى أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ).

---

(١) ( ) تنظر تراجمهم وغيرهم في: أخبار النحويين البصريين ص٨٠ وإنباه الرواة ١ / ١٤٤ و١ / ٢١١ و٣/ ٢٤٢ وبغية الوعاة ص١١٦، ص١٥٣، ص١٥٧، وتاريخ بغداد ٣ / ٣٨٠ وطبقات النحويين واللغويين ص١٧١، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٥٦ وغاية النهاية ٢ / ٢٨٠ ولسان الميزان ٥ / ٤٣٠ ومراتب النحويين ص٨٣ والمزهر ٢ / ٤٠٨ ومعجم الأدباء ١٢ / ٢١٨، ٤ / ٩٩، ٤ / ٢٢٤، ٥ / ١٢٠ ونزهة الألباء ص٢٨٠ والوافي بالوفيات ٥ / ٢١٦ ووفيات الأعيان ٣ / ٤٤١، ٣ / ٤٤٢.

(٢) ( ) وهو الذي روى عنه قراءة أبي عمرو كما أسند الهذلي في الكامل ص٢٦١، إلا أن ابن الجزري قال في ترجمة المبرد: " روى القراءة عنه أبو طاهر الصيدلاني، كذا أسند الهذلي قراءة أبي عمرو من طريقه إلى سيبويه عنه، ولا أعرف هذه الطريق في القراء " غاية النهاية ٢ / ٢٨٠.

المبحث الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان المبرد من العلماء المبرِّزين في علوم العربية وغيرها، ومما يدل على ذلك ما صنفه من المصنفات العظيمة في النحو والأدب والبلاغة والشعر والقوافي ومعاني القرآن والاحتجاج للقراءة وإعراب القرآن والتراجم وغيرها من مباحث العقيدة والمسائل المتناثرة، كما سيظهر جلياً عند ذكر مؤلفاته.

وكان المبرد بارعاً في المناظرة، وكان هو وأبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب صاحب كتاب الفصيح عالمين متعاصرين قد ختم بهما تاريخ الأدباء، وفيهما يقول أبو بكر بن الأزهر:

أيا طالب العلم لا تجهلن ... وعذ بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى ... فلا تك كالجملص الأجرب
علوم الخلائق مقرونة ... بهذين في الشرق والمغرب

وكان المبرد يحب الاجتماع في المناظرة بثعلب والاستنكار منه، وثعلب يكره ذلك ويمتنع منه، حكى جعفر بن أحمد بن حمدان الفقيه الموصلي وكان صديقهما قال: "قلت لأبي عبد الله الدينوري ختن ثعلب: لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال: لأن المبرد حسن العبارة، حلو الإشارة، فصيح اللسان، ظاهر البيان، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين، فإذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن "[1].

وقد أثنى على المبرد كثير ممن ترجم له، فقال عنه الخطيب البغدادي: "محمد بن يزيد...المعروف بالمبرد شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية...وكان عالماً فاضلاً موثوقاً به في الرواية، حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر "[2].

(١) () ينظر شذرات الذهب ٢ / ١٩٠.
(٢) () تاريخ بغداد ٣ / ٣٨٠ وينظر الأنساب ١ / ٥١٣.

وقال ابن النديم: " وقال شيخنا أبو سعيد رحمه الله: انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني إلى أبي العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي "[١].

قال الذهبي: " وكان إماماً، علامة، جميلاً، وسيماً، فصيحاً، مفوهاً، موثقاً، صاحب نوادر وطرف "[٢] ونقل عن ابن حماد النحوي أنه قال: " كان ثعلب أعلم باللغة، وبنفس النحو من المبرد، وكان المبرد أكثر تفنناً في جميع العلوم من ثعلب "[٣].

وقال أيضاً: " كان آية في النحو، كان إسماعيل القاضي يقول: ما رأى المبرد مثل نفسه "[٤].

وقال ابن خلكان: " كان إماماً في النحو واللغة، وله التآليف النافعة في الأدب "[٥].

وقال أبو إسحاق الزجاج: " لما قدم المبرد بغداد أتيته لأناظره وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب، وأميل إلى قولهم يعني الكوفيين فعزمت على إعناته فلما فاتحته ألجمني بالحجة وطالبني بالعلة، وألزمني إلزامات لم أهتد لها، فتبينت فضله واسترجحت عقله، وجددت في ملازمته "[٦].

وقال ابن العماد الحنبلي: " أبو العباس المبرد محمد بن يزيد الأزدي البصري إمام أهل النحو في زمانه وصاحب المصنفات... وتصدر للاشتغال ببغداد، وكان وسيماً مليح الصورة فصيحاً مفوَّهاً أخبارياً علامة ثقة "[٧].

---

(١) () الفهرست ١ / ٦٤.
(٢) () سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٧٦.
(٣) () سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٧٧.
(٤) () الإحالة السابقة.
(٥) () وفيات الأعيان ٤ / ٣١٤.
(٦) () ينظر تاريخ بغداد ٣ / ٣٨١.
(٧) () شذرات الذهب ٢ / ١٩٠.

وقال أبو بكر بن أبى الأزهر: كان المبرد يُنسب إلى الأزد، فقال فيه أحمد بن عبد السلام الشاعر[1]:

أيا ابن سراة الأزد أزد شنوءة ... وأزد العتيك الصدر رهط المهلب
أولئك أبناء المنايا إذا غدوا ... إلى الحرب عدوا واحدا ألف مقنب
حموا حرم الإسلام بالبيض والقنا ... وهم ضرموا نار الوغى بالتلهب
وهم سبط أنصار النبي محمد ... على أعجمي الخلق والمتعرب
وأنت الذي لا يبلغ الناس وصفه ... وإن أطنب المداح مع كل مطنب
رأيتك والفتح بن خاقان راكباً ... وأنت عديل الفتح في كل موكب
وكان أمير المؤمنين إذا دنا ... إليك يطيل الفكر بعد التعجب
وأوتيت علماً لا يحيط بكنهه ... علوم بنى الدنيا ولا علم ثعلب
يؤوب إليك الناس حتى كأنهم ... ببابك في أعلى منى والمحصب

وقال محمد بن العباس الخزاز: أنشدنا محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني بعض اصدقائنا يمدح المبرد [2]:

رأيت محمد بن يزيد يسمو ... إلى العلياء في جاه وقدر
جليس خلائق وغذى ملك ... وأعلم من رأيت بكل أمر
وفتيانية الظرفاء فيه ... وأبهة الكبير بغير كبر
وينثر إن أجال الفكر دراً ... وينثر لؤلؤاً من غير فكر
وقالوا ثعلب رجل عليم ... وأين النجم من شمس وبدر
وقالوا ثعلب يملي ويفتي ... وأين الثعلبان من الهزبر

(١) ( ) ينظر تاريخ بغداد ٣/ ٣٨١.
(٢) ( ) ينظر تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٢.

وقال محمد بن العباس: أنشدنا محمد بن المرزبان لبعض أصحاب المبرد يمدحه[1]:

بنفسي أنت يا ابن يزيد من ذا ... يساوى ثعلباً بك غير قين
إذا مازتكما العلماء يوماً ... رأت شاويكما متفاوتين
تفسر كل مقفلة بحذق ... ويستر كل واضحة بغين
كأن الشمس ما تمليه شرحاً ... وما يمليه همزة بين بين

وكان للمبرد أشعار، ومما نقل من شعره: ما حكاه الخطيب البغدادي بسنده[2] عن أحمد بن محمد بن زياد القطان، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قال: سألت بشر بن سعد المرثدي حاجة فتأخرت، فكتبت إليه:

وَقَاكَ اللهُ مِنْ إِخْلاف وَعْد ... وَهَضْم أُخُوَّة أَوْ نَقْض عَهْد
فَأَنْتَ الْمُرْتَجَى أَدَباً وَرَأْياً ... وَبَيْتُكَ في الرِّوَايَة مِنْ مَعَدِّ
وَتَجْمَعُنَا أَوَاصِرُ لَازِمَاتٌ ... سَدَادُ الْأَسْرِ مِنْ حَسَبٍ وَوِدِّ
إِذَا لَمْ تَأْتِ حَاجَاتِي سِرَاعاً ... فَقَدْ ضَمَّنْتُهَا بِشْرَ بْنَ سَعْد
فَأَيُّ النَّاسِ آمُلُهُ لِبِرٍّ ... وَأَرْجُوهُ لِحَلٍّ أَوْ لِعَقْدِ

وعن الصولي قال: كنا يوماً عند أبي العباس المبرد فجاءه رجل فسلم عليه واستحفى نفسه في لقائه فانشد أبو العباس[3]:

إِنَّ الزَّمَانَ وَإِنْ شَطَّتْ مَذَاهِبُهُ ... مِنِّي وَمِنكَ فَإِنَ الْقَلْبَ مُقْتَرِبُ
لَنْ يُنْقِصَ النَّأْيُ وِدِّيْ مَا حَيِيتُ لَكُمْ ... وَلَا يَمِيلَ بِهِ جِدٌّ وَلَا لَعِبُ

(١) ( ) الإحالة السابقة.
(٢) ( ) ينظر تاريخ بغداد ٣ / ٣٨٥.
(٣) ( ) ينظر تاريخ بغداد ٣ / ٣٨٧.

وقد رثاه ثعلب حين مات فقال[1]:

مَـاتَ الْمُـبَرِّدُ وَانْقَـضَـتْ أَيَّـامُـهُ ... وَسَيَنْقَضِي بَعْدَ الْمُبَرِّدِ ثَعْلَبُ
بَيْتٌ مِنَ الْآدَابِ أَصْبَحَ نِصْفُهُ ... خَرِباً وَبَاقِي نِصْفِهِ فَسَيَخْرَبُ

المبحث الخامس: مؤلفاته:

ترك المبرد للمكتبة الإسلامية والعربية كثيراً من الكتب الحافلة، التي تناول فيها جوانب عديدة من العلوم، ومسائل دقيقة، وقد بلغ مجموع ما ذكر له من المؤلفات ثلاثة وخمسين كتاباً[2]، والمطبوع منها حسب اطلاعي تسعة كتب هي:

١- البلاغة[3].

٢- التعازي والمراثي[4].

٣- رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها[5].

٤- شرح لامية العرب للشنفرى[6].

٥- الفاضل والمفضول[7].

٦- الكامل في اللغة والأدب[8].

٧- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد[9].

٨- المقتضب[10]. ٩- نسب عدنان وقحطان[11].

(١) ( ) الإحالة السابقة.

(٢) ( ) وزاد الدكتور رمضان عبد التواب كتاب (الزمان) وقال: " ذكره ابن هشام اللخمي في كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) فقال: "... وكذا جمعه أبو العباس المبرد في كتاب الزمان " ولعله كتاب (الأنواء والأزمنة) السابق " البلاغة ص٥٩.

(٣) ( ) طبع بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م

(٤) ( ) حققه: محمد الديباجي، طبعة دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م

(٥) ( ) حققها عبد السلام هارون في المجلد الأول من نوادر المخطوطات (ص١٦٣ -١٧٣) القاهرة ١٩٥١م.

(٦) ( ) طبع بمطبعة الجوائب باستانبول عام ١٣٠٠هـ، مع كتاب أعجب العجب للزمخشري.

(٧) ( ) طبع بتحقيق عبد العزيز الميمني بالقاهرة، ١٩٥٦م.

(٨) ( ) وهو الذي يدور عليه هذا البحث، وهو مطبوع، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٩) ( ) حققه: رضوان الداية، طبعة دار البشائر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

(١٠) ( ) حققه: محمد عبد الخالق عضيمة، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

(١١) ( ) حققه: مقبل الأحمدي، طبعة الدار العربية للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

وأما غير المطبوعة فهي الكتب الآتية[1]:

١٠- احتجاج القراءة. ١١- الاختيار((٢)). ١٢- أدب الجليس. ١٣- أسماء الدواهي عند العرب. ١٤- إعراب القرآن. ١٥- الاشتقاق. ١٦- الإعراب. ١٧- الاعتنان. ١٨- الأنواء والأزمنة. ١٩- التصريف. ٢٠- الجامع. ٢١- الحث على الأدب والصدق. ٢٢- الحروف. ٢٣- الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه. ٢٤- الخط والهجاء. ٢٥- الرد على سيبويه. ٢٦- الرسالة الكاملة. ٢٧- الروضة. ٢٨- الرياض المؤنقة. ٢٩- الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه. ٣٠- الشافي. ٣١- شرح شواهد كتاب سيبويه. ٣٢- شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها. ٣٣- صفات الله جل وعلا. ٣٤- ضرورة الشعر. ٣٥- طبقات النحويين البصريين وأخبارهم. ٣٦- العبارة عن أسماء الله تعالى. ٣٧- العروض. ٣٨- غريب الحديث. ٣٩- الفتن والمحن. ٤٠- قواعد الشعر. ٤١- القوافي. ٤٢- الكافي في الأخبار. ٤٣- المدخل إلى كتاب سيبويه. ٤٤- المدخل في النحو. ٤٥- المذكر والمؤنث. ٤٦- مسائل الغلط. ٤٧- معاني القرآن ويعرف بالكتاب التام. ٤٨- معنى كتاب الأوسط للأخفش. ٤٩- معنى كتاب سيبويه. ٥٠- المقصور والممدود. ٥١- المادح والمقابح. ٥٢- الناطق. ٥٣- الوشى.

---

(١) () وأجمل هنا ذكر مصادر كتبه تخفيفاً من تكرارها عند كل كتاب وهي:

أخبار أبي تمام للصولي ١٨٥ والأشباه والنظائر في النحو ٣/ ٤ وإنباه الرواة ٣/ ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣ وبغية الوعاة ص١١٦ وتاريخ بغداد ٣/ ٣٨٧ وخزانة الأدب ١/ ٣٠٥، ٢/ ١٩٣والخصائص ٣/ ٢٨٧ ودراسات في اللغة ١٢٤/ ١ وشذرات الذهب ٢/ ١٩١ وشرح الرضي للكافية ٢/ ١٣٠ وطبقات ابن شهبة ص٢٨١ وفهرسة ابن خير ٣١٢، ٣٩٨ والفهرست ص٨٨ وكشف الظنون ٦٢،٩٣١، ١٥٧٢ ومعجم الأدباء ٨/ ٧٦ والنهاية لابن الأثير ١/ ٦ ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤١.

(٢) () وهذا الكتاب ذكره المبرد نفسه في الكامل، فقال: " وقد شرحنا ذلك في كتاب الاختيار " ٤/ ٦٤.

الفصل الثاني:

توجيه المبرد للقراءات في كتابه الكامل:

عند استعراض كتاب الكامل للمبرد نجد أنه ضمَّنه عدداً من القراءات القرآنية، سواء كانت من المتواترة أو من الشاذة، وسواء كان مستشهداً ومحتجاً بها في المسألة التي يتناولها، أم لا، وفيما يلي استعراض تلك القراءات، وقد رتبتها حسب سور القرآن الكريم[1] وهي في الآيات الآتية:

١ – قول الله تعالى ﴿واللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة ٢٠٧]:

أورد المبرد بعنوان: (لجرير يمدح هشام بن عبد الملك) وفيه: " وأما قول جرير لهشام بن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى، قال:

وأنتَ إذا نظرتَ إلى هشام عرفتَ نجارَ مُنتخبٍ كَريمِ
وليُّ الحقِّ حينَ يؤمُّ حجّاً صُفوفاً بينَ زمزمَ والحطيمِ
يَرى للمسلمينَ عليه حقاً كفعلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرّحيمِ
إذا بعضُ السّنينَ تعرّقتنَا كفى الأيتامَ فَقْدُ أبي اليتيمِ

ثم قال: وقوله (كفعلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرّحيم) يقال: (رؤُف) على (فَعُلٍ) مثل يَقُظٍ وحَذُرٍ، و﴿رؤوف﴾ على وزن (ضَرُوبٍ) وقال الأنصاري:

نطيعُ نبيَّنا ونطيعُ رباً هوَ الرّحمنُ كانَ بنا رؤوفا

وقد قرئ ﴿واللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة ٢٠٧] و﴿رَؤُوفٌ﴾ أكثر، وإنما هو من الرّأفة، وهي أشدّ الرّحمة "[2].

(١) () بخلاف ترتيب ورودها في كتابه الكامل، لإيراده لها متناثرة في الكتاب حسب الموضوعات التي أوردها فيها، لكن لما كانت غاية البحث جمع توجيهاته للقراءات ناسب أن تكون مرتبة حسب ورودها في سورها.

(٢) () الكامل ٢ / ٣٩٢-٣٩٣.

وقراءة ﴿رَؤُفٌ﴾ بحذف الواو بعد الهمزة قرأ بها أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأ الباقون ﴿رَؤُوف﴾ بإثبات الواو[1].

و﴿رؤوف﴾ و﴿رؤوف﴾ لغتان، و﴿رؤوف﴾ أكثر كما نص المبرد وكثير من علماء التوجيه، مثل ﴿غفور﴾ و﴿شكور﴾ فهذا وما أشبهه على (فُعُول)[2].

٢- قوله تعالى ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ﴾[البقرة ٢٥٩]:

أورد (لأوس بن حجر) قوله في شدة البرد وغلبة الشمال، يرثي فضالة بن كلدة الأسدي:

والحافظَ الناسَ في قَحُوطَ إذا ... لـمْ يُرسلوا تحتَ عائذٍ رُبَعَا

وعزَّتِ الشَّمْأَلُ الرياحَ وقدْ ... أَمسى كَمِيعُ الفتاةِ مُلتفعَا

وكانتِ الكاعبُ الممنعةُ الْـ ... ـحسناءُ في زادِ أهلها سَبُعَا

ثم قال: ويقال للريح الشمال: نِسْعٌ، ومُسْعٌ، قال الهذلي:

قدْ حالَ دونَ دَريسَيه مُؤَوِّبَةٌ ... نِسْعٌ لها بِعِضَاهِ الأرضِ تَهْزِيرُ

.. وقوله (نِسْعٌ) أي: شمال، والعضاه: شجر ضخام، فبعض العرب يقول للواحدة: عضاهَةٌ، وللجميع: عَضَاةٌ، على وزن دجاجة ودجاج، وبعضهم يقول للواحدة: عِضَةٌ، فيقول في الجمع عِضَوَاتٌ، وعِضَهَاتٌ، فتكون من الواو ومن الهاء، قال الشاعر:

هذا طريقٌ يأزمُ المآزما ... وعِضَوَاتٌ تَقْطَعُ اللَّهَازِمَا

ونظير (عِضَة): سَنَةٌ؛ على أن الساقط الهاء في قول بعض العرب، والواو في قول بعضهم، تقول في جمعها سنوات، وسانيت الرجل، وبعضهم يقول: سهات، وأكريته مسانهةً.

---

(١) () ينظر تقريب النشر ص٩٤ والعنوان ص٧٢ وكنز المعاني لشعلة ص٢٧٨، وخلاف القراء في لفظ ﴿رؤوف﴾ ليس خاصاً بموضع البقرة، بل هو في كل موضع ورد في القرآن الكريم.

(٢) () ينظر الحجة للقراء السبعة ٢ / ٢٢٩ وشرح الهداية ١ / ١٨٣ والموضح ١ / ٣٠٣.

وهذا الحرف في القرآن يقرأ على ضروب، فمن قرأ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ﴾ فوصل بالهاء – هو مأخوذ من: سانهت، التي هي سُنَيهَةٌ. ومن جعله من الواو قال في الوصل ﴿لم يتسن وانظر﴾ فإذا وقف قال ﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾ فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة، بمنزلة الهاء في قوله ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام ٩٠] و﴿كِتَابِيَهْ﴾[الحاقة ١٩] و﴿حِسَابِيَهْ﴾[الحاقة ٢٠] والمعنى واحد، وتأويله: لم تغيره السنون.

ومن لم يقصد إلى السَّنة، قال: لم يتأَسَّنْ، والآسنُ: المتغير، قال الله جل وعز ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾[محمد ١٥] ويقال: أَسِنٌ في هذا المعنى، كما يقال: رجل حاذر وحذر "[1].

وقراءة ﴿يتسن﴾ بحذف الهاء وصلاً وإثباتها وقفاً قرأ بها حمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأ الباقون بإثباتها في الحالين[2].

وقد أوجز المبرد توجيهها فذكر القولين المشهورين لدى علماء التوجيه فيها، وبيانهما أن ﴿يتسنه﴾ اختلف فيه هائها، هل هي هاء سكت أو هاء أصلية لام للكلمة.

فقيل أصلها (تسنن) ومضارعه (يتسنن) فقلبت النون الأخيرة ياءً لاجتماع ثلاث نونات، ثم قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت للجزم، فبقي (يتسنَّ) فالفتحة تدل على الألف المحذوفة، وعلى هذا فالهاء هاء السكت، وفائدتها بيان فتحة النون.

وقيل (يتسنه) يتفعل من السنة، وأصلها (سنهة) فالهاء لام الفعل وسكونها للجزم، ولا يجوز حذف الهاء على هذا ألبتة، ومعنى لم يتسنه: لم يتغير مع مرور السنين عليه.

(١) ( ) الكامل ٣/ ٥٠-٥١.

(٢) ( ) ينظر الاكتفاء ص٩١ وتحبير التيسير ص٣٠٩ والكافي ٢ / ٣٢٦.

فمن قرأ بإثبات الهاء وقفاً وحذفها وصلاً فهي عنده هاء السكت، ومن قرأ بإثباتها في الحالين فهي عنده إما هاء السكت، ولكنه أجرى الوصل مجرى الوقف، وإما لام الكلمة، ولا خلاف في إثباتها حينئذ في الحالين[1].

٣- قوله تعالى ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران ٣١]:

أورد في باب (لرجل من بني أسد يمدح يحيى بن حيان) الآتي:

" وحدثني المازني عمن حدثه قال: رأيت رجلاً يطوف بالبيت، وأمه على عنقه، وهو يقول:

أحملُ أمِّي وهيَ الـحمالَهْ تُرضعني الدّرّةَ والعُلالَهْ

ولا يُـجَازى وَالدٌ فِعالَهْ

ثم قال: قوله: (الدّرّة) فهو اسم ما يدُرُّ من ثدييها، ابتداء كان ذلك أو غير ذلك، والعُلالَة لا تكون إلا بَعْدُ، يقال: علَّهُ يَعُلُّهُ ويَعِلُّهُ عَلاً، والاسم العُلالَة.

وكل شيء كان على (فعّلت) من المدغم فمضارعه إذا كان متعدياً إلى مفعول يكون على (يَفْعُلُ) نحو ردَّه يردُّه، وشجَّه يشُجُّه، وفرَّه يفُرُّه، فإذا قلت: فرَّ يفرُّ، فإنما ذلك لأنه غير متعد إلى مفعول، ولكن تقول: فرَرْتُ الدابَّةَ أفُرُّهُ، وجاء (فَعَلَ يَفْعِل) من المتعدي في ثلاثة أحرف يقال: عَلَّهُ يَعُلُّه ويَعِلُّه، وهَرَّه يَهُرُّه ويَهِرُّه: إذا كرهه، ويقال: أَحَبَّه يُحِبُّه، وجاء: حَبَّه يَحِبُّه، ولا يكون فيه (يَفْعُلُ) قال الشاعر:

لعمرك إنني وطلابَ مصرٍ لكالـمُزدادِ مِمَّا حَبَّ بُعْدَا

وقال آخر:

وأقسمُ لولا تمرهُ ما حَبَبْتُهُ وكانَ عِياضٌ منهُ أدنى ومُشْرِقُ

(١) () ينظر الإبدال لابن السكيت ص١٣٤ والبيان والتعريف ١ / ١٠٨ وجامع البيان للطبري ٤ / ٥٩٩ والعمدة في غريب القرآن ص٩٣ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٨٠ والمنقوص والممدود للفراء ص١٥٧.

وقرأ أبو رجاء العطاردي (فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمُ اللَّهُ) ففعل في هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من (حببت) والآخر أنه أدغم في موضع الجزم وهو مذهب تميم وقيس وأسد وجماعة من العرب يقولون: رُدُّ يا فتى، يدغمون، ويحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين، فيتبعون الضمة الضمة، ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول: رُدَّ يا فتى، لأن الفتح أخف الحركات، ومنهم من يقول رُدِّ يا فتى فيكسر، لأن حق التقاء الساكنين الكسر.

فإذا كان الفعل مكسوراً ففيه وجهان: تقول: فِرِّ يا فتى للإتباع وللأصل في التقاء الساكنين، وتفتح، لأن الفتح أخف الحركات، وإذا كان مفتوحاً فالفتح للإتباع، ولأنه أخف الحركات، والكسر على أصل التقاء الساكنين، نحو: عُضِّ يا فتى، وعُضَّ يا فتى، فإذا لقيته ألف ولام فالأجود الكسر، من أجل ما بعده، وهي لام المعرفة... "[1].

وأورد هذه القراءة في موضع آخر عنون له بـ (مشاورة مصعب الناس فيمن يكفيه أمر الخوارج) وذكر سرداً تاريخياً، ذكر خلاله أن رجلاً من أصحاب عَتّاب يقال له شريح، ويكنى أبا هريرة، إذا تحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزبير بن علي[2]:

يا ابنَ أبي الماحوزِ والأشرارِ ... كيفَ ترونَ يا كلابَ النارِ
شَدَّ أبي هريرةَ الهرارِ ... يَهُرُّكُمْ بالليلِ والنهارِ
ألم تروا جَيّاً على المضمارِ ... تُمْسِي مِنَ الرحمنِ في جِوارِ

(١) () الكامل ١ / ٢٥٢-٢٥٣.
(٢) () الكامل ٣ / ٢٣٦.

ثم قال: وأما قوله: (يَهُرُّكمْ) فإن كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعدياً، فإن المضارع منه على (يَفْعُلُ) نحو شَدَّهُ يَشُدُّهُ، وزَرَّهُ يَزُرُّهُ، ورَدَّهُ يَرُدُّهُ، وحَلَّهُ يَحُلُّهُ، وجاء منه حرفان على (يَفْعِلُ) و(يَفْعَلُ) فيهما جيد: هرَّهُ يَهِرُّهُ، إذا كرهه، ويَهُرُّهُ أجود، وعَلَّهُ بالحناء يَعِلُّهُ، ويَعُلُّهُ أجود، ومن قال: حَبَبْتُهُ قال: يَحِبُّهُ، لا غير، وقرأ أبو رجاء العطاردي (فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ)[آل عمران٣١] وذلك أن بني تميم تدغم في موضع الجزم، وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين "[1].

وقراءة أبي رجاء العطاردي (فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمُ اللَّهُ) شاذة، وليست من المتواتر[2].

وقد وجَّهها في الموضع الأول بأنها من (حَبَبْت) وأن الباء الأولى المجزومة أدغمت في الثانية، على مذهب تميم وقيس وأسد وجماعة من العرب.

وذكر في الموضع الآخر أن بني تميم تدغم في موضع الجزم، وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين، وذكر العكبري أن قراءة هذه الكلمة بالتشديد للتكثير، أو على معنى: يُحَبِّبْكم الله إلى خلقه[3].

٤– قوله تعالى ﴿النبي﴾[آل عمران ٦٨]:

أورد بعنوان (للأعشى يمدح هودة بن علي) وفيه: " وقوله: (فتى لو يباري الشمس) يقول: يعارض، يقال: انبرى لي فلان، أي اعترض لي في المعنى، وفلان يباري الريح، من هذا، أي يعارض الريح بجوده، فهذا غير مهموز.

فأما: بَارَأْتُ الكَرِيَّ فهو مهموز، لأنه من أبرَأَني وأبرأْتُه، ويقال: بَرَأَ فلان من مرضه، وبَرِئَ يا فتى؛ والمصدر منهما البَرْءُ فاعلم، وبَرَيتُ القلم غير مهموز، الله

(١) () الكامل ٣ / ٢٣٧.

(٢) () ينظر مختصر ابن خالويه ص٢٠ ونسبها أيضاً لأبي رجاء، وهي في البحر المحيط ٢ / ٤٣١ والكشاف ١ / ٤٢٤ بدون نسبة.

(٣) () ينظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٣١٢.

البارئ المصور، ويقال: ما بَــرَأَ الله مثل فلان، مهموز.

وقولك ﴿البَـرِيَّـةُ﴾ أصله من الهمز، ويختار فيه تخفيف الهمز، ولفظ التخفيف والبدل واحد، وكذلك يختار في﴿النبيّ﴾ التخفيف، ومن جعل التخفيف لازماً قال في جمعه ﴿أنبياء﴾ كما يفعل بذوات الياء والواو، وتقول: وصيّ وأوصياء، وتقي وأتقياء، وشقي وأشقياء، ومن همز الواحد قال في الجميع: نُبَّاءُ، لأنه غير معتل، كما تقول: حكيم وحكماء، وعليم وعلماء، وأنبياءُ لغة القرآن والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال العباس بن مرداس السلمي:

يا خاتمَ النُّـــبَّاءِ إنكَ مرسلٌ بالحقِّ كلُّ هُدى السبيلِ هُداكا "[1].

ولفظ ﴿النبي﴾ حيث ورد قرأه نافع بياء ساكنة ممدودة، وبعدها همزة، وقرأه الباقون بياء مشددة، ولا همز بعدها[2].

ووجّه المبرد قراءة ﴿النبيّ﴾ بلا همز بأن أصله الهمز، وخففت الهمزة فيه بإبدالها ياءً وإدغامها في الياء قبلها.

وقد ذكر العلماء أن من قرأ ﴿النبي﴾ بالهمز فهو من أنبأ أي: أخبر، فالنبيء مخبر عن الله، وقيل: من (نَبُؤَ) أي: ظهر وارتفع، ومنزلة النبي كذلك، ومن قرأ ﴿النبي﴾ بغير همز فأصله مهموز، ثم سُهِّلت الهمزة فأبدلت ياءً بعد الياء الزائدة وأدغمت فيها، وواواً بعد الواو الزائدة وأدغمت فيها، وقيل: إنه من (نبا ينبو) إذا ظهر وارتفع [3].

(١) () الكامل ٣/ ١٧.

(٢) () ينظر التيسير ص٢٢٤ والعنوان ص٢١٢ والموجز ص٣٠٧.

(٣) () ينظر البحر المحيط ١/ ١٥٦ وبصائر ذوي التمييز ٥/ ١٤ والدر المصون ١/ ٤٠٠ والغريب المصنف لأبي عبيد ٢/ ٤٢٠ والكشف ١/ ٢٤٤ ومعاني القراءات ١/ ١٥٤.

٥- قوله تعالى﴿مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران ١٢٥]:

أورد في خطبة علي بن أبي طالب حين بلغه قتل عامله حسان بن حسان وفيها: " أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل، وسيما الخسف، ودُيِّثَ بالصَّغار.... "[١].

ثم قال: ومعنى قوله (سيما الخسف) تأويله علامةٌ، هذا أصل ذا، قال الله عز وجل ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[الفتح ٢٩] وقال عز وجل ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾[الرحمن ٤١] وقال أبو عبيدة في قوله عز وجل ﴿مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران ١٢٥] قال: معَلِّمين، واشتقاقه من السيما التي ذكرنا. ومن قال ﴿مُسَوَّمِينَ﴾، فإنما أراد مُرْسَلين: من الإبل السائمة: أي المرسلة في مراعيها، وإنما أخذ هذا من التفسير، قال المفسرون في قوله تعالى ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾[الأنعام ١٤] القولين جميعاً، مع العلامة والإرسال، وأما في قوله عز وجل ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ () مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾[هود ٨٢-٨٣] فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحداً، قالوا: معلَّمة، وكان عليها أمثال الخواتيم.. "[٢].

وقراءة ﴿مسوِّمين﴾ بكسر الواو قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب، وقرأ الباقون بفتحها([٣]).

وما وجّه به القراءتين قال به العلماء في توجيههما مع غير ذلك من الوجوه[٤].

---

(١) () الكامل ١ / ٢٠.

(٢) () الكامل ١ / ٢٢.

(٣) () ينظر إرشاد المبتدي ص٢٦٨ والتذكرة ٢ / ٢٩٣ والهادي ١ / ٣٥٥.

(٤) () ينظر البحر المحيط ٣ / ٣٣٤ والدر المصون ٣ / ٥١ وشرح الهداية ١ / ٢٣١.

٦- قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[آل عمران ١٤٦] ومثله قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّنْ مَنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[الحج ٤٨]:

أورد في (تولية المهلب لقتال الخوارج وأخباره معهم): " وقال رجل من الخوارج في ذلك اليوم:

وكائنْ تركنا يومَ سُولافَ منهمُ ××× أسارى وقتلى في الجحيم مصيرُها

قوله: (وكائن) معناه: كم، وأصله كاف التشبيه دخلت على (أَي) فصارتا بمنزلة (كم) ونظير ذلك: له كذا وكذا درهماً، إنما هي (ذا) دخلت عليها الكاف، والمعنى له كهذا العدد من الدراهم.

فإذا قال: (له كذا كذا درهماً) فهو كناية عن أحد عشر درهماً إلى تسعة عشر، لأنه ضم العددين، فإذا قال: (كذا وكذا) فهو كناية عن أحد وعشرين إلى ما جاز فيه العطف بعده.

لكن كثرت (كأي) فخففت، والتثقيل الأصل، قال الله تعالى ﴿وَكَأَيِّنْ مَنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[الحج ٤٨] ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ وقد قرئ بالتخفيف، كما قال الشاعر:

وكائنْ رددنا عنكمُ منْ مُدجَّجٍ ××× يجيءُ أمامَ الألفِ يَرْدِي مُقَنَّعَا

وقال آخر:

وكائنْ ترى يومَ الغُميصَاءِ منْ فتى ××× أُصيبَ ولمْ يُجرحْ وقدْ كانَ جَارِحَا

قال أبو العباس: وهذا أكثر على ألسنتهم، لطلب التخفيف، وذلك الأصل، وبعض العرب يقلب فيقول: كيئ يا فتى، فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال، قال الشاعر:

وَكَيْئٍ في بني دُودانَ منهمْ ××× غداةَ الرَّوعِ معروفاً كَميُّ "[(١)].

(١) () الكامل ٣/ ٢٢١-٢٢٢.

وقراءة ﴿كائن﴾ بألف ممدودة بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة، هي قراءة ابن كثير وأبي جعفر - لكن أبا جعفر يقرأ بتسهيل الهمزة، فيكون له في الألف قبلها القصر والتوسط، بخلاف ابن كثير الذي يحققها، فليس له إلا المد المتوسط[1] - وقرأ الباقون ﴿كأيِّن﴾ بهمزة مفتوحة، بدلاً من الألف، وبعدها ياء مشددة مكسورة[2].

وقد استشهد بها المبرد على استعمال (كائِن) مخففة من (كأَيِّن) وأصل هذه الكلمة كما بيَّن (أي) دخلت عيها كاف التشبيه - وكثر استعمالها بمعنى (كم) - فجعلت كلمة واحدة، وجعل التنوين نوناً أصلية، فصارت (كأين).

وأما على قراءة ابن كثير وأبي جعفر فقلبت الياء المشددة المكسورة في موضع الهمزة، ورُدّت الهمزة في موضع الياء فصارت (كيّئِن) مثل (كيّعِن) فحذفت الياء الثانية استخفافاً، فصارت (كيئِن) على وزن (فَيعِل) فأبدلت الياء الساكنة ألفاً فصارت بعد القلب والبدل (كائن) كـ(فاعل) وهي أكثر استعمالاً من (كأين) وإن كانت هي الأصل، وذكر في صيرورتها إلى (كائن) وجوه أخرى بعضها بعيد[3].

٧- قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾[آل عمران ١٦١]:

ذكر عند حديثه عن السواقط من بني أبي بكر بن كلاب ذكر هذه الأبيات[4]:

وإذا استجرت من اليمامة فاستجر ... زيد بن يربوع وآل مجمع

وأتيت سلمياً فعذت بقبره ... وأخو الزمانة عائذٌ بالأمنع

أقرين إنك لو رأيت فوارسي ... بعمامتين إلى جوانب ضلفع

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ... للغدر خائنة مغل الإصبع

(١) () ينظر غيث النفع ٢ / ٤٩٢ وخلاصة الأبحاث ص٩٩ والإيضاح للزبيدي ص١٣٧ وللقاضي ص١١٢.
(٢) () ينظر الإقناع ٢ / ٦٢٢ وسراج القارئ ص١٨٤ والغاية ص٢١٨.
(٣) () ينظر الحجة للقراء السبعة ٣ / ٨٠ والدر المصون ٣ / ٤٢٢ وشرح ابن يعيش ٤ / ١٣٥ ومشكل إعراب القرآن ١ / ١٧٥.
(٤) () الكامل ١ / ٢٦٧.

ثم قال: والـمُغِلُّ الذي عنده غلول، وهو ما يختان ويحتجن، ويستعمل مستعاراً في غير المال، يقال: غل يَغُلُّ كقول الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران ١٦١] ويقال: أغلَّ فهو مُغِلٌّ إذا صودف يَغُلُّ، أو نسب إليه.

ومن قرأ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾[آل عمران ١٦١] فتأويله: أن يأخذ ويستأثر، ومن قرأ ﴿يُغَلَّ﴾ فتأويله على ضربين: يكون: أن يقال ذلك فيه، ويكون - وهو الذي يختار -: أن يُخَوَّنَ.

فإن قال قائل كيف يكون التقدير، وقد قال: ما كان لنبي أن يُغّلَّ فيُغَلَّ لغيره، وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقوم عمرو؟ فالجواب أنه في التقدير على معنى: ما ينبغي لنبي أن يُخَوَّنَ، كما قال﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[آل عمران ١٤٥] ولو قلت: ما كان لزيد أن يقوم عمرو إليه لكان جيداً، على تقديرك: ما كان زيدٌ ليقوم عمرو إليه، كما قلنا في الآية "(١).

وقراءة ﴿يُغَلَّ﴾ بفتح الياء وضم الغين، فالفعل مبني للمعلوم، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وقرأ باقي القراء ﴿يُغَلَّ﴾ بضم الياء وفتح الغين، فالفعل مبني للمجهول(٢).

ووجه المبرد القراءتين ببيان المعنى على كل منهما، وهو على قراءة ﴿يَغُلَّ﴾ أي: يأخذ ويستأثر، وعلى قراءة ﴿يُغَلَّ﴾ أي: أن يقال ذلك فيه، أو أن يُخَوَّنَ.

وبنحو ذلك قال علماء التوجيه، وبنحو ذلك قال علماء التوجيه:

فقراءة ﴿يُغَلَّ﴾ بفتح الياء وضم الغين، من (غَلَّ) مبنياً للفاعل ، ومعناه: أنه لا يصح أن يقع من النبي غلول ؛ لتنافيهما ، فلا يجوز أن يتوهّمَ ذلك فيه ألبتة.

وقراءة ﴿يُغَلَّ﴾ بضيم الياء وفتح الغين مبنياً للمفعول ، لها احتمالان:

(١) ( ) الكامل ١ / ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) ( ) ينظر الإتحاف ١ / ٤٩٣ والتذكرة ٢ / ٢٩٨ وغيث النفع ٢ / ٤٩٥.

أحدهما: أن يكون من (غَلّ) الثلاثي ، والمعنى: ما صح لنبيٍّ أن يخونه غيره ويَغُلّهُ ، فهو نفيٌ في معنى النهي ، أي: لا يَغُلّهُ أحدٌ.

ثانيهما: أن يكون من (أغَلّ) الرباعي ، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون من (أغَلّهُ) أي: نسبه إلى الغُلُولِ ، كقولهم: أكذبته إذا نسبته إلى الكذب، وهذا في المعنى كالذي قبله ، أي: نفي في معنى النهي ، أي: لا يَنْسبه أحدٌ إلى الغلولِ.

والثاني: أن يكون من (أغلّهُ) أي: وَجَدتهُ محموداً وبخيلاً[1].

٨- قوله تعالى ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[النساء ١]:

أورد في (باب في التشبيه) قوله: "ومن التشبيه المحمود قول الشاعر:

طليق الله لم يمنن عليه ××× أبو داود وابن أبي كثير

ولا الحجاج عيني بنت ماء ××× تقلب طرفها حذر الصقور

وهذا غاية في صفة الجبان.

ونصب (عيني بنت ماء) على الذم، وتأويله: أنه إذا قال: جاءني عبد الله الفاسق الخبيث، فليس يقوله إلا وقد عرفه بالفسق والخبث فنصبه (أعني) وما أشبهه من الأفعال، نحو (أَذْكُرُ) وهذا أبلغ في الذم، أن يقيم الصفة مقام الاسم، وكذلك المدح.

وقول الله تبارك وتعالى ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ﴾[النساء ١٦٢] بعد قوله ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على هذا، ومن زعم أنه أراد: "ومن المقيمين الصلاة" فمخطئ في قول البصريين، لأنهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض، ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح، كالضرورة، والقرآن إنما يحمل على أشرف المذاهب.

وقرأ حمزة ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾[النساء ١] وهذا مما لا يجوز عندنا

(١) () ينظر شرح الهداية ١ / ٢٣٦ والكشف ١ / ٣٦٣ واللباب ١ / ١٢٩٣ والمختار ١ / ١٧٧ ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٤٨٤ وللفراء ١ / ٢٤٦.

إلا أن يضطر إليه شاعر، كما قال:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ××× فاذهب فما بك والأيام من عجب

وقرأ عيسى بن عمر ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[المسد ٣] أراد: وامرأته في جيدها حبل من مسد، فنصب ﴿حمالةَ﴾ على الذم، ومن قال إن (امرأتُهُ) مرتفعة بقوله ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ فهو يجوز، وليس بالوجه أن يعطف المظهر المرفوع على المضمر حتى يؤكد، نحو﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾[المائدة ٢٤] و﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[البقرة ٣٥] "[(١)].

فذكر المبرد قراءة حمزة في ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ بخفض الميم[(٢)]، لكنه قال عنها: (وهذا مما لا يجوز عندنا إلا أن يضطر إليه شاعر) وقد قدّم بأن عطف الظاهر على المضمر المخفوض خطأ في قول البصريين، ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح.

وقد انتقد هذه القراءة وطعن فيها جمهور نحاة البصرة، كسيبويه والمازني، وبعض المفسرين كالزمخشري وابن عطية[(٣)].

وعلتهم فى ذلك أن فيه عطف اسم ظاهر على ضمير مجرور، دون إعادة الخافض، وهو قبيح عندهم، إذ لا يقال: مررت به وزيد، بل يقال: مررت به وبزيد.

والحقُّ أن قراءة حمزة قراءة متواترة، تلقتها الأمة بالقبول، وحمزة رحمه الله لم يقرأ حرفاً من كتاب الله إلا بأثر كما نص على ذلك شيخه سليمان بن مهران الأعمش، وتلميذه سفيان الثورى رحمها الله[(٤)].

والعطف على الضمير المخفوض لغة صحيحة، نزل بها القرآن، ومنه قوله

(١) () الكامل ٣ / ٣٠-٣١.

(٢) () وقرأ باقي العشرة بالنصب، ينظر تقريب النشر ص١٠٤ والتيسير ص٩٣ والعنوان ص٨٣.

(٣) () ينظر الكشاف ١ / ٤٥٢ والمحرر الوجيز ٢ / ٤ ومعاني القرآن للزجاج ٢ / ٦.

(٤) () ينظر جمال القراء ٢ / ٤٤٠ وسير أعلام النبلاء ٧ / ٩٠ ومعرفة القراء ١ / ١١٤.

تعالى ﴿وكفر به والمسجد الحرام﴾[البقرة ٢١٧] وقوله تعالى ﴿قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم﴾[النساء١٢٧] وقوله تعالى ﴿وجعلنا لكم فيها معـيش ومن لستم له برازقين﴾[الحجر٢٠].

وهي مسموعة نظماً ونثراً، فمن كلام العرب نثراً: "ما فيها غيرُه وفرسِهِ" بجر فرسه[١] وأما النظم فهو كثير، ومنه قول العباس بن مرداس:

أكرّ على الكتيبة لا أبالي أفيها كان حتفي أم سواها

وقول مسكين الدارمي:

تعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والأرضِ غوط نفانف

وقول الشاعر:

هلا سألت بذى الجماجم عنهم وأبي نعيم ذي اللواء المحرق

وقول الآخر:

لو كان لي وزهير ثالث وردت من الحمام عدانا شر مورود

وقول الآخر:

إذا أوقدوا ناراً لحرب عدوهم فقد خاب من يصلى بها وسعيرها

فلا مطعن في هذه القراءة المتواترة، بل العطف على الضمير صحيح لغة، لورود القرآن به، ولأنه مسموع من كلام العرب نظماً ونثراً[٢]، بلغة صحيحة، وقد أجاد ابن مالك رحمه الله حيث قال[٣]:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلا

وليس عندى لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتا

٩– قوله تعالى ﴿ما فعلوه إلا قليلٌ منهم﴾[النساء ٦٦]:

(١) () ينظر الإنصاف ٢ / ٤٦٤ والتخمير ٢ / ١٣١.

(٢) () ينظر الإرشاد إلى علم الإعراب ص٤٠٢ والبحر المحيط ٣ / ٤٩٧ ودراسات لأسلوب القرآن ٣ / ٥٢٥ والدر المصون ٣ / ٥٥٤ وشرح الغاية للقهندزي ص١٨٧ وشرح المفصل لابن يعيش ٣ / ٧٨.

(٣) () ألفية ابن مالك ص٥٠.

أورد أخبار (جماعة استجاروا بقبر غالب) وفيها: " ومنهم مكاتب لبنى منقر، ظَلَعَ بمكاتبته، فأتى قبر غالب فاستجار به، وأخذ منه حصيات فشدّهنّ في عمامته، ثم أتى الفرزدق فاخبره، وقال: إني قد قلت شعراً، فقال: هاته، فقال:

بقبرِ ابنِ ليلى غالبٍ عذتُ بعدما ××× خشيتُ الرّدى أوْ أنْ أُردَّ على قسرِ

بقبر امرئٍ تَقْري المئينَ عظامهُ ××× ولمْ يكُ إلا غالباً ميّتٌ يَقْري

فقالَ ليَ استقدمْ أمامكَ إنّما ××× فكاكُكَ أنْ تلقى الفرزدق بالمصرِ

ثم قال: قوله (ولم يك إلا غالباً ميتٌ يقري) فإنه نصب غالباً لأنه استثناء مقدم، وإنما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك، إن حق الاستثناء إذا كان الفعل مشغولاً به أن يكون جارياً عليه، لا يكون فيه إلا هذا، تقول: ما جاءني إلا عبد الله، وما مررت إلا بعبد الله، فإن كان الفعل مشغولاً بغيره فكان موجباً، لم يكن في المستثنى إلا النصب، نحو جاءني إخوتك غلا زيداً، كما قال تعالى ﴿فشربوا منه إلا قليلاً منهم﴾[البقرة ٢٤٩] ونصب هذا على معنى الفعل، و(إلا) دليلٌ على ذلك.

فإذا قلت: جاءني القوم، لم يُؤمن أن يقع عند السامع أن زيداً أحدهم، فإذا قال: إلا زيداً، فالمعنى لا أعني فيهم زيداً، أو أستثني ممن ذكرت زيداً، ولسيبويه فيه تمثيل، والذي ذكرت أبين منه، وهو مترجم عما قال، غير مناقض له.

وإن كان الأول منفياً جاز البدل والنصب، والبدل أحسن، لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المختزل الموجود بدليل، وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ، وما مررت بأحدٍ إلا زيدٍ، والفصل بين المنفي والموجب، أن المبدل من الشيء يفرّغ له الفعل، فأنت في المنفي إذا قلت: ما جاءني أحد إلا زيدٌ، إذا حذفت على جهة البدل صار التقدير: ما جاءني إلا زيدٌ، لأنه بدل من أحد، والموجَبُ لا يكون فيه البدل، لأنك إذا قلت: جاءني إخوتك إلا زيداً، لم يجز حذف الأول،

لا نقول: جاءني إلا زيد، وإن شئت أن تقول في النفي: ما جاءني أحد إلا زيداً جاز، ونصبه بالاستثناء الذي شرحت لك في الواجب، والقراءة الجيدة ﴿ما فعلوه إلا قليلٌ منهم﴾[النساء ٦٦] وقد قرئ ﴿إلا قليلاً منهم﴾على ما شرحت لك في الواجب والقراءة الأولى.. "[1].

والقراءة برفع ﴿إلا قليلٌ﴾ من قوله ﴿ما فعلوه إلا قليلٌ منهم﴾ قرأ بها جميع القراء ما عدا ابن عامر الذي قرأ ﴿إلا قليلاً﴾ بالنصب.

ووجّه الرفع البدل من الضمير المرفوع في ﴿فعلوه﴾ والمعنى فعله قليل منهم، والنصب على الاستثناء واتباعاً لمصاحف أهل الشام فهي في مصاحفهم بالألف، وأجرى النفي مجرى الإيجاب في الاستثناء لأن الكلام فيهما يتم دون المستثنين[2].

١٠- قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة ٣٨]:

أورد تحت عنوان (شفاعة) قصة قال فيها: " وحُدِّثتُ أن مدنياً كان يصلي منذ طلعتِ الشمسُ إلى أن قارب النهار أن ينتصف، ومن ورائه رجلٌ يتغنى، وهما في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا رجلٌ من الشرط قد قبض على المغني، فقال: أترفعُ عقيرتك بالغناء في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فأخذه، فانفتل المدني من صلاتِه، فلم يزل يطلبُ إليه فيه حتى استنقذه.

ثم أقبل عليه فقال: أتدري لم شفعت فيك ؟ فقال: لا والله، ولكن إخالك رحمتني؛ قال: إذاً فلا رحمني الله ! قال: فأحسبك عرفتَ قرابةً بيننا ؟ قال: إذاً فقطعها الله ! قال: فليدٍ تقدمت مني إليك ؟ قال: لا والله، ولا عرفتك قبلها، قال: فخبِّرني، قال: لأني سمعتك غنيت آنفاً، فأقمت واوات معبدٍ، أما والله لو أسأت التأدية لكنتُ أحدَ الأعوان عليك !

(١) () الكامل ٢ / ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) () ينظر إعراب القرآن للنحاس ١ / ٤٦٨ وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٣٥ والمقنع ص١٠٧.

والصوت الذي ينسب إلى واوات معبدٍ شعرُ الأعشى الذي يعاتب فيه يزيد بن مسهرٍ الشيباني، وهو قوله:

هُرَيرةَ وَدِّعْهَا وإنْ لامَ لائِمُ غَدَاةَ غَدٍ أَمْ أنتَ للبينِ واجمُ

لقدْ كانَ في حَولٍ ثَوَاءٍ ثَويتُهُ تُقَضَّى لُبَانَاتٌ وَيَسْأَمُ سَائِمُ

قوله (هُرَيرةَ وَدِّعْهَا وإنْ لامَ لائِمُ) منصوب بفعل مضمر، تفسيره (وَدِّعْهَا) كأنه قال: ودع هريرة، فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه.

وكان ذلك أجود من ألا يضمرَ، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فأضمر الفعل إذ كان الأمر أحق به، وكذلك (زيداً اضربه) و(زيداً فأكرمه) وإن لم تُضْمِر ورفعت جاز، وليس في حسن الأول، ترفعه على الابتداء وتصيِّرُ الأمر في موضع خبره.

فأما قول الله جل وعزَّ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة ٣٨] وكذلك ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور ٢] فليس على هذا، والرفعُ الوجه، لأن معناهُ الجزاءُ، كقوله: (الزانيةُ) أي التي تزني، فإنما وجب القطع للسَّرق والجلد للزِّنا، فهذا مجازاة، ومن ثم جاز: الذي يأتيني فله درهمٌ، فدخلت الفاءُ لأنه استحق الدرهم بالإتيان، فإن لم تُرِدْ هذا المعنى قلت: الذي يأتيني له درهمٌ، ولا يجوزُ زيدٌ فله درهمٌ، على هذا المعنى، ولكن لو قلت: زيدٌ فله درهم، على معنى: هذا زيدٌ فله درهم، أو هذا زيدٌ فحسن جميلٌ، جازَ على أن (زيداً) خبرٌ، وليس بابتداء، للإشارة دخلت الفاءُ، وفي القرآن ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[البقرة ٢٧٤] ودخلت الفاءُ لأن الثواب دخل للإنفاق.

وقد قرأت القراءُ (الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا) (وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ فَاقْطَعُوا) بالنصبِ، على وجه الأمر، والوجه الرفعُ، والنصبُ حسنٌ في هاتين الآيتين،

وما لم يكن فيه معنى جزاءٍ فالنصبُ الوجهُ "[1].

وقراءة (وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ) بالنصب شاذة، قرأ بها عيسى بن عمر والهمداني وحميد وشبل في اختياره وسيبويه عن أبي عمرو[2].

وقد وجه العلماء قراءة الرفع بأنها على الابتداء، وأما الخبر ففيه وجهان:

أحدهما: أنه محذوف، وتقديره عند سيبويه: فيما يتلى عليكم، أو فيما فرض عليكم، السارقُ والسارقةُ، أي: حكمهما، وقوله ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ بيان لذلك الحكم.

ولا يجوِّز عنده أن يكون الخبر قوله ﴿فاقطعوا﴾ لأن الفاء لا تدخل إلا في خبر مبتدأ موصول بظرف أو مجرور، أي جملة صالحة لأداة الشرط، والموصول هنا (ال) وصلتها اسم فاعل أو اسم مفعول، وما كان هكذا لا تدخل الفاء في خبره عنده.

والثاني: أن الخبر جملة الأمر ﴿فاقطعوا﴾ وأجازه جماعة من البصريين، أجروا (ال) وصلتها مجرى الموصول المذكور، لأن المعنى فيه على العموم إذ معناه: الذي سرق والتي سرقت.

وأما القراءة بنصب (والسارقَ والسارقةَ) فهي على الاشتغال، أي: اقطعوا السارقَ والسارقةَ، كقولك: زيداً فاضربه[3].

١١- قوله تعالى ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[المائدة ١١٩]:

أورد تحت عنوان في (ولاية الحجاج العراق وأمره مع المهلب والخوارج): " قال أبو العباس: وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه إلى جانبه، وأظهر إكرامه وبره، وقال: يا أهل العراق، أنتم عبيد المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لقيط

(١) () الكامل ٢ / ٢٨١-٢٨٢.

(٢) () ينظر شواذ القراءات ص١٥٤، ٣٣٩ والكامل للهذلي ص٥٣٤ ومختصر ابن خالويه ص٣٨، ١٠٢.

(٣) () ينظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٤٣٨، ٢ / ١٧٠ وإملاء ما من به الرحمن ١ / ٢١٥، ١٥٣ والبحر المحيط ٣ / ٣٨٢، ٦ / ٣١١ والجامع لأحكام القرآن ٩ / ، ١٥ / ١٠٣ والكشاف ١ / ٦٣١.

الإيادي:

وَقَلِّدوا أمرَكم لله دِرُّكمُ رحبَ الذراعَ بأمرِ الحربَ مُضْطَلِعَا

لا يَطعمُ النَّومَ إلا رَيْثَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ يكادُ حشاهُ يَقصِمُ الضِّلَعَا

إلى تمام الأبيات: ثم قال: وقوله (لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم) فـ(رَيْثٌ) و(عَوْضٌ) مما يضاف إلى الأفعال، وتأويله أنه لا يطعم النوم إلا يسيراً حتى يبعثه الهم، فمعناه مقدار ذلك.

ومما يضاف إلى الأفعال أسماء الزمان، كقوله عز ذكره ﴿هَـذَا يَـوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[المائدة ١١٩] فأسماء الزمان كلها تضاف إلى الفعل، نحو قولك: آتيك يومَ يخرج زيد، وجئتك يومَ قام عبد الله "[1].

وقراءة ﴿هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ﴾ بفتح الميم هي قراءة نافع وحده، وقرأ باقي القراء برفعها[2].

ووجّه قراءة النصب بأنها على إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال، و﴿يومَ﴾ منصوب على الظرفية، و﴿هذا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه مفعول ﴿قال﴾ أي: قال الله هذا القول في يوم. والثاني: أن ﴿هذا﴾ مبتدأ، و﴿يومَ﴾ ظرف للخبر المحذوف، أي: هذا يقع أو يكون أو واقع يوم ينفع، والكوفيون يجعلون ﴿يوم﴾ في موضع رفع خبر لـ﴿هذا﴾ ولكنه بني على الفتح لإضافته إلى جملة فعلية، وإن كانت معربة، وذلك جائز عندهم، بخلاف البصريين الذي لا يجيزونه إلا إذا أضيف إلى مبني.

وأما القراءة برفع ﴿يومُ﴾ فعلى أنه خبر المبتدأ ﴿هذا﴾ والجملة في محل نصب بالقول[3].

---

(١) () الكامل ٣ / ٢٧٧-٢٨٧.

(٢) () ينظر إرشاد المبتدي ص٣٠٢ وغيث النفع ٢ / ٥٦٥ والهادي ١ / ٤٠٨.

(٣) () ينظر إعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٥١ وإملاء ما من به الرحمن ١ / ٢٣٤ والفريد ٢ / ١١٢.

١٢- قوله تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة ٣]:

أورد لضابئ بن الحارث البرمجي وهو في السجن الأبيات الآتية:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله ××× فإني وقياراً بها لغريب

وما عاجلات الطير تدني من الفتى ××× نجاحاً ولا عن رَيْثِهِنَّ يَخيب

ورب أمور لا تضيرك ضيرةً ××× وللقلب من مخشاتهن وجيب

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ××× على نائبات الدهر حين تنوب

ثم قال: وقوله (فإني وقياراً بها لغريب) أراد: فإني لغريب بها وقياراً، ولو رفع لكان جيداً، تقول: إن زيداً منطلقٌ وعمراً وعمرٌو، فمن قال (عَمراً) فإنما رده على زيد، ومن قال (عمرٌو) فله وجهان من الإعراب: أحدهما جيد، والآخر جائز.

فأما الجيد: فأن تحمل عَمراً على الموضع، لأنك إذا قلت: إن زيداً منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع، ومثل هذا لست بقائم ولا قاعداً، والباء زائدةٌ، لأن المعنى لست قائماً ولا قاعداً، ويقرأ على وجهين ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة ٣] (وَرَسُولِهُ).

والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على المضمر في الخبر، فإن قلت إن زيداً منطلق هو وعمرو حَسُنَ العطف لأن المضمر المرفوع إنما يحسن العطف عليه إذا أكدته، كما قال الله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾[المائدة ٢٤] و﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[البقرة ٣٥] إنما قبح العطف عليه بغير تأكيد لأنه لا يخلو من أن يكون مُستكنّاً في الفعل بغير علامة، أو في الاسم الذي يجري مَجرى الفعل، نحو إن زيداً ذهب وإن زيداً ذاهب فلا علامة له، أو تكون له علامة يتغير لها الفعل عما كان نحو ضربت، سكنت الباء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا ينفك أحدهما عن صاحبه فهما كالشيء الواحد.

ولكن المنصوب يجوز العطف عليه، ويحسن بلا تأكيد، لأنه لا يغير الفعل إذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه، نحو ضربتك وزيداً، فأما قول الله عز وجل ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾[الأنعام ١٤٨] فإنما يحسن بغير توكيد لأن (لا) صارت عوضاً، والشاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن في الكلام، وقال عمر بن أبي ربيعة:

قلتُ إذا أقبلتْ وزُهْرٌ تَهادَى ××× كنعاجِ الـمَلا تَعَسَّفْنَ رَمْلا

وقال جرير:

ورجا الأخيطلُ من سفاهةِ رأيِه ××× ما لم يكن وأبٌ لَهُ لِينَالا

فهذا كثير، فأما النعت إذا قلت إن زيداً يقوم العاقل فأنت مخير إن شئت قلت (العاقلَ) فجعلته نعتاً لزيد، أو نصبته على المدح وهو بإضمار أعني، وإن شئت رفعت على أن تبدله من المضمر في الفعل، وإن شئت كان على قطع وابتداء، كأنك قلت: إن زيداً قام، فقيل من هو فقلت: العاقلُ، كما قال الله عز وجل ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ﴾[الحج ٧٢] أي: هو النار "[١].

وقراءة (وَرَسُولِهُ) بالخفض قراءة شاذة، قرأ بها الحسن[٢].

وقد اقتصر المبرد على توجيه القراءة المتواترة لجمهور القراء بالرفع، وذلك بالحمل على الموضع، لأن قوله ﴿أن الله بريء...﴾ معناه: (الله بريء...) فرد لفظ (رسولُه) على الموضع.

وللعلماء فيها وجهان آخران، هما: العطف على الضمير في ﴿بريء﴾ وما بينهما يجري مجرى التوكيد، فلذلك ساغ العطف، أو على الخبر لمبتدأ محذوف، أي: ورسوله بريء[٣].

(١) () الكامل ١ / ٢٤٠-٢٤١.

(٢) () ينظر البحر المحيط ٥ / ٣٦٧ وشواذ القراءات للكرماني ص٢٠٩ ومفاتيح الغيب ١٥ / ١٧٦.

(٣) () ينظر إملاء ما من به الرحمن ٢ / ١١.

وأما قراءة الخفض فهي إما على القسم، على تقدير: (ورسوله إن الله بريء من المشركين) أو (وحق رسوله) وإما على الجوار[1]، قال العكبري: " ولا يكون عطفاً على ﴿المشركين﴾ لأنه يؤدى إلى الكفر"[2].

١٣- قوله تعالى ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[يونس ٧١]:

أورد جواب علي بن أبي طالب لمعاوية، وفيه: " فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جواب هذه الرسالة... وفيه: وبعد، فما أنت وعثمان، إنما أنت رجل من بني أمية... "[3].

ثم قال: وأما قوله (فما أنت وعثمان) فالرفع فيه الوجه لأنه عطف اسماً ظاهراً على اسم مضمر منفصل وأجراه مجراه، وليس ههنا فعل، فيحمل على المفعول، فكأنه قال: فما أنت وما عثمان، هذا تقديره في العربية، ومعناه لست منه في شيء، قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازاً حسناً وجعله مفعولاً معه، وأضمر كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده: ما كنت وفلاناً، وهذا الشعر كما أصف لك ينشد:

وأنتَ امرؤٌ من أهلِ نجدٍ وأهلُنا ××× تهامٍ وما النجديُّ والمتغوِّرُ

وكذلك قوله:

تكلفني سويقَ الكرم جَرْمٌ ××× وما جَرْمٌ وما ذاكَ السويقُ

فإن كان الأول مضمراً متصلاً كان النصب، لئلا يحمل ظاهر على مضمر، تقول: ما لك وزيداً وذلك أنه أضمر الفعل، فكأنه قال في التقدير: وملابستك زيداً، وفي النحو تقديره: مع زيد. وإنما صلح الإضمار لأن المعنى عليه إذا قلت: ما لك وزيداً فإنما تنهاه عن ملابسته، إذا لم يجز" وزيدٍ" وأضمرت لأن

(١) () ينظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٦٠٧ والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٠٧ ومفاتيح الغيب ١٥ / ١٧٦.

(٢) () إملاء ما من به الرحمن ٢ / ١١.

قال العكبري: " وهو بعيد " إعراب القراءات الشواذ ٢ / ٣٣٧، وينظر في وجوه القراءتين: إعراب القرآن ٣ / ٣٥٤ والبحر المحيط ٨ / ٥٦٣ والبيان ٢ / ٢٨٣ ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٥٧.

(٣) () الكامل ١ / ٢٤٦-٢٤٧.

حروف الاستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمار، نحو قولك: ما زلت وعبد الله حتى فعل، لأنه ليس يريد: ما زلت وما زال عبد الله، ولكنه أراد: وما زلت بعبد الله، فكان المفعول مخفوضاً بالياء، فلما زال ما خفضه وصل الفعل إليه فنصبه، كما قال تعالى ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾[الأعراف ١٥٥] فالواو في معنى مع ، وليست بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع ، فعلى هذا ينشد هذا الشعر:

فما لكَ والتلدُّدَ حولَ نجدٍ ××× وقدْ غَصَّتْ تهامةُ بالرجالِ

ولو قلت: ما شأنك وزيداً لا ختير النصب، لأن زيداً لا يلتبس بالشأن، لأن المعطوف على الشيء أبداً في مثل حاله، ولو قلت: ما شانك وشأن زيد لرفعت، لأن الشأن يعطف على الشأن.

وهذه الآية تفسر على وجهين من الإعراب: أحدهما هذا، وهو الأجود فيها وهو قوله عز وجل ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[يونس ٧١] فالمعنى والله أعلم: مع شركائكم، لأنك تقول: جمعت قومي، وأجمعت أمري.

ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه، لأن المعنى يرجع إلى شيء واحد، فيكون كقوله:

يا ليتَ زوجكِ قدْ غَدَا ××× مقتلداً سيفاً ورمحاً

وقال آخر: (شَرَّابُ ألبانٍ وتمرٍ وأَقِطْ) وهذا بَيِّنٌ "[1].

وخلاف القراء في هذه الآية التي استشهد بها المبرد وهي قوله تعالى ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ في كلمتين منها، هما: ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ و﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾.

فأما ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ فقد قرأها بهمزة قطع مفتوحة وكسر الميم جمهور القراء عدا رويساً، وقرأها رويس عن يعقوب وحده ﴿فَاجْمِعُوا﴾ بهمزة وصل

(١) () الكامل ١ / ٢٤٨-٢٤٩.

وفتح الميم[1].

وأما ﴿شركاءَكم﴾ فقرأها يعقوب وحده برفع الهمزة، وقرأ باقي القراء بنصبها[2].

وقد وجه العلماء قراءة ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ بأن (أجمع) الرباعي أخص بالأمر، يقال: أجمعت الأمر، كما قال تعالى ﴿وما كنت لديهم إذ أَجْمعوا أمرهم﴾[يوسف ١٠٢] وقال الشاعر:

هل أغدون يوماً وأمريَ مُجمع وقال آخر:

أَجْمِعوا أمرهمْ بليلٍ فلما ××× أصحبوا أصبحتْ لهمْ ضوضاءُ

فلما كان المفعول به هنا الأمر في قوله ﴿فأَجْمِعوا أمركم﴾ كان (أَجْمِعوا) هو الأليق به.

وأما قراءة ﴿فاجمَعوا﴾ بهمزة الوصل، فهو من جمع يجمع، والمراد: اجْمَعوا ذوي أمركم، فحذف المضاف، والمعنى اجْمَعوا رؤساءَكم، ويجوز أن يكون المراد بالأمر كيدهم الذي يكيدونه به، فيكون المعنى: اجْمَعوا كيدكم، كما قال تعالى ﴿فاجْمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً﴾[طه ٦٤].

ووجهوا قراءة ﴿وشركاءَكم﴾ بالنصب بأنها على قراءة ﴿فاجْمَعوا﴾ بهمزة الوصل؛ معطوفة على ﴿أمرَكم﴾ أي: اجْمَعوا أمركم وشركاءَكم جميعاً.

وعلى قراءة ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ بهمزة القطع؛ تحمل على أحد أمرين: أحدهما: أنها منصوبة بفعل مضمر، لأنه لا يقال أَجْمَعت الشركاء، إنما يقال أَجْمَعت الأمر، أي عزمت عليه، وجمعت الشركاء، فكأنه قال: أجْمِعوا أمرَكم واجْمَعوا شركاءَكم، أو ووادعوا شركاءَكم، فهو كقول الشاعر: (مقتلداً سيفاً ورمحاً) وقول الآخر: (شَرَّابُ ألبانٍ وتمرٍ وأَقِطْ) وقول الثالث: (علفتها تبناً وماءً

(١) ( ) ينظر تحبير التيسير ص٤٠١ والتلخيص ص٢٨٤.

(٢) ( ) ينظر الاختيار ٢ / ٤٤٥ والتبصرة لابن فارس ص٢٩٨.

بارداً)[1].

والثاني: أن يكون التقدير: فأجمعوا أمركم مع شركائكم، ثم حذفت (مع) فأفضى الفعل بنفسه إلى (شركاءكم) فنصبه.

وأما قراءة ﴿وشركاؤكم﴾ بالرفع فهي على أنها معطوفة على الواو في ﴿فَأَجْمِعوا﴾ أي: أجْمِعوا أنتم وشركاؤكم، والعطف على الضمير لا يصح عند البصريين[2] إلا بالتوكيد أو بما يقوم مقامه، فلا يقال: قم وزيدٌ، إلا إن تؤكد فقتول: قم أنت وزيدٌ.

ولو قلت: قم يوم الجمعة وزيدٌ لجاز، لأن الظرف الفاصل بينهما قام مقام التوكيد، وهذا مثله، لأن ﴿أمركم﴾ فاصل بين الضمير وبين ما عطف عليه، فيقوم مقام التأكيد، ولذلك جاز الرفع بالعطف على الضمير[3].

١٤- قوله تعالى ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾[هود ٨١]:

أورد في ما عنون له بـ (لابن حَبْنَاءَ التميمي في مكارم الأخلاق) هذه الأبيات:

أعوذ بالله من حالٍ تزين لي ××× لوم العشيرة أو تدني من النار

لا أقرب البيت أحبو من مؤخره ××× ولا أكسر في ابن العم أظفاري

إن يحجب الله أبصاراً أراقبها ××× فقد يرى الله حال المدلج الساري

ثم قال: وقوله (فقد يرى الله حال المدلج الساري) فالمدلج: الذي يسير من أول الليل، يقال: أدلجت، أي سرت من أول الليل، وأدلجت: أي سرت في السحر، قال زهير: بكرن بكوراً وادَّلجنَ بسُحْرةٍ

والسرى لا يكون إلا سير الليل، قال الله عز وجل ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾[هود ٨١]

(١) () والمعنى: (مقتلداً سيفاً وحاملاً رمحاً) و(شَرَّابُ ألبانٍ وأكال تمرٍ وأَقِطْ) و(علفتها تبناً وسقيتها ماءً بارداً) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٦١٢ والخصائص ٢ / ٤٣١ ومغني اللبيب ٢ / ٦٣٢ والموضح ٢ / ٦٣٣.

(٢) () بخلاف الكوفيين فإنه يصح عندهم العطف على الضمير المرفوع المتصل في اختيار الكلام، ينظر الإنصاف ٢ / ٤٧٤.

(٣) () ينظر الجمع والتوجيه ص٥٣-٥٤ والمختار ١ / ٣٨٤ الموضح ٢ / ٦٣٢.

من قولك أَسْرَيتُ، وهي اللغة القرشية، وغيرهم من العرب يقول سَرَيتُ، وقد جاءت هذه اللغة في القرآن، قال الله عز وجل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[الفجر ٤] فهذا من سَرَى، ولو كان من (أَسْرَى) لكان (يُسْرِي) كما قال لبيد:

فباتَ وأسرى القومُ آخرَ ليلِهِمْ وما كانَ وقافاً بغيرِ مُعَصَّرِ

والمعصر الملجأ، والساري إنما هو من قولك (سرى) كقولك: قضى فهو قاض، ومن (أسرى) يقال للفاعل: مُسْرٍ كما تقول: أعطى فهو مُعْطٍ، كما قال الأخطل:

نازعتُهمْ طيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وقدْ ××× صَاحَ الدّجاجُ وحانتْ وقْعَةُ السَّارِي

والدجاج هاهنا: الديوك، يريد وقت السحر... قال جرير:

لما تذكرت بالديرين أرقني ××× صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

وقوله: (أرقني صوت الدجاج) والأرق لا يكون في آخر الليل وإنما يكون في جميعه، وكذلك النواقيس لا تقرع أيضاً إلا في السحر فإنما أراد: أرقني انتظاري هذا الوقت، لأنه وعد فيه وعداً فهو منتظر له "[1].

ولفظ ﴿فَأَسْرِ﴾ قرأه نافع وابن كثير وأبو جعفر بهمزة وصل، فتسقط وينطق بالسين الساكنة بعد الفاء، وقرأ باقي القراء ﴿فَاسْرِ﴾ بهمزة قطع مفتوحة.

وقد وجّه المبرد القراءتين وإن لم ينص على القراءة الأخرى هنا وإنما جوزها لغة، ولعلها لم تبلغه، ولذلك استشهد للغة الأخرى بآية أخرى، ولو بلغته القراءة الأخرى في هذه الآية لذكرها.

والقطع والوصل فيها لغتان كما بين المبرد، يقال: سرى وأسرى، بمعنى واحد، وقيل ﴿سرى﴾ لأول الليل، و﴿أسرى﴾ لآخره[2].

١٥ – قوله تعالى ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُودٍ﴾[هود ١٠٨]:

ذكره طرائف من تشبيهات المُحْدَثين، فقال: " ثم نذكر بعد هذا طرائف من

(١) () الكامل ١ / ٨٥-٨٦.

(٢) () ينظر الحجة لابن زنجلة ص٣٤٧ والصحاح (سرا) ص٢٣٧٦ والكشف ١ / ٥٣٥ ومعاني القرآن ٣ / ٦٩.

تشبيه المُحْدَثين وملاحاتهم، فقد شرطناه في أول الباب، إن شاء الله.

قال أبو العباس: ومن أكثرهم تشبيهاً، لاتساعه في القول، وكثرة ثقبه، واتساع مذهبه الحسن بن هانئ، قال في مديحه الفضلَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك:

وكنَّا إذا ما الحائنُ الجَدُّ غَرَّهُ سنا برقِ غاوٍ أوْ ضجيجُ رِعَادِ

تردَّى لهُ الفضلُ بنُ يحيى بنِ خالد بماضي الظُّبَا أزهاه طولُ نِجَادِ

أمامَ خَميسٍ أرْجُوَانٍ كأنَّهُ قميصٌ محوكٌ منْ قَنا وجيَادِ

فما هو إلا الدَّهرُ يأتي بصَرفهِ على كلِّ من يشقَى بهِ ويُعادِي

قوله: (الحائنُ الجَدُّ) يقال: حان الرجل، إذا دنا موته، ويقال: رجل حائن، والمصدر الحين. والجَدُّ: الحظ، والجَدُّ والجَدةُ، مفتوحان، فإذا أردت المصدر من جَدَدْتَ في الأمر، قلت: أَجِدُّ جِدّاً مكسور الجيم، ويقال: جَدَدْتُ النخل أَجُدُّهُ جَدّاً وَجَدَاداً إذا صرمته، ويقال: جذذته جذاً، وتركت الشيءَ جُذَاذاً، إذا قطعته قطعاً، ويروى هذا البيت لجرير على وجهين:

آلُ المُهَلَّبِ جَذَّ الله دابرَهم أضحوا رماداً فلا أصلٌ ولا طرفُ

ويروى (جَدَّ) وقرأ بعض القراء: (عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ)[1][هود ١٠٨] فأما قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً﴾[الأنبياء ٥٨] فلم يقرأ بغيره.

ويقال: كم جِذَاذُ نخلك. أي كم تصرم منها... وهذا الشعر يُنشَد بالكسر:

أجدك لم تغتمض ليلة فترقدها مع رقادها

ومثله:

أجدك لم تسمع وصاة محمد رسول الإله حين أوصى وأشهدا

(١) () هذا هو الصواب (مجدود) بالدال، ووقع في نسخة الكامل المطبوعة بالذال المعجمة على القراءة المتواترة، وليس فيها شاهد على ما يريده هنا منى معنى (الجد) بالدال المهملة، ويدل عليه قوله بعده: " فأما قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً﴾ فلم يقرأ بغيره " أي لم يقرأ بغير الذال المعجمة، ويدل عليه أيضاً استشهاده بآية الجن ﴿جد ربنا﴾ ولا خلاف أنها بالدال المهملة، وكذلك ما ذكره بعدها من الشواهد الشعرية مستشهداً بها، وكلها بالدال المهملة.

لأن معناه أجداً منك، على التوقيف، وتقديره في النصب: أتجد جداً، ويقال: امرأة جداء، إذا كانت لا ثدي لها، فكأنه قطع منها، لأن أصل الجد القطع، ويقال: بلدة جداء، إذا لم تكن بها مياه، قال الشاعر:

وجداء ما يرجى بها ذو هوادة ××× لعرف ولا يخشى السماة ربيبها

القرابة والهوادة في المعنى واحدة. قال أبو الحسن: السماة هم الصادة نصف النهار، وروي عن بعض أصحابنا، عن المازني قال: إنما سمي سامياً بالمسماة، وهو خف يلبسه لئلا يسمع الوحض وطأه، وهو عندي من سما للصيد.

ينشد هذا البيت:

أبى حبي سليمى أن يبيدا وأصبح حبلها خلقاً جديداً

يقول: أصبح خلقاً مقطوعاً، لأن جديداً في معنى مجدود أي مقطوع، كما تقول: قتيل ومقتول وجريح ومجروح.

ويقال في غير هذا المعنى: رجل مجدود، إذا كان ذا خطر وحظ، وفي الدعاء "ولا ينفع ذا الجد منك الجد"، أي من كان له حظ في دنياه لم يدفع ذلك عنه ما يريد الله به. ولو قال قائل: ولا ينفع ذا الجد منك الجد - يريد الاجتهاد - لكان وجهاً "[1].

وقراءة (عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ) قراءة شاذة، ولم أجد لها ذكراً في شيء من كتب القراءات أو التفسير أو اللغة، إلا أن مؤلف كتاب معجم القراءات قد وثقها من كتاب (شرح أبيات مغني اللبيب)[2].

ووجهُهَا ظاهر، وهو أنها من الجَدّ الذي هو القطع، الذي صرح به في بدء الكلام في قوله: " ويقال: امرأة جداء، إذا كانت لا ثدي لها، فكأنه قطع منها، لأن أصل الجد القطع " وقوله عقب إيراد البيت الذي فيه (وأصبح حبلها خلقاً

(١) () الكامل ٣/ ٩٦-٩٨.

(٢) () ٣/ ٩٩ وينظر معجم القراءات ٤/ ١٤٣، لكن فاته أن يوثق هذه القراءة من الكامل للمبرد.

جديدًا): " يقول: أصبح خلقاً مقطوعاً، لأن جديداً في معنى (مجدود) أي مقطوع " ولذلك استشهد بها على أن (الجد) بالدال المهملة بمعنى القطع، فأورد القراءة في (مجدود) كذلك بالدال المهملة.

وبذلك تتفق القراءاتان معنى، لأن معنى ﴿مجذوذ﴾ بالذال أيضاً القطع، كما نص على ذلك المفسرون وأهل اللغة[1].

١٦- قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون ١٤]:

أورد بعنوان (لأبي مخزوم النهشلي يفخر بقومه): " وقال رجل يكنى أبا مخزوم، من بني نهشل بن دارم:

إنا بني نهشل لا ندعي لأبٍ ... عنه، ولا هو بالأبناء يشرينا

إن تبتدر غايةٌ يوماً لمكرمةٍ ... تلق السوابق منا والمصلينا

إلى آخر عشرة أبيات أوردها، ثم قال: قوله (إنا بني نهشل) يعني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ومن قال: (إنا بنو نهشل) فقد خَبَّرَكَ، وجعل (بنو) خبر (إنّ) ومن قال (بني) إنما جعل الخبر:

إن تبتدر غايةٌ يوماً لمكرمةٍ ××× تلق السوابق منا والمصلينا

ونصب (بني) على فعل مضمر للاختصاص، وهذا أمدح، ومثله: نحن بني ضبة أصحاب الجمل، أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان من يختص بهذا، فقال: أعني بني ضبة، وقرأ عيسى بن عمر ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[المسد ٤] أراد: (وامرأته في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) ثم عَرَّفَها بـ(حمالةَ الحطب) وقوله ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ﴾[النساء ١٦٢] بعد قوله ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إنما هو على هذا، وهو أبلغ في التعريف... وأكثر العرب ينشد:

إنا بني منقرٍ قوم ذوو حسب ... فينا سراة بني سعدٍ ونادِيها

(١) ( ) ينظر تفسير اللباب ١ / ٢٩٠٥ وجامع البيان للطبري ١٢ / ٥٨٨ والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢١٨ والدر المصون ٦ / ٣٩٥ وغريب القرآن لابن قتيبة ١ / ٢١٠ ولسان العرب ٣ / ٤٧٩ والمفردات للراغب ص١٩٠.

وقرأ بعض القراء (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) "[1].

وقراءة (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) بنصب لفظ (أَحْسَنَ) قراءة شاذة، تفرد المبرد بذكرها، وإن لم ينسبها لأحد[2].

ووجَّه قراءة النصب فيها بأنها على الاختصاص، كما في ﴿حَمَّالَةَ﴾ في أحد الوجوه المذكورة فيها كما سيأتي[3].

وأما الرفع فيحتمل أحد ثلاثة وجوه، الأول: أنه نعت للجلالة، والثاني: أنه بدل من الجلالة، والثالث: أنه خبر لمبتدأ مضمر، أي: هو أحسنُ[4].

١٧ – قوله تعالى

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور ٢]:

سبق فيما أورده تحت عنوان (شفاعة) قصة المدني الذي كان يصلي في مسجد رسول الله ﷺ ومن ورائه رجلٌ يتغنى، وأن رجلاً من الشرط قبض على المغني، وأن ذلك الرجل استنقذه منه، لإقامته واوات معبدٍ في غنائه، وهي من شعر الأعشى، ومنها قوله (هُرَيرةَ وَدِّعْهَا وإِنْ لامَ لائِمُ).

وقول المبرد بعدها: "قوله (هُرَيرةَ وَدِّعْهَا وإِنْ لامَ لائِمُ) منصوب بفعل مضمر، تفسيره (وَدِّعْهَا) كأنه قال: ودع هريرة، فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه.

وكان ذلك أجود من ألا يضمرَ، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فأضمر الفعل إذ كان الأمر أحق به، وكذلك (زيداً اضربه) و(زيداً فأكرمه) وإن لم تُضْمِر ورفعت جاز، وليس في حسن الأول، ترفعه على الابتداء وتصيِّرُ الأمر في موضع خبره.

---

(١) () الكامل ١ / ٩٠-٩١.

(٢) () بعد تتبع لهذه القراءة في مظانها من كتب القراءات واللغة وغيرها تبين لي أن المبرد انفرد بذكرها، وتأكد لي ذلك بالنظر في معجم القراءات ٦ / ١٥٦ إذ نسبها مؤلفه فيه إلى كتاب الكامل للمبرد فقط، مع توسعه في توثيق القراءات في هذا المعجم.

(٣) () في الموضع رقم (٣٥).

(٤) () ينظر إملاء ما من به الرحمن ٢ / ١٤٨ الدر المصون ٨ / ٣٢٤ وشرح قطر الندى ص٢٧٠ والمختار ٢ / ٩٩٩.

فأما قول الله جل وعزَّ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة ٣٨] وكذلك ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور ٢] فليس على هذا، والرفعُ الوجه، لأن معناهُ الجزاءُ، كقوله: (الزانيةُ) أي التي تزني، فإنما وجب القطع للسَّرَقِ والجلد للزِّنا، فهذا مجازاة، ومن ثم جاز: الذي يأتيني فله درهمٌ، فدخلت الفاءُ لأنه استحق الدرهم بالإتيان، فإن لم تُرِدْ هذا المعنى قلت: الذي يأتيني له درهمٌ، ولا يجوزُ زيدٌ فله درهمٌ، على هذا المعنى، ولكن لو قلت: زيدٌ فله درهم، على معنى: هذا زيدٌ فله درهم، أو هذا زيدٌ فحسن جميلٌ، جازَ على أن (زيداً) خبرٌ، وليس بابتداء، للإشارة دخلت الفاءُ، وفي القرآن ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[البقرة ٢٧٤] ودخلت الفاءُ لأن الثواب دخل للإنفاق.

وقد قرأت القراءُ (الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا) (وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ فَاقْطَعُوا) بالنصبِ، على وجه الأمر، والوجه الرفعُ، والنصبُ حسنٌ في هاتين الآيتين، وما لم يكن فيه معنى جزاءٍ فالنصبُ الوجهُ "[1].

وقراءة (الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي) بالنصب شاذة، قرأ بها عيسى بن عمر ويحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبو جعفر وشيبة وأبو السمال ورويس[2].

وقد وجه العلماء قراءة الرفع في ﴿الزانيةُ والزاني﴾ بأن الرفع على الابتداء، وأما الخبر ففيه وجهان:

أحدهما: أنه محذوف، وتقديره عند سيبويه: فيما يتلى عليكم الزانيةُ والزاني، أي: حكمهما، وقوله ﴿فَاجْلِدُوا﴾ بيان لذلك الحكم.

ولا يجوِّز عنده أن يكون الخبر قوله ﴿فاجلدوا﴾ لأن الفاء لا تدخل إلا في خبر مبتدأ موصول بظرف أو مجرور، أي جملة صالحة لأداة الشرط، والموصول

(١) () الكامل ٢ / ٢٨١-٢٨٢.

(٢) () وهي عن أبي جعفر ورويس في غير المتواتر عنهما، ينظر البحر المحيط ٦ / ٣١١ المحتسب ٢ / ١٠٠ ومختصر ابن خالويه ص١٠٢.

هنا (ال) وصلتها اسم فاعل أو اسم مفعول، وما كان هكذا لا تدخل الفاء في خبره عنده.

والثاني: أن الخبر فيهما جملة الأمر ﴿فاجلدوا﴾ وأجازه جماعة من البصريين، أجروا (ال) وصلتها مجرى الموصول المذكور، لأن المعنى فيه على العموم إذ معناه: الذي زنى والتي زنت.

وأما القراءة بنصب (الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي) فهي على الاشتغال، أي: اجلدوا الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي، كقولك: زيداً فاضربه[1].

١٨ – قول الله تعالى ﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[النور ٢]:

أورد تحت عنوان: (لجرير يمدح هشام بن عبد الملك) السابق ذكره[2]، وفيه: " وأما قول جريرٍ لهشام بن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى، قال:

يَرى للمسلمينَ عليهِ حقاً ××× كفعلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرّحيم

ثم قال: وقوله (كفعلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرّحيم) يقال: (رؤُفَ) على (فَعُلٍ) مثل يَقُظٍ وحَذُرٍ، و﴿رؤوف﴾ على وزن (ضَرُوبٍ) وقال الأنصاري:

نطيعُ نبيَّنا ونطيعُ رباً ××× هوَ الرّحمنُ كانَ بنا رؤوفا

وقد قرئ ﴿واللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة ٢٠٧] و﴿رَؤُوفٌ﴾ أكثر، وإنما هو من الرّأفة، وهي أشدّ الرّحمة، ويقال (رآفةٌ) وقرئ (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَءَافَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ)[النور ٢] على وزن الصَّرَامة والسَّفَاهة "[3].

وقراءة (رَءَافَةٌ) بفتح الهمزة وألف بعدها؛ قراءة شاذة، وهي مروية عن عاصم وابن كثير – في غير المتواتر عنهما – وكذلك عن ابن جريج وداود بن

(١) () ينظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٤٣٨، ٢ / ١٧٠ وإملاء ما من به الرحمن ١ / ٢١٥، ١٥٣ والبحر المحيط ٣ / ٣٨٢، ٦ / ٣١١ والجامع لأحكام القرآن ٩ / ، ١٥ / ١٠٣ والكشاف ١ / ٦٣١.

(٢) () في الموضع رقم (١).

(٣) () الكامل ٢ / ٣٩٢-٣٩٣.

أبي هيل غير مجاهد كابن مقسم[1].

و﴿رأفة﴾ بالقصر و(رءافة) بالمد على وزن (سَحَابَةٍ) مصدران لرَأَفَ يَرْؤُف، وهما لغتان فيه[2].

١٩ – قوله تعالى ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾[لقمان٦٩]:

أورد لأيمن بن خريم في رثاء عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله:

إنَّ الذينَ تولوا قتلهُ سفهاً ××× لقوا أَثَاماً وخُسراناً فما ربحوا

ثم قال: والأثام: الهلاك، قال الله عز ذكره ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾[الفرقان ٦٨] ثم فسر فقال: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾[٦٩] فجزم ﴿يُضاعفْ﴾ لأنه بدل من قوله ﴿يلق أثاما﴾ إذ كان إياه في المعنى، وأنشدني أبو عبيدة:

جزى اللهُ ابنَ عُروةَ إذْ لحقنا ××× عُقوقاً والعُقوقُ منَ الأَثَامِ "[3].

ولفظ ﴿يضاعف﴾ فيه أربع قراءات هي:

﴿يُضَاعَفْ﴾ بإثبات ألف بعد الضاد، وتخفيف العين، وجزم الفاء وهي قراءة نافع والبصري وحفص وحمزة والكسائي وخلف.

و﴿يُضَعَّفْ﴾ بحذف الألف بعد الضاد، وتشديد العين، وجزم الفاء وهي قراءة ابن كثير وأبي جعفر ويعقوب.

و﴿يُضَعَّفُ﴾ بحذف الألف، وتشديد العين، ورفع الفاء، وهي قراءة ابن عامر.

و﴿يُضَاعَفُ﴾ بإثبات الألف، وتخفيف العين، ورفع الفاء، وهي قراءة شعبة[4].

---

(١) () ينظر شواذ القراءات ص٣٣٩ والكامل ص٦٠٧ ومختصر ابن خالويه ص١٠٢.

(٢) () ينظر إعراب القراءات الشواذ ٢ / ١٧٢ والبحر المحيط ٨ / ٩ اللباب ١ / ٣٧٩٣.

(٣) () الكامل ٣ / ٢٤-٢٥.

(٤) () ينظر الإقناع ٢ / ٧١٥ وتقريب النشر ص١٥١ والكافي ٢ / ٤٥٣.

وقد وجَّه المبرد جزم ﴿يُضاعفْ﴾ بأنه بدل من قوله ﴿يلق أثاما﴾ وكذلك نص العلماء في توجيه هذه القراءة، فهو بدل من جواب الشرط، والشرط قوله ﴿ومن يفعل ذلك﴾ جوابه ﴿يلق﴾ وعلامة الجزم فيه سقوط الألف و﴿يُضاعفْ﴾ بدل من ﴿يلق﴾ وجزمه بالسكون، وكذلك يقال في توجيه قراءة ﴿يضَعَّفْ﴾ بحذف الألف والجزم.

أما على قراءة ﴿يُضَاعَفُ﴾ ﴿يُضَعّفُ﴾ فالرفع على استئناف الكلام بعد تمام جواب الشرط، على تأويل تفسير ﴿يلق أثاما﴾ كأن قائلاً قال: ما لقي الآثم ؟ فقيل: يضاعفُ للآثم العذاب[1].

٢٠- قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[لقمان ٢٧]:

ذكر قصة كتاب معاوية إلى علي رضي الله عنهما، وفيها: " ثم كتب في كتاب إليه في آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل، وهو:

أرى الشأْمَ تكرهُ مُلْكَ العراقِ ××× وأهلَ العراقِ لهمْ كارهيناً

وكُلًّا لصاحبِه مبغضاً ××× يرى كلَّ ما كانَ منْ ذاكَ دينا

إذا ما رمونا رميناهمُ ××× ودنَّاهمُ مثلَ ما يُقْرِضُونا

إلى آخر الأبيات، وقال عقبها: وقول ابن جعيل (وأهلَ العراق لهم كارهينا) محمول على (أرى) ومن قال (وأهلُ العراق لهم كارهونا) فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عطف جملة على جملة بالواو، ولم يحمله على (أرى) ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقاً، وعمرو منطلقٌ الساعة، خبرت بخبر بعد خبر.

والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالاً، فيكون معناها (إذ) كما تقول:

(١) () ينظر حجة القراءات ص ٥١٤ والمختار ٢ / ٦٢٢ والموضح ٢ / ٩٣٤.

رأيت زيداً قائماً وعمرو منطلق، تريد: إذ عمْرو منطلق.

وهذه الآية تحمل على هذا المعنى، وهو قول الله عز وجل ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾[آل عمران ١٥٤] والمعنى والله أعلم: إذ طائفةٌ في هذه الحال.

وكذلك قراءة من قرأ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[لقمان ٢٧] أي: والبحر هذه حاله، وإن قرأ ﴿وَالْبَحْرَ﴾ فعلى (أَنَّ) "[١].

والقراءة بنصب ﴿والبحرَ﴾ هي قراءة أبي عمرو ويعقوب البصريَّين، وقرأ باقي القراء بالرفع [٢].

ووجَّه قراءة النصب بأنه معطوف على اسم ﴿أَنَّ﴾ وهو ﴿ما﴾ والرفع إما على القطع والابتداء، وخبره هذه حاله.

وذكر العلماء في توجيه النصب وجهاً آخر وهو: النصب على إضمار فعل يفسره ما بعده، والواو حنيئذ للحال ، والجملة حالية ، ولم يحتج إلى ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغناء عنه بالواو.

وذكروا للرفع أيضاً: العطف على موضع اسم ﴿أَنَّ﴾ أو على الابتداء وخبره ﴿يمده..﴾ [٣].

٢١- قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً﴾[الأحزاب ٣١]:

أورد بعنوان: (للفرزدق وقد نزل به ذئب فأضافه) وذكر أبيات الفرزدق التي يقول فيها[٤]:

(١) () الكامل ١ / ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) () ينظر الاختيار ٢ / ٦٢٧ وتلخيص العبارات ص١٣٦ والمكرر ص٢٤٠.

(٣) () ينظر إملاء ما من به الرحمن / ١٨٨ والبحر المحيط ٧ / ١٨٢ والبيان ٢ / ٢٥٦ وشرح الهداية ٢ / ٤٧١ والكشاف ٣ / ٥٠١ واللباب ١٥ / ٤٥٧ ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٥٦٦.

(٤) () الكامل ١ / ٢٧٤.

وأطلس عسالٍ وما كان صاحباً رفعت لناري موهناً فأتاني

فلما دنا قلت أدن دونك إنني وإياك في زادي لمشتركان

فبت أقد الزاد بيني وبينه على ضوء نارٍ مرة ودخان

وقلت له لما تكشر ضاحكاً وقائم سيفي من يدي بمكان

تعش فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وأنت امرؤٌ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبان

ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى رماك بسهم أو شباة سنان

ثم قال: وقوله (نكن مثل من يا ذئب يصطحبان) فـ(من) تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد، فإن شئت حملت خبرها على لفظها فقلت: من في الدار يحبك، عنيت جميعاً أو اثنين أو واحداً أو مؤنثاً، وإن شئت حملته على المعنى فقلت: يحبانك، وتحبك إذا عنيت امرأة، ويحبونك إذا عنيت جميعاً، كل ذلك جائز جيد.

وقال الله عز وجل ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ﴾[يونس ٤٠] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنِّي﴾[التوبة ٤٩].

وقال فحمل على المعنى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾[يونس ٤٢] وقرأ أبو عمرو ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً﴾[الأحزاب ٣١] فحمل الأول على اللفظ والثاني على المعنى... "[1].

والقراءة بالتاء في ﴿تعمل﴾ ليست قراءة أبي عمرو وحده، بل هي قراءة الجمهور، فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء في ﴿تعمل﴾ و﴿يؤتها﴾ وقرأ باقي القراء العشرة بالتاء في ﴿تعمل﴾ وبالنون في ﴿نؤتها﴾[2].

وتوجيه القراءتين في ﴿تعمل﴾ على ما ذكر المبرد كسائر الموجّهين، بالحمل

(١) () الكامل ١ / ٢٤٧، ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) () ينظر الإتحاف ٢ / ٣٧٤ والتذكرة ٢ / ٥٠٢ وغيث النفع ٣ / ١٠٠٦.

على اللفظ أو المعنى، وأما ﴿نؤتها﴾ بالنون فهي نون العظمة، ولأن بعده ﴿وأعتدنا﴾ وأما قراءة ﴿يؤتها﴾ بالياء فعلى معنى: يؤتها الله(١).

٢٢- قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[سبأ ٤٨]:

سبق ذكره لأبيات ضابئ بن الحارث البرمجي وهو في السجن الأبيات، وفيها:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله ××× فإني وقياراً بها لغريب

ثم قال: وقوله (فإني وقياراً بها لغريب) أراد: فإني لغريب بها وقياراً، ولو رفع لكان جيداً، تقول: إن زيداً منطلقٌ وعمراً وعمرٌو، فمن قال (عَمراً) فإنما رده على زيد، ومن قال (عمرٌو) فله وجهان من الإعراب: أحدهما جيد، والآخر جائز.

فأما الجيد: فأن تحمل عَمراً على الموضع، لأنك إذا قلت: إن زيداً منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع، ومثل هذا لست بقائم ولا قاعداً، والباء زائدةٌ، لأن المعنى لست قائماً ولا قاعداً...

والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على المضمر في الخبر، فإن قلت إن زيداً منطلق هو وعمرو حَسُنَ العطف لأن المضمر المرفوع إنما يحسن العطف عليه إذا أكدته، كما قال الله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾[المائدة ٢٤] و﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[البقرة ٣٥] إنما قبح العطف عليه بغير تأكيد لأنه لا يخلو من أن يكون مُستكِنّاً في الفعل بغير علامة، أو في الاسم الذي يجري مَجرى الفعل، نحو إن زيداً ذهب وإن زيداً ذاهب فلا علامة له، أو تكون له علامة يتغير لها الفعل عما كان نحو ضربت، سكنت الباء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا ينفك أحدهما عن صاحبه فهما كالشيء الواحد.

ولكن المنصوب يجوز العطف عليه، ويحسن بلا تأكيد، لأنه لا يغير الفعل إذ

(١) () ينظر إملاء ما من به الرحمن ٢ / ١٩٢ والحجة لأبي علي الفارسي ٥ / ٤٧٤ وشرح الهداية ٢ / ٤٧٦ والمختار ٢ / ٧٠٠.

كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه، نحو ضربتك وزيداً، فأما قول الله عز وجل ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾[الأنعام ١٤٨] فإنما يحسن بغير توكيد لأن (لا) صارت عوضاً... فأما النعت إذا قلت إن زيداً يقوم العاقل فأنت مخير إن شئت قلت (العاقلَ) فجعلته نعتاً لزيد، أو نصبته على المدح وهو بإضمار أعني، وإن شئت رفعت على أن تبدله من المضمر في الفعل، وإن شئت كان على قطع وابتداء، كأنك قلت: إن زيداً قام، فقيل من هو فقلت: العاقلُ، كما قال الله عز وجل ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ﴾[الحج ٧٢] أي: هو النار.

والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ و(علامَ الغيوب).. "[1].

وقراءة ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ بالرفع هي القراءة المتواترة التي قرأ بها القراء العشرة جميعاً، وقراءة (علَّامَ) بالنصب قراءة شاذة، قرأ بها عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق وابن أبي عبلة وزيد بن علي وأبو حيوة وجرير عن طلحة[2].

وقد قدم المبرد بما يبين توجيهه للقراءتين في ﴿علام﴾ وذلك أن الرفع فيه إما على أنه بدل من ضمير ﴿يقذف﴾ - كما في (يقوم) من (إن زيداً يقوم العاقل) - أو على القطع والابتداءِ، كأنه قيل: من هو الذي يقذف بالحق فقلت: علامُ الغيوب.

وأن النصب إما على أنه نعت لاسم ﴿إن﴾ وهو ﴿ربي﴾ - كما في كما في (إن زيداً يقوم العاقلَ) - أو على المدح، بإضمار (أعني).

وللعلماء في توجيه هاتين القراءتين وجوه أخرى، فمما ذكروه في توجيه قراءة

(١) () الكامل ١ / ٢٤٠-٢٤١.

(٢) () ينظر إعراب القراءات الشواذ ٢ / ٣٣٧ والبحر المحيط ٨ / ٥٦٣ وشواذ القراءات ص٣٩٣ والكامل ص٦٢٣ ومختصر ابن خالويه ص١٢٣، وذكر العكبري قراءة ثالثة بخفض (علام) ووجَّهها بأنها صفة لقوله ﴿إلا على الله﴾ أو على أن التقدير: يقذف بأمر الحق، يعني بأمر الله، فيكون (علامِ) صفة للحق، وحَذفُ المضاف إذا ظهر معناه جائز. ينظر إعراب القراءات الشواذ ٢ / ٣٣٧.

الجمهور برفع ﴿علامُ﴾ أنه خبر ثان، أو محمول على محل ﴿إنّ﴾ واسمها، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، أو نعت لضمير ﴿يقذف﴾.

ومما ذكروه في توجيه قراءة النصب: أنه على النعت لـ﴿ربي﴾ أو أن تقديره: يا علامَ الغيوب[1].

٢٣- قوله تعالى ﴿وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[يس ٤٠]:

أورد أبياتاً لحسان بن ثابت يهجو فيها مسافع بن عياض التيمي، ومنها:

لو كنت من هاشم أو من بني أسدٍ ... أو عبد شمس أو اصحاب اللوا الصيد

أو من بني نوفل أو رهط مطلبٍ ... لله درك لم تهمم بتهديدي

أو في الذؤابة من قوم ذوي حسبٍ ... لم تصبح اليوم نكساً ثاني الجيد

أو من بني زهرة الأخيار قد علموا ... أو من بني جمح البيض المناجيد

أو في السرارة من تيم رضيت بهم ... أو من بني خلف الخضر الجلاعيد

إلى آخرها.

ثم قال: وقوله (أو من بني خلف الخضر) فإنه حذف التنوين لالتقاء الساكنين، وليس بالوجه، وإنما يحذف من الحرف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين، وهي الألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها، نحو قولك: هذا قفا الرجل، وقاضي الرجل، ويغزو القوم، فأما التنوين فجاز فيه هذا لأنه نون في اللفظ، والنون تدغم في الياء والواو، وتزاد كما تزاد حروف المد واللين، ويبدل بعضها من بعض، فتقول: رأيت زيداً فتبدل الألف من التنوين، وتقول في النسب إلى صنعاء وبهراء: صنعاني وبهراني، فتبدل النون من ألف التأنيث، وهذه جملة وتفسيرها كثير، فلذلك حذف، ومثل هذا من الشعر:

(١) () قال العكبري: " وهو بعيد " إعراب القراءات الشواذ ٢ / ٣٣٧، وينظر في وجوه القراءتين: إعراب القرآن ٣ / ٣٥٤ والبحر المحيط ٨ / ٥٦٣ والبيان ٢ / ٢٨٣ والكشاف ٣ / ٥٩١ ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٥٧.

عمرو الذي هشم الثريدَ لقومهً ورجالُ مكةَ مسنتون عجافُ

وقال آخر:

حميدُ الذي أَمَجٌ دارُهُ أخو الخمر ذو الشيبةِ الأصلعُ

وقرأ بعض القراء (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ)[الصمد ١-٢] وسمعت عمارة بن عقيل يقرأ (وَلا اللَّيْلُ سَابِقٌ النَّهَارَ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[يس ٤٠] فقلت: ما تريد ؟ فقال: (سابقٌ النهارَ).. "[١].

وقراءة (وَلا اللَّيْلُ سَابِقٌ النَّهَارَ) شاذة[٢].

وحُذف التنوين فيها على إعمال اسم الفاعل (سابقٌ) في (النهارَ) أي يسبق النهارَ[٣].

٢٤- قوله تعالى ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ﴾[الصافات ١٣٠]:

أورد بعنوان: (بين زياد بن عمرو العتكي والأحنف بن قيس التميمي) وفيه: "..فاجتمع القوم على أن يقفوا أمر مسعود، ويُغمدَ السيفُ، ويؤدي سائر القتلى من الأزد وربيعة، فضمن ذلك الأحنف، ودفع إياس بن قتادة المجاشعي رهينة حتى يؤدى هذا المال، فرضي به القوم، ففخر بذلك الفرزدق فقال:

ومنا الذي أعطى يديه رهينةً لغاري معد يوم ضرب الجماجم

عشية سال المربدان كلاهماً عجاجة موتٍ بالسيف الصوارم

هنالك لو تبغي كليباً وجدتها أذل من القردان تحت المناسم

ثم قال: وقوله: (عشية سال المربدان كلاهما) يريد المربد وما يليه مما جرى مجراه، والعرب تفعل هذا في الشيئين إذا جريا في باب واحد، قال الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكمُ لنا قمراها والنجومُ الطوالعُ

---

(١) () الكامل ١ / ١٩٠، ١٩٢.

(٢) () وهي في إعراب القرآن ٣ / ٣٩٥ وذكرها القرطبي في تفسيره ١٥ / ٢٣ ونقلها فيه عن المبرد فقال: " قال المبرد: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير " وهي أيضاً في إعراب القراءات الشواذ ٢ / ٣٦٤ والبحر المحيط ٧ / ٣٣٨ والبيان ٢ / ٢٩٦ ومختصر ابن خالويه ص١٢٥ بدون نسبة.

(٣) () ينظر إعراب القرآن ٣ / ٣٩٥ والبحر المحيط ٩ / ٦٩ والبيان ٢ / ٢٩٦.

يريد الشمس والقمر، لأنهما قد اجتمعا في قولك (النيران) وغلب الاسم المذكر، وإنما يؤثر في مثل هذا الخفة، وقالوا (العمران) لأبي بكر وعمر... وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة لجرير:

وما لتغلب إن عدوا مساعيهمً ××× نجم يضيء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضى رسول الله فعلهمً ××× والعمران أبو بكر ولا عمر

هكذا أنشدنيه: وقال آخر: (قدني من نصر الخبيبين قدي) يريد عبد الله ومصعباً ابني الزبير، وإنما أبو خبيب عبد الله، وقرأ بعض القراء ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ﴾[الصافات ١٣٠] فجمعهم على لفظ إلياس، ومن ذا قول العرب: المسامعة، والمهالبة، والمناذرة، فجمعهم على اسم الأب "[١].

فاستشهد هنا بقراءة ﴿إِلْيَاسِينَ﴾ بكسر الهمزة، وبعدها لام ساكنة، فتكون كلها كلمة واحدة، بلا فصل[٢].

وأورد القراءة الأخرى في هذه الكلمة في موضع آخر، حيث قال في باب (النسب إلى الجماعة): " فأما قولهم: "صفري" فإنما أرادوا الصفر الألوان، فنسبوا إلى الجماعة، وحق الجماعة إذا نسب إليها أن يقع النسب إلى واحدها، كقولك: مهلبي، ومسمعي، ولكن جعلوا "صفراً" اسماً للجماعة، ثم نسبوا إليه، ولم يقولوا: أصفري، فينسب إلى واحدها، وإما كان ذلك لأنهم جعلوا الصفر اسماً للجماعة، كما تسمى القبيلة بالاسم الواحد، ألا ترى أن النسب إلى الأنصار، أنصاري لأنه كان علماً للقبيلة وكذلك مدائني، وتقول في النسب إلى الأبناء من بني سعد: أبناوي، لأنه اسم للجماعة.

فأما قولهم: (الأزارقة) فهذا باب من النسب آخر، وهو أن يُسمى كل واحد منهم باسم الأب، إذا كانوا يُنسبون، ونظيره (المهالبة) و(المسامعة) و(المناذرة).

(١) () الكامل ١ / ١١٤-١١٦.

(٢) () ونسبها إلى (بعض القراء) كما هو ظاهر.

ويقولون: جاءني النميرون والأشعرون، جعل كل واحد منهم نميراً وأشعر، فهذا يتصل في القبائل، على ما ذكرت لك.

وقد تنسب الجماعة إلى الواحد على رأي أو دين، فيكون له مثل نسب الولادة، كما قالوا: أزرقي، لمن كان على رأي ابن الأزرق، كما تقول: تميمي وقيسي، لمن ولده تميم وقيس، ومن قرأ ﴿سلام على آل ياسين﴾[الصافات ١٣٠] فإنما يريد (إلياس) عليه السلام ومن كان على دينه.. "[١].

فذكر في الموضع الأول قراءة ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ﴾ بكسر الهمزة، وبعدها لام ساكنة، كلمة واحدة، بلا فصل، وهي قراءة جمهور القراء، قرأ بها ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف.

وذكر في الموضع الثاني قراءة ﴿سَلامٌ عَلَى ءَالِ يَاسِينَ﴾ بفتح الهمزة ومدها، وبعدها لام مكسورة مفصولة عن ﴿يَاسِينَ﴾ كفصل اللام عن العين في ﴿ءَالِ عِمْرَانَ﴾ وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب[٢].

ووجَّه قراءة ﴿إِلْيَاسِينَ﴾ بأنها من باب التغليب كما يقال (النيران) و(العمران) فجمع ﴿إِلْيَاسِينَ﴾ على إرادة إلياس ومن نسب إليه من أمته المؤمنين.

ووجه قراءة ﴿ءَالِ يَاسِينَ﴾ بالفصل، أن السلام على أهله لأجله، فهو داخل في السلام، أي من أجله سُلِّمَ على أهله، وأهله أهل دينه ومن اتبعه وآمن به[٣].

٢٥- قوله تعالى ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[فصلت ١٠]:

أورد تحت عنوان (تحريض شبل بن عبد الله على بني أمية) قوله: " ودخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي، وقد أجلس ثمانين رجلاً من

(١) () الكامل ٣ / ٢١١.

(٢) () ينظر التبصرة لابن فارس ص٤٦٧ وتلخيص العبارات ص١٤٣ والهادي ٢ / ٢٥٦.

(٣) () وينظر في توجيه القراءتين: الحجة لابن خالويه ص٣٠٣ والكشف ٢ / ١٣٠ ومعاني القراءات ٢ / ٣٢٢.

بني أمية على سُمط الطعام، فمثُل بين يديه، فقال:

أصبح المُلْكُ ثابتَ الآساسِ بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوهاً بعد ميل من الزمان وياس

لا تقيلنَّ عبد شمس عثاراً واقطعن كل رقلة وأواسي

ذلها أظهر التودد منهاً وبها منكم كحز المواسي

ولقد غاظني وغاظ سوائيً قربهم من نمارق وكراسي

وأورد بقية الخبر، إلى أن قال: " وقوله: (وغاظ سوائي) تقول: ما عندي رجل سوى زيد، فتقصر إذا كسرت أوله، فإذا فتحت أوله على هذا المعنى مددت، قال الأعشى:

تجانف عن جو اليمامة ناقتيً وما قصدت من أهلها لسوائكا

والسواء ممدود في كل موضع وإن اختلفت معانيه، فهذا واحد منه، والسواء: الوسط، ومنه قوله عز وجل ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[الصافات ٥٥] وقال:

يا ويح أنصار النبي ورهطهً بعد المغيب في سواء الملحد

والسواء: العدل والاستواء، ومنه قوله عز وجل ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران ٦٤] ومن ذلك: عمرو وزيد سواء.

والسواء: التمام، يقال: هذا درهم سواء، وأصله من الأول، وقوله عز وجل ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[فصلت ١٠] معناه: تماماً، ومن قرأ ﴿سَواءٍ﴾ فإنما وضعه في موضع مستويات "[1].

وورد في كلمة ﴿سواء﴾ بسورة فصلت ثلاث قراءات، ذكر المبرد منها قراءتين هما: ﴿سواءٍ﴾ بالخفض، وهي قراءة يعقوب، و﴿سواءً﴾ بالنصب،

(١) () الكامل ٤ / ٢٨٩-٢٩٠.

وهي قراءة الباقين ما عدا أبا جعفر، وأما القراءة الثالثة فهي ﴿سواءٌ﴾ بالرفع، وهي قراءة أبي جعفر، وكلها مع التنوين[1].

ووجَّه قراءة النصب بأنها بمعنى تماماً، وقراءة الخفض بأنها بمعنى مستويات، وللعلماء في توجيهها أقوال أخرى، منها: أن قراءة ﴿سواءً﴾ بالنصب على المصدر بفعلٍ مقدرٍ، أي: استَوتْ استواءً، أو على أنه حالٌ من (ها) في ﴿أقواتَها﴾ أو من (ها) في ﴿فيها﴾ العائدة على ﴿الأرض﴾ أو من ﴿الأرض﴾[2].

وقراءة ﴿سواءٍ﴾ بالخفض على أنها صفة للمضاف أو للمضاف إليه، أي لـ﴿أربعة﴾ أو ﴿أيام﴾.

وأما قراءة ﴿سواءٌ﴾ بالرفع فهي على أنها خبر لمبتدأ مضمر، والتقدير: ﴿هي سواء﴾[3].

٢٦- قوله تعالى

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾[الجاثية ٥]:

أورد بعنوان (لأعرابي في الملح) قا: " وقال أعرابي -أنشدنيه أبو العالية-:

ألا تسألُ المكيَّ ذا العلم ما الذيَ ××× يحلُّ منَ التقبيلِ في رمضانِ

فقالَ ليَ المكيُّ أمَّا لزوجةٍ ××× فسبعٌ وأمَّا خُلَّةٍ فثماني

قوله: (خلة) يريد: ذات خلة، ويكون سمّاها المصدر، كما قالت الخنساء: فإنما هي إقبال وإدبار، يجوز أن تكون نعتتها بالمصدر لكثرته منها، ويجوز أن تكون أرادت: ذات إقبال وإدبار، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مقامه، كما

(١) () ينظر الاختيار ٢ / ٦٨٣ والنشر ٢ / ٣٦٦.

(٢) () لكن قال السمين الحلبي: " وفيه نظرٌ ؛ لأنَّ المعنى: إنما هو وصفُ الأيامِ بأنها سواءٌ، لا وصفُ الأرضِ بذلك، وعلى هذا جاء التفسيرُ " الدر المصون ٩ / ٥١٠.

(٣) () ينظر الإتحاف ٢ / ٤٤٢ وإملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٢١ والكشاف ٤ / ١٨٨ ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٢٧٠.

قال عز وجل ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[البقرة ١٧٧] فجائز أن يكون المعنى بِرّ من آمن بالله، وجائز أن يكون لكنَّ ذا البر من آمن بالله، والمعنى يؤول إلى شيء واحد.

وفي هذا الشعر عيب، وهو الذي يسميه النحويون العطفَ على عاملين، وذلك أنه عطف "خلةٍ" على اللام الخافضة لزوجة، وعطف "ثماني" على "سبع" ويلزم من قال هذا أن يقول: مرَّ عبدُ الله بزيدٍ وعمرٌو وخالد، ففيه هذا القبحُ، وقد قرأ بعض القراء - وليس بجائز عندنا - ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رزق فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ﴾[الجاثية ٥] فجعل ﴿آيَاتٍ﴾ في موضع نصب وخفضها لتاء الجميع فحملها على (إنَّ) وَعَطَفَهَا بالواو، وعَطَفَ ﴿اختلافَ﴾على (في) ولا أرى ذا في القرآن جائزاً لأنه ليس بموضع ضرورة، وأنشد سيبويه لعدي بن زيد العبادي:

أكلَّ امرئٍ تحسبينَ امرأً ××× ونارٍ تَوَقَّدُّ بالليلِ نارا

فعطف على "امرئٍ" وعلى المنصوب الأول "[1].

وأورد هذه القراءة في موضع آخر بعنوان (حديث أبي النجم العجلي مع هشام بن عبد الملك) ذكر فيه هذه الأبيات لأبي النجم في وصيته لابنته حين زوجها[2]:

أوصيتُ مِنْ بَرَّةَ قلباً حُمَّرَاً ××× بالكلبِ خَيراً والحُماة شَرّاً

لا تَسأَمي نَهْكاً لهَا وَضَرّاً ××× والحَيَّ عُمِّيهمْ بِشَرٍّ طُرّاً

وإنْ كَسَوكِ ذَهَباً وَدُرّاً ××× حَتَّى يَرَوا حُلْوَ الحَياةِ مُرّاً

ثم قال: وقوله (بِالكلبِ خَيراً والحُماةِ شَرّاً) كلام معيب عند النحويين،

(١) () الكامل ١ / ٢١٦.

(٢) () الكامل ٣ / ٦٩.

وبعضهم لا يجيزه، وذلك لأنه عطف على عاملين: على الباء وعلى الفعل، ومن قال هذا قال: ضربت زيداً في الدار، والحجرة عمراً.

قال أبو العباس: وكان أبو الحسن الأخفش يراه، ويقرأ ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ﴾[الجاثية ٥] فعطف على ﴿إِنَّ﴾ وعلى ﴿في﴾ وقال عدي بن زيد:

أَكُلَّ امرئٍ تَحْسبينَ امْرَأً ××× وَنَارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نَارَا

فعطف على (كلّ) وعلى الفعل "[1].

والقراءة بخفض ﴿آياتٍ﴾ هي قراءة حمزة والكسائي ويعقوب، وقرأ الباقون برفعها[2].

وقد وجَّه القراءة بالنصب، بأحد الوجوه التي ذكرها العلماء في توجيهها، وهو النصب عطفاً على اسم (إنّ) في قوله ﴿إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين﴾ والخبر ﴿في خلقكم﴾ والتقدير: وإن في خلقكم وما يبث من دابة آيات.

ويجوز أن يكون النصب على التكرار تأكيداً لآيات الأولى، وقوله ﴿واختلاف الليل﴾ و﴿.. تصريف الرياح..﴾ مجرور بـ (في) مضمرة، وحذف لتقديم ذكرها مرتين، والتقدير: وفي اختلاف..، ونصب ﴿آيات﴾ بعده على الوجهين العطف أو التأكيد.

وأما الرفع فعلى الابتداء، و﴿في خلقكم﴾ خبر مقدم، وهي جملة معطوفة على جملة مؤكدة بـ(إنّ) ويجوز الرفع عطفاً على ﴿آيات﴾ الأولى باعتبار المحل، وكذلك ﴿اختلاف الليل..﴾ أي: وفي اختلاف الليل.. على ما سبق

(١) () الكامل ٣ / ٧٢.

(٢) () ينظر حرز الأماني ص٨٣ والروضة ٢ / ٩١٣ والكافي ٢ / ٥١١.

في وجه النصب.

ويجوز الرفع في هذا الموضع تأكيداً لآيات في قوله ﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة آياتٌ﴾ بالرفع، ويجوز أيضاً رفعها على خبر ابتداء مضمر، أي: هي آيات[1].

٢٧- قوله تعالى ﴿أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[النجم ١٢]:

أورد (أخبار الحطيئة وذكر المختار من شعره) ومنها قوله:

لقدْ مريتُكُمُ لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ ××× يوماً يجيءُ بها مسحي وإبساسي

لـمَّا بَدَا لِـيَ منكمْ غيبُ أنفسكمْ ××× ولمْ يكنْ لـجراحي فيكمُ آسي

أزمعتُ يأساً مبيناً منْ نوالِكمُ ××× ولا ترى طارداً للحُرِّ كالياسِ

إلى آخر ثمانية أبيات أوردها، ثم قال: "قوله (لقد مريتكم) أصل المري: المسحُ، يقال: مريتُ الناقة، إذا مسحتُ ضرعها لِتَدُرَّ، ويقال: مرى الفرسُ والناقةُ إذا قام أحدهما على ثلاثٍ ومسح الأرض بيده الأخرى، قال الشاعر:

إذا حُطَّ عنها الرَّحلُ ألقتْ برأسها ××× إلى شَذَبِ العِيدانِ أوْ صَنَفَتْ تَمْرِي

وهذا من أحسن أوصافها... ويقال: مراه مائة سوطٍ ومائة درهم؛ إذا أوصل ذلك إليه، ولـ (مراهُ) موضع آخر، ومعناه: مَرَاهُ حَقَّهُ؛ إذا دفعه عنه ومنعه منه، وقد قرئ ﴿أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[النجم ١٢] أي: تدفعونه"[2].

وقراءة ﴿أفتمرونه﴾ بفتح التاء وسكون الميم وحذف الألف هي قراءة حمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأ باقي القراء ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها.

وبنحو الذي قاله المبرد قال العلماء في توجيهها، فقراءة ﴿أَفَتَمْرُونَهُ﴾ من مريته

(١) () ينظر إبراز المعاني ٤/ ١٦٨ والبحر المحيط ٩/ ٤١٣ والدر المصون ٩/ ٦٣٤.

وأما قول المبرد: "وليس بجائز عندنا" فلعل ذلك لعدم ثبوت القراءة وتواترها عنده، نظراً لتقدمه وكونه في عصر ما قبل استقرار القراءات، لأنها لو بلغته على سبيل التواتر لم يكن له أن يردها وينكرها، كيف وهو من العلماء المنافحين بعلمهم عن كتاب الله تعالى، والذي ندين الله به أن العلماء النحويين واللغويين الذي طعنوا في بعض القراءات ما طعنوا فيها وهم واثقين من قرآنيتها وتواترها؛ لأن رد المتواتر والطعن فيه كفر، وهم بريئون من ذلك، والله أعلم.

(٢) () الكامل ٢/ ٤٢٧.

حقه إذا غلبته وجحدته إياه، فالمعنى: أفتجحدونه، وقراءة ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ من ماراه يماريه، أي جادله، فالمعنى: أتجادلونه[1].

٢٨- قوله تعالى ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾[الواقعة ١٥]:

أورد في (حديث أبي وجزة وأبي زيد الأسلمي): "..وقال أبو وجزة:

راحت رواحاً قلوصي وهي حامدة ××× آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا

راحت بستين وسقاً في حقيبتها ××× ما حملت حملها الأدنى ولا السَّدَدا

ما إن رأيت قلوصاً قبلها حملت ××× ستين وسقاً ولا جابت به بلدا

ذاك القرى، لا قرى قومٍ رأيتهمُ ××× يَقْرُونَ ضيفَهمُ المَلْوِيةَ الجُددَا

ثم قال: وأما قوله: (يَقْرُونَ ضيفَهمُ المَلْوِيةَ الجُددَا) فإنما أراد السياط، وجمع جديدٍ جددٌ، وكذلك باب (فعيل) الذي هو اسم، أو مضارع للاسم، نحو قَضِيبٍ وقُضُبٍ، ورغيفٍ ورغُفٍ، وكذلك سرير وسُرُرٌ وجديدٌ وجُدُدٌ، لأنه يجري مجرى الأسماء، وجريرٌ وجُرُرٌ، فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أن تبدل من ضمته فتحة لأن التضعيف مستثقلٌ، والفتحة أخف من الضمة، فيجوز أن يمال إليها استخفافاً، فيقال: جُدَدٌ وسُرَرٌ، ولا يجوز هذا في مثل قضيب لأنه ليس بمضاعفٍ، وقد قرأ بعض القراء: (عَلَى سُرَرٍ مَوْضُونَةٍ)[الواقعة ١٥]"[2].

والقراءة التي ذكرها بفتح الراء الأولى من (سُرَرٍ) من القراءات الشاذة، قرأ بها زيد بن علي وأبو السمال، وهي لغة لبعض بني تميم وكلب، يفتحون عين (فُعُل) جمع (فَعِيل) المضعف، فراراً من توالي ضمتين مع التضعيف[3].

(١) () ينظر الأصول ٣ / ٢٦٧ والدر المصون ١٠ / ٩٥ ومعاني القرآن وإعرابه ٥ / ٧٣ والممتع ٢ / ٤٥٨ والمنصف ٢ / ١٦١.

(٢) () الكامل ١ / ١٤٦-١٥٢.

(٣) () ينظر البحر المحيط ١٠ / ٨٠ وشواذ القراءات ص٤٦٢.

٢٩- قوله تعالى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ﴾[المعارج ١١]:

أورد تحت عنوان: (الفرزدق ونُصَيْبٌ وما قالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك) وفيه: "..على أن الشاعر - يعني نُصَيْباً - وهو أخو همدان قد قال في عصره في غير المدح:

يمرونَ بالدّهنا خفافاً عِيابُهمْ ××× ويخرُجنَ منْ دَارِينَ بُـجْرَ الحقَائبِ

على حينِ ألهى الناسَ جُلُّ أمورِهمْ ××× فندلاً زُريقُ المالَ ندلَ الثعالبِ

ثم قال: وقوله (على حين ألهى الناس) إن شئت خفضت (حين) وإن شئت نصبت، أما الخفض فلأنه مخفوض فلأنه مخفوض، وهو اسم منصرف، وأما الفتح فلإضافتك إياه إلى شيء معرب، فبنيته على الفتح، لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك، ولو كان الذي أضفته إليه معرباً لم يكن إلا محفوضاً، وما كان سوى ذلك فهو لحن، تقول (جئتك على حين زيد) و(جئتك في حين إمرة عبد الملك) وكذا قول النابغة:

على حينِ عاتبتُ المشيبَ على الصبا ××× وقلتُ: ألـمَّا أصحُ والشيبُ وازعُ

إن شئت فتحت، وإن شئت خفضت، لأنه مضاف إلى فعل غير متمكن، وكذلك قولهم (يومئذ) تقول: (عجبت من يوم عبد الله) لا يكون غيره، فإذا أضفته إلى (إذ) فإن شئت فتحت على ما ذكرت لك في (حين) وإن شئت خفضت، لما كان يستحقه اليوم من التمكن قبل الإضافة، تقرأ إن شئت ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ﴾[المعارج ١١] وإن شئت ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ على ما وصفت لك.

ومن خفض بالإضافة قال: سِيرَ بزيدٍ يومُئِذٍ، فأعربته في موضع الرفع، كما فعلت به في الخفض، ومن قال ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ فبناه قال: سِير بزيدٍ يومَئِذٍ، يكون على حالة واحدة لأنه مبني، كما تقول: دُفِعَ إلى زيد خمسةَ عشرَ

درهماً، وكما قال عز وجل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[المدثر ٣٠] "[١].

فوجَّه المبرد قراءة ﴿يَومَئِذٍ﴾ بفتح الميم على أن الظرف مضاف إلى غير متمكن وهو (إذ) وذكر العلماء وجهاً آخر وهو أن (يوم) و(إذ) اسمان جعلا اسماً واحداً يعرب آخره، فبني (يومَ) على الفتح.

والقراءة بخفض الميم على إضافة ﴿عذاب﴾ إليه على الاتساع، نحو قوله تعالى ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ فهما لا يمكران وإنما المكر فيهما، وكذلك العذاب واقع في ذلك اليوم[٢].

٣٠- قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾[الجن ٣]:

تقدم عند ذكره لطرائف من تشبيهات المُحْدَثين إيراده لأبيات الحسن بن هانئ في مديح الفضل بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك، ومنها قوله:

وكنَّا إذا ما الحائنُ الجَدُّ غَرَّهُ سنا برقِ غاوٍ أوْ ضجيجُ رِعَادِ

وقوله عقبها: " قوله (الحائنُ الجَدُّ) يقال: حان الرجل، إذا دنا موته، ويقال: رجل حائن، والمصدر الحين. والجَدُّ: الحظ، والجَدُّ والجَّدةُ، مفتوحان، فإذا أردت المصدر من جَدَدْتَ في الأمر، قلت: أَجِدُّ جِدّاً مكسور الجيم، ويقال: جَدَدْتُ النخل أَجُدُّهُ جَدّاً وَجَدَاداً إذا صرمته... وقرأ سعيد بن جبير: (جَدًّا رَبُّنَا) ولو قرأ قارئ (جدًّا رَبُّنَا) على معنى: جِدَّ رَبِّنَا لم يقرأ به لتغير الخط، وكذا قراءة سعيد مخالفةٌ الخط.

وهذا الشعر يُنشَد بالكسر:

أجدك لم تغتمض ليلة ××× فترقدها مع رقادها

ومثله:

أجدك لم تسمع وصاة محمد ××× رسول الإله حين أوصى وأشهدا

(١) () الكامل ١ / ١٤٣-١٤٤.

(٢) () ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٩١ والفريد ٢ / ٦٤٢ ومشكل إعراب القرآن ١ / ٣٦٧.

لأن معناه أجداً منك، على التوقيف، وتقديره في النصب: أتجد جداً، ويقال: امرأة جداء، إذا كانت لا ثدي لها، فكأنه قطع منها، لأن أصل الجد القطع، ويقال: بلدة جداء، إذا لم تكن بها مياه، قال الشاعر:

وجداء ما يرجى بها ذو هوادة ××× لعرف ولا يخشى السماة ربيبها

القرابة والهوادة في المعنى واحدة، قال أبو الحسن: السماة هم الصادة نصف النهار، وروي عن بعض أصحابنا، عن المازني قال: إنما سمي سامياً بالمسماة، وهو خف يلبسه لئلا يسمع الوحض وطأه، وهو عندي من سما للصيد.

ينشد هذا البيت:

أبى حبي سليمى أن يبيدا ××× وأصبح حبلها خلقاً جديداً

يقول: أصبح خلقاً مقطوعاً، لأن جديداً في معنى مجدود أي مقطوع، كما تقول: قتيل ومقتول وجريح ومجروح.

ويقال في غير هذا المعنى: رجل مجدود، إذا كان ذا خطر وحظ، وفي الدعاء "ولا ينفع ذا الجد منك الجد"، أي من كان له حظ في دنياه لم يدفع ذلك عنه ما يريد الله به. ولو قال قائل: ولا ينفع ذا الجد منك الجد - يريد الاجتهاد - لكان وجهاً"[1].

وقراءة (جَدًّا رَبُّـــنَا) قراءة شاذة قرأ بها سعيد بن جبير كما ذكر المبرد[2].

وقد استشهد بها على معنى الجد، وما نقله عن أنس من تفسيره بـ(غنى ربنا) وأما توجيهها إعراباً فإن لفظ (رَبُّنَا) مرفوع بـ(تَعالى) و(جَدّاً) منصوب على التمييز المنقول من الفاعل، كما تقول تفقأت شحماً، وتصببت عرقاً، أو منصوب على الحال، ومعناه: تعالى حقيقةً ومتمكناً، أو على أنه صفة لمصدر محذوف

(١) () الكامل ٣/ ٩٦-٩٨.

(٢) () وهي منسوبة أيضاً لعكرمة وقتادة، ينظر البحر المحيط ١٠/ ٢٩٥ والجامع لأحكام القرآن ٢١/ ٢٨٢ ومختصر ابن خالويه ص١٦٣.

تقديره: تعالياً جداً، و(ربُّنا) مرفوع بـ(تعالى)[1].

لكن قوله: " ولو قرأ قارئ (جِدًّا رَبُّنَا) على معنى: جِدَّ رَبِّـنَا لم يقرأ به لتغير الخط، وكذا قراءة سعيد مخالفةٌ الخط " يوهم أنه لم تُذكر قراءة (جِدًّا رَبُّنَا) مع أنها ذكرت منسوبة لعكرمة وقتادة[2].

٣١- قوله تعالى﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[المرسلات ١١]:

أورد قولاً (لرجل من بني عبس وكان عروة بن الورد قد شتمه) وهو:

لا تشتمنِّيْ يا ابن وردٍ فإنني ××× تعود على مالي الحقوقُ العوائدُ

ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به ××× خصاصة جسم وهو طيان ماجد

ثم قال: قوله (النؤوب) يريد الذي ينوبه، وكل واو قراح لغير علةٍ فأنت فيهمزها وتركها بالخيار، تقول في جمع دارٍ: أدؤر وإن شئت لم تهمز، وكذلك النؤوب، والقؤول لانضمام الواو، فأما الواو الثانية فإنها ساكنة قبلها ضمة، وهي مدة فلا يعتد بها، ولو التقت واوان في أول كلمةٍ وليست إحداهما مدة لم يكن بد من همز الأولى، تقول في تصغير واصل وواقدٍ: أويصل وأويقد، لا بد من ذلك، فأما وجوهٌ فإن شئت همزت فقلت: أجوهٌ، وإن شئت لم تهمز، قال الله عز وجل ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[المرسلات ١١] والأصل: وُقِّتَتْ، ولو كان في غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت "[3].

وقال في موضع آخر بعنوان (لرجل من العرب يرثي): " وقال رجل من العرب:

خليلي عوجا بارك الله فيكما ××× على قبر أُهْبانٍ سقته الرواعدُ

---

(١) () ينظر إعراب القراءات الشواذ ٢ / ٦٢٦ والكشاف ٤ / ٦٢٣ والمحتسب ٢ / ٣٣٢ والمحرر الوجيز ٥ / ٣٧٩.

(٢) () ينظر البحر المحيط ١٠ / ٢٩٥ والمحتسب ٢ / ٣٣٢.

(٣) () الكامل ١ / ٤٩.

فذاك الفتى كلُّ الفتى كان بينه ××× وبين المُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتباعدُ

إذا نازع القومُ الأحاديثَ لم يكن ××× عيياً ولا عِبئاً على من يُقاعِدُ

قوله: (على قبر أُهْبانٍ) فهذا اسمٌ علمٌ كزيد وعمرو، واشتقاقه من وهب يهب، وهَمَزَ الواو لانضمامها، كقوله عز وجل ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[المرسلات١١] فهو (فُعِّلَتْ) من الوقت، وقد مضى همز الواو إذا انضمت "[1].

ولفظ ﴿أقتت﴾ قرأه أبو عمرو ﴿وقِّتت﴾ بواو مضمومة في مكان الهمزة مع تشديد القاف، وقرأه كذلك أبو جعفر لكن مع تخفيف القاف، وقرأه باقي القراء ﴿أقتت﴾ بالهمزة مع تشديد القاف[2].

وقد اقتصر المبرد على توجيه قراءة ﴿أقتت﴾ بالهمز، فوجهها في الموضعين بأن أصل الهمزة فيها الواو، وأبدلت من الواو لانضمامها، وبذلك قال العلماء في توجيهها، وذكروا أن وجه قراءة ﴿وقتت﴾بالواو أنها على الأصل لأنها من الوقت[3].

٣٢- قول الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾[التكوير ٢٤]:

أورد رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري، وفيها: ".. واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليها فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية، فإنه أنفى للشك، وأجلى للعمى، المسلمون عدولٌ بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد، ومجرباً عليه شهادة زور، أو ظنيناً في ولاء أو نسب.. "[4] قال في بيانها: " وقوله: "أو ظنيناً في ولاءٍ أو نسب" فهو

(١) () الكامل ١ / ١٩٤-١٩٥.

(٢) () ينظر التبصرة لمكي ص٧١٨ وتحبير التيسير ص٦٠١ وشرح الدرة للنويري ٢ / ٤٠٥ والبهجة السنية ص٤١١.

(٣) () ينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٦ / ٣٦٤ والكتاب ٤ / ٣٣١-٣٥١ والكشف ٢ / ٣٥٧ والمزهر ٢ / ٢٧٦.

وقول المبرد " ولو كان في غير القرآن لجاز إظهار الواو إن شئت " قد يُفهم منه أن قراءة أبي عمرو بالواو لم تثبت عنده، أو لم تبلغه، ولذلك جوزها لغة، ولم يقطع بها قراءة كما فعل في غيرها، لكن هذا يخالف ما سبق عند ذكر تلميذه أبي طاهر الصيدلاني من أن الهذلي أسند قراءة أبي عمرو عن طريقه، حيث قال: " قرأت على أبي عمرو بن سعيد، قرأت على أبي طاهر الصيدلاني، على محمد بن يزيد، على أبي عثمان المازني، على أبي عمر الجرمي، على يونس وسيبويه، على أبي عمرو " الكامل للهذلي ص٢٦١، ولعله يؤيد قول ابن الجزري بعد أن ذكر هذه الطريق: " ولا أعرف هذه الطريق في القراء " غاية النهاية ٢ / ٢٨٠، والله أعلم بالصواب.

(٤) () الكامل ١ / ١٦.

المتهم، وأصله "مظنون" وهي ظننت التي تتعدى إلى مفعول واحد، تقول: ظننت بزيد، وظننت زيداً، أي اتهمت، ومن ذلك قول الشاعر، أحسبه عبد الرحمن بن حسان:

فلا ويمين الله ما عن جناية ××× هجرت، ولكن الظنين ظنين

وفي بعض المصاحف﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾[التكوير ٢٤].. "([1]).

ذكر المبرد هنا قراءة ﴿بظنين﴾ بالظاء وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورواية رويس عن يعقوب، وقرأ الباقون ﴿بضنين﴾ بالضاد([2])، ويشير بقوله (وفي بعض المصاحف) إلى ما في غيرها، وهو قراءة الباقين بالضاد.

وقد اقتصر المبرد على توجيه قراءة (ظنين) بالظاء، فوجَّهها بأنها بمعنى: متهم، فالظن بمعنى التهمة، ولم يذكر توجيه القراة بالضاد، وهي من ضن بالشيء إذا بخل به، والمعنى: وما هو على الوحي ببخيل فيكتمه، وبنحو ذلك قال العلماء في توجيه هاتين القراءتين[3].

٣٣– قوله تعالى ﴿البرية﴾[البينة ٦-٧]:

سبق فيما أورده بعنوان (للأعشى يمدح هودة بن علي) وفيه: " وقوله: (فتى لو يباري الشمس) يقول: يعارض، يقال: انبرى لي فلان، أي اعترض لي في المعنى، وفلان يباري الريح، من هذا، أي يعارض الريح بجوده، فهذا غير مهموز.

فأما: بَارَأْتُ الكَرِيَّ فهو مهموز، لأنه من أبرَأَني وأبرأْتُه، ويقال: بَرَأَ فلان من مرضه، وبَرِئَ يا فتى؛ والمصدر منهما البَرْءُ فاعلم، وبَرَيتُ القلم غير مهموز، الله البارئ المصور، ويقال: ما بَــرَأَ الله مثل فلان، مهموز.

(١) () الكامل ١ / ١٧.

(٢) () ينظر التيسير ص٢٢٠ وغاية الاختصار ٢ / ٧٠٨ والموجز ص٣٠٢.

(٣) () ينظر الاعتماد ص٣٨ وإيجاز البيان ٢ / ٣٠٩ وتفسير غريب القرآن ص٥١٧ والحجة للقراء السبعة ٦ / ٣٨٠ وشرح الهداية ٢ / ٥٤٨ وشرح ظاءات القرآن ص٣٩ والموضح ٣ / ١٣٤٤.

وقولك ﴿البَـرِيَّـة﴾ أصله من الهمز، ويختار فيه تخفيف الهمز، ولفظ التخفيف والبدل واحد.. "[1].

ولفظ ﴿البرية﴾[البينة ٦-٧] قرأه نافع وابن ذكوان بياء ساكنة بعد الراء، وبعد الياء همزة مفتوحة، وقرأه الباقون بياء مشددة مفتوحة بعد الراء، ولا همز بعدها[2].

ووجّه المبرد قراءة ﴿البَـرِيَّـةُ﴾ بلا همز بأن أصلها الهمز، وخففت الهمزة فيها بإبدالها ياءً وإدغامها في الياء قبلها.

وما ذكره في توجيه هذه القراءة ذكره غيره من العلماء، كما أضافوا وجوهاً أخرى، فذكروا أن من قرأ ﴿البرية﴾ بالهمز فهي (فعيلة) من برأ الله الخلق، ابتدأه واخترعه، فهي بمعنى (مفعولة) ومن لم يهمز فقيل: أصلها عنده بالهمز، ثم أبد الهمزة ياءً لأجل الياء قبلها، وأدغم الياء في الياء، وقيل: إنها مشتقة من البرى وهو التراب، فهي أصل بنفسها[3].

٣٤- قوله تعالى ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ () إِيلَافِهِمْ﴾[قريش]:

أورد (لذي الرمة في مي) قوله:

ألم تعلمي يا ميُّ أنَّا وبيننا ××× مَهاوٍ لطرفِ العينِ فيهنَّ مَطْرَحُ

ذكرتكِ إنْ مرّتْ بنا أمُّ شادنٍ ××× أمامَ المطايا تشرئبُّ وتسنحُ

منَ المؤلفاتِ الرمْلَ أدماءُ حُرَّةٌ ××× شعاعُ الضُّحى في لونها يتوضَّحُ

إلى آخر ستة أبيات ذكرها، ثم قال: " وقوله: (من المؤلفات) يقال: (آلفتُ المكانَ أُولِفُهُ إيلافاً) ويقال: أَلِفْتُهُ إِلْفاً، وفي القرآن الكريم ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ()

(١) () الكامل ٣ / ١٧.

(٢) () ينظر تلخيص العبارات ص٦٦ والسبعة ص١٥٧ والكافي ٢ / ٣٠٨.

(٣) () ينظر الخصائص ٣ / ٨٦ والدر المصون ١١ / ٧٠ وشرح الهداية ٢ / ٥٥٦ والغريب المصنف لأبي عبيد ٢ / ٤٢٠ ومعاني القرآن للفراء ٣ / ٢٨٢ ومعجم مفردات الإبدال والإعلال ص٤٨ والممتع ٢ / ٥٦٤.

إِيلافِهِمْ﴾[قريش] وقرأوا ﴿إلافهم﴾ على القصر "[1].

وقراءة ﴿إلافهم﴾ بالقصر، أي بحذف الياء بعد الهمزة، على وزن (فِعَال) مثل (غِلاف) وهي قراءة أبي جعفر، وقرأ باقي القراء ﴿إيلافهم﴾ بإثبات الياء بعد الهمزة[2].

وتوجيه القراءتين كما هو ظاهر في نص المبرد أن (إلاف) و(إيلاف) مصدران، فقراءة (إلافهم) بالقصر، على وزن (فِعَال) مثل (غِلاف) مصدر (ألف) الثلاثي، وقراءة ﴿إيلاف﴾ بإثبات الياء بعد الهمزة مصدر (آلف) الرباعي ([3]).

٣٥- قوله تعالى ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[المسد ٤] وقوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون ١٤]:

سبق أن المبرد أورد بعنوان (لأبي مخزوم النهشلي يفخر بقومه) وفيه: "

وقال رجل يكنى أبا مخزوم، من بني نهشل بن دارم:

إنا بني نهشل لا ندعي لأبٍ ××× عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

إن تبتدر غايةٌ يوماً لمكرمةٍ ××× تلق السوابق منا والمصلينا

ثم قال: قوله (إنا بني نهشل) يعني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ومن قال: (إنا بنو نهشل) فقد خَبَّرَكَ، وجعل (بنو) خبر (إنّ) ومن قال (بني) إنما جعل الخبر:

إن تبتدر غايةٌ يوماً لمكرمةٍ ××× تلق السوابق منا والمصلينا

ونصب (بني) على فعل مضمر للاختصاص، وهذا أمدح، ومثله: نحن بني ضبة أصحاب الجمل، أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان من يختص بهذا،

(١) ( ) الكامل ٢ / ٥٠٩.

(٢) ( ) ينظر النشر ٢ / ٤٠٣ والإتحاف ٢ / ٦٣١.

(٣) ( ) ينظر إتحاف فضلاء البشر ٢ / ٦٣١ والبيان ٢ / ٥٣٧ والجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ٥٠١ وحجة القراءات ص٧٧٤.

فقال: أعني بني ضبة، وقرأ عيسى بن عمر ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[المسد ٤] أراد: (وامرأته في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) ثم عَرَّفَها بـ(حمالةَ الحطب) وقوله ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ﴾[النساء ١٦٢] بعد قوله ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إنما هو على هذا، وهو أبلغ في التعريف... وأكثر العرب ينشد:

إنا بني منقرٍ قوم ذوو حسب فينا سراة بني سعدٍ ونادِيها "[1].

وذكر هذه القراءة أيضاً في موضع آخر سبق ذكره، وهو في (باب في التشبيه) وفيه: " ومن التشبيه المحمود قول الشاعر:

طليق الله لم يمنن عليه أبو داود وابن أبي كثير

ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذر الصقور

وهذا غاية في صفة الجبان.

ونصب (عيني بنت ماء) على الذم، وتأويله: أنه إذا قال: جاءني عبد الله الفاسق الخبيث، فليس يقوله إلا وقد عرفه بالفسق والخبث فنصبه (أعني) وما أشبهه من الأفعال، نحو (أَذْكُرُ) وهذا أبلغ في الذم، أن يقيم الصفة مقام الاسم، وكذلك المدح.

وقول الله تبارك وتعالى ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ﴾[النساء ١٦٢] بعد قوله ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على هذا... وقرأ عيسى بن عمر ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[المسد ٣] أراد: وامرأته في جيدها حبل من مسد، فنصب ﴿حمالةَ﴾ على الذم، ومن قال إن (امرأتُهُ) مرتفعة بقوله ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ فهو يجوز، وليس بالوجه أن يعطف المظهر المرفوع على المضمر حتى

(١) () الكامل ١ / ٩٠-٩١.

يؤكد، نحو ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾[المائدة ٢٤] و﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[البقرة ٣٥] "[١].

وقد استشهد المبرد هنا بقراءة ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ بنصب ﴿حَمَّالَةَ﴾ وعزاها لعيسى بن عمر، وهي قراءة متواترة قرأ بها عاصم، وقرأها باقي القراء بالرفع [٢].

ووجَّه قراءة النصب في الموضع الأول بأنها على الاختصاص، ووجهها في الموضع الثاني بأنها منصوبة على الذم.

وذكر العلماء هذين الوجهين، ووجهاً ثالثاً، وهو النصب على الحال من ﴿وامْرَأَتُهُ﴾ إذا جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير.

وأما قراءة الرفع فإما على أنها خبر والمبتدأ ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ سيقت للإخبار بذلك، أو خبر لمبتدأ مقدَّر، أي: هي حمالةُ، أو نعت لـ(امْرَأَتُهُ) أو بدل منها، ورفع ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ للعطف على الضمير في ﴿سَيَصْلَى﴾ أو للابتداء، والخبر ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ [٣].

٣٦- قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ) [الصمد ١-٢]:

تقدم فيما أورده من أبيات حسان بن ثابت التي يهجو فيها مسافع بن عياض التيمي وفيها[٤]:

أو في السرارة من تيم رضيت بهم أو من بني خلف الخضر الجلاعيد

ثم قال: " وقوله: (أو من بني خلف الخضر) فإنه حذف التنوين لالتقاء الساكنين، وليس بالوجه، وإنما يحذف من الحرف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين، وهي الألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها،

(١) () الكامل ٣ / ٣٠-٣١.
(٢) () ينظر التجريد ص٣٤٣ وتلخيص العبارات ص١٧١ والكنز ص٢٦٩.
(٣) () ينظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه ص٢٢٥ والدر المصون ١١ / ١٤٤ وشرح قطر الندى ص٢٧٠ والمختار ٢ / ٩٩٩.
(٤) () الكامل ١ / ١٩٠.

نحو قولك: هذا قفا الرجل، وقاضي الرجل، ويغزو القوم، فأما التنوين فجاز فيه هذا لأنه نون في اللفظ، والنون تدغم في الياء والواو، وتزاد كما تزاد حروف المد واللين، ويبدل بعضها من بعض، فتقول: رأيت زيداً فتبدل الألف من التنوين، وتقول في النسب إلى صنعاء وبهراء: صنعاني وبهراني، فتبدل النون من ألف التأنيث، وهذه جملة وتفسيرها كثير، فلذلك حذف، ومثل هذا من الشعر:

عمرو الذي هشم الثريدَ لقومه ورجالُ مكةَ مسنتون عجافُ

وقال آخر:

حميدُ الذي أَمَجٌ دارُهُ أخو الخمر ذو الشيبةِ الأصلعُ

وقرأ بعض القراء (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ).. "[1].

وقراءة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ) شاذة، وهي منسوبة لنصر بن عاصم وعبد الله بن أبي إسحاق وأبان بن عثمان وزيد بن علي وابن سيرين والحسن وأبي السمال[2].

وقد بين وجه حذف التنوين فيها بأنه لالتقاء الساكنين، وأن التنوين جاز فيه هذا لأنه نون في اللفظ، والنون تدغم في الياء والواو، وتزاد كما تزاد حروف المد واللين، ويبدل بعضها من بعض[3].

(١) () الكامل ١ / ١٩٢.

(٢) () ينظر إعراب القرآن ٥ / ٣٠٩ وإعراب القراءات الشواذ ٢ / ٧٥٨ وجامع البيان للطبري ٣٠ / ٢٢٢ ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٨٥٢ ومفاتيح الغيب ٣٢ / ١٧٩.

(٣) () ينظر إعراب القرآن ٥ / ٣١٠ ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٨٥٢ ومعاني القرآن للأخفش ٢ / ٥٨٩.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجعين، أما بعد:

ففي ختام هذا البحث المبارك الذي أرجو من الله أن أكون قد وفقت فيه، أعرض أبرز النتائج التي ظهرت لي من خلاله، ومن أهمها:

- مكانة المبرد وتصدره في علوم العربية وغيرها.
- أن المبرد قد أورد في كتابه الكامل عدداً من القراءات المتواترة والشاذة.
- نسب المبرد بعض القراءات لمن قرأ بها من القراء، وأغفل النسبة في أكثر المواضع التي ذكرها.
- قد يوجه إحدى القراءات في موضع من الكتاب، ثم يكرر الآية موضع آخر ويوجه القراءة الأخرى الواردة فيها، كما في توجيهه للقراءتين الواردتين في قوله تعالى ﴿سلام على إلياسين﴾.
- قد يتكرر عنده توجيه القراءة الواحدة في موضعين، ويوجهها في موضع بوجه، وفي الموضع الآخر بوجه آخر، كما في توجيهه لقراءة ﴿حمالة الحطب بنصب حمالة﴾.
- وقد يتكرر عنده توجيه القراءة الواحدة في موضعين، ويوجهها في الموضعين بالتوجيه ذاته كما في توجيهه لقراءة ﴿.. آيات..﴾ في سورة الجاثية.
- استدل المبرد كثيراً بالآيات والقراءات القرآنية، ولكن وقع منه أيضاً طعن في بعض القراءات، كما في قراءة حمزة ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ وغيرها، وقد نبهت عليها عند إيرادها.

ومثل هذا الطعن لعل مردّه هو عدم ثبوت القراءة وتواترها عنده، نظراً لتقدمه وكونه في عصر ما قبل استقرار القراءات، والله أعلم.

- أهمية دراسة أقوال أئمة اللغة وتوجيهاتهم للقراءات في كتب اللغة والنحو، لما لذلك من إثراء للمكتبة القرآنية، وخاصة فيما يتعلق بعلم توجيه القراءات، للعلاقة المتينة والصلة الوثيقة بين القراءات وعلوم العربية.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبدال : لابن السكيت، تحقيق الدكتور حسين محمد شرف، طبعة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

٢- إبراز المعاني من حرز الأماني : لأبي شامة، تحقيق : محمود عبدالخالق جادو، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الأولى ١٤١٣هـ .

٣- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر : للبنا، تحقيق : د. شعبان إسماعيل، طبعة عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٤- أخبار أبي تمام : لمحمد بن يحيى الصولي : تحقيق : خليل عساكر وآخرين، القاهرة ١٩٣٧م .

٥- أخبار النحويين البصريين : لأبي سعيد السيرافي، تحقيق : عز الدين التنوخي، طبعة دمشق ١٩٦٢م .

٦- الاختيار في القراءات العشر : لسبط لخياط، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر السبر، طبعة بتاريخ ١٤١٧هـ، بدون معلومات عن دار الطبع .

٧- إرشاد المبتدي وتذكره المنتهي في القراءات العشر : لأبي العز القلانسي، تحقيق : عمر بن حمدان الكبيسي، طبعة المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٨- الإرشاد إلى علم الإعراب : لمحمد بن أحمد الكيشي، تحقيق : د.عبدالله بن علي البركاتي ود.محسن سالم العميري، طبعة مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى الأولى ١٤١٤هـ١٩٩٣م .

٩- الأشباه والنظائر في النحو : للسيوطي : طبعة حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٦١هـ .

١٠- الأصول في النحو : لابن السراج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي،

الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ .

١١- الاعتماد في نظائر الظاء والضاد : لابن مالك، تحقيق الدكتور : حاتم صالح الضامن، طعبة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

١٢- إعراب القراءات السبع وعللها : لابن خالويه، تحقيق : د.عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

١٣- إعراب القراءات الشواذ : لأبي البقاء العكبري، تحقيق : محمد السيد أحمد عزوز، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

١٤- إعراب القرآن : للنحاس، تحقيق : د.زهير غازي زاهد، طبعة عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، الثانية ١٤٠٥هـ١٩٨٥م .

١٥- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : لابن خالويه، طعبة المكتبة الثقافية، بيروت .

١٦- الإقناع في القراءات السبع : لأبي جعفر ابن الباذش، تحقيق الدكتور : عبد المجيد قطامش، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الأولى ١٤٠٣هـ .

١٧- الاكتفاء في القراءات السبع : لأبي الطاهر بن خلف، تحقيق الدكتور : حاتم صالح الضامن، طعبة دار نينوى، بغداد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

١٨- ألفية ابن مالك : لمحمد بن عبد الله بن مالك، طبعة مكتبة الضياء بجدة .

١٩- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : لأبي البقاء العكبري، تحقيق : إبراهيم عطوه عوض، طبعة المكتبة العلمية، لاهور، باكستان.

٢٠- إنباه الرواة على أنباه النحاة : للقفطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة القاهرة، ١٩٧٣م .

٢١- الأنساب : للسمعاني، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي، طبعة : مركز الخدمات والابحاث الثقافية، بدار الجنان .
٢٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : للأنباري، طبعة دار الفكر –دمشق .
٢٣- إيجاز البيان عن معاني القرآن : لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق الدكتور : علي بن سليمان العبيد، طعبة مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
٢٤- الإيضاح شرح الزبيدي على متن الدرة : لعثمان بن عمر الزبيدي، تحقيق : عبد الرازق علي إبراهيم موسى، طبعة الجامعة الإسلامية، الأولى١٤١٠هـ١٩٩٠م .
٢٥- الإيضاح لمتن الدرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر : لعبد الفتاح القاضي، تصحيح وتعليق: د. عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، طبعة مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م .
٢٦- البحر المحيط : لأبي حيان، تحقيق : صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠هـ .
٢٧- البداية والنهاية : لابن كثير الدمشقي، تحقيق : علي شيري، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
٢٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : للفيروزآبادي، تحقيق : محمد علي البخاري، طبعة المكتبة العلمية، بيروت .
٢٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي، طبعة القاهرة، ١٣٢٩م .
٣٠- البلاغة : لأبي العباس المبرد، حققها وقدم لها وصنع فهارسها : الدكتور

رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٠م، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ .

٣١- البيان في غريب إعراب القرآن : لابن الأنباري، تحقيق : د.طه عبد الحميد طه، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٣٢- البيان والتعريف بما في القرآن من أحكام التصريف : للدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

٣٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : للذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٣٤- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت .

٣٥- التبصرة في القراءات السبع : لمكي بن أبي طالب، تحقيق : د.محمد غوث الندوي، طبعة الدار السلفية بالهند، الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٣٦- التجريد لبغية المريد في القراءات السبع : لابن الفحام، تحقيق : د.ضاري إبراهيم الدوري، طبعة دار عمار بعَمَّان، الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م .

٣٧- تحبير التيسير في القراءات العشر : لابن الجزري، تحقيق : الدكتور أحمد محمد مفلح القضاة، طبعة دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

٣٨- التخمير (شرح المفصل في صنعة الإعراب) : للقاسم بن الحسين الخوارزمي، تحقيق : د. عبد الرحمن العثيمين، طبعة دار الغرب الإسلامي، الأولى ١٩٩٠م .

٣٩- التذكرة في القراءات الثمان : لطاهر بن غلبون، تحقيق : أيمن رشدى

سويد، نشر جماعة تحفيظ القرآن الكريم بجدة، الأولى ١٤١٢هـ .
٤٠- تفسير اللباب : لابن عادل الحنبلى، طعبة دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٤١- تفسير غريب القرآن : لابن قتيبة، تحقيق : السيد أحمد صقر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
٤٢- تقريب النشر في القراءات العشر : لابن الجزري، تحقيق : إبراهيم عطوه عوض، طبعة دار الحديث بالقاهرة، الثانية ١٤١٢هـ١٩٩٢م .
٤٣- تلخيص العبارات بلطيف الإشارات القرءات السبع : لابن بليمة، تحقيق الشيخ حمزة حاكمى، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .
٤٤- التلخيص في القراءات الثمان : لأبي معشر الطبري، تحقيق : محمد حسن عقيل موسى، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة .
٤٥- التيسير في القراءات السبع : لأبي عمرو الداني، تصحيح : أوتوير تزل، طبعة كتبة الجعفي التبريزى بطهران، بدون تاريخ .
٤٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
٤٧- الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٤٨- جمال القراء وكمال الإقراء : لعلم الدين السخاوي، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، طبعة مكتبة التراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

٤٩- الجمع والتوجيه لما انفرد به يعقوب الحضرمي : لأبي الحسن شريح بن محمد الرعيني الإشبيلي، تحقيق : د. غانم قدوري الحمد، طبعة دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٥٠- جمهرة أنساب العرب : لابن حزم الأندلسي، تحقيق : عبد السلام هارون، طبعة القاهرة، ١٩٦٢م .

٥١- حجة القراءات : لابن زنجلة، تحقيق : سعيد الأفغاني، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الأولى ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م .

٥٢- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد : لأبي علي الفارسي، تحقيق : بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني، طبعة دار المأمون للتراث بدمشق وبيروت، الأولى ١٤٠٤هـ .

٥٣- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع : للشاطبي، ضبط ومراجعة : محمد تميم الزعبي، طبعة مكتبة دار المطبوعات الحديثة، الثانية ١٤١٠ هـ .

٥٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : لبعد القادر البغدادي، طبعة بولاق، ١٢٩٩م .

٥٥- الخصائص : لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٥٦- خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاث : لإبراهيم بن عمر الجعبري، تحقيق إبراهيم بن نجم الدين، طبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الأولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

٥٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : للسمين الحلبي، تحقيق : د.أحمد محمد الخراط طبعة دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ١٩٨٦م .

٥٨- دراسات في اللغة : للدكتور إبراهيم السامرائي، طبعة بغداد، ١٩٦١م .

٥٩- دراسات لأسلوب القرآن الكريم : لمحمد عبدالخالق عضيمة، طبعة دار الحديث بالقاهرة .

٦٠- الروضة في القراءات الإحدى عشرة : لأبي علي المالكي، تحقيق : الدكتور مصطفى عدنان محمد سلمان، طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الأولى ١٤٢٤هـ٢٠٠٤م .

٦١- السبعة في القراءات : لأبي بكر ابن مجاهد، تحقيق الدكتور : شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ .

٦٢- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي : لابن القاصح العذري، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

٦٣- سير أعلام النبلاء : لشمس الدين الذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت .

٦٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن عماد الحنبلي، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، طبعة دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ .

٦٥- شرح أبيات مغني اللبيب : لعبد القادر البغدادي، تحقيق : عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، طعبة دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨١م .

٦٦- شرح الدرة المضية في القراءات الثلاث المروية : لأبي القاسم النويري، تحقيق : عبد الرافع رضوان علي الشرقاوي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١١هـ .

٦٧- شرح الرضي الأستراباذي على الكافية لابن الحاجب، طبعة استانبول،

١٣١٠هـ .

٦٨- شرح الغاية في القراءات العشر وعللها : لعلي بن محمد القهندزي، مخطوط (نسخة دار الكتب المصرية برقم ٣٤٤) .

٦٩- شرح المفصل : لابن يعيش، طبعة عالم الكتب ببيروت، بدون تاريخ .

٧٠- شرح الهداية : للمهدوي، تحقيق : د.حازم سعيد حيدر، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

٧١- شرح ظاءات القرآن الكريم : لأبي الطاهر التجيبي، تحقيق : محمد سعيد المولوي، طبعة دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م .

٧٢- شرح قطر الندى وبل الصدى : لابن هشام، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : د. إميل بديع يعقوب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

٧٣- شواذ القراءات : للكرماني، تحقيق الدكتور : شمران العجلي، طعبة مؤسسة البلاغ، بيروت، الطعبة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

٧٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : للجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، طبعة مطابع دار الكتاب العربي بمصر .

٧٥- طبقات النحاة واللغويين : لابن قاضي شهبة، تحقيق : الدكتور محسن غياض، طبعة مطبعة النعمان، ١٩٧٤م .

٧٦- طبقات النحويين واللغويين : لأبي بكر الزبيدي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة القاهرة، ١٩٢٤م .

٧٧- العمدة في غريب القرآن : لمكي بن أبي طالب القيسي، شرح وتعليق : يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة

الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
٧٨- العنوان في القراءات السبع : لإسماعيل بن خلف الأنصاري، تحقيق : الدكتور زهير زاهد والدكتور خليل العطية، طبعة عالم الكتب ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
٧٩- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار : لأ بي العلاء الهمذاني العطار، تحقيق : د. أشرف محمد فؤاد طلعت، نشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
٨٠- غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولى الرواية والدراية : لابن الجزري، تحقيق : ج براجستراسر، طبعة دار الكتب العلمية، الثانية ١٤٠٢هـ .
٨١- الغاية في القراءات العشر : لابن مهران، تحقيق : محمد غياث الجنباز، طبعة دار الشواف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩٠م .
٨٢- غريب القرآن : لابن قتيبة، تحقيق : أحمد صقر، طبعة دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
٨٣- الغريب المصنف : لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
٨٤- غيث النفع في القراءات السبع : لعلي النوري الصفاقسي، تحقيق : سالم بن غرم الله الزهراني، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ١٤٢٦ه .
٨٥- الفرق بين الظاء والضاد : لأبي القاسم الزنجاني، تحقيق : محمد سعيد المولوي، طبعة دار الفكر المعاصر، بيرت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م .
٨٦- الفريد في إعراب القرآن المجيد : للمنتجب الهمذاني، تحقيق : د.فهمي حسن النمر ود.فؤاد علي مخيمر، طبعة دار الثقافة بالدوحة، الأولى ١٤١١هـ .

٨٧- فهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، طبعة سرقسطة، ١٨٩٣م .
٨٨- الفهرست : لابن النديم، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ه – ١٩٧٨م .
٨٩- الكافي في القراءات السبع : لابن شريح الرعيني الإشبيلي، تحقيق : سالم بن غرم الله الزاهراني، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ .
٩٠- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها : لأبي القاسم الهذلي، تحقيق : جمال بن السيد رفاعي الشايب، طبعة مؤسسة سما للنشر والتوزيع ، الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .
٩١- الكامل في اللغة والأدب : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٥ه ٢٠٠٤م .
٩٢- كتاب سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق : عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
٩٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : للزمخشرى، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٤٠٧هـ .
٩٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة، طبعة استانبول، ١٩٤٣م .
٩٥- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : لمكي بن أبي طالب، تحقيق : د.محيي الدين رمضان، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الرابعة ١٤٠٧هـ .
٩٦- الكفاية الكبرى في القراءات العشر : لأبي العز القلانسي ن تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن الشثري، رسالة ما جستير بجامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية بالرياض، ١٤١٤هـ .
٩٧- الكنز في القراءات العشر : للواسطي، تحقيق : هناء الحمصي، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .
٩٨- كنزل المعاني شرح حرز الأماني : لمحمد بن أحمد الموصلي الشهير بشعلة، طبعة المكبة الأزهرية للتراث، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
٩٩- لسان العرب : لابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ .
١٠٠- لسان الميزان : لابن حجر العسقلاني، طبعة حيدر آباد الدكن، الهند .
١٠١- مجاز القرآن : لأبي عبيدة، عارضه بأصوله وعلق عليه : محمد فؤاد سزكين، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
١٠٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
١٠٣- المختار في معاني قراءات أهل الأمصار : لأبي بكر بن إدريس، تحقيق د. عبد العزيز الجهني، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .
١٠٤- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : لابن خالويه، طعبة عالم الكتب، بيروت .
١٠٥- مراتب النحويين : لأبي الطيب اللغوي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة القاهرة، ١٩٠٠م .
١٠٦- المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها : للسيوطي، شرح وتعليق : محمد أحمد جاد وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار التراث، القاهرة .
١٠٧- مشكل إعراب القرآن : لمكي بن أبي طالب، تحقيق : د.حاتم صالح

الضامن، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م .
١٠٨- معاني القراءات : لأبي منصور الأزهري، تحقيق الدكتور : عيد مصطفى درويش والدكتور عوض بن حمد القوزي، طبعة دار المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م .
١٠٩- معاني القرآن : للأخفش الأوسط، تحقيق الدكتوره : هدى محمود قراعة، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الأولى ١٤١١هـ١٩٩٠م .
١١٠- معاني القرآن : للفراء، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي نجار وعبدالفتاح إسماعيل شلبي،طبعة دارالمصرية للتأليف والترجمة، مصر .
١١١- معاني القرآن وإعرابه : للزجاج، تحقيق : د.عبد الجليل عبده شلبي، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
١١٢- معجم الأدباء : لياقوت الحموي، تحقيق : أحمد فريد رفاعي، القاهرة ١٩٣٦م .
١١٣- معجم القراءات : للدكتور عبد اللطيف الخطيب، طبعة دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
١١٤- المعجم الوسيط : لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق : مجمع اللغة العربية، طبعة دار الدعوة .
١١٥- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم : للدكتور أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .
١١٦- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : للذهبي، تحقيق : طيار آلتي قولاج، طبعة مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
١١٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : لابن هشام، تحقيق : محمد محيي

الدين عبد الحميد، طبعة دار الباز بمكة المكرمة .
١١٨- مفاتيح الغيب : للرازي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
١١٩- المفتاح في اختلاف القراء السبعة المسمين بالمشهورين : لأبي القاسم القرطبي، تحقيق الدكتور : حاتم صالح الضامن، طعبة دار البشائر، دمشق، الطعبة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
١٢٠- المفردات السبع : لأبي عمرو الداني، تحقيق : علي محمد توفيق النحاس، طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
١٢١- مفردات القرآن : للراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داودي، طعبة دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
١٢٢- مقدمة ابن خلدون : حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : عبد الله محمد الدرويش، طبعة دار البلخي، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
١٢٣- المقنع في رسم مصاحف الأمصار : لأبي عمرو الداني، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية .
١٢٤- المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر : للنشار، تحقيق : أحمد بن عبد الله الفريح، رسالة ماجستير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٠هـ ١٤٢١هـ .
١٢٥- الممتع في التصريف : لابن عصفور، تحيق الدكتور فخر الدين قباوة، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
١٢٦- المنقوص والممدود : للفراء، تحقيق : عبد العزيز الميمني الركواتجي،

طبعة دار المعارف، القاهرة .
١٢٧- الموجز في أداء القراء السبعة : لأبي علي الأهـوازي، تحقيق : عبد العظيم محمود عمران، طبعة مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .
١٢٨- الموضح في وجوه القراءات وعللها : لابن أبي مريم، تحقيق : عمر حمدان الكبيسي، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الأولى ١٤١٤هـ١٩٩٣م .
١٢٩- نزهة الألباء في طبقات الأدباء : لابن الأنباري، تحقيق : الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٥٩م .
١٣٠- النشر في القراءات العشر : لابن الجـزري، تصحيح : علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة .
١٣١- النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير، طبعة القاهرة، ١٣٢٢ه .
١٣٢- الهادي في القراءات السبع : لابن سفيان القيرواني، تحقيق : حنان عبد الحميد الدوبي، رسالة ماجستير بكلية التربية للبنات بمكة المكرمة ١٤١٩هـ .
١٣٣- الوفيات : لابن الخطيب، تحقيق : عـادل نويهض، طبعة دار الإقامة الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م .
١٣٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان، تحقيق : إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت .

عَلَاقَةُ الْقِرَاءَاتِ وَتَوْجِيهِهَا بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

بحث مقدّم للمؤتمر الدولي الرابع للغة العربية
الذي ينظمه المجلس الدولي للغة العربية بالتعاون مع منظمة اليونسكو ومكتب التربيةالعربي لدول الخليج والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الجامعات العربية
خلال المدة من ١٧ إلى ٢١ رجب ١٤٣٦هـ ، الموافق من ٦ إلى ١٠ مايو ٢٠١٥م في دبي

إعداد

أ . د . سالم بن غرم الله الزهراني

الأستاذ بقسم القراءات بجامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تعالى قد أنزل كتابه العظيم بلسان عربي مبين، كما قال تعالى ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين () نزل به الروح الأمين () على قلبك لتكون من المنذرين () بلسان عربي مبين﴾[الشعراء].

وإن القراءات القرآنية لصيقة بكتاب الله تعالى، حيث تتناول كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم بوجوهها المختلفة، التي نقلت بالنقل الثابت المتواتر عن رسول الله ﷺ.

ولما كانت القراءات ثابتة نقلاً، كان لا بد من اعتمادها كمصدر أساس من مصادر اللغة العربية، بل هي من أوثق مصادر اللغة العربية، وقد اعتنى العلماء بتوجيه القراءات والتعليل والاحتجاج لها، وفي ذلك صلة وثيقة بين القراءات واللغة العربية، وفيه إثراء لها، وهذا ما أرغب تناوله وإيضاحه في بحث أعنون له بـ (علاقة القراءات وتوجيهها باللغة العربية).

خطة البحث:

يتكون البحث من الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: تعريف القراءات والتوجيه لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: حجية القراءات في اللغة العربية.

المبحث الثالث: نماذج من القراءات وتوجيهها وعلاقتها باللغة العربية.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

هذا وأسأل الله أن يجعل هذا العمل سديداً، وأسأله سبحانه أن يوفقنا جميعاً لخدمة كتابه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول:
تعريف القراءات والتوجيه لغة واصطلاحاً

تعريف القراءات:

أما في اللغة: فهي جمع قراءة، وهي مصدر قرأ، يقال: قرأ يقرأ قراءة، وقرآناً بمعنى تلا، فهو قارئ[١].

والقراءة: الجمع والضم، يقال: ما قرأت الناقة جنيناً، أي: لم تضم رحمها على ولد[٢] ويقال: قرأت الشيء قرآناً، أي: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وكل شيء جمعته فقد قرأته[٣].

وأما في الاصطلاح: فقد تعددت تعريفات العلماء لها وتنوعت:

فعرَّفها الإمام الزركشي (ت٧٩٤هـ) بقوله: " القراءات اختلاف ألفاظ الوحي في كتابة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل، وغيرها "[٤].

فيفهم من تعريفه أنه يخص القراءات بما اختلف في قراءته من ألفاظ القرآن الكريم، بينما نجد غيره من العلماء من يوسعون معنى القراءات، وما تدخل فيه، ومنهم الإمام ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) حيث يقول في تعريفها: " علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها بعزو الناقلة، خرج النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك "[٥].

وبسط تعريفها البنا الدمياطي (ت١١١٧هـ) فقال: " علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين،

---

(١) ( ) جمهرة اللغة ٢ / ١١٠٢ والصحاح ٢ / ٧٤ ولسان العرب ١ / ١٢٨.

(٢) ( ) الصحاح ٢ / ٧٤.

(٣) ( ) لسان العرب ١ / ١٢٨.

(٤) ( ) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣١٨، وتبعه عليه شهاب الدين القسطلاني في لطائف الإشارات ١ / ١٧٢.

(٥) ( ) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص٩.

والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره "[1].

وعرفها الشيخ الزرقاني (ت١٣٦٧هـ) بقوله: " مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحرف، أم في نطق هيئاتها "[2].

صلة القراءات بالقرآن الكريم:

اختلف العلماء في ذلك، فذهب بعض المتأخرين منهم إلى أن بينهما تغايراً كلياً، أي هما شيئان مختلفان.

قال الزركشي: " اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما "[3].

وذهب آخرون إلى أنهما حقيقتان بمعنى واحد، وذلك لأن القرآن مصدر مرادف للقراءة، والقراءات جمع قراءة، إذاً فهما حقيقتان بمعنى واحد، كما أن أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف تدل دلالة واضحة على أنه لا فرق بينهما، إذ كل منهما وحي منزل[4].

والذي يظهر والله أعلم أن في المسألة تفصيلاً، وذلك لأن القراءات قسمان: مقبولة ومردودة، فأما المقبولة، فهي التي تتوفر فيها الشروط الثلاثة المتفق عليها لقبولها، وهي: أن تكون القراءة متواترة، وأن توافق وجهاً من وجوه اللغة العربية، وأن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

---

(١) () إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ١ / ٦٧.

(٢) () مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٤١٢، وينظر الإتقان للسيوطي ٢ / ٥٢٣.

(٣) () البرهان ١ / ٣١٨ وتبعه في ذلك العلامة القسطلاني في لطائف الإشارات ١ / ١٧١ والبنا الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر ١ / ٦٨.

(٤) () ينظر (في رحاب القرآن) ١ / ٢٠٩، وذهب آخرون إلى أنهما ليسا متغايرين تغايراً كلياً، كما أنهما ليسا متحدين اتحاداً كلياً، بل بينهما ارتباط وثيق كارتباط الجزء بالكل، ينظر القراءات أحكامها ومصدرها ص٢٣.

وهذا القسم هو الذي قال فيه العلماء يجب على كل مسلم اعتقاد قرآنيته، ويقرأ به تعبداً في الصلوات وخارجها، ويكفر من جحد حرفاً منه.

وهذا بعينه هو ما يقال في القرآن، وهل يقرأ القرآن إلا برواية من روايات القراءات المتواترة ؟ كما نقرأ نحن اليوم برواية حفص عن عاصم، ويقرأ أهل تونس وليبيا برواية قالون عن نافع ، ويقرأ أهل الجزائر وبعض البلاد الأفريقية الأخرى برواية ورش عن نافع ، ويقرأ أهل تشاد وما جاورها برواية الدوري عن أبي عمرو[1] كما هو حال رواية الإمام حفص اليوم، حيث يقرأ بها في أكثر بلاد العالم الإسلامي.

وعلى هذا فالقرآن هو عين القراءات المتواترة، فهما حقيقتان بمعنى واحد، أي بينهما اتحاد كلي.

وأما المردودة، فهي التي اختل فيها أحد الشروط الثلاثة لقبولها، أو كلها، وهي التي يطلق عليها الشاذة، وقد قال العلماء فيها لا يجوز اعتقاد قرآنيتها، ولا تجوز القراءة بها تعبداً، ويجب تعزير من أصر على قراءتها تعبداً وإقراءً.

وعلى هذا فالقراءات هي غير القرآن، وبينهما تغاير كلي، لأن الشاذة حتى لو ثبتت قراءة منها بسند صحيح لا تعتقد قرآنيتها، بل تعتبر من أخبار الآحاد، والخبر الواحد من أقسام الحديث، والحديث غير القرآن[2].

(١) () ينظر النشر ١ / ٤١.

(٢) () ينظر القول الجاذ ص٧٣-٨٨ والقراءات الشاذة والأدلة على حرمة القراءة بها ص١٥ وما بعدها، وصفحات في علوم القراءات ص١٧-٢٠.

تعريف التوجيه وبيان مصطلحاته:

التوجيه في اللغة: مصدر: وَجَّهَ يُوَجِّهُ، وفي الذكر ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾[النحل٧٦].

وأصول الكلمة: الواو والجيم والهاء، قال ابن فارس: " الواو والجيم والهاء، أصل واحد، يدل على مقابلة الشيء، والوجه: مستقبل لكل شيء.. ووجهت الشيء: جعلته على جهة "[١].

وحقيقة التوجيه – في العلوم – هي: أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام ما – من قرآن أو حديث أو أثر أو شعر أو غير ذلك – يقف الشارح عند ذلك الكلام الذي قد يفهم على غير الوجه الصحيح، أو لا يفهم أصلاً، أو يفهم مع انقداح في النفس يوجب استغرابه ؛ يقف عند ذلك الشارح وييسر تلك الصعوبة ويحل كل غموض.

وبما أن عقول الناس ومداركهم ليست في مرتبة واحدة ؛ لذلك يختلف التوجيه للمبتدئين عن التوجيه للمنتهين، وكثير مما يصعب ويدق إدراكه يشعر به العالم المدرك ويحتاج إلى حله وتوجيهه... والمبتدئ يكون في غفلة عنه غير حاس به ولا مدرك، بل لا يستطيع أن يدركه حق الإدراك ولا أن يحيط به، وهناك كثير من الكلام يراه المبتدئ عسراً، ولا ينقدح ذلك العسر في ذهن المنتهي أصلاً[٢].

وأما في الاصطلاح: فعرفه طاش كبري زاده بقوله: "علم باحث عن لـمّية القراءات، كما أن علم القراءة باحث عن أنّيّتها"[٣].

(١) () معجم مقاييس اللغة ٦ / ٨٨-٨٩.

(٢) () ينظر الفوز الكبير لولي الله الدهلوي ١١٤-١١٥.

(٣) () مفتاح السعادة ٣ / ٣٣٥-٣٣٦.

ثم قال بعد ذلك: " فالأول دراية، والثاني رواية، ولما كانت الرواية أصلاً في العلوم الشرعية جعل الأول فرعاً، والثاني أصلاً، ولم يعكس الأمر... وموضوع هذا العلم وغايته ظاهرة للمتأمل المتيقظ "[1].

والأولى في التعريف أن يقال:

علم يبحث فيه عن معاني القراءات والكشف عن وجوهها في العربية، أو الذهاب بالقراءة إلى الجهة التي يتبين فيها وجهها ومعناها.

وهذا التعريف منطلق من المعنى اللغوي للفظ التوجيه الذي تقدم، والله أعلم.

أو: " علم يقصد منه تبيين وجوه وعلل القراءات والإيضاح عنها والانتصار لها "[2].

وهذه الوجوه والعلل متنوعة، فتارة تكون وجهاً نحوياً، أو صرفياً يتعلق بوزن الكلمة أو اشتقاقها، أو لغوياً يبرز فيه علم الأصوات، وتظهر في تعليلاته لغات (لهجات) العرب، وأمثالهم، وأقوالهم، وأشعارهم، معالم واضحة، أو معنوياً تتوقف معرفته على سبب النزول، أو معرفة التفسير وغريبا الألفاظ القرآنية، أو نقلياً تارة يعتمد على قراءات متواترة أو شاذة أو تفسيرية، وتارة يعتمد على أحاديث، أو على رسم المصحف.

أما الانتصار للقراءات فلم يكن عند المؤلفين في الاحتجاج - وبخاصة المتقدمون منهم - مبيناً على أساس صحة القراءة وتواترها، لأنا نجد أن منهم من ألف في تعليل الشواذ، كما نجد كثيراً منهم قد حكم قواعد اللغة، ولغات العرب، واستقراء النحاة الناقص في قراءات القرآن.

(١) () مفتاح السعادة ٣ / ٣٣٥-٣٣٦، وموضوع هذا العلم: الكلمات القرآنية المختلف في قراءتها، وغايته: معرفة معاني القراءات ودلالاتها وثبوتها.
(٢) () شرح الهداية ١ / ١٨.

مصطلحات التوجيه:

من خلال تتبع مصنفات العلماء في هذا العلم وأسمائها يتضح أن لفظ التوجيه بهذا المعنى في القراءات خاصة لم يكن مستعملاً عند المتقدمين، ولم يكونوا يطلقونه على تواليفهم حتى أوائل القرن السادس[1].

حيث صنف أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني المتوفى سنة ٥٣٩هـ، كتابه المسمى (الجمع والتوجيه لما انفرد به الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي).

ثم جاء من بعده أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذاني، المتوفى سنة ٥٦٩هـ وصنف كتاباً في (اختيار ابن السميفع وبسط توجيه قراءته على نافع).

ثم غلب هذا اللفظ على سائر الألفاظ في هذا العصر فلم يستعمل غيره إلا قليلاً، وأصبحت الغلبة فيه على غيره من جهتين:

الأولى: في كونه لقباً لهذا الفن دون سائر الأسماء والإطلاقات الأخرى التي كان العلماء يستعملونها في تآليفهم.

الثانية: في كونه إذا أطلق انصرف إلى توجيه القراءات، ولم ينصرف على غيره.

وأول استعمال لتلك الإطلاقات هو استعمال "وجوه" حيث صنف: هارون بن موسى الأعور المتوفى سنة ١٧٠هـ تقريباً كتابه في "وجوه القراءات".

ثم أتى أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ، فصنف كتابه "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها".

---

(١) () واستعمل في غير هذا الباب، ومن ذلك: "كتاب توجيه أحاديث الموطأ" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبشون، المتوفى سنة ٣٤١هـ، وذكره ابن الفرضي في "تاريخ الأندلس" ٢ / ٦١، والبرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، للشيخ برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكماني، المقرئ، الشافعي (المعروف بتاج القراء) (ت٥٠٠هـ)، ذكره في كشف الظنون ١ / ٢٤١.

ومن أشهر المصنفات في ذلك كتاب أبي محمد مكي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٣٧هـ " الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ".

ثم استعمل من بعد ذلك استعمالات أخرى غير التوجيه، منها:

(تعليل القراءات)[١]

و(معاني القراءات)[٢]

و(الحجة)

و(الاحتجاج للقراءات)[٣]

و(تعليل القراءات)[٤]

و(تخريج القراءات)[٥]

و(إعراب القراءات)[٦].

(١) ( ) ككتاب " قراءة ابن عامر بالعلل " لهارون بن موسى الأخفش الدمشقي (ت٢٩٢هـ).

(٢) ( ) ككتاب " المعاني في القراءات " لأبي محمد بن درستويه (ت ٣٤٧هـ).

(٣) ( ) ككتاب "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي، و"الحجة في القراءات السبع " لابن خالويه، و"حجة القراءات" لابن زنجلة.

(٤) ( ) من ذلك: كتاب " تعليل القراءات العشر" لمحمد بن سليمان، المعروف بـ"ابن أخت غانم " (ت ٥٢٥هـ).

(٥) ( ) انفرد بذلك – فيما أعلم – الدكتور محمد سالم محيسن، إذ سمى كتابه: " المستنير في تخريج القراءات المتواترة ".

(٦) ( ) مثل تسمية أبي الطاهر إسماعيل بن خلف كتاباً له بهذا الاسم، ينظر معجم الأدباء ٦ / ١٦٦.

المبحث الثاني:

حجية القراءات في اللغة العربية

القراءات القرآنية ربانية المصدر، لأن القرآن كلام الله جل وعلا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أنزله سبحانه بلسان عربي مبين، والقرآن إنما يُقرأ بإحدى الروايات من القراءات المتواترة، التي اشتملت على أركان القراءة المقبولة، ومنها موافقة العربية ولو بوجه.

وقد بين الإمام ابن الجزري المراد بهذه الموافقة، حيث قال: " وقولنا في الضابط (ولو بوجه) نريد به وجهاً من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية، فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها... "[1].

فالقراءات المتواترة إنما جاءت عن طريق الوحي، وقد قرأ بها النبي ﷺ، وتلقاها عنه أصحابه وأقرؤوا بها الناس، وبذلك فإن سائر القراءات المتواترة توقيفية لا مجال فيها لأدنى اجتهاد.

وكل وجه قرأ به النبي ﷺ وأقرأ به أصحابه وحي معصوم، له ما لغيره من منزلة في الحجة والدلالة وجواز التعبد به، وفي ذلك شاعت القاعدة المشهورة لعلماء القراءة: تعدد القراءات يُنَزَّل منزلة تعدد الآيات[2].

فالقراءات المتواترة حجة قاطعة في اللغة العربية، قال الحافظ أبو عمرو الداني

---

(١) () النشر ١ / ١٠.

(٢) () ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣ / ٣٩١ والنشر١ / ٥١ والإتقان ١ / ٨٢ ومناهل العرفان ١ / ١٤٢.

- بعد ذكر إسكان ﴿بارئكم﴾ و﴿يأمركم﴾ لأبي عمرو وحكاية إنكار سيبويه له -: " والإسكان أصح في النقل، وأكثر في الأداء، وهو الذي أختاره وآخذ به " ثم لما ذكر نصوص رواته قال: " وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها "[1].

وليس الأمر قاصراً على القراءات المتواترة بل إن القراءات الشاذة أيضاً تعد في العربية أقوى دليلاً من سائر الأدلة التي يستدل بها على صحة اللغة أو سلامة القاعدة النحوية، وقد نقل عن غير واحد من العلماء تعجبه ممن يحتكم إلى شطر بيت لأعرابي مجهول، لا يحفظ عنه إسناداً، ثم يرتاب في الأخذ بقراءة متواترة، أطبق عليها أهل الأداء، وقدموا بين أيديهم إسنادها ورجالها، وهم أهل الفصاحة والبيان[2].

وقد اشتد ابن حزم في إنكار مذهب من لم ير الاحتجاج بالقراءات بقوله: " ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو لجرير أو الحطيئة أو الطرمَّاح، أو للشماخ أو لأعرابي أسدي أو سلمي أو تميمي أو من سائر أبناء العرب بوّال على عقبيه لفظاً من شعر أو نثر جعله في اللغة، وقطع به، ولم يعترض فيه، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه، ويحرفه عن مواضعه، ويتحيل في حالته عما أوقعه الله عليه، وإذا وجد لرسول الله ﷺ كلاماً فعل به مثل ذلك "[3].

وقال الرازي في تفسيره: " إذا جوَّزنا إثبات اللغة بشعر مجهول منقول عن

(١) () جامع البيان ١ / ٥١، ونقله ابن الجزري في النشر ١ / ٢٠.
(٢) () ينظر القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني ١ / ٤٦٦.
(٣) () الفصل ٣ / ٢٣١.

قائل مجهول فلأن يجوز إثباتها بالقرآن العظيم كان ذلك أولى... وكثيراً أرى النحويين يتحيرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلاً على صحته كان أولى "[1].

فعلم القراءات وثيق الصلة باللغة العربية وعلومها، لذلك نجد أنّ كثيراً من أئمة القرّاء هم أئمة اللغة والنحو أيضاً ؛ كما أن كثيراً من النحاة قد اشتغلوا بالقراءات، وتصدّروا للإقراء، فكان الواحد منهم يجمع إلى علمه بعلل القراءات بصره بمسائل النحو[2].

ومن أئمة اللغة الذين جمعوا إلى جانب طول باعهم في اللغة والنحو العناية بالقراءات – على سبيل التمثيل – من البصريين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه إمام النحاة الذي أخذ القراءة عن أبي عمروبن العلاء أحد القرّاء السبعة المشهورين، ومن الكوفيين: إمامهم الكسائي أحد القرّاء السبعة المشهورين.

وقد بلغ من احترام ثعلب واعتداده بالقراءات أن لا يرجّح قراءة سبعية على أخرى، ولا يفضل فيها إعراباً على إعراب، فإذا خرج إلى كلام الناس فضّل الأقوى[3].

فكل قراءة بذاتها دليل على قواعد اللغة العربية وعلومها، لغة وإعراباً ونحواً وصرفاً، وقد نادى بعض المتخصصين في اللغة العربية بأن تبنى قواعد اللغة العربية وفق دلالة القراءات القرآنية، بل نادى بتعديل قواعد اللغة العربية متى

(١) () مفاتيح الغيب ٩ / ٤٥.
(٢) () ينظر نحو القرّاء الكوفيين ص٦.
(٣) () ينظر البحر المحيط ٤ / ٨٧.

ما تعارضت مع دلالة القراءات القرآنية، بحيث تكون القراءات أصلاً للقاعدة العربية، وليس العكس[1].

قال القرطبي: " وقال القشيري: وقال قوم هذا قبيح، وهذا محال، لأنه إذا ثبتت القراءة بالتواتر عن النبي ﷺ فهو الفصيح لا القبيح "[2].

قال ابن المنير: " وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربة، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة "[3].

وقال محمد رشيد رضا: " والقرآن فوق النحو والفقه والمذاهب كلها، فهو أصل الأصول، فما وافقه فهو مقبول، وما خالفه فهو مرذول "[4].

وقال ابن خالويه: " قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلاف في ذلك "[5].

وقال السيوطي: " أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً "[6].

وقال محمد رشيد رضا: " والقرآن فوق النحو والفقه والمذاهب كلها، فهو أصل الأصول، فما وافقه فهو مقبول، وما خالفه فهو مرذول "[7].

فما دام القرآن قد أنزل على سبعة أحرف فنحن ندرسها جميعا في كل قراءة تواترت محتوية على حرف منها، وعمادنا في هذا الأصح في النقل وليس الأقيس في العربية، لأننا نجعل القرآن حكماً على قواعد اللغة والنحو، ولا نجعل

(١) () وهو الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه (نظرية النحو القرآني) وتقوم فكرة الكتاب كاملاً على هذا الأمر، وينظر أمثلة من نصوصه في ذلك ص٢٩، ومن ص٧٤-١٣٩، على أنه لم يوافق في كل ما أورده في كتابه، وخصوصاً تحميله النحويين ما لا يحتملون، وتصويره موقفهم من القراء بأنه معركة بين من يدافعون عن القرآن ويقدسونه، وبين من يطعنون فيه وفي قراءاته، وقد رد عليه بعض المتخصصين، كالدكتور محمد حسن عواد في بحث له بعنوان: قراءة في كتاب (نظرية النحو القرآني) للدكتور أحمد مكي الأنصاري، وهو منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السابع، العدد (١ / أ) ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

(٢) () الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٩٣.

(٣) () ينظر حاشية ابن المنير على الكشاف ٢ / ٦٩.

(٤) () تفسير المنار ٧ / ١٨٧.

(٥) () المزهر ١ / ٢١٣.

(٦) () الاقتراح ص٥١.

(٧) () تفسير المنار ٧ / ١٨٧.

تلك القواعد حكماً على القرآن، فما استمد النحاة قواعدهم إلا من القرآن بالدرجة الأولى[1].

فالقرآن الكريم هو الحجة البالغة، وهو أوثق مصدر في الوجود، ولهذا كان لزاماً على النحويين واللغويين وعلى العالم أجمع، أن يعدلوا قواعدهم، وينسقوها مع منهج القرآن الكريم... ويجب أن يكون القرآن هو المصدر الأول في كل تقعيد وتقنين، سواء كانت هذه القوانين علمية، أم دينية، أم اجتماعية بوجه عام، فالقرآن دستورنا الخالد، وهو صالح لكل زمان ومكان ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[الأنعام ٣٨] ومعلوم أن القوانين الوضعية من صنع البشر، وأن القرآن الكريم من كلام الله عز وجل، وفرق كبير بين كلام الخالق وكلام المخلوق[2].

ولأهمية القراءات والاحتجاج بها في النحو العربي نجد أن الشواهد القرآنية والقراءات كانت في المرتبة الأولى بين مصادر الاحتجاج في كتب النحو العربي[3].

كما أن للقراءات القرآنية أثراً واضحاً في حفظ اللهجات العربية، كما قرر ذلك عدد من العلماء، قال صبحي الصالح عند ذكره لوجوه التغاير في القراءات: " السابع: اختلاف اللهجات في الفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والهمز والتسهيل، وكسر حروف المضارعة، وقلب بعض الحروف وإشباع ميم الذكور، وإشمام بعض الحركات... والحق أن هذا الوجه الأخير أهم الأوجه السبعة ؛ لأنه يبرز الحكمة الكبرى من إنزال القرآن على سبعة أحرف، ففيه تخفيف وتيسير على هذه الأمة التي تعددت قبائلها فاختلفت بذلك لهجاتها،

(١) () ينظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص٢٥٨.

(٢) () ينظر نظرية النحو القرآني ص١٠.

(٣) () وقد كتب الدكتور محمود نجيب بحثاً بعنوان: (الاحتجاج بالقراءات في شروح ألفية ابن مالك) وبين فيه مواقف شراح الألفية من الاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءاته المتعددة، وأوضح مناهجهم في ذلك، وقدّم الشواهد الكافية على أن الشواهد القرآنية كانت في المرتبة الأولى بين مصادر الاحتجاج. ينظر بحثه في مجلة التراث العربي، العدد ٨١-٨٢ رجب وذو الحجة ١٤٢٢ه أكتوبر ومارس ٢٠٠١م، السنة الحادية والعشرون.

وتباين أداؤها لبعض الألفاظ، فكان لا بد أن تراعي لهجاتها، وطريقة نطقها، أما لغاتها نفسها فلا موجب لمراعاتها ؛ لأن القرآن اصطفى ما شاء بعد أن صهره في لغة قريش التي تمثلت فيها لغات العرب قاطبة، لا لغات قبائل معينة ينتصر لها بعض العلماء بتعسف لا يؤيده دليل عقلي ولا نقلي.

ذلك بأن العرب حين استصفوا لهجة قريش وجعلوها لغتهم الأدبية المشتركة أثروا فيها مثلما تأثروا بها، فصدق على لهجة قريش ما يصدق على اللغات جميعاً من قوانين التأثر والتأثير، وهي قوانين لا تكاد تتخلف إذا درسنا اللغة على أنها ظاهرة إنسانية.

لكن القرشية - باعتراف من جميع القبائل وبطواعية واختيار من مختلف لهجاتها - كانت أغزرها مادة، وأرقها أسلوبا، وأغناها ثروة، وأقدرها على التعبير الجميل الدقيق الأنيق في أفانين القول المختلفة ، فاصطنعت وحدها في الكتابة والتأليف والشعر والخطابة، حتى كان الشاعر من غير قريش يتحاشى خصائص لهجته ويتجنب صفاتها الخاصة في بناء الكلمة وتركيب الجملة والنطق بالأحرف، ليتحدث إلى الناس بلغة ألفوها، وتواضعوا عليها بعد أن أسهمت عوامل كثيرة في صقلها وتهذيبها.

لقد صادف الإسلام إذن حين ظهوره لغة مثالية مصطفاة جديرة أن تكون أداة التعبير عند خاصة العرب لا عامتهم، فزاد من شمول تلك الوحدة وقوى من أثرها بنزول قرآنه بلسان عربي مبين هو ذلك اللسان المثالي المصطفى.

بيد أن هذه الوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره، وقواها قرآنه بعد نزوله، لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات قبل الإسلام وبقاءها بعده، بل من المؤكد أن عامة العرب لم يكونوا إذا عادوا إلى أقاليمهم يتحدثون بتلك اللغة المثالية الموحدة، وإنما يعبرون بلهجاتهم الخاصة، وتظهر على تعابيرهم صفات

لهجاتهم، وخصائص ألحانهم.

قال ابنُ هشام في شرح الشواهد: " كانت العربُ ينشد بعضهم شعرَ بعض، وكلٌّ يتكلم على مقتضى سجيّته التي فُطر عليها، ومن هاهنا كثرت الرواياتُ في بعض الأبيات "[1].

وبإزاء هذه الظاهرة التي لا يمكن دفعها، اكتفى القرآن بتحدي خاصة العرب وبلغائهم أن يأتوا بمثله أو بآية من مثله تثبيتاً للوحدة اللغوية، بينما لجأ إلى التوسعة في القراءات، ومراعاة اللهجات، في أحرفه القرآنية السبعة التي خفف بها على العامة، ولم يكلفهم النطق بغير اللهجة التي تجري بها ألسنتهم في يسر وسهولة"[2].

ولما كانت القراءات ربانية المصدر فقد اشتغل العلماء بتوجيهها، وتعددت بواعثهم لتوجيه القراءات، فكان منها: توضيح أركان القراءة الصحيحة، والدفاع عن القرآن الكريم وقراءاته مما يثيره الملحدون في آيات الله من شبهات، واقتفاء ما سلكه مسبع السبعة الإمام ابن مجاهد وإتمام عمله، حيث وجَّه سورة الفاتحة ولم يكمل توجيه غيرها، فتتابعت مؤلفات العلماء في التوجيه إتماماً لعمله، فأتم أبو بكر بن السرَّاج (ت٣١٦ه) توجيه الفاتحة وأجزاء من سورة البقرة، ثم توقف، ووجه أبو علي الفارسي (ت٣٧٧ه) جميع القراءات الواردة في كتاب السبعة لابن مجاهد، في كتابه (الحجة) ووجه ابن جني القراءات الشاذة التي حكم عليها ابن مجاهد في كتابه (السبعة) بالشذوذ، وذلك في كتابه (المحتسب).

وظهور القراءات ظهوراً بيِّناً في مجال الدراسة النحوية ومواكبة النحاة لركبها تأييداً أو معارضة، مما أدى إلى ظهور كتب نحوية مستقلة تدور حول القراءات

(١) () نقله السيوطي في المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١ / ٢٠٦.

(٢) () دراسات في فقه اللغة ٥٠.

وحدها معلّلة موجّهة مؤيّدة موضّحة.

واحتجاج سيبويه للقراءات في كتابه، واقتفاء النحاة له في ذلك، وما دار بين النحاة الأولين من التوجيه الإعرابي، واحتفاؤهم بالقرآن الكريم ونصوصه وإعمالهم أقلامهم فيه[1].

ولا ريب أن الصلة وثيقة بين توجيه القراءات وبين اللغة العربية لكون التوجيه قائماً بالدرجة الأولى على اللغة نحواً وصرفاً وإعراباً.

وفي توجيه القراءات إثراء للغة العربية، وهو من أقوى روافدها، ولتأثيره فيها مظاهر عديدة، من أبرزها دلالة القراءات بوجوهها المتعددة على وجوه وأساليب عربية صحيحة.

ومنها: تقرير العلماء لكثير من مسائل اللغة بمناقشتها والدفاع عنها عند توجيه القراءات.

ومنها: كثرة المؤلفات في التوجيه التي تقوم أكثر مادتها على التوجيه اللغوي والنحوي والصرفي[2]، وذلك يستلزم كثرة تناول مؤلفيها لقضيا اللغة والنحو الصرف التي هي عمدة المؤلفين في توجيه القراءات.

ومنها: بيان الوجوه اللغوية الأقوى مقارنة بغيرها من الوجوه الصحيحة، لأن لغة العرب وأساليبها تتفاوت في القوة والانتشار في الاستعمال، وبتوجيه القراءات يتبين كثير من أمثلة ذلك، حيث يعمد علماء التوجيه وكثير منهم من أئمة اللغة كما سبق إلى بيان الأقوى من تلك الوجوه.

ومنها: اشتمال كتب توجيه القراءات على كثير من الشواهد من لغة العرب ومن الأبيات الشعرية على وجه الخصوص، وبيان وجه دلالتها على القواعد التي سيقت من أجل الاستدلال بها عليها.

---

(١) () ينظر شرح الهداية ١ / ٢٢-٢٤.

(٢) () ينظر إحصاء الدكتور حازم سعيد حيدر لمؤلفات العلماء في توجيه القراءات، في مقدمة تحقيقه لكتاب (شرح الهداية) للمهدوي ١ / ٢٨-٣٨، حيث بلغت مؤلفات التوجيه في إحصائه (٧٠) كتاباً.

المبحث الثالث:

نماذج من القراءات وتوجيهها وعلاقتها باللغة العربية

عند استعراض القراءات القرآنية، وتوجيه العلماء لها، نجد العلاقة وثيقة بينها وبين اللغة العربية، ونلمس بوضوح تأثيرها في اللغة العربية، وسأورد فيما يلي عدداً من الأمثلة على ذلك:

١ – قوله تعالى ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾[النساء١]:

قرأ الجمهور ﴿والأرحامَ﴾ بالنصب، وقرأ حمزة ﴿والأرحامِ﴾ بالخفض.

فوجه النصب في ﴿والأرحام﴾ أنه معطوف على لفظ الجلالة، والمعنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، أو أنه معطوف على محل الجار والمجرور ﴿به﴾ وقيل منصوب على الإغراء بمعنى: صلوا الأرحام لا تقطعوها.

وأما الخفض فهو بالعطف على الضمير في ﴿به﴾ وهو صحيح لغة مسموع نظماً ونثراً ومنه قوله تعالى ﴿وكفر به والمسجد الحرام﴾[البقرة ٢١٧] وقوله تعالى ﴿قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم﴾[النساء ١٢٧] وقوله تعالى ﴿لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾[الحجر٢٠] وسُمع من كلام العرب نثراً "ما فيها غيره وفرسه" بجر فرسه، ونظماً قول العباس بن مرداس:

أكر على الكتيبة لا أبالي ××× أفيها كان حتفي أم سواها

وقول مسكين الدارمي:

تعلق في مثل السواري سيوفنا ××× وما بيننا والأرض غوط نفانف

وقول الشاعر:

هلا سألت بذي الجماجم عنهم ××× وأبي نعيم ذي اللواء المحرق

وقول الآخر:

لو كان لي وزهير ثالث وردت ××× من الحمام عدانا شر موروود

وقول الآخر:

إذا أوقدوا ناراً لحرب عدوهم ××× فقد خاب من يصلى بها وسعيرها

وقول الآخر:

فاليو م قربت تهجونا وتشتمنا ××× فاذهب فمابك والأيام من عجب

وقيل الواو للقسم فهو مخفوض بالقسم، ولله أن يقسم بما شاء، وقيل هو مخفوض بباء محذوفة، فلا عطف وأظهر الوجوه وأصحها العطف على الضمير، لورود القرآن به، ولأنه مسموع من كلام العرب نظماً ونثراً.

فلا التفات إلى من ضعف هذه القراءة أو طعن فيها أو أنكرها، بل القراءة حجة للقاعدة النحوية تبنى القواعد عليها، فالواجب أن تصحح قواعد النحاة وفق آيات القرآن وقراءاته وقد أجاد بن مالك رحمه الله حيث قال[1]:

وعود خافض لدى عطف على ××× ضمير خفض لازماً قد جعلا

وليس عندي لازماً إذ قد أتى ××× في النظم والنثر الصحيح مثبتاً

٢- قوله تعالى ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾[الأنعام ٣٧].

قرأ الجمهور ﴿زَيَّن﴾ بالبناء للفاعل ﴿قتلَ﴾ بالنصب ﴿أولادِهم﴾ بالخفض ﴿شركاؤُهم﴾ بالرفع ، وقرأ ابن عامر ﴿زُيِّن﴾ بالبناء للمفعول ﴿قتلُ﴾ بالرفع ﴿أولادَهم﴾ بالنصب ﴿شركائِهم﴾ بالخفض. وقراءة الجمهور ظاهرة، فـ﴿زَيَّنَ﴾ ماضٍ مبني للفاعل وفاعله ﴿شركاؤُهم﴾ متأخر، و﴿قتلَ﴾ مفعول به وهو مضاف إلى ﴿أولادِهم﴾ والمعنى زين الشركاء للمشركين قتلهم أولادهم، فالقاتل هم المشركون، والشركاء زينوا ذلك لهم.

(١) () في الألفية ص٥٠ وينظر البحر المحيط ٣/ ٤٩٧ والدر المصون ٣/ ٥٥٤ ودراسات لأسلوب القرآن ٣/ ٥٢٥.

وعلى قراءة ابن عامر الفعل ﴿زُين﴾ مبني للمفعول و﴿قتلُ﴾ نائب فاعل وهو مضاف إلى ﴿شركائِهم﴾ وفصل بينهما بمفعول المصدر ﴿أولادهم﴾ والمعنى: زين لكثير من المشركين قتل الشركاء أولادهم، فالقاتل هم الشركاء وزين ذلك للمشركين.

وقد طعن قوم في قراءة ابن عامر هذه بناء على رأي البصريين في عدم جواز الفصل بين المتضايفين، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، والكوفيون يجيزون ذلك، وهو الصحيح لوروده في قراءة ابن عامر هذه، وهو عربي صريح محض، وقد أخذ قراءته عن عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قبل أن يظهر اللحن في اللسان العربي، ولوروده أيضاً في كلام العرب نثراً وشعراً، ومن ذلك ما حكاه ابن الأنباري من كلام العرب قولهم " هو غلام إن شاء الله أخيك " وسمع الكسائي قول بعضهم: " إن الشاة تجتر فتسمع صوت والله ربها " وقرأ بعض السلف (فلا تحسبن الله مخلف وعدَهُ رسلِه) وفي الحديث عنه ﷺ: " هل أنتم تاركوا لي صاحبي، هل أنتم تاركوا لي صاحبي " البخاري برقم (٤٦٤٠) وسمع ممن يوثق بعربيته (ترك يوماً نفسك وهواها سعي لها في رداها) ومما ورد في ذلك من النظم وهو كثير:

قول عمرو بن كلثوم:

وحلق الماذي والقوانس ××× فداسهم دوس الحصاد الدائس

وقول أبي جندل الطهوي:

يفرك حب السنبل الكنافج ××× بالقاع فرك القطن المحالج

وقول الطرماح:

يطفن بحوزي المراتع لم ترع ××× بواديه من قرع القسي الكنائن

وقول الأحوص:

فإن يكن النكاح أحل شيء ××× فإن نكاحها مطر حرام

وقول المتنبي:

بعثت إليه من لساني حديقة ××× سقاها الحيا سقيا الرياض السحائب

وقول الفرزدق:

عتو إذ أجبناهم إلى السلم رأفة ××× فسقناهم سوق البعاث الأجادل

وقول الشاعر:

فزججتها بمزجة ××× زج القلوص أبي مزاده

وقول عمرو بن قميئة:

لما رأت ساتيد ما استعبرت ××× لله در اليوم من لامها

وقراءة ابن عامر موافقة لرسم مصاحف أهل الشام حيث فيها ﴿شركاؤهم﴾ بالياء، وهي قراءة صحيحة متواترة وهي حجة لصحة هذه اللغة، ولا التفات إلى من أنكرها أو طعن فيها أو ضعفها، قال الإمام الشاطبي في حرز الأماني[1]:

وَزَيَّنَ في ضَمٍّ وَكَسْرٍ وَرَفْعُ قَتـ ××× ـلَ أَوْلاَدِهِمْ بِالنَّصْبِ شَامِيُّهُمْ تَلا

وقال ابن مالك في الألفية[2]:

فصلَ مضافٍ شبهِ فعلٍ ما نصب ××× مفعولاً أو ظرفاً أجز ولم يُعَبْ

وقال في الكافية الشافية[3]:

فصل مضاف شبه فعل ما نصب ××× مفعولاً أو ظرفاً أجز ولم يعب

فقراءة ابن عامر دليل قاطع على جواز الفصل بين المتضايفين في النثر بالمفعول به[4].

(١) ( ) ص٥٣.

(٢) ( ) ص٣٨.

(٣) ( ) ٢ / ٩٧٨ وينظر إعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٧١ والدر المصون ٥ / ١٦١ ودراسات لأسلوب القرآن ١٠ / ٣١٤.

(٤) ( ) ينظر نظرية النحو القرآني ص٧٨.

٣- قوله تعالى: ﴿فما اسطعوا أن يظهروه وما استطعوا له نقبا﴾[الكهف ٩٧].

قرأ حمزة بتشديد الطاء، وقرأ الباقون بفتحها مخففة[١].

والأصل في القراءتين (استطاعوا) فعلى قراءة الجمهور حذفت التاء تخفيفاً، وعلى قراءة حمزة أدغمت التاء في الطاء، فاجتمع الساكنان[٢].

وقد أنكر بعض النحاة قراءة حمزة وخطؤوا من قرأ بها، وعلة ذلك عندهم أن فيها جمعاً بين الساكنين، على غير حده[٣].

قال ابن مجاهد بعد ذكره قراءة حمزة: " وهذا غير جائز، لأنه قد جمع بين السين وهي ساكنة والتاء المدغمة، وهي ساكنة"[٤]وقال الزجاج: " وأما من قرأ بالإدغام فلاحن مخطئ "[٥].

ويرد على ذلك بأن الجمع بين الساكنين في مثل ذلك جائز مسموع، ومما يقوي ذلك ويسوِّغه أن الساكن الثاني لما كان اللسان عنده يرتفع عنه وعن المدغم ارتفاعة واحدة صار بمنزلة حرف متحرك، فكأن الساكن الأول قد وَلِيَ متحركاً.

وقد ورد الإدغام في نحوه عن النبي ﷺ فيما يروى عنه: " نِعْمَّا المال الصالح للرجل الصالح "[٦].

قال العلامة الصفاقسي: " فالحاصل أن الحق الذي لا شك فيه، والتحقيق الذي لا تعويل إلا عليه أن الجمع بين الساكنين جائز، لورود الأدلة القاطعة به، فما من

---

(١) ( ) ينظر المبسوط ص ٢٤٠ والإتحاف ٢ / ٢٢٧.

(٢) ( ) ينظر شرح الهداية ٢ / ٤٠٤ ومفاتيح الأغاني ص٢٦٤.

(٣) ( ) وهو أن يكون الأول منهما حرف مد ولين، لأن ما في الحروف من المد يصير عوضاً من الحركة، على أن هذا الأصل مختلف فيه، فالمشهور عندهم أن حد اجتماع الساكنين أن يكون الأول حرف مد ولين والثاني مدغم فيه نحو ﴿فيه هدى﴾ ﴿ولا تيمموا﴾ على رواية البزي، ومنهم من جعله كون الثاني مدغماً فيه نحو ﴿شهر رمضان﴾ و﴿هل تربصون﴾ ومنهم من قال أن يكون الأول حرف مد و لين نحو ﴿محياي﴾ في قراءة الإسكان. ينظر الحجة للقراء السبعة ٢ / ٣٩٦ وغيث النفع ص١٥١.

(٤) ( ) السبعة ص ٤٠١.

(٥) ( ) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣١٢.

(٦) ( ) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص٤٧ والحاكم في المستدرك٢ / ٢ وقال: " صحيح على شرط مسلم " وقال في موضع آخر " صحيح على شرطهما " ٢ / ٤٣٦ ووافقه الذهبي في الموضعين، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص١٢٧.

قارئ من السبعة وغيرهم إلا وقرأ به في بعض المواضع، وورد عن العرب، وحكاه الثقات عنهم، واختاره جماعة من أئمة اللغة، منهم أبو عبيد وناهيك به "[1].

ومن المواضع الأخرى التي ورد فيها اجتماع الساكنين عن الأئمة السبعة غير حمزة قوله تعالى ﴿فنعْمَّا هي﴾ و﴿نعْمَّا يعظكم﴾ و﴿لا تَعْدُّوا في السبت﴾ و﴿أمن لا يَهْدِّي﴾ و﴿وهم يَخْصِّمون﴾ وتاءات البزي[2] نحو ﴿هلْ تَّربصون﴾ و﴿إذْ تَّلقونه﴾.

فهذه المواضع كلها مروية عن الأئمة السبعة، وفيها اجتماع الساكنين على غير حد النحاة، وبهذا يتبين أن هذه القراءة لغة صحيحة ثابتة عن العرب، متواترة في أكثر من قراءة، وبذلك تكون حجة في جواز الجمع بين الساكنين في الوصل.

٤- قوله تعالى ﴿قالوا إن هذان لساحران﴾[طه ٦٣]:

قرأ ابن كثير بإسكان نون ﴿إنْ﴾ و﴿هذآنّ﴾ بالألف مع تشديد النون والمد المشبع للساكنين وصلاً ووقفاً، وقرأ أبو عمرو بتشديد نون ﴿إنَّ﴾ وفتحها و﴿هذين﴾ بالياء مع تخفيف النون، وحفص بإسكان نون ﴿إنْ﴾ و﴿هذانِ﴾ بالألف مع تخفيف النون، والباقون بتشديد نون ﴿إنَّ﴾ وفتحها و﴿هذانِ﴾ بالألف مع تخفيف النون.

وجه من قرأ بتخفيف ﴿إنْ﴾ أنها مخففة من الثقيلة فهي مهملة لاعمل لها، و﴿هذان﴾ مبتدأ، و﴿لساحران﴾ خبره، ودخلت اللام عليه للفرق بين ﴿إن﴾ المخففة والنافية. وعند الكوفيين ﴿إن﴾ نافية بمعنى ﴿ما﴾، واللام في ﴿لساحران﴾ بمعنى ﴿إلا﴾.

(١) () غيث النفع ص ١٥٣، وينظر الفريد ٣/ ٣٧٣ ونظرية النحو القرآني ١٣٣.

(٢) () وهي في واحد وثلاثين موضعاً باتفاق، وفي موضعين باختلاف. ينظر النشر ٢/ ٢٣٢ والوافي ص ٢٢٥.

ووجه من قرأ بتشديد ﴿إنّ﴾ و﴿هذين﴾ بالياء، ظاهر، إذ نصبت ﴿إنّ﴾ ﴿هذين﴾ اسماً لها و﴿لساحران﴾ خبرها.

ووجه من قرأ بتشديد ﴿إنَّ﴾ و﴿هذان﴾ بالألف أنها لغة بني الحارث بن كعب وخثعم وغيرهم، يلزمون المثنى الألف في جميع أحواله،ويقدرون إعرابه بالحركات، ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها ××× قد بلغا في المجد غايتاها

وقول الآخر:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى ××× مساغاً لناباه الشجاع لصمما

وقول الآخر:

تزود منا بين أذناه طعنة ××× دعته إلى هابي التراب عقيم

وقيل في توجيهها: إنّ (إنْ) بمعنى (نعم) فيكون (هذان) مرفوعاً بالابتداء، ودخلت اللام في الخبر وهي مؤخرة والنية بها التقديم، والتقدير: نعم لهذان ساحران، ومما جاءت فيه (إن) بمعنى نعم قول الشاعر:

بكرت عليّ عواذلي ××× يلحينني وألومُهُنَّهْ

ويقلن شيب قد علا ××× ك وقد كبرت فقلت إنهْ

وقول الآخر:

قالوا غدرت فقلت إن وربما ××× نال العلى وشفى الغليل الغادر

وقيل أيضاً: إنه لما زيد على (هذا) في التثنية الياء والنون، واجتمعت الألف والياء ساكنتين، حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وأقرت الألف[1].

(١) () ينظر شرح الهداية ٢ / ٤١٧ وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٣٦ وفتح الوصيد ص٢٧٧ والدر المصون ٨ / ٦٣.

٥ – قوله تعالى ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموت والأرض﴾[النمل٢٥]:

قرأ الكسائي وأبو جعفر ورويس ﴿ألا يسجدوا﴾ بتخفيف اللام، وقرأ الباقون بتشديدها.

فمن قرأ بتخفيف ﴿ألا يسجدوا﴾ ويقف ﴿ألا يا﴾ ويبتديء ﴿اسجدوا﴾ بهمزة مضمومة، أنه يريد (يا هؤلاء اسجدوا) و﴿يا﴾ في قراءته للنداء، وحذف الاسم المنادي بعد (ألا) و (يا) النداء كثير في كلام العرب شعراً ونثراً، ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي:

ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ××× ثلاث تحيات وإن لم تكلمي

وقول الآخر:

ألا يا اسقياني قبل حبل أبي بكر ××× لعل منايانا قربن ولا ندري

وقول الآخر:

فقالت ألا يا اسمع أعظك لخطبة ××× فقلت سمعنا فانطقي وأصيبي

وقد سمع في النثر قول بعضهم: ألا يا ارحموني، ألا يا تصدوقوا علينا، وفي الأثر: " أن أبيّ بن خلف كان على بعير له يوم بدر وهو يقول: يا حدراها يا حدراها " ومعناه: يا قوم هل أحد رأى مثل هذه، لما رأى من ظفر المسلمين ونصرة الملائكة، وقتل رؤوس المشركين وأسرهم[١].

ولها وجه ثان، وهو: أن ﴿ألا﴾ للاستفتاح والتنبيه، و﴿يا﴾ أيضاً للتنبيه لا للنداء، لئلا يؤدي إلى حذف كثير من غير بقاء ما يدل على المحذوف، وإنما جمع بين ﴿ألا﴾ و﴿يا﴾ وهما للتنبيه، للتأكيد[٢].

(١) ( ) ينظر إعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٤٨ ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٥٣٣ والدر المصون ٨ / ٥٩٨ والنهاية في غريب الحديث ١ / ٢٥٤.
(٢) ( ) ينظر البحر المحيط ٨ / ٢٣٠ والدر المصون ٨ / ٥٩٨.

ولها وجه ثالث، وهو: أن قوله ﴿يسجدوا﴾ فعل مضارع حذفت منه نون الرفع، بلا ناصب ولا جازم وقد قال بعض أهل العلم: إن حذفها لا لموجب لغة صحيحة، ومنه قوله ﷺ: " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا.. "[1] وفي الحديث الآخر: " يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا "[2].

وهي لغة صحيحة، وإن كانت قليلة الاستعمال[3].

ومن قرأ بتشديد اللام من ﴿ألا﴾ فأصلها (أن لا) فـ﴿يسجدوا﴾ منصوب بـ(أن) و(لا) حرف نفي.

وعلى قراءة الكسائي ومن وافقه يجوز الوقف على ﴿ألا يا﴾ والبدء بـ﴿اسجدوا﴾ بهمزة مضمومة، ويجوز الوقف أيضاً على ﴿ألا﴾ وحدها، وعلى ﴿يا﴾ وحدها، لأنهما حرفان منفصلان.

وعلى قراءة الباقين يجوز الوقف اختباراً على ﴿أَلَّا﴾ كاملة، ولا يجوز الوقف على (أن) وحدها، لأنها مدغمة في (لا) ومتصلة بها رسماً، ولا يجوز أيضاً الوقف على ياء ﴿يسجدوا﴾ لأنها موصولة بالكلمة، فهي ياء المضارعة، وقال الإمام الشاطبي رحمه الله[4]:

أَلاَ يَسْجُدُوا رَاوٍ وَقفْ مُبْتَلىً أَلا ××× وَيَا وَاسْجُدُوا وَأَبْدَأْهُ بِالضَّمِّ مُوصلا
أَرَادَ أَلاَ يَا هؤُلاَءِ اسْجُدُوا وَقِفْ ××× لَهُ قَبْلَهُ وَالْغَيْرُ أَدْرَجَ مُبْدِلا
وقَدْ قِيلَ مَفْعُولاً وَإِنْ أَدْغَمُوا بِلاَ ××× وَلَيْسَ بِمَقْطُوعٍ فَقِفْ يَسْجُدُوا وَلا

(١) () صحيح مسلم ١ / ٣١ برقم (٩٣).
(٢) () صحيح مسلم ١٧ / ١٧٠ برقم (٢٨٧٤).
(٣) () ينظر أضواء البيان ٦ / ٤٠٤.
(٤) () حرز الأماني ص ٧٤، وينظر إبراز المعاني ٤ / ٥٣، ٥٦ وإيضاح الوقف والابتداء ٢ / ٨١٦.

٦- قوله تعالى: ﴿استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله..﴾[فاطر ٤٣].

قرأ حمزة ﴿ ومكر السيئْ﴾ بإسكان الهمزة وصلاً، وإذا وقف أبدل الهمزة ياء خالصة، لسكونها وانكسار ما قبلها، وقرأ الباقون بكسرها وصلاً وبإسكانها وقفاً[١].

وقد ضعف بعض النحاة قراءة حمزة، وقال بعضهم: إنها لحن، لأن فيها حذف حركة الإعراب، وهو لا يجوز في نثر ولا شعر، لأنها اجتلبت للفرق بين المعاني، وحذفها مخل بذلك.

قال الزجاج: " وهذا عند النحويين الحذاق لحن، ولا يجوز، وإنما يجوز مثله في الشعر في الاضطرار "[٢] وقال النحاس: " وهو لحن لا يجوز "[٣].

وقال الزمخشري: " ولعله اختلس فظن سكوناً، أو وقف وقفة خفيفة، ثم ابتدأ ﴿ولا يحيق﴾ "[٤].

والصواب أن قراءة حمزة تحتمل وجهين كلاهما مقبول وله نظائر في كتاب الله، أو من كلام العرب:

الوجه الأول: أنه لما توالت كسرتان على الياء المشددة والهمزة، وكل منهما ثقيل، والكسر يزيدها ثقلاً، أسكن الهمزة تخفيفاً، ومن ذلك قول امرئ القيس:

فاليوم أشربْ غير مستحقبٍ ××× إثماً من الله ولا واغل

وقول جرير:

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم ××× ونهرُ تِيرى فما تعرفْكم العربُ

(١) () ينظر الإقناع ٢ / ٧٤١ والكنز ص٢٢٣.
(٢) () معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٥.
(٣) () إعراب القرآن ٣ / ٣٧٧.
(٤) () الكشاف ٣ / ٢٧٨.

وقول الأقيشر الأسدي:

رُحتِ وفي رجليك ما فيهما ××× وقد بدا هَنْكِ من المئزرِ

قال الصفاقسي: " ويُحسِّن هذا التسكين وجوه، الأول: أنه وقع في الآخر، وهو محل التغيير، الثاني: أنه وقع بعد الحركات، الثالث: أن حركته ثقيلة، وهي الكسر لأنه ينشأ من انجرار اللحي الأسفل إلى أسفل انجراراً قوياً، الرابع: أن الحركة وقعت على حرف ثقيل، الخامس: أن قبله مشددين والموالي منهما حرف ثقيل "[1].

وقال راداً على قول الزمخشري السابق: " وقول الزمخشري (لعله اختلس، فظن سكوناً، أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ، فظنوه سكن في الوصل) مشعر بغلط الرواة، وهو باطل، لأنا لو أخذنا بهذه التجويزات العقلية في حملة القرآن لأدى ذلك إلى الخلل فيه، بل المظنون بهم التثبت التام، والحرص الشديد على تحرير ألفاظ كتاب الله، وعدالتهم وخشيتهم من الله عز وجل تمنعهم من التساهل في تحمله، ولا سيما فيما فيه مخالفة الجمهور، فعندهم به مزيد اعتناء، وهم أعلم بالعربية، وأشد لها استحضاراً، وأقرب بها عهداً ممن يعترض عليهم، وينسبهم للوهم والغلط، بالتجويزات العقلية، ولم يكن يتصدر في تلك الأزمان الفاضلة لإقراء كتاب الله إلا من هو أهل لذلك "[2].

الوجه الثاني: أن ذلك من باب إجراء الوصل مجرى الوقف، أو إجراء المنفصل مجرى المتصل، نظير قوله تعالى ﴿وجئتك من سبأْ بنبأ يقين﴾ وحسن ذلك كون الكسرة على حرف ثقيل، وهو الهمز، وهو واقع بعد ياء مشددة مكسورة[3].

وهكذا تظهر بجلاء العلاقة الوثيقة بين القراءات وتوجيها واللغة العربية وإثرائها لها، وأنها من أقوى روافدها.

(١) () غيث النفع ص٣٣٠.

(٢) () المصدر السابق ص٣٣١.

(٣) () وضعَّف مكي بن أبي طالب هذا الوجه، لأن حمزة لا يقف بالهمزة، بل يخففها، فيبدلها ياءً خالصة، لسكونها وانكسار ما قبلها، الكشف ٢ / ٢١٢، وينظر الحجة للقراء السبعة ٦ / ٣١ وشرح الهداية ٢ / ٤٨٣ والموضح ٢ / ١٠٦٥ والدر المصون ٩ / ٢٤١.

الخاتمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى أما بعد:

فإني أشكر الله تعالى على ما يسر من إتمام هذا البحث الذي قصدت فيه إلى علاقة القراءات وتوجيهها باللغة العربية وتأثيرها فيها، وأوجز في ختامه أهم النتائج التي ظهرت لي فيه، وهي كما يأتي:

علم القراءات وتوجيهها من أوثق العلوم صلة باللغة العربية وعلومها، وكثير من أئمة القرّاء هم أئمة اللغة والنحو أيضاً؛ كما أن كثيراً من النحاة قد اشتغلوا بالقراءات، وتوجيه القراءات قائم بالدرجة الأولى على اللغة نحواً وصرفاً وإعراباً.

القراءات القرآنية ربانية المصدر، لأن القرآن كلام الله جل وعلا، وهو إنما يقرأ بإحدى الروايات من القراءات المتواترة.

القراءات المتواترة إنما جاءت عن طريق الوحي، وقد قرأ بها النبي ﷺ، وتلقاها عنه أصحابه وأقرؤوا بها الناس، وبذلك فإن سائر القراءات المتواترة توقيفية لا مجال فيها لأدنى اجتهاد.

لما كانت القراءات ثابتة نقلاً، كان لا بد من اعتمادها كمصدر أساس من مصادر اللغة العربية، فهي حجة قاطعة فيها، بل هي من أوثق مصادر اللغة العربية.

تعد القراءات الشاذة أيضاً في العربية أقوى دليلاً من سائر الأدلة التي يستدل بها على صحة اللغة أو سلامة القاعدة النحوية.

القراءة لا تتبع العربية، بل العربية تتبع القراءة، لأن القراءة مسموعة من أفصح العرب بإجماع، وهو نبينا ﷺ، ومن أصحابه ومن بعدهم، وهم أيضاً من أفصح العرب.

لأهمية القراءات والاحتجاج بها في النحو العربي نجد أن الشواهد القرآنية

والقراءات كانت في المرتبة الأولى بين مصادر الاحتجاج في كتب النحو العربي، كما أن للقراءات القرآنية أثراً واضحاً في حفظ اللهجات العربية، كما قرر ذلك العلماء.

في توجيه القراءات إثراء للغة العربية، وهو من أقوى روافدها، ولتأثيره فيها مظاهر عديدة، من أبرزها: دلالة القراءات بوجوهها المتعددة على وجوهٍ وأساليبَ عربية صحيحة، ومنها: تقرير العلماء لكثير من مسائل اللغة بمناقشتها والدفاع عنها عند توجيه القراءات، ومنها: كثرة المؤلفات في التوجيه التي تقوم أكثر مادتها على التوجيه اللغوي والنحوي والصرفي، وذلك يستلزم كثرة تناول مؤلفيها لقضيا اللغة والنحو الصرف التي هي عمدة المؤلفين في توجيه القراءات، ومنها: بيان الوجوه اللغوية الأقوى مقارنة بغيرها من الوجوه الصحيحة، لأن لغة العرب وأساليبها تتفاوت في القوة والانتشار في الاستعمال، وبتوجيه القراءات يتبين كثير من أمثلة ذلك، حيث يُعنى علماء التوجيه – وكثير منهم من أئمة اللغة – إلى بيان الأقوى من تلك الوجوه، ومنها: اشتمال كتب توجيه القراءات على كثير من الشواهد من لغة العرب ومن الأبيات الشعرية على وجه الخصوص، وبيان وجه دلالتها على القواعد التي سيقت من أجل الاستدلال بها عليها.

وبعد فهذه أهم النتائج التي ظهرت في هذا البحث، وقد دعمته بنماذج من القراءات وتوجيهها لبيان علاقتها الوثيقة باللغة العربية.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل صالح أعمالنا ، وأن يستعملنا في خدمة كتابه الكريم، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع:

١- إبراز المعاني من حرز الأماني : لأبي شامة، تحقيق : محمود عبدالخالق جادو، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الأولى ١٤١٣هـ .

٢- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر : للبنا الدمياطي، تحقيق : الدكتور شعبان محمد إسماعيل، طبعة عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية، الأولى ١٤٠٧هـ .

٣- الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية ببيروت، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م .

٤- الاحتجاج بالقراءات في شروح ألفية ابن مالك : للدكتور محمود نجيب، منشور في مجلة التراث العربي، العدد ٨١-٨٢ رجب وذو الحجة ١٤٢٢ه أكتوبر ومارس ٢٠٠١م، السنة الحادية والعشرون .

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : لمحمد الأمين الشنقيطي، طبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

٦- إعراب القراءات السبع وعللها : لابن خالويه، تحقيق : د.عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

٧- إعراب القرآن : للنحاس، تحقيق : د.زهير غازي زاهد، طبعة عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، الثانية ١٤٠٥هـ١٩٨٥م .

٨- الاقتراح في علم أصول النحو : للسيوطي، تقدم وضبط : د.أحمد سليم الحمصي ود.محمد أحمد قاسم، طبعة جروس برس، الأولى ١٩٨٨م .

٩- الإقناع في القراءات السبع : لابن الباذش، تحقيق : د.عبد المجيد قطامش، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الأولى ١٤٠٣هـ .

١٠- ألفية ابن مالك : طبعة مكتبة الضياء بجدة، بدون تاريخ .
١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) : طبعة دار الفكر١٤٠٢هـ .
١٢- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزو وجل : لابن الأنباري ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٠هـ١٩٧١م .
١٣- البحر المحيط : لأبي حيان، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٨ .
١٤- البرهان في علوم القرآن : للزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة : مصطفى البابي، القاهرة .
١٥- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : لمحمد رشيد رضا، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م .
١٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للطبري، طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الثالثة ١٣٨٨هـ .
١٧- جامع البيان في القراءات السبع : للداني، طبعة جامعة الشارقة - الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م .
١٨- الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، تحقيق : سمير البخاري، طبعة : دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ه ٢٠٠٣م .
١٩- جمهرة اللغة : لابن دريد، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالهند، الأولى .
٢٠- حاشية على الكشاف الكتاب : لأحمد بن محمد، المعروف بابن المنير، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ .
٢١- الحجة للقراء السبعة : لأبي علي الفارسي، تحقيق : بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني طبعة دار المأمون للتراث بدمشق وبيروت، الأولى ١٤٠٤هـ .

٢٢- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع : للشاطبي، ضبط ومراجعة : محمد تميم الزعبي، طبعة مكتبة دار المطبوعات الحديثة، الثانية ١٤١٠ هـ .

٢٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : للسمين الحلبي، تحقيق : د.أحمد محمد الخراط طبعة دار القلم بدمشق، الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٢٤- دراسات لأسلوب القرآن الكريم : لمحمد عبدالخالق عضيمة، طبعة دار الحديث بالقاهرة .

٢٥- السبعة في القراءات : لابن مجاهد، تحقيق : د.شوقي ضيف، طبعة دار المعارف الثالثة، بدون تاريخ .

٢٦- شرح الهداية : للمهدوي، تحقيق : د.حازم سعيد حيدر، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م .

٢٧- الصحاح في اللغة : للجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، طبعة دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩٠ .

٢٨- صحيح الأدب المفرد : للألباني، طبعة دار الصديق بالجبيل، الأولى١٤١٤هـ١٩٩٤م

٢٩-صحيح مسلم : طبعة دار الكتب العلية ببيروت، الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٥م .

٣٠- صفحات في علوم القراءات : للدكتور عبد القيوم السندي، طبعة المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٥ه .

٣١- غيث النفع في القراءات السبع : للصفاقسي، بهامش سراج القاري لابن القاصح، طبعة دار الفكر ١٤٠١هـ .

٣٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : للشوكاني، طبعة دار المعرفة .

٣٣- فتح الوصيد في شرح الوصيد : لأبي الحسن السخاوي ، تحقيق : مولاي محمد الإدريسي الطاهري ، طبعة مكتبة الرشد ، الرياض ، الأولى ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م .

٣٤-الفريد في إعراب القرآن المجيد : للمنتجب الهمذاني، تحقيق : د.فهمي حسن النمر ود.فؤاد علي مخيمر، طبعة دار الثقافة بالدوحة، الأولى ١٤١١هـ .

٣٥- الفصل في الملل والأهـواء والنحل : لابن حزم، طبعة دار المعرفة، الثانية١٣٩٥هـ

٣٦- الفوز الكبير في أصول التفسير : لولي الله الدهلوي، ترجمة محمد منير آغا الدمشقي، طبع باعتناء منير محمد كتب خانة .

٣٧- في رحاب القرآن الكريم : للدكتور محمد سالم محيسن، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٠هـ .

٣٨- القاموس المحيط : للفيروزابادي، تحقيق وطبع مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤٠٧هـ١٩٨٧م .

٣٩- القراءات أحكامها ومصدرها : للدكتور شعبان محمد إسماعيل، من منشورات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ١٤٠٢هـ

٤٠- القراءات الشاذة أحكامها وآثارها : للدكتور إدريس حامد محمد، نشر عمادة البحث العلمي، مركز بحوث كلية التربية، بجامعة الملك سعود، رقم (٢٠١) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٤١- القراءات الشاذة والأدلة على حرمة القراءة بها : للشيخ عبد الفتاح القاضي، علق عليه خالد بن مأمون، طبعة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بمصر .

٤٢- القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني : للدكتور محمد الحبش رسالة دكتوراه بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، أم درمان، السودان .

٤٣- قراءة في كتاب (نظرية النحو القرآني) للدكتور أحمد مكي الأنصاري : للدكتور محمد حسن عواد، منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السابع ، العدد (١ / أ) ١٤٣٢هـ٢٠١١م .

٤٤- القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ : للنويري، مع شرح الطيبة، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٤٠٦هـ .

٤٥- كتاب سيبويه : تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

٤٦- الكشاف : للزمخشري، طبعة دار المعرفة ببيروت، بدون تاريخ .

٤٧- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : لمكي بن أبي طالب، تحقيق : د.محيي الدين رمضان، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الرابعة ١٤٠٧هـ .

٤٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة، طبعة استانبول، ١٩٤٣م .

٤٩- الكنز في القراءات العشر : للواسطي، تحقيق : هناء الحمصي، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الأولى١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٥٠- لسان العرب : لابن منظور، طبعة دار صادر، ١٤١٠هـ .

٥١- لطائف الإشارات لفنون القراءات : لشهاب الدين القسطلاني، تحقيق : الشيخ عامر عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، ١٣٩٢هـ .

٥٢- مباحث في علوم القرآن : للدكتور صبحي الصالح، طبعة دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة ١٩٧٧م .

٥٣- المبسوط في القراءات العشر : لابن مهران ، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي ، طبعة دار القبلة بجدة ومؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، الثانية ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

٥٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، عام ١٤١٦هـ .

٥٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : للسيوطي، تحقيق : فؤاد علي منصور، طبعة : دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٩٩٨.

٥٦- المستدرك : للحاكم، طبعة حيدر آباد، ١٣٤١هـ .

٥٧- مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ.

٥٨- معاني القرآن : للأخفش الأوسط، تحقيق الدكتوره : هدى محمود قراعة، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الأولى ١٤١١هـ .

٥٩- معاني القرآن وإعرابه : للزجاج، تحقيق : د.عبد الجليل عبده شلبي، طبعة عالم الكتب ببيروت، الأولى ١٤٠٨هـ١٩٨٨م .

٦٠-معجم الأدباء : لياقوت الحموي، طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت .

٦١- معجم مقاييس اللغة : لابن فارس، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٢٠هـ .

٦٢- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني : لأبي العلاء الكرماني، تحقيق : د.عبد الكريم مصطفى مدلج، طبعة دار ابن حزم ببيروت، الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

٦٣- مفاتيح الغيب (تفسير الرازاي) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

٦٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم : لأحمد مصطفى الشهير بطاش كبري زاده ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٥- مناهل العرفان في علوم القرآن : للزرقاني، طبعة دار الفكر .

٦٦- منجد المقرئين ومرشد الطالبين : لابن الجزري، اعتنى به : علي العمران، طبعة دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، ١٤١٩ه .

٦٧- الموضح في وجوه القراءات وعللها : لابن أبي مريم، تحقيق : عمر حمدان الكبيسي، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

٦٨- نحو القرّاء الكوفيين : لخديجة أحمد مفتي، طبعة دار الندوة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥ .

٦٩- النشر في القراءات العشر : لابن الجزري، تصحيح : الشيخ علي محمد الضباع ، طبعة دار الفكر، بيروت .

٧٠- نظرية النحو القرآني : للدكتور أحمد مكي الأنصاري، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية، الأولى ١٤٠٥ه .

٧١- النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، توزيع دار عباس الباز بمكة المكرمة .

٧٢- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع : لعبد الفتاح القاضي، طبعة مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولى ١٤٠٤هـ .

أ.د. يحي محمد حسن أحمد زمزمي

الرتبة العلمية	أستـــــاذ
الكلية	الدعوة وأصول الدين
القسم	الـقـــــراءات
المنصب الحالي	المشرف على كرسي الملك عبد الله للقرآن الكريم
البريد الإلكتروني	yzamzami@hotmail.com yzamzami@uqu.edu.sa

بيانات الكتب والرسائل العلمية

م	العنوان	النوع	تاريخ النشر	مكان النشر
١	الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة	رسالة ماجستير	١٤١٥هـ	دار التربية والتراث
٢	شرح السنباطي على الشاطبية في القراءات السبع	رسالة دكتوراه	١٤١٨هـ	جامعة أم القرى

الإنتاج العلمي

م	عنوان البحث	جهة النشر	الدولة	السنة
١	حقوق الإنسان : مفهومة وتطبيقاته في القران الكريم	مؤتمر حقوق الإنسان في السلم والحرب هيئة الهلال الأحمر السعودي	السعودية	١٤٢٤هـ
٢	المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في ضوء القران الكريم	المجلة العلمية لكلية أصول الدعوة والدين جامعة الأزهر العدد(١٩) الجزء (٢)	مصر	١٤٢٤هـ
٣	مسئولية علماء الأمة في مواجهة التحديات المعاصرة	المؤتمر العلمي السابع لكلية الشريعة جامعة جرش الأهلية	الأردن	١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م
٤	مناهج التفسير – تحدياتها وآفاقها في ضوء الواقع المعاصر	المجلة العلمية لكلية أصول الدعوة والدين الزقازيق: العدد(١٨) الجزء (٢)	مصر	٢٠٠٦م
٥	مصادر ابن حجر في القراءات	مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية ، جامعة أم القرى العدد(٢٢)الجزء(١٣)	السعودية	١٤٢٢هـ
٦	منهج ابن حجر في القراءات	مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية ، جامعة أم القرى العدد(٢٣) الجزء(١٤)	السعودية	١٤٢٢هـ
٧	منهج ابن رجب في التفسير	مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية،جامعة أم القرى العدد(٤٠) المجلد (١٩)	السعودية	٢٠٠٧م

الإنتاج العلمي

م	عنوان البحث	جهة النشر	الدولة	السنة
٨	الحوار القرآني في سورة نوح	المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة الزقازيق: العدد(١٩) الجزء (٢)	مصر	٢٠٠٧م
٩	عناية ابن القيم بالقراءات	مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر العدد (٢٦)	قطر	٢٠٠٨م
١٠	تنزيل الآيات على الواقع عند الإمام ابن القيم	مجلة البحوث والدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف العدد (٦)	السعودية	١٤٢٩هـ
١١	جهود جامعات العالم الاسلامي في نشر علم القراءات	المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٣)	ماليزيا	٢٠١٣م
١٢	هدايات القرآن في حقوق الإنسان	المؤتمر العالمي الرابع للدراسات القرآنية	بريطانيا	٢٠١٣م
١٣	مراكز الأحياء : تجربة علمية ونظرة مستقبلية	كلية الملك فهد الأمينة	الرياض	١٤٢٥هـ
١٤	مركز العمل التطوعي لخدمات الحج والعمرة مشروع مقترح	ندوة العمل التطوعي -جامعة أم القرى	مكة المكرمة	١٤٣٣هـ
١٥	مركز الخدمات التطوعية مشروع مقترح	ملتقى العمل التطوعي –	الشرقية	١٤٣٠هـ
١٦	شباب مكة والمسؤولية الاجتماعية	المؤتمر الحادي عشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي	اندونيسيا	١٤٣٢هـ
١٧	دور المؤسسات المجتمعية في تعزيز الوحدة الوطنية	مؤتمر الوحدة الوطنية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الرياض	١٤٣٤هـ
١٨	اختيار موضوع الرسالة في الدراسات القرآنية	ملتقى الدراسات العليا-جامعة القصيم	القصيم	١٤٣٣هـ

المشاركات العلمية

م	عنوان المؤتمر	الجهة المنظمة	الدولة	نوع المشاركة
١	ندوة (المجتمع والأمن)	كلية الملك فهد الأمنية	السعودية	ورقة عمل
٢	مؤتمر (حقوق الإنسان في السلم والحرب)	هيئة الهلال الأحمر السعودي	السعودية	ورقة عمل
٣	مؤتمر(مناهج التفسير وتحديات الواقع)	الجامعة الإسلامية العالمية	ماليزيا	ورقة عمل
٤	مؤتمر (الحوار في الفكر الإسلامي)	جامعة الشارقة	الإمارات	ورقة عمل
٥	مؤتمر (التحديات المعاصرة)	جامعة جرش الأهلية	الأردن	ورقة عمل
٦	مؤتمر (الشباب والمسؤولية الاجتماعية)	الندوة العالمية للشباب الإسلامي	أندونيسيا	ورقة عمل
٧	المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٣)	جامعة ملايا	ماليزيا	ورقة عمل
٨	المؤتمر العالمي الرابع للدراسات القرآنية	معهد القرآن الكريم ، أكسفورد	بريطانيا	ورقة عمل
٩	ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل	جامعة أم القرى	السعودية	ورقة عمل
١٠	ملتقى الدراسات العليا ، جامعة القصيم	جامعة القصيم	السعودية	ورقة عمل
١١	ملتقى الجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية	جمعية البر بالشرقية	السعودية	ورقة عمل
١٢	ملتقى العمل التطوعي	الغرفة التجارية بالمنطقة الشرقية	السعودية	ورقة عمل
١٣	مؤتمر العمل الخيري	مؤسسة الشيخ حمد آل ثاني	قطر	حضور
١٤	ندوة الأحكام الفقهية الطبية	وزارة الصحة	السعودية	حضور

المهام الإدارية وعضوية المجالس واللجان

العنوان	الفترة
وكيل كلية الدعوة وأصول الدين	١٤٢٢هـ - (٤ سنوات)
عضو مجله جامعة أم القرى لعلوم الشريعة	١٤٢٧هـ -حتى الآن
عضو المجلس العلمي بجامعة أم القرى	١٤٢٧هـ - (٤ سنوات)
المشرف على كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى	١٤٣٣-حتى الآن
عضواللجنة العلمية بكلية الدعوة و أصول الدين	سنة واحدة
رئيس لجنة الترقيات العلمية بكلية الدعوة	٥ سنوات
رئيس لجنة سير الامتحانات بكلية الدعوة و أصول الدين	٤ سنوات
رئيس لجنة اختبار طالبات الماجستير و الدكتوراه	سنتان
عضو لجنة مراجعة مقررات الثقافة الإسلامية	سنة واحدة
عضو اللجنة العلمية لندوة العمل التطوعي	سنة واحدة
عضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان)	حالياً
عضو مجلس إدارة جمعية مراكز الأحياء بمنطقة مكة المكرمة	حالياً
أمين عام فرع جمعية مراكز الأحياء بمكة المكرمة	١٤٢٤ -حتى الآن
مدير مندوبية المنصور المتعاونة	سابقاً
عضو مجلس إدارة دور الحافظين - مؤسسة الأمير ثامر الخيرية	سابقاً
عضو لجنة دراسة مكافحة المخدرات بأمارة منطقة مكة	سنة
عضو المجلس الفرعي لجمعية مراكز الأحياء بمكة	٥ سنوات
عضو اللجنة الإشرافية على مشروع تعظيم البلد الحرام	حاليا
عضو مجلس إدارة مشروع (مكة بلا جريمة)	حاليا
عضو مجلس إدارة ميثاق الشراكة المجتمعية	حاليا

التعليم الديني لأخلاق القرآن
وأثره في احترام حقوق الإنسانً

بحث مقدم إلى ندوة :

التعليم الديني وأثره في المجتمع المعاصر

والتي تنظمها جامعة ويبر الحكومية(Weber State Universi)

بالاشتراك مع معهد الدراسات الدينية LSD Institute of Religion

في جامعة يوتا (University of Utah)وكلية وست منستر (Westminster College)

في مدينة سولت ليك سيتي في ولاية يوتا- الولايات المتحدة الأمريكية

خلال الفترة: ١٢-١٤ أغسطس٢٠١٤م

إعداد

أ.د. يحيى بن محمد حسن زمزمي

المشرف على كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم

بجامعة أم القرى

ملخص البحث:

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام، نبينا محمد وآله ومن تبعهم بإحسان. وبعد:

فانطلاقاً من أهمية "الأخلاق" وعناية الشريعة الإسلامية بها تأصيلاً وتطبيقاً، حتى إنّ النبي –ﷺ– حصر مقصود رسالته فيها حيث قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فالقيم الأخلاقية أساس مهم في حياة الأمم والمجتمعات وفي بناء العلاقات الإنسانية، لا سيما في ظل الأزمة الروحية التي تعيشها كثير من الشعوب اليوم نظراً لطغيان النظرة المادية، المبتورة الصلة بالقيم الأخلاقية.

وحيث إن من أهم مقاصد التعليم الديني؛ بناء القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة وتدريب المتعلمين على مهارات التعامل الحضاري على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، ولأنّ قضية "حقوق الإنسان" تعد من أهم قضايا المجتمع المعاصر، فقد رأيت أن أناقش في هذا البحث العلاقة الوثيقة بين أخلاق القرآن التي يعنى بها التعليم الديني وأثرها التطبيقي على المجتمع في رعاية حقوق الإنسان، للمشاركة به في ندوة: " التعليم الديني وأثره في المجتمع المعاصر" التي تنظمها جامعة ويبر الحكومية وكلية وستمنستر ومعهد الدراسات الدينية في جامعة يوتا والمركز الكندي للتدريب الأكاديمي – بولاية يوتا خلال الفترة: ١٢-١٤ أغسطس٢٠١٤م، الموافق:١٦-١٨ شوال ١٤٣٥هـ، وقد جعلت عنوان بحثي: "التعليم الديني لأخلاق القرآن وأثره في احترام حقوق الإنسان"

وهذا البحث المختصر يُعنى بإبراز منهج القرآن الكريم في العناية بالأخلاق وتطبيقاتها العملية في المجتمع، وبيان أثرها في احترام الإنسان ورعاية حقوقه، وذلك من خلال جمع آيات القرآن الكريم المتعلقة بالمنهج الأخلاقي ودراستها وتحليلها موضوعياً، واستنباط الفوائد والنتائج المتعلقة بموضوع البحث،

واختيار ما احتاج إليه من أحاديث نبوية مكملة لنصوص القرآن الكريم، وقد تضمنت خطة البحث المطالب الآتية:

المبحث الأول: أخلاق القرآن: مفهومها وإطلاقاتها.

المبحث الثاني: تأصيل المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: خصائص المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: أثر تعليم أخلاق القرآن في احترام حقوق الإنسان.

وأخيراً: الخاتمة وأهم النتائج.

هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم..

المبحث الأول:

أخلاق القرآن: مفهومها واطلاقاتها.

أولاً: تعريف "الأخلاق" لغة:

"الأخلاق" في اللغة جمع خُلُق، والخُلُق: هو السجية والطبع، مأخوذ من مادة:(خ ل ق) وقد جاء في معناها: قال الجوهري:(الخَلْق: التقدير،...، والخليقَة: الطبيعة،...، والخِلْقة بالكسر: الفطرة،...، والخُلْق والخُلُق: السجيّة)[1] اهـ.

وقال ابن منظور:(الخُلُق هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته: أن صورة الإنسان الباطنة -وهي نفسه- وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها)[2] اهـ.

وقال الفيروز آبادي:("الخَلْق" التقدير...، والخُلْق بالضم وبضمتين: السجية والطبع والمرؤة والدين)[3] اهـ.

إذاً فأصل مادة (خلق) تدل على تقدير الشيء، يقول ابن فارس:(ومن هذا المعنى الخُلُق، وهو السجية لأن صاحبَه قد قُدِّر عليه...، والخَلاق: النصيب لأنه قد قدّر لكل أحد نصيبه)[4] اهـ.

وذكر الراغب الأصفهاني: أن الخَلْق أصله: التقدير المستقيم، وأن الخَلْق والخُلْق والخُلُق في الأصل واحد، لكن خُصَّ الخَلْق بالهيئات والأشكال والصُّور المدرَكة بالبصر، وخُصّ الخُلُق بالقُوى والسَّجايا المدرَكة بالبصيرة، قال: والخَلْق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين: أحدهما في معنى التقدير، والثاني في الكذب[5].

(١) الصحاح: ٤/ ١٤٧٠-١٤٧١.
(٢) لسان العرب: ١٠/ ٨٦، وانظره أيضاً في "النهاية في غريب الحديث لابن الأثير": ٢/ ٧٠.
(٣) القاموس المحيط: ٣/ ٢٣٦.
(٤) مقاييس اللغة: ٢/ ٢١٤.
(٥) انظر المفردات "بتصرف" ص: ٢٩٦-٢٩٧.

قال الفيومي:(وأصل الخلق: التقدير، يقال: خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته له، خلق الرجل القول خلقاً افتراه واختلقه)[1] اهـ.

قال القرطبي:(وحقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب، يسمى خُلُقاً، لأنه يصير كالخِلْقة فيه)[2] اهـ، وكذا قال الماوردي[3].

ومما يرادف لفظ (الخُلق) أو يقاربه في المعنى:

أ) الخِيم: بالكسر، وهو السجية والطبيعة، لا واحد له من لفظه[4].

ب) الملأ: بفتح الميم واللام وآخره همز، وهو الخُلُق والعشرة، يقال: ما أحسن ملأ فلان أي خُلُقه وعشرته[5]. ومنه حديث:(أحسنوا الملأ كلّكم سَيَرَوَى)[6].

(١) المصباح المنير: ص٦٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٨ / ١٤٩.
(٣) النكت والعيون: ٦ / ٦٢.
(٤) انظر الصحاح: ٥ / ١٩١٧.
(٥) انظر الصحاح: ١ / ٧٣، الآداب الشرعية لابن مفلح: ٢ / ١٩٥.
(٦) رواه مسلم: ك المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة (برقم ٦٨١).

ثانياً: تعريف الأخلاق اصطلاحاً:

- ذهب الجاحظ إلى أن:(الخُلُق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة)[1] اهـ.

- وقال الماوردي:(الأخلاق: غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار)[2].

- وقد فصل القول في معناه الغزالي فقال:(. . فالخُلُق عبارة عن هيئته في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة، لا يقال خُلُقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية، لا يقال خلقه السخاء والحلم)[3] اهـ. وكذا قال الجرجاني وربما نقله عن الغزالي[4]. وقال ابن القيم:(قال صاحب "المنازل": الخلق: ما يرجع إليه المتكلف من نعته)[5] اهـ. وقال في موضع آخر:[الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة، وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة

(١) "تهذيب الأخلاق" للجاحظ: ص١٢.

(٢) "تسهيل النظر وتعجيل الظفر" للماوردي: ص٥.

(٣) "إحياء علوم الدين": ٣/ ٥٨.

(٤) انظر التعريفات: ص١٠١.

(٥) مدارج السالكين: ٢/ ٦٣، وصاحب "المنازل" هو الشيخ أبو إسماعيل الهروي، وكتابه "منازل السائرين" الذي شرحه ابن القيم في المدارج.

للحق، والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بها أخلاقاً، هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها][1] اهـ.

- وقال ابن عاشور:(الخلق: السجية المتمكنة في النفس، باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر، وتشمل طبائع الخير وطبائع الشر، ولذلك لا يعرف أحد النوعين من اللفظ إلا بقيد يضم إليه، فيقال: خلق حسن، وفي ضدّه: خلق قبيح، فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخُلق الحسن)[2] اهـ.

- وقد حاول بعض المعاصرين تلخيص وتسهيل العبارة في تعريف الأخلاق اصطلاحاً، فقال:(الخلق: صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة، ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة)[3]

- وحيث إن موضوع البحث يتعلق "بأخلاق القرآن"، والمقصود به "علم الأخلاق" بمعناه الشامل الواسع، وقد عرف قديماً بأنه:(علم يعرف به حال النفس، من حيث ما هيتها وطبيعتها وعلة وجودها وفائدتها، وما هي وظيفتها التي تؤديها، وما الفائدة من وجودها، وعن سجاياها وأميالها وما ينقلها بسبب التعاليم عن الحياة الفطرية)[4].

وعرفه بعض المعاصرين بأنه:(مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه)[5]. وعرفه بعضهم بأنه: علم التعرف على الحقوق والواجبات[6].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن أخلاق القرآن هي:(مجموعة الصفات

(١) بدائع التفسير: ٤/ ٥٠٩.
(٢) التحرير والتنوير: ١٩/ ١٧١-١٧٢.
(٣) الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن الميداني: ١/ ٧.
(٤) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه: ص١٦.
(٥) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجين: ص٧٥.
(٦) الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، أسعد السحمراني: ص١٥.

والقواعد الواردة في النصوص الشرعية، التي تنظم حياة الإنسان من حيث علاقته بغيره).

أي أنه يتضمن:

١) نصوصاً شرعية: وهي آيات القرآن وبيانها من أحاديث النبي ﷺ وسيرته.

٢) مجموعة صفات وقواعد تتضمنها هذه النصوص.

٣) تنظيم علاقة الإنسان بغيره من خلال هذه القواعد.

ثالثاً: اطلاقات "الأخلاق" في القرآن:

وردت مادة (خلق) في القرآن الكريم في (٢٦٠) موضعاً[١]، وأطلق على معانٍ عدة منها:

أ) الإيجاد من العدم: كقوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض﴾[٢]، وهذا النوع من الخلق الذي هو الإبداع، لم يجعله الله إلا لنفسه[٣].

ب) إيجاد الشيء من الشيء: كقوله تعالى: ﴿ خلق الإنسان من نطفة ﴾[٤]، وهذا النوع قد جعل الله شيئاً منه لغيره في بعض الأحوال، كعيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حيث قال تعالى: ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني ﴾[٥].

ج) التقدير: وهو أصل المعنى اللغوي، ومنه قوله تعالى: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[٦]، أي: أحسن المقدرين، على قول فيها[٧].

د) الكذب: ومنه قوله تعالى: ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾[٨]، وكذا كل موضع استعمل

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: ص٢٤١-٢٤٥.
(٢) الأنعام: ١.
(٣) انظر المفردات: ص٢٩٦.
(٤) النحل: ٤.
(٥) المائدة: ١١٠.
(٦) المؤمنون: ١٤.
(٧) انظر المفردات: ص٢٩٦، الكشاف: ٣/ ٢٨، فتح القدير: ٣/ ٤٧٧.
(٨) العنكبوت: ١٧.

"الخُلق" في وصف الكلام فالمراد به الكذب[1].

هـ) السجية والطبع: وهو المعنى المتعلق بموضوع البحث، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2].

و) النصيب: ومنه قوله تعالى:﴿ ما له في الآخرة من خلاق ﴾[3].

ز) الدِّين والعادة: ومنه قوله تعالى:﴿ إن هذا إلا خلق الأولين ﴾[4]، أي دينهم وعادتهم كما رجّحه الطبري.

(١) المفردات: ص٢٩٦.
(٢) القلم: ٤.
(٣) البقرة: ١٠٢، وانظر تفسير الطبري: ١ / ٥١١.
(٤) الشعراء: ١٣٧.

المبحث الثاني:
تأصيل المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم

لقد تقدم بيان المقصود بأخلاق القرآن وما يتضمنه هذا المصطلح من معان، وتطبيقاً لذلك المعنى على ما ورد في القرآن الكريم، نجد أن هناك نصوصاً قرآنية كثيرة، تضمنت ذكر صفات مهمة وقواعد ومبادئ أساسية، تهدف إلى تنظيم حياة الإنسان من حيث علاقته بغيره، كما تبين هذه النصوص ارتباط المنهج الأخلاقي بالعقيدة والعبادة والمعاملات وغيرها، وتشمل أيضاً أنواع الأخلاق وبيان آثارها العملية، ونحو ذلك، وكل هذا تأصيل لهذا المنهج الأخلاقي المتكامل، ويمكن تفصيل شيء من ذلك على النحو الآتي:

أولاً: الآيات الجامعة لمكارم الأخلاق:

وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم آيات جوامع، تضمنت في كل موضع منها بعضاً من المبادئ والصفات والقواعد المكوِّنة للمنهج الأخلاقي في القرآن، من ذلك:

١) مقدمة سورة "المؤمنون" وهي قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ۞ والذين هم عن اللغو معرضون ۞ والذين هم للزكاة فاعلون ۞ والذين هم لفروجهم حافظون ۞ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ۞ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ۞ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ۞ والذين هم على صلواتهم يحافظون ۞ أولئك هم الوارثون ۞ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ۞﴾[1].

(١) المؤمنون: ١-١١.

فهذه الآيات تشمل صفات عديدة، تؤسس قواعد ومبادئ تنظم علاقة الإنسان بغيره، لتشكّل في مجملها "المنهج الأخلاقي في القرآن" إذا جمعت مع مثيلاتها، وقد راعت الجوانب المختلفة من حياة الإنسان: فتضمنت في الناحية التعبدية المحضة: إقامة الصلاة وإتمامها والمحافظة عليها، مع الخشوع فيها الذي يشمل: التواضع والخوف والتذلل، ومع أن الصلاة علاقة بين العبد وربه، لكن أداؤها على الوجه الذي شرعه الله بخشوعها وأركانها وشروطها وواجباتها وسننها وآدابها، يحقق قيماً أخلاقية عظمى: فهي تمنع صاحبها من فعل الفواحش وتكفُّه عن المنكرات، قال تعالى:﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾[1]، كما أن أداءها في الجماعة، يحقق إحياء روح الأخوة الإسلامية، والالتزام بوقتها يغرس في النفس الحرص على الوقت والدقة في المواعيد، ونحو ذلك من الصفات الخلقية الحميدة[2].

- وتضمنت الآيات أداء الزكاة، وهي عبادة عملية، لكن لها علاقة بالجانب الاجتماعي والمالي من جهة الإحسان إلى الفقراء والمساكين، وسد حاجات المعوزين، وبالجانب الأخلاقي لما فيها من تزكية النفس من أدناس الأخلاق ومساوئ الأعمال[3]، قال تعالى:﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾[4] إضافة إلى التربية على جملة من المكارم: كالإحسان والبذل والبر والإنفاق والرحمة والمودة والأخوة، ونبذ الشح والبخل والتقتير ونحوه.

ومما تضمنته الآيات أيضاً في الجانب الاجتماعي لتنظيم علاقات الناس: أداء الأمانات، وحفظ العهود والوفاء بالوعود، وفي الجانب الشخصي: الإعراض عن اللغو بجميع صوره، والمحافظة على العفاف بحفظ الفروج ونحوه.

(١) العنكبوت: ٤٥.
(٢) انظر "أخلاقنا في الميزان"، د. فاطمة نصيف: ص٣٩-٤٠.
(٣) انظر تفسير السعدي: ٣/ ٣٤٦.
(٤) التوبة: ١٠٣.

وهكذا ترسم الآيات منهجاً أخلاقياً فريداً، يشمل تنظيم جوانب متعددة من حياة الإنسان وعلاقته بغيره.

٢) ومن الآيات المشابهة أيضاً: ما جاء في صفات عباد الرحمن في آخر سورة الفرقان، قال تعالى:﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ۞ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ۞ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ۞ إنها ساءت مستقراً ومقاما ۞ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ۞ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ۞ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ۞ إلا من تاب وءامن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ۞ ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ۞ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً ۞ ﴾[1] الآيات.

فهذه الآيات تذكر جملة من الصفات والمبادئ الأخلاقية، التي تنظم علاقة المسلم بغيره، منها[2]: وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده؛ أخذاً من قوله:﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾، ومنها: وصفهم بالحلم والصبر ومقابلة المسيء بالإحسان، والعفو عن الجاهل، ورزانة العقل؛ أخذاً من قوله:﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾، ومنها: العدل والقصد والتوازن:﴿ .. وكان بين ذلك قواماً ﴾، ومنها: حفظ النفوس والأعراض مع العفاف: ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾، ومنها: اجتناب كل موقع ومجلس مشتمل على قول أو فعل محرم، كالغيبة والنميمة والكذب والجدال بالباطل والسب والقذف والاستهزاء وشرب الخمر وشهادة الزور، وغير

(١) الفرقان: ٦٣-٧٢.

(٢) ما سيأتي من تعليق على الآيات، مقتبس بتصرف عن تفسير السعدي: ٣/ ٤٥٠-٤٥٣.

ذلك:﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ وإذا كانوا لا يشهدون الزور، فمن باب أولى، أن لا يقولوه ولا يفعلوه ابتداءً، بل إنهم ينزهون أنفسهم ويكرمونها عن الخوض في اللغو الذي لا إثم فيه أيضاً، لما فيه من سفهٍ ونقص للإنسانية وضعف في المروءة:﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾.

- إنه منهج أخلاقي عجيب متكامل، تسطره هذه النصوص القرآنية المباركة، لتؤصل تلك المبادئ والقواعد الأصيلة.

٣) ومن الآيات التي تضمنت بعض تلك المعاني والصفات، قوله تعالى:﴿إن الإنسان خلق هلوعاً ۞ إذا مسه الشر جزوعاً ۞ وإذا مسه الخير منوعاً ۞ إلا المصلين ۞ الذين هم على صلاتهم دائمون ۞ والذين في أموالهم حق معلوم ۞ للسائل والمحروم ۞ والذين يصدقون بيوم الدين ۞ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ۞ إن عذاب ربهم غير مأمون ۞ والذين هم لفروجهم حافظون ۞ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ۞ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ۞ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ۞ والذين هم بشهاداتهم قائمون ۞ والذين هم على صلاتهم يحافظون ۞ أولئك في جنات مكرمون ۞ ﴾[1].

- ولا حاجة لإعادة التعليقات عليها، فقد اشتملت على مجمل الصفات المذكورة سابقاً.

× وهناك جملة من المواضع القرآنية المشابهة لما ذكر، لا داعي لسردها، ولكن أشير إلى بعضها باختصار، فمنها:

٤) قوله تعالى:﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر.... ﴾[2] الآية.

(١) المعارج: ١٩-٣٥.
(٢) البقرة: ١٧٧.

٥) قوله تعالى:﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات... ﴾[١] الآية.

إلى غير ذلك من الآيات الجامعة، إضافة إلى الآيات المفردة في ذكر خلق معين أو مبدأ أو قاعدة أخلاقية، وهي كثيرة جداً، منها على سبيل المثال:

- آيات "الصبر" وقد تكرر بمعناه الاصطلاحي في أكثر من (٩٠) موضعاً[٢].

- آيات "الإحسان" وقد ذكر بمعناه الخاص المتعلق بالآخرين وهو:(الإنعام على الغير)[٣] في (٦٧) موضعاً[٤].

- ومثلها: آيات البر والعدل والصدق والعفو والجود والعفاف ونحوها[٥].

ثانياً: آية "الخُلُق" بمعناه الاصطلاحي: وهي قوله تعالى:﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[٦] فهذه الآية الوحيدة التي جاء فيها لفظ (الخُلُق) بمعنى السجية أو الهيئة الراسخة في النفس، التي تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، وهو تعريفه في اصطلاح العلماء كما تقدم.

وهي آية عظيمة بليغة، تحمل شهادة وتزكية وتكريماً لخلق الرسول -ﷺ-، وتتضمن في طياتها هديه وسيرته وسمته وشمائله وصفاته، أي تتضمن المنهج الأخلاقي المتكامل لهذا الدين القويم، خاصة وأن هذا "الخُلُق العظيم" ؛ هو القرآن الكريم، كما بينت ذلك أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حين سئلت عن خلقه، فأجابت:(كانت خلقه القرآن)[٧].

إذاً فأخلاق النبي -ﷺ- كانت مقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامه مطابقاً للقرآن، تفصيلاً له وتبييناً، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه

---

(١) الأحزاب: ٣٥.

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: ص٣٩٩-٤٠١.

(٣) انظر المفردات: ص٢٣٦.

(٤) المعجم المفهرس: ص٢٠٢-٢٠٥.

(٥) انظر في ذلك المعجم المفهرس لمواضيع القرآن، محمد نايف معروف.

(٦) القلم: ٤.

(٧) رواه مسلم: ك صلاة المسافرين، باب صلاة الوتر:(٢ / ٣٩٦)، برقم ٧٤٦.

وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع من القرآن، وكذا رغبته فيما رغب فيه، وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره، وتبليغه، والجهاد في إقامته[٨] إذاً فهذه الآية وحدها تؤصل المنهج الأخلاقي في القرآن، فكل خلق محمود جاء في القرآن، فهو من الخلق العظيم الذي كان عليه النبي -ﷺ-، والذي أكده بقوله:(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)، وفي رواية:(مكارم الأخلاق)[٩].

ثالثاً: ومن خلال الآيات السابقة وغيرها، يتبين لنا مدى ارتباط المنهج الأخلاقي في القرآن، بجانب العقيدة والعبادة والمعاملات، والعلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية، والأحوال الشخصية وغيرها، فالعنصر الأخلاقي سمة بارزة في جميع تلك الجوانب، تقوم عليه أصولها التشريعية والتهذيبية على السواء[١٠].

وأمثلة هذا في القرآن والسنة لا تحصر، فكم آية قرنت بين التوحيد والإيمان من جهة، وبين أنواع من الأخلاق من جهة أخرى ؛ كالإحسان قوله تعالى:﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً... ﴾[١١] الآية، وكالبر في قوله:﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل... ﴾[١٢]الآية.

- وهناك آيات وضحت الصلة بين العبادة والأخلاق، كما تقدم في الكلام عن الصلاة والزكاة، ومن ذلك أيضاً: ارتباط الصيام بالتقوى التي هي جماع

(٨) انظر: بدائع التفسير: ٤/ ٥٠٩-٥١٠، الظلال: ٦/ ٣٦٥٦.

(٩) رواه أحمد: ٢/ ٣٨١، والحاكم وصححه: ٢/ ٦١٣، والبخاري في الأدب المفرد برقم ٢٧٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٤٥ (١/ ٧٥).

(١٠) انظر: الظلال: ٦/ ٣٦٥٧، أخلاقنا في الميزان: ص٣٣.

(١١) النساء: ٣٦.

(١٢) البقرة: ١٧٧.

الأخلاق الفاضلة ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[1]، ومثله في الحج وعلاقته بالتقوى وبيان أثر تجنب الأخلاق السيئة في قبول الحج ومغفرة الذنوب:﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾[2].

وهكذا سائر العبادات وكذا المعاملات والعلاقات، ترتبط بالمنهج الأخلاقي في القرآن، وتنطلق من قواعده وأسسه[3].

رابعاً: إن مما يؤصل المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم، ارتباطه بمقاصد الشريعة وبحفظ الضرورات الخمس التي اجتمعت الشرائع والرسالات عليها، وهي "الدين والنفس والعقل والنسل والمال". ذلك أن جميع الشرائع جاءت بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات، مع اختلافها في الفروع والأحكام كما قال تعالى:﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾[4].

- وإذا تأملنا الآيات التي وردت في حفظ تلك الضرورات، نجد أنها تحفظ أنواعاً من الخلق القويم، وتحرم أخلاقاً مذمومة قبيحة، كقوله تعالى:﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾[5].

فتحريم الفواحش والنهي عن الإثم والبغي والظلم، فيه حفظ لتلك الضرورات، مع حفظ الأخلاق وصيانتها.

---

(١) البقرة: ١٨٣.
(٢) البقرة: ١٩٧.
(٣) انظر مزيداً من التفضيل في "أخلاقنا"، د. محمد جوهري: ص٣٧-٤٨، "خلق المسلم"، محمد الغزالي: ص٩-١٣.
(٤) المائدة: ٤٨.
(٥) الأعراف: ٣٣.

- ومما يؤكد هذا أيضاً، أن أعظم ما جاءت الشرائع بحفظه هو الدين، فقد أجمعت رسالات الله على الأمر بالتوحيد وتحريم الشرك، قال تعالى:﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[1]، وهذا التوحيد مبني على أنواع من الأخلاق كالصدق في عبادة الله والعدل والإحسان والتقوى، ومرتبط أيضاً بتحريم الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى:﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[2].

خامساً: إن مما يؤصل المنهج الأخلاقي في القرآن، تنوع الأخلاق التي تضمها، فهي أصناف وأقسام، وقبل بيان أنواع الأخلاق في القرآن، أذكر تقسيماً عاماً لها دلت عليه السنة النبوية، وهو قِسمتها إلى:

١) أخلاق جبلية: أي فُطر عليها الإنسان، وخلقها الله فيه، كما دل على ذلك حديث أشج عبدالقيس، الذي قال له النبي ﷺ:(إن فيك خلتين يحبهما الله: الحِلْم والأناة) قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما ؟ قال:(بل الله جبلك عليهما) قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله[3].

٢) أخلاق مكتسبة: يمكن تحصيلها بالتعلم والتعود عليها، كما دل على ذلك قول النبي ﷺ:(إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم)[4].

---

(١) النحل: ٣٦.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) أخرجه مسلم: ك الإيمان برقم ٢٥، أبو داود: ك الأدب، باب في قبلة الرجل برقم ٥٢٢٥ واللفظ له، الترمذي: ك البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة برقم ٢٠١٠

(٤) رواه الخطيب البغدادي في "تاريخه": ٩/ ١٢٧ وغيره، وهو حديث حسن، (انظر السلسلة الصحيحة، للألباني: رقم ٣٤٢)

× أما مجمل الأخلاق الواردة في القرآن، فيمكن تقسيمها إلى:

١) أخلاق فردية (شخصية): وهي الأخلاق المتعلقة بالفرد، ونفعها لازم له ويعود عليه خاصة، كالإخلاص والاستقامة والعفة والحلم والحياء والصدق والصبر والتواضع، والآيات في هذه الأخلاق كثيرة معلومة.

٢) أخلاق جماعية، (اجتماعية): وهي المتعلقة بالآخرين، ويتعدّى نفعها إليهم، كالوفاء بالعهد، والإحسان إلى الوالدين، والعطف على الفقراء، والعفو عن المسيء، وكظم الغيظ، والأخوة، والجود والكرم، ونحوها.

- وكذلك فإن الآيات الدالة عليها كثيرة معلومة.

× وقد فصّل بعضهم في التقسيم، فجعل الأخلاق خمسة أنواع[1]، وهي:

١) الأخلاق الفردية: مثل: العفة والاستقامة والصدق ونحوها.

٢) الأخلاق الأسرية: مثل: الإحسان إلى الوالدين، معاشرة الزوجة بالمعروف، صلة الرحم، ونحوها.

٣) الأخلاق الاجتماعية: مثل: أداء الأمانة، والوفاء بالوعد، إصلاح ذات البين، الإحسان إلى الفقراء، ونحوها.

٤) أخلاق الدولة: مثل: الشورى والعدالة والوفاء بالمعاهدات ونحوها.

٥) الأخلاق الدينية: مثل: طاعة الله وشكره، والرضا بقضائه وقدره، ومحبته والخوف منه، والتوكل عليه، ونحوها.

(١) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، د. عبدالله دراز: ص٦٨٩-٧٧١.

- وأدله هذه الأنواع في القرآن معروفة أيضاً، وقد تقدم ذكر بعضها.

× والخلاصة: أن القرآن الكريم، قد عني بتأصيل المنهج الأخلاقي، من خلال تلك الآيات الجامعة لمكارم الأخلاق، والآيات المفردة الخاصة ببعضها، وارتباط الأخلاق القرآنية بالجوانب العقدية والعبادية والاجتماعية وغيرها، إضافة إلى كثرة أقسامها وتعدد أنواعها.

ولا شك أنّ التعليم الديني إذا عُني بتعليم أخلاق القرآن والتدريب العملي على تطبيقاتها في واقع الحياة فهو يرسم للمتعلمين منهجاً فريداً في الضبط الأخلاقي والبناء القيمي والايجابية في التعامل مع واقع الحياة.

المبحث الثالث:

خصائص المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم

تبين لنا مما تقدم أن الأخلاق في القرآن، تمثل منهجاً متكاملاً، له مميزاته وخصائصه التي يتفرد بها دون سائر المناهج والأنظمة والقوانين، ذلك أن القرآن كلام الله تعالى، الذي قال:﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[1]، وغيره من المناهج والمبادئ كلام البشر، الموصوفين بقول الله تعالى:﴿ إنه كان ظلوماً جهولا﴾[2].

ولذا فتتلخص خصائص المنهج الأخلاقي في القرآن فيما يلي[3]:

١) أن مصدره الوحي، واستمداده من القرآن وبيان السنة النبوية، فهو محفوظ من كل نقص أو عيب أو خلل:(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[4].

٢) أنه شامل لجميع أنواع الأخلاق، وجميع جوانب الحياة، فهو مرتبط بجانب العقيدة والعبادة والمعاملات ونحوها -كما تقدم- ويصدِّق هذا قوله تعالى:﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[5].

٣) أنه عام لجميع البشر، صالح لكل زمان ومكان، ولكل فرد ومجتمع وأمة، لأنه الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، قال تعالى:﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[6]. وقال:﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾[7].

---

(١) الملك: ١٤.

(٢) الأحزاب: ٧٢.

(٣) انظر تفصيل هذه الخصائص في:("نضرة النعيم": ١/ ٨١-٨٣، "أخلاقنا" ص٣٠-٣٦، "دستور الأخلاق": ص٥٣-٩٦) وغيرها.

(٤) الحجر: ٩.

(٥) الأنعام: ٣٨.

(٦) المائدة: ٣.

(٧) الفرقان: ١.

٤) أنه منهج وسطي، فهو يراعى مصلحة الفرد والجماعة، ويلبي حاجات الروح والجسد والعقل، ويوازن بين طلب الآخرة وعمارة الأرض في الدنيا، وهكذا، دون تغليب لجانب على آخر، وتصوّر هذه الوسطية آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى:﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾[١]، وقوله تعالى:﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾[٢].

٥) أنه منهج ثابت القيم، أصيل المبادئ، لا تتغير قواعده المنهجية، ولا تقبل التبديل أو الاجتهاد، ولا تخضع للمصالح الشخصية والأهواء الفردية، ومع ذلك فهو منهج مرن بما تقضيه المصلحة الشرعية، قال تعالى:﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾[٣].

٦) أن المسئولية فيه لها جانبان: مسؤولية شخصية، قال تعالى:﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾[٤] ومسئولية جماعية، قال تعالى: ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾[٥].

٧) أنه يترتب عليه جزاء دنيوي وأخروي، وعقاب في الحياتين للمخالفين، قال تعالى في جزاء الأبرار:﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾[٦]، وقال سبحانه في عقاب الفجار:﴿ ... فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾[٧].

٨) أن الرقابة منه رقابة إلهية ربانية، فالرقيب على أداء هذه الأخلاق، هو الله عز

(١) القصص: ٧٧.
(٢) الإسراء: ٢٩.
(٣) الروم: ٣٠.
(٤) الطور: ٢١.
(٥) الأنفال: ٢٥.
(٦) النحل: ٩٧.
(٧) البقرة: ٨٥.

وجل، الذي قال:﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾[1]، وقال:﴿ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾[2].

٩) أنه منهج واقعي، يمكن تطبيقه في حياة الناس، والعمل به دون عنت أو مشقة، ولا يطلب من البشر ما لا يطيقون قال تعالى:﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾[3].

١٠) أنه سهل ميسر في الجانب العملي، غايته التخفيف ورفع الحرج عن الناس، قال تعالى:﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾[4] وقال:﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾[5].

(١) طه: ٧.
(٢) يونس: ٦١.
(٣) الطلاق: ٧.
(٤) الحج: ٧٨.
(٥) النساء: ٢٨.

المبحث الرابع:

أثر تعليم أخلاق القرآن في احترام حقوق الإنسان

إن التعليم الديني لأخلاق القرآن الكريم بمفهومها الشامل والتدريب على مهارات التعامل بها، لابد وأن يترك أثراً كبيراً في الجانب التطبيقي العملي، فالالتزام بالمنهج الأخلاقي القرآني الفريد، يقتضي حتماً احترام "حقوق الإنسان" بصفة خاصة، وغيرها من الواجبات الدينية والأحكام الشرعية بصفة عامة.

وتوضيحاً للآثار المترتبة على تعليم وتطبيق المنهج الأخلاقي القرآني في احترام مبادئ حقوق الإنسان، ألخصها في الآتي:

١) أن الأخلاق الواجبة هي أداء للحقوق بكمالها وتمامها، وهذا أعظم احترام لحقوق الإنسان، حيث جعل "المنهج الأخلاقي في القرآن" تطبيق هذه الأخلاق وممارستها واقعاً ؛ جزءاً من الدين، يترتب عليه الجزاء والحساب، والثواب والعقاب[١].

٢) أن الأخلاق المستحبة بعمومها، تدعم وتقوي جانب احترام الحقوق وتزيدها قيمة واعتباراً، فلئن كانت الأخلاق الواجبة تفرض الحد الأدنى الذي يلزم اداؤه، فإن المستحب منها يضيف أضعاف ذلك الحد المفروض، ويعمق تطبيقها، حتى يتلذذ المسلم بأدائها، ويسعى للوصول إلى أقصى درجاتها، فعلى سبيل المثال: من الحقوق المفروضة في أخلاق القرآن:"حق المسكين"، وربما كان الحد الأدنى منه الإنفاق عليه، ووجوب دفع الزكاة إليه، لكن آيات المنهج الأخلاقي في القرآن، جاءت بالحث على مطلق "الإحسان" إليه، من غير تحديد لنوع الإحسان، ولذا فإن أداء خلق "الإحسان" نحوه، يفتح للمحسن

(١) انظر فصل (الجريمة والعقاب) من كتاب "الإنسان بين المادية والإسلام" لمحمد قطب: ص ١٤١.

أبواباً من البر والخير لا تقف عند حد، وكلما كان الإحسان إليه أكثر، كان الأجر أعظم، وتعمق أداء الحق بصورة أكبر.

٣) أن الالتزام بأخلاق القرآن يضبط سلوك الفرد، فيتصرف في ضوئها وعلى هديها[١]، وبالتالي يوجهه هذا المنهج الأخلاقي إلى عدم الاعتداء على حقوق الغير، وإلى احترامها وتقديرها، حتى يصبح هذا الانضباط السلوكي الداخلي، هدياً له وسمتاً.

٤) أن تطبيق أخلاق القرآن، يصلح الفرد نفسياً، ويوجهه نحو الخير والإحسان الواجب -وهو أداء الحقوق المفروضة للآخرين- كما يوجهه إلى كافة مكارم الأخلاق التي توفر حياة نظيفة سليمة، يضمن فيها الفرد احترام حقوقه كاملة غير منقوصة[٢].

٥) أن أداء الأخلاق القرآنية، يرفع الإنسان عن النقص البشري الذي يقع نتيجة لبعض صفات النقص، التي منها الاستهتار بحقوق الآخرين، واللامبالاة نحوهم، وغيرها. فتأتي هذه الأخلاق لتكمل هذا النقص، وتسد الخلل، وتجبر الضعف، فينشأ الفرد المسلم راقياً في أخلاقه، كاملاً في صفاته، محترماً لنفسه، ومراعياً لحقوق غيره.

٦) أن الاتصاف بمنهج الأخلاق القرآني، يحفظ على المجتمع تماسكه ويضمن له الاستقرار والثبات، ويربط بين أجزائه من الجوانب المختلفة: ثقافياً واجتماعياً وخلقياً، ونحوه.

وهذا الترابط والتماسك يورث احتراماً حقيقياً للحقوق بأنواعها، كما أنه بقي المجتمع -بإذن الله- من الأنانية المفرطة والنزعات والأهواء الطائشة، التي غالباً

(١) انظر: نضرة النعيم: ١ / ٨٥، بتصرف.
(٢) نفس المصدر: ١ / ٨٥، بتصرف.

ما تكون سبباً في انتهاك الحقوق والاعتداء على الحريات وغيرها[1].

٧) أن تطبيق القيم الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم، يتجاوز أثرها حفظ حقوق الفرد والمجتمع، إلى إطار أرحب وأوسع، وهو مجال العلاقات الدولية العامة، فهناك حقوق عامة مشتركة بين أمم الأرض، ينبغي أن يراعيها ويحترمها جميع العالم بدوله وشعوبه وأممه وأفراده، مما يوجبه العرف، ويمليه منطق الفطرة والعقل السليم، كالعدل والمساواة، والحرية وحفظ الأمن، ونشر العلم والفضيلة، ومحاربة الجهل والفساد والرذيلة، وفتح باب الحوار لبيان الحق، ونحو ذلك[2].

وهذه الحقوق وغيرها لا يمكن تحقيقها واحترامها إلا إذا انطلقت من منهج أخلاقي شرعي، يعتبر أداءها قيمة وفضيلة، كما هو الحال في منهج القرآن.

٨) وتبعاً لأثر الأخلاق في احترام الحقوق المتعلقة بجانب العلاقات الدولية الخارجية، فإن هذا الأثر كما يظهر في حال السلم، فهو ثابت في حال الحرب أيضاً، رغم اختلاف الدين والعقيدة، ويتبين ذلك من خلال حقوق المحاربين، التي منها:

أ) ترك المساس بأمن المحايدين[3]: كما قال تعالى في شأنهم: ﴿... فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾[4].

فهؤلاء المحايدون المستسلمون لا يجوز قتلهم ولا أسرهم ولا نهب أموالهم، لأن استسلامهم يمنع من ذلك ويحرمه[5].

(١) نفس المصدر: ١/ ٨٦، باختصار وتصرف.
(٢) انظر مبحث (أنواع الحقوق) في بحث: "حقوق الإنسان: مفهومه وتطبيقاته في القرآن": ص٤٧.
(٣) انظر "دستور الأخلاق في القرآن": ص٧٥٥.
(٤) النساء: ٩٠.
(٥) انظر فتح القدير: ١/ ٤٩٦.

ب) احترام حقوق المعاهدين، ووجوب الوفاء لهم بمعاهداتهم ومواثيقهم، ماداموا محافظين عليها غير ناكثين لها، قال تعالى:﴿إلا الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾[1]. أي فلا يجوز قتالهم، مادام هذا حالهم.

ج) مراعاة حق المرأة والطفل والشيخ الكبير، وعدم جواز الاعتداء عليهم أو قتلهم، ما لم يقاتلوا، قال تعالى:﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا ﴾[2] ويبين هذا قوله ﷺ في وصاياه للسرايا والبعوث:(اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)[3]. وفي الحديث الآخر:(أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان). وفي رواية:(فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان)[4].

إذاً فهذه الحقوق المعتبرة شرعاً، والمحترمة واقعاً، هي نتيجة لتلك الأخلاقيات العالية، التي جاءت في منهج القرآن.

٩) ونظراً للاشتراك بين "الأخلاق" و "حقوق الإنسان" في القرآن، من حيث ارتباطهما بجوانب الحياة المختلفة من ناحية العقيدة والعبادة والمعاملة والعلاقات الأسرية والاجتماعية وغيرها، ومن حيث علاقتهما بمقاصد الشريعة، وحفظ الضرورات الخمس وهي: "الدين والنفس والمال والعرض والعقل"، فإن تطبيق المنهج الأخلاقي في هذه الجوانب، سيحقق جزءاً كبيراً من الغاية التي فرضت من أجلها "الحقوق"، وهذا من أعظم آثار المنهج الأخلاقي في القرآن، في احترام حقوق الإنسان.

(١) التوبة: ٧.
(٢) البقرة: ١٩٠.
(٣) أخرجه مسلم: ك الجهاد برقم ١٧٣١، والترمذي: ك السير برقم ١٦١٧، وأبو داود: ك الجهاد برقم ٢٦١٣.
(٤) انظر صحيح مسلم: ك الجهاد، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، برقم ١٧٤٤.

١٠) أن الأخلاق الفردية العملية، التي حث عليها القرآن، حين يلتزمها المسلم، فإنها لابد أن تقوده إلى احترام حقوق الآخرين، وتمنعه من الاعتداء عليها، فمثلاً: من هذه الأخلاق الفردية: خلق العفة والاحتشام وغض البصر، كما قال تعالى:] قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم..)[١] الآية.

وتطبيق المسلم لهذا الخلق، يلزم منه حتماً: احترام حقوق الغير، فلا يعتدي على أعراض الآخرين، ولا ينتهك حرماتهم، ومثل ذلك يقال في خلق التواضع حين يلتزمه المسلم، فإنه يحترم بذلك أنواعاً من الحقوق الاجتماعية، كحق الوالدين والإحسان إلى الفقراء والمساكين، وحق الآخرين في التعبير عن الرأي، وهكذا[٢].

١١) وفي المقابل فإن الأخلاق الأسرية والاجتماعية، التي رغب فيها القرآن، فإنها سبب في احترام حقوق كثيرة، فمن الأخلاق الأسرية المحمودة: خلق الرحمة والمودة المذكورة في قوله تعالى:﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾[٣]، وكذا خلق المعاشرة بالمعروف، قال تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف ﴾[٤]، وأداء هذه الأخلاق وتطبيقها في الواقع العملي، يؤدي إلى احترام حقوق مفروضة للزوجة، كحقها في النفقة والسكن وحسن العشرة ونحوها، وهكذا في سائر الأخلاق.

(١) النور: ٣٠.
(٢) انظر: "دستور الأخلاق": ص٦٩٣.
(٣) الروم: ٢١.
(٤) النساء: ١٩.

الخاتمة

وبعد تأمل شيء يسير من آيات القرآن العظيم، ومحاولة الكشف عن بعض أسرار المنهج القرآني واستخراج بعض كنوزه في الجانب الأخلاقي، ألخص أهم النتائج فيما يلي:

١) أن القرآن قد عني بالجانب الأخلاقي عناية مميزة، وله في ذلك منهج أصيل يلمسه من تدبر آيات الأخلاق في القرآن الكريم.

٢) أن المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجانب العقيدة والعبادة والمعاملات والعلاقات الاجتماعية والدولية وغيرها، إضافة إلى ارتباطه بمقاصد الشريعة وحفظ الضرورات الخمس، ذلك أن العنصر الأخلاقي سمة بارزة في كل تلك الجوانب.

٣) للمنهج الأخلاقي في القرآن خصائص تفرد بها، من حيث الربانية والشمول والوسطية، والثبات واليسر والواقعية، وترتب الجزاء الدنيوي والأخروي عليه.

٤) أن التعليم الديني لأخلاق القرآن له أثر كبير في احترام "حقوق الإنسان"، فالأخلاق الواجبة هي أداء للحقوق المشروعة، وتطبيق هذا المنهج الأخلاقي يضبط سلوك الفرد ويصلحه، ويحفظ تماسك الجميع، ويتعدى أثره إلى الحقوق الدولية العامة، ونتيجة ذلك كله، تحقيق الاحترام والتقدير للحقوق بأنواعها وأصنافها.

٥) إن إهمال التعليم الديني لأخلاق القرآن وعدم التدريب على تطبيقاتها في عالم اليوم ، أورث انحرافاً خلقياً، وفساداً سلوكياً، لفساد القيم والمبادئ التي شرّعها الإنسان لنفسه، والتي تحكمها الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية

لهذا الإنسان وهو الموصوف بالجهل والظلم ﴿ إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾[1]، فكانت النتيجة ذلك الركام الهائل من الفساد الأخلاقي الذي يدل على عمق الهاوية التي تسير إليها بعض المجتمعات المعاصرة، ولا خلاص لها إلا بـ" أخلاق القرآن".

هذا والله أعلم وصلى اله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أ.د. يحيى بن محمد حسن زمزمي

(١) الأحزاب: ٧٢.

المراجع والمصادر

١- الأشقر: محمد بن سليمان / "زبدة التفسير من فتح القدير" / وزارة الأوقاف - الكويت / ط الثانية ١٤٠٨هـ.

٢- الأصفهاني: الراغب، حسين بن محمد / "مفردات ألفاظ القرآن" / ت: صفوان داوودي / دار القلم - دمشق / ط الثانية ١٤١٨هـ.

٣- الألباني: محمد ناصر الدين / "سلسلة الأحاديث الصحيحة / المكتب الإسلامي / ط الثانية ١٣٩٩هـ.

٤- ابن الأثير: المبارك بن محمد / "النهاية في غريب الحديث والأثر" / ت: طاهر الزاوي، محمود الطناحي / المكتبة العلمية - بيروت.

٥- ابن حنبل: أحمد بن محمد / المسند / المكتب الإسلامي - بيروت / ط الرابعة.

٦- ابن عاشور: محمد الطاهر / "التحرير والتنوير" / الدار التونسية / ط ١٩٨٤م.

٧- ابن فارس: أحمد / "مقاييس اللغة" / ت: عبدالسلام هارون / القاهرة ١٩٦٩م.

٨- ابن القيم: محمد بن أبي بكر / "مدارج السالكين" / ت: رضوان جامع رضوان / المكتب الثقافي - الأزهر ٢٠٠١م.

٩- ابن كثير: إسماعيل، الدمشقي / "تفسير القرآن العظيم" / دار إحياء الكتب العلمية / فيصل البابي الحلبي.

١٠- ابن مسكويه / "تهذيب الأخلاق" / دار الكتب العربية - بيروت / ١٤٠١هـ.

١١- ابن مفلح: محمد المقدسي / "الآداب الشرعية" / ت: شعيب

الأرناؤوط، عمر القيام / مؤسسة الرسالة - بيروت / ط الثانية ١٤١٧هـ.
١٢- ابن منظور: محمد بن مكرم / "لسان العرب" / دار إحياء التراث العربي - بيروت / ط الثالثة ١٤١٣هـ.
١٣- أبو داود: سليمان بن الأشعث / "سنن أبي داود" / ومعه "معالم السنن للخطابي" / دار الحديث - بيروت / ط الأولى ١٣٩١هـ.
١٤- البخاري: محمد بن إسماعيل / "الأدب المفرد" / مكتبة الآداب - القاهرة.
١٥- البخاري: "الجامع الصحيح" - صحيح البخاري / دار المعرفة - بيروت. الأولى ١٤٢٣هـ.
١٦- الترمذي: محمد بن عيسى / "سنن الترمذي = الجامع الصحيح" / مطبعة مصطفى الحلبي / ت: إبراهيم عطوة / ط الثانية ١٣٩٥هـ.
١٧- الجاحظ / "تهذيب الأخلاق" / دار الصحابة للتراث - القاهرة.
١٨- الجرجاني: الشريف علي بن محمد / "كتاب التعريفات" / دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٦هـ.
١٩- جوهري: د. محمد ربيع / "أخلاقنا" / مكتبة دار الفجر الإسلامية - المدينة المنورة / ط الرابعة ١٤٢٠هـ.
٢٠- الجوهري: إسماعيل بن حماد / "الصحاح" / دار العلم-بيروت / ط الثالثة ١٤٠٤هـ.
٢١- الحاكم: أبو عبدالله النيسابوري / "المستدرك على الصحيحين" / دار المعرفة - بيروت.
٢٢- دراز: د. محمد عبدالله / "دستور الأخلاق في القرآن" / مؤسسة الرسالة - بيروت / ط الرابعة ١٤٠٥هـ.

٢٣- الزمخشري: محمود بن عمر / "الكشاف" / ت: محمد الصادق قمحاوي / مطبعة مصطفى الحلبي - مصر.
٢٤- السحمراني: د. أسعد / "الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة" / دار النفائس - بيروت / ١٩٨٨م .
٢٥- السعدي: عبدالرحمن بن ناصر / "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" / دار المدني - جده / ١٤٠٨هـ.
٢٦- الشوكاني: محمد بن علي / "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير" / دار الفكر - بيروت / ١٤٠٣هـ.
٢٧- الطبري: محمد بن جرير / "جامع البيان في تأويل القرآن" / دار الكتب العلمية - بيروت / ط الأولى ١٤١٢هـ.
٢٨- عبدالباقي: محمد فؤاد / "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" / دار الحديث - القاهرة / ١٤٠٧هـ.
٢٩- الغزالي: أبو حامد، محمد بن محمد / "إحياء علوم الدين" / دار الكتب العلمية - بيروت م ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٣٠- الغزالي: محمد / "خلق المسلم" / الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية / ١٤٠٠هـ
٣١- الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب / "القاموس المحيط" / المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت.
٣٢- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي / "المصباح المنير" / مكتبة لبنان - بيروت.
٣٣- القرطبي: محمد بن أحمد / "الجامع لأحكام القرآن" / دار الكتب العلمية - بيروت / ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٤- قطب: سيد / "في ظلال القرآن" / دار الشروق - القاهرة / الطبعة الحادي عشرة ١٤٠٥هـ

٣٥- الماوردي: أبو الحسن "تسهيل النظر وتعجيل الظفر" / ت: محي الدين السرحان / بيروت ١٩٥٣م.

٣٦- الماوردي: أبو الحسن / "النكت والعيون" / ت: السيد عبدالمقصود / دار الكتب العلمية - بيروت / ١٩٩٢م.

٣٧- معروف: محمد نايف / "المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم" / دار النفائس / ط الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٨- محمد: يسري السيد / "بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية" / دار ابن الجوزي - السعودية / ط الأولى ١٤١٤هـ.

٣٩- موسوعة "نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ " / إعداد: مجموعة من المختصين / دار الوسيلة / ط الأولى ١٤١٨هـ.

٤٠- الميداني: عبدالرحمن حسن حبنكة / "الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة" / دار النفائس - بيروت / ١٩٨٨م.

٤١ - نصيف: د. فاطمة عمر / "أخلاقنا في الميزان" / دار المحمدي - جده / ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٢- النيسابوري: مسلم بن الحجاج / "صحيح مسلم" / ت: محمد فؤاد عبدالباقي / دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ.

٤٣- ونسنك: د / أ.ي / "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي" / مكتبة بريل - ليدن ١٩٣٦م.

٤٤- يالجن: مقداد / "التربية الأخلاقية الإسلامية" / مكتبة الخانجي - القاهرة / ط الأولى ١٩٧٧م.

دور الكراسي العلمية في

تطوير الدراسات القرآنية

كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى نموذجاً

ورقة عمل مقدمة

للمشاركة في المؤتمر الدولي: (التجديد في الدراسات القرآنية)

الذي ينظمه قسم القرآن والحديث بجامعة ملايا – ماليزيا

خلال الفترة من ٢٥-٢٦ محرم لعام ١٤٣٦هـ.

إعداد

أ. د. يحيى بن محمد حسن زمزمي

المشرف على كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم

بجامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد: فإن خدمة الدراسات القرآنية شرف عظيم وهدف نبيل تسابق فيه المتسابقون وتنافس فيه المتنافسون، فالقرآن الكريم روح الأمة وهُداها، فهو نور ورحمة وموعظة وشفاء وفي سبيل خدمة الكتاب المبين بادر أهل الفضل وفقهم الله بإنشاء عدد من الكراسي العلمية والمراكز البحثية لخدمة الدراسات القرآنية، فأُطلقت (٧) كراسي قرآنية في المملكة العربية السعودية ومنها كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى وتنوعت مجالات خدمات هذه الكراسي بين تطوير الدراسات القرآنية ونشر هدايات القرآن وتطويع التقنيات الحديثة في خدمة كتاب الله تعالى، وغير ذلك كما تعددت مناشط هذه الكراسي لتشمل المؤتمرات العالمية وتأليف الموسوعات وطباعة الإصدارات ونشر الأبحاث والمؤلفات، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث للمشاركة به في المؤتمر الدولي: (التجديد في الدراسات القرآنية) الذي ينظمه قسم القرآن والحديث بجامعة ملايا – ماليزيا خلال الفترة من ٢٥-٢٦ محرم لعام ١٤٣٦هـ.

عنوان البحث:

دور الكراسي العلمية في تطوير الدراسات القرآنية -كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى نموذجاً.

علاقة الموضوع بمحاور المؤتمر:

يرتبط هذا البحث بالمحورين الخامس والسادس، فالمحور الخامس: (سبل تطوير رسائل وبحوث الدراسات القرآنية العلمية في الجامعات)، والمحور السادس: (المؤسسات الدولية الرسمية وغير الرسمية ودورها في خدمة

الدراسات القرآنية بين الواقع والطموح)، فهذا البحث يعنى بيان مجالات تطوير الدراسات القرآنية من خلال الكراسي العلمية باعتبارها مؤسسات علمية لها صفتها الاعتبارية وترتبط بالجامعات ولها أثرها الملحوظ في خدمة الدراسات القرآنية.

أهمية البحث:

الحاجة إلى الجهود المؤسسية للتجديد في الدراسات القرآنية.

وجود كراسي علمية ومراكز تميز بحثي متخصصة في مجال الدراسات القرآنية تحتاج إلى التعريف بها وإبراز دورها.

توفر رصيد علمي وتطبيقي لدى الكراسي العلمية في تطوير الدراسات القرآنية.

أهداف البحث:

١-التعريف بجهود الكراسي العلمية في خدمة الدراسات القرآنية.

٢-بيان أثر الكراسي العلمية في مواكبة التجديد في الدراسات القرآنية.

٣-عرض أبرز النماذج التطويرية لمخرجات الكراسي العلمية القرآنية.

هيكل البحث:

أولاً: مقدمات تعريفية.

ثانياً: التعريف بأبرز الكراسي العلمية المختصة بالدراسات القرآنية.

ثالثاً: معالم التجديد في الدراسات القرآنية من خلال الكراسي العلمية.

رابعاً: نماذج تطويرية في خدمة الدراسات القرآنية بكرسي الملك عبدالله للقرآن الكريم.

خامساً: الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

أولاً: مقدمات تعريفية

تعريف الكراسي العلمية:

الكرسي هو منصب للبحث والتدريس في علوم معينة يتم الإنفاق عليه من ريع أوقاف مختصة بخدمة العلم.[١]

ويطلق عليها أيضاً: "الكراسي البحثية" وهي مجموعة من البرامج البحثية في مختلف فنون المعرفة (العلمية والنظرية)، يتم تنفيذها عن طريق الشراكة بين المؤسسة الأكاديمية وشخصية أوجهة (ما) في المجتمع ، تمول مشروع بحث أحد هذه البرامج مما تقوم به الجامعة؛ من خلال فرق البحث العلمي؛ للوصول إلى نتائج تخدم الوطن والمجتمع ، وتثري المعرفة واقتصادياتها.[٢] وعرفها بعضهم بأنها: وضع أكاديمي يوفر للأستاذ دعماً مالياً طويل الأجل لمساندة بحثه في مجال محدد من المعرفة.[٣]

تاريخ الكراسي العلمية:

برز الاهتمام بالأوقاف على الكراسي العلمية عند المسلمين في القرن العاشر الهجري، وذلك بهدف نشر العلم وخدمة أهله وكفالة العلماء والمتعلمين مالياً لضمان تفرغهم وانقطاعهم للعلم والتعليم.

ويعود تاريخ إنشاء الكراسي العلمية بمفهومها المؤسسي المعاصر إلى القرن السابع عشر الميلادي، وهي تنتشر في جميع أنحاء العالم، وفي عدد كبير من الدول. ولعل أشهر الكراسي العلمية في العالم كرسي هنري لوكاس بجامعة كمبردج، وقد شغله أكثر من ١٧ عالماً أشهرهم إسحاق نيوتن في أواخر القرن السابع عشر.

---

(١)) أنظر: جهود كرسي الملك فهد بجامعة لندن في خدمة القرآن الكريم – د.هدى الدليجان

(٢)) موقع جامعة أم القرى: https: / /uqu.edu.sa

(٣)) المجلة السعودية للتعليم العالي – بحث" كراسي البحث:التجربة السعودية في ضوء الممارسات العالمية" د.ناصر العقيلي، أ.د.ستيفن همفريز.

وتعد الولايات المتحدة الأمريكية رائدة في عدد الكراسي العلمية الآن، حيث يوجد بها الآلاف من الكراسي العلمية. ويوجد أكثر من ٢٠٠٠ كرسي علمي في كندا وأكثر من ٢٠٠ كرسي علمي في جنوب إفريقيا. ويوجد في المملكة العربية السعودية بنهاية ٢٠١٢ ما يزيد عن١٥٠ كرسي علمي، وقد تأسس أول كرسي علمي بالسعودية بجامعة الملك فهد عام ١٩٩٦م.

ومن الكراسي العلمية العربية العالمية كرسي الملك عبد العزيز بجامعة كاليفورنيا، وكرسي الملك فهد بجامعة لندن الذي عني بإصدار:(«معجم ألفاظ القرآن الكريم»)، وكرسي الأمير نايف بجامعة موسكو، وكرسي الأمير الوليد بن طلال بجامعة هارفرد الأمريكية، وكرسي السلطان قابوس بجامعة كمبردج، وكرسي محمد سعيد فارسي بالجامعة الأمريكية بواشنطن.[١]

أهداف الكراسي العلمية:[٢]

تسعى الكراسي البحثية في الجامعات – بشكل عام - إلى تحقيق عدد من الأهداف العلمية ومن ذلك:

الإسهام في إثراء المعرفة الإنسانية بكافة فروعها.

تحقيق النمو الاقتصادي القائم على الشراكة بين الجامعة والمجتمع؛ بما يثري العلوم والمعارف العلمية والعملية؛ لتحقيق أهداف الاقتصاد المعرفي.

استقطاب العلماء والباحثين من ذوي العقول المبدعة والكفاءات المتميزة في مجال البحث العلمي محلياً وعالمياً.

نشر ثقافة البحث والتطوير والابتكار والإبداع في مختلف مجالات العلوم والمعارف الإنسانية والأساسية والتطبيقية المتعلقة بمجال اهتمام الكراسي.

---

(١)) أنظر: كتاب الكراسي العلمية-د.عبدالرحيم المغذوي، بحث:جهود كرسي الملك فهد بجامعة لندن في خدمة القرآن الكريم – د.هدى الدليجان، وموقع جامعة طيبة الالكتروني: http://www.taibahu.edu.sa/default.aspx

(٢)) انظر مجمل هذه الأهداف في مواقع الجامعات التالية على الشبكة العنكبوتية: جامعة أم القرى / جامعة طيبة / جامعة الملك سعود.

توفير الدعم المالي لتشجيع البحث العلمي بشكل يحقق له الاستمرارية والديمومة.

تطوير البيئة البحثية بما يتوافق مع المعايير العلمية العالمية، وتحقيق التنمية المستدامة لضمان الجودة الشاملة.

تشجيع الطلاب والطالبات على المشاركة في المشاريع البحثية، لاستكشاف الموهوبين والمبدعين والمبتكرين منهم؛ وتوظيف طاقاتهم في خدمة البحث العلمي.

ثانياً: التعريف بأبرز الكراسي العلمية المختصة بالدراسات القرآنية

بذلت المؤسسات العلمية عموماً والجامعات على وجه الخصوص جهوداً كبيرة في خدمة البحث العلمي المختص بالدراسات القرآنية، وتمثلت هذه الجهود في إنشاء الكليات والأقسام القرآنية وتخريج الطلاب حملة الماجستير والدكتوراه في المجالات القرآنية المتنوعة كعلم القراءات والتفسير وعلوم القرآن ونحوها، وعُنيت كثير من الجامعات بتأسيس مراكز للبحوث القرآنية، ومنها على سبيل المثال: مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا – ماليزيا [١]، ومركز أبحاث تقنية المعلومات لخدمة القرآن الكريم وعلومه "نور" بجامعة طيبة – السعودية.[٢]

وكان من ضمن اهتمام الجامعات: إنشاء كراسي علمية مختصة بالأبحاث والدراسات القرآنية – وهي محور الحديث في هذا البحث – وحسب ما اطلعت عليه فقد تركزت هذه الكراسي القرآنية في الجامعات السعودية، حيث تأسست (٧) كراسي موزعة على (٦) جامعات، وسأعرض تعريفاً موجزاً بهذه الكراسي مرتبة حسب تاريخ إنشائها، وهي على النحو الآتي:

---

(١)) أنظر موقع مركز بحوث القرآن: http://centrequran.org/

(٢)) أنظر موقع مركز "نور": http://www.nooritc.org/

كرسي المعلم محمد عوض بن لادن للدراسات القرآنية – جامعة الملك عبد العزيز بجدة[1]

الرؤية: أن يكون برنامج الكرسي مصدر إشعاع، ومنبر إبداع، جامعاً بين الأصالة والمعاصرة، متناسباً مع جميع شرائح المجتمع؛ ليسد احتياجات الباحثين والمتخصصين، ويخدم المسلمين خاصة، والبشرية عامة

الرسالة: تعظيم القرآن الكريم وتيسير إقرائه وفهمه وتدبره، بالاستفادة من الطاقات العلمية والتقنية السمعية والمرئية.

أهم الأهداف:

الارتقاء بمستوى الدراسات القرآنية داخل الجامعة وخارجها.

الإبداع في البحث العلمي في الدراسات القرآنية.

المشاركة في الخطة الوطنية لتنمية البحث العلمي.

تجديد التخطيط في الدراسات القرآنية.

أبرز المشاريع البحثية:

موسوعة بيبلوغرافيا علوم القرآن.

الرد على الشبهات الكبرى (ستة أجزاء).

معجم القراء من القرن التاسع الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري.

(١)) أنظر: التقرير السنوي للكرسي ١٤٣٣هـ، الموقع الالكتروني للكرسي: http: / /binladenchair-qs.kau.edu.sa)

كرسي تعليم القرآن الكريم وإقرائه – جامعة الملك سعود بالرياض[1]

الرؤية: الريادة في بحوث تعليم القرآن الكريم وبرامجه.

الرسالة: تأصيل بحوث إقراء القرآن الكريم وتعليمه ونشر برامجه وضبط تقنياته.

أهم الأهداف:

١- دعم البحث العلمي في مجال تعليم القرآن الكريم والدراسات القرآنية.

٢- نشر النتاج العلمي والبحوث المتميزة تعليم القرآن الكريم وإقرائه.

٣- تقديم الاستشارات للمؤسسات التعليمية فيما يتصل باستخدام التقنية في تعليم القرآن الكريم.

٤- استحداث التقنيات الحديثة واستثمارها وتطويعها لخدمة القرآن الكريم وعلومه.

أبرز المشاريع البحثية [2]:

إجراء اعتماد وتوثيق الإجازات والكتب المسموعة

جمع المشكلات القرآنية المرتبطة بتعليم القرآن الكريم وإقرائه

إصدار سلسلة محكمة في تعليم القرآن الكريم وإقرائه

إصدار مجموعة من الكتب المتعلقة بتعليم القران الكريم وإقرائه

---

(١)) انظر: التقرير الدوري للكرسي لعام ١٤٣٣ / ١٤٣٤هـ د.محمد العمر / صفحة الكرسي على موقع جامعة الملك سعود: https://c.ksu.edu.sa/quran

(٢)) انظر: كتيب ملتقى كبار القراء-كرسي تعليم القرآن وإقرائه ١٤٣٥هـ، مقدمة كتاب "جهود الأمة الإسلامية في رسم القرآن-د.عبدالهادي حميتو / كرسي تعليم القرآن ١٤٣٤هـ

كرسي القرآن الكريم وعلومه – جامعة الملك سعود بالرياض

الرؤية: تحقيق الريادة في تطوير الدراسات القرآنية.

الرسالة: تحقيق الريادة في خدمة القرآن وعلومه والتخطيط الاستراتيجي له على أسس علمية ومهنية معتمدين بعد توفيق الله على شركاءنا في المؤسسات العلمية ومكانة جامعة الملك سعود العالمية.

أهم الأهداف:

تطوير الدراسات المتصلة بالقرآن الكريم واستشراف مستقبلها

تطوير مقررات ومناهج وأساتذة الدراسات القرآنية في الجامعات.

بناء المعايير والمؤشرات لتطوير الدراسات المتعلقة بالقرآن وعلومه.

إنشاء مرصد عالمي للدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم.

أبرز المشاريع البحثية:

إنجاز ٢٥٪ من موسوعة التفسير الموضوعي.

إجراء دراسة بعنوان (مجالات توظيف الشبكات الاجتماعية في خدمة علوم القرآن).

إنشاء الموسوعة القرآنية التعاونية على الانترنت.[١]

عقد مؤتمر دولي عن تطوير الدراسات القرآنية في ٦ / ٤ / ١٤٣٤هـ بجامعة الملك سعود.

(١)) انظر صفحة الموسوعة القرآنية التعاونية www.quranicpedia.org/

كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقران الكريم بجامعة أم القرى – مكة المكرمة[١]

الرؤية: إسعاد الإنسان بهدي القرآن

الرسالة: تبيين المنهج القرآني للناس حتى يكون هدياً يمتثلونه وواقعاً يعيشونه.

الهدف العام: عرض المنهج القرآني بأسلوب حضاري يبرز بعده الإنساني في إسعاد البشرية جمعاء في الدنيا والآخرة، من خلال إعداد الأبحاث العلمية والدراسات الميدانية وتصميم النماذج العملية التطبيقية.

الأهداف التفصيلية:

) إعداد دراسة علمية شاملة تعنى بالهدي القرآني.

٢) إبراز النماذج الحضارية للهدي القرآني في تاريخ الأمة.

٣) إيجاد مرجعية علمية متخصصة في الأبحاث والدراسات المتعلقة بهدايات القرآن الكريم.

٤) إعداد وتأهيل متخصصين في نشر ثقافة العمل بالهدي القرآني وفق المنهجية العلمية التي يرسمها الكرسي.

أبرز المشاريع البحثية:

مشروع التأصيل العلمي للهدايات القرآنية

مشروع الموسوعة العالمية في الهدايات القرآنية.

مشروع موسوعة الهدايات الموضوعية في القرآن الكريم.

إصدار بعنوان: المشاريع البحثية في الدراسات القرآنية.([٢])

إصدار بعنوان: الشراكة المجتمعية بين المؤسسات القرآنية.([٣])

---

(١)) انظر: الكتيب التعريفي للكرسي – دار ناسة ١٤٣٣هـ، تقرير وإنجاز – دار ناسة ١٤٣٣هـ، نشرة "هداية" ١٤٣٣هـ، موقع الكرسي: kachqu.org ، حساب الكرسي على تويتر: https://twitter.com/quran_uqu

(٢)) انظر: المشاريع البحثية في الدراسات القرآنية: المنهجية-المعايير-المخرجات- مطابع جامعة أم القرى ١٤٣٥هـ.

(٣)) انظر: الشراكة المجتمعية بين المؤسسات القرآنية- مطابع جامعة أم القرى ١٤٣٥هـ.

كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقران الكريم بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض[1]

الرؤية: الريادة في تقديم خدمات بحثية، في مجال القرآن الكريم وعلومه، وأن يصبح الكرسي مرجعًا علميًا للجهات الحكومية، والأهلية، والأفراد في كل ما يرتبط بالقرآن الكريم وعلومه.

الرسالة: توفير بيئة بحثية ذات معايير علمية دقيقة لخدمة القرآن الكريم وعلومه، والمستجدات المعاصرة المرتبطة به، والعناية الشاملة به في جميع المجالات، من خلال منظومة متميزة من البرامج والدراسات العلمية، والعملية، لنشر هديه بين العالمين، واستصلاح أحوال الناس على منهجه ونوره، والدفاع عنه.

أهم الأهداف:

التأصيل العلمي في مجال التخصص، والعمل على تنميته وتطويره وتنظيمه وتنشيطه.

ربط مخرجات البحث العلمي المتعلق بالدراسات القرآنية المعاصرة بواقع العالم الإسلامي وغيره من خلال إيجاد بيئة تقوم على الشراكة بين الجامعة، والجهات الحكومية والأهلية وغير الربحية.

دعم المعرفة المتخصصة في مجال القرآن الكريم وعلومه، والبحوث العلمية والأنشطة المرتبطة بها.

تحقيق التكامل في مجال البحث العلمي المتخصص في القرآن الكريم وعلومه بين الجامعة بوحداتها المختلفة، والمؤسسات البحثية داخل الجامعة وخارجها.

(١)) انظر: موقع جامعة الإمام محمد بن سعود www.imamu.edu.sa/

أبرز المشاريع البحثية:

موسوعة بهجة القراء في حفظ القرآن الكريم وتدبره على منهج السلف.

رسالة أسانيد القراءات ومنهج القراء في دراستها – دراسة نظرية تطبيقية.

كتاب: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم.

كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقران الكريم بالجامعة الإسلامية– المدينة المنورة[1]

الرؤية: تحقيق التميز والريادة في خدمة القرآن الكريم وعلومه.

الرسالة: كرسي علمي يُعنى بالقرآن وعلومه روايةً ودرايةً وفق معايير متميزة أكاديميًّا وبحثيًّا خدمةً للمهتمين بكتاب الله والمتخصصين في الدراسات القرآنية محليًّا وعالميًّا.

أهم الأهداف:

الإسهام في نشر القرآن الكريم وعومه رواية ودراية.

توظيف الكفاءات العلمية المتخصصة لخدمة القرآن الكريم وعلومه.

الاستفادة من التقنيات الحديثة في خدمة العلوم المتعلقة بكتاب الله محلياً ودولياً.

الارتقاء بالبحث العلمي في الدراسات القرآنية الأكاديمية.

(١)) انظر موقع الجامعة الإسلامية: http://www.iu.edu.sa/News/Pages/١٥٣٢١١١.aspx

أبرز المشاريع البحثية:

إنشاء مقرأة الكترونية بتقنيات متقدمة تقوم بمهامها التعليمية والإقرائية للراغبين في مختلف دول العالم.

حوسبة المصادر العلمية الأصيلة من كتب القراءات والتفسير والتجويد والإعجاز والرسم.

إعداد قواعد بيانات متنوعة لكتب الفن ومصنفاته المطبوعة والمخطوطة والرسائل العلمية ذات العلاقة.

تقديم برامج إعلامية لنشر علوم القرآن وترغيب الناس في تحصيلها.

كرسي الشيخ يوسف بن عبد اللطيف جميل للقراءات القرآنية – جامعة طيبة بالمدينة المنورة[1]

الرؤية: أن يكون برنامج كرسي القراءات بجامعة طيبة قبلة للباحثين المختصين وغير المختصين في الدراسات القرآنية خصوصا والإسلامية عموما، جامعا بين الأصالة والمعاصرة، متناسبا مع جميع شرائح المجتمع؛ ليسد احتياجات الباحثين والمتخصصين، ويخدم المسلمين خاصة والبشرية عامة.

الرسالة: الإسهام في خدمة القرآن الكريم من خلال إعداد كرسي علمي مختص للقراءات العشر المتواترة رواية ودراية.

(١)) انظر: موقع جامعة طيبة www.taibahu.edu.sa/

أهم الأهداف:

الارتقاء بمستوى تعلم القراءات داخل الجامعة وخارجها.

تطوير نظم تعليم القرآن الكريم وحفظه وبيانه وفق منهج معرفي قويم يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

فتح المجال أمام الباحثين وصولا لدرجة الإبداع في البحث العلمي في الدارسات القرآنية.

تحقيق رغبة القطاعين الخاص والعام للمشاركة في النهضة العلمية.

ثالثاً: معالم التجديد في الدراسات القرآنية من خلال الكراسي العلمية

من خلال العرض التعريفي بالكراسي العلمية القرآنية والتأمل في أهدافها وتطلعاتها ومشاريعها وإنجازاتها، تبرز لنا معالم مهمة للحراك التجديدي الذي تنشده هذه الكراسي في سبيل خدمة الدراسات القرآنية وتطويرها في جميع المجالات بما يتناسب مع متطلبات العصر ومستجدات الواقع ، ولعل من أوضح هذه المعالم ما يلي:

١-التكامل بين الكراسي القرآنية في خدمة القرآن الكريم والنظرة الشمولية في تحديد نطاق عملها حتى يتم تلافي التكرار والازدواجية والتضارب في المشاريع العلمية، وبهذا التكامل والشمول تتحقق جملة من المصالح العلمية والعملية، إضافة إلى التوظيف الأمثل للطاقات وتوفير المال والجهد، وقد برز هذا المبدأ من خلال اللقاءات التنسيقية بين مشرفي وأساتذة الكراسي القرآنية التي نظمها كرسي الملك عبد الله بجامعة أم القرى لمدة عامين على التوالي.[1]

(١)) انظر كتاب: الشراكة المجتمعية بين المؤسسات القرآنية- مطابع جامعة أم القرى ١٤٣٥هـ.

٢- التنوع في أعمال ومهام الكراسي القرآنية، حيث تغطي عدداً من المجالات البحثية ذات العلاقة بكتاب الله تعالى، فشملت الجوانب: العلمية الدقيقة والتعليمية والتطويرية والتقنية والموسوعية وغيرها.

٣-التخصص في مجال قرآني محدد من قبل كل كرسي، والتركيز على خدمة محور أساس بنسبة لا تقل عن (٧٠٪) والمشاركة في بقية المحاور بنسبة (٣٠٪) تقريباً، وقد شملت تخصصات هذه الكراسي المجالات الآتية:

مجال القراءات القرآنية، وتخصص فيه كرسي جامعة طيبة.

مجال تعليم القرآن وإقرائه، وتخصص فيه أحد كراسي جامعة الملك سعود.[١]

مجال الهدايات القرآنية، وتخصص فيه كرسي جامعة أم القرى.

مجال تطوير الدراسات القرآنية، وتخصص الكرسي الثاني بجامعة الملك سعود.

مجال حفظ القرآن وتدبره، وتخصص فيه كرسي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ويضاف إلى ذلك تخصص مركز "نور" بجامعة طيبة في مجال أبحاث تقنية المعلومات لخدمة القرآن الكريم وعلومه.[٢]

٤-تعدد الوسائل والأساليب المتبعة في تحديد الاحتياجات العلمية واختيار المشاريع البحثية، ومن أبرز هذه الوسائل: عقد المؤتمرات التخصصية ذات العلاقة بالتجديد والتطوير في خدمة القرآن الكريم وعلومه، ومنها المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية الذي نظمه كرسي القرآن بجامعة الملك سعود عام ١٤٣٤هـ، وسيتلوه المؤتمر الثاني عام ١٤٣٦هـ، ومنها الملتقى

(١)) انظر كتاب: إقراء القرآن الكريم-دخيل الدخيل- مركز الدراسات بمعهد الإمام الشاطبي – جدة

(٢)) أنظر موقع مركز "نور": http://www.nooritc.org/

الأول والثاني لكرسي الملك عبد الله بجامعة أم القرى، حيث استخدمت حلقات النقاش التخصصية وورش العمل المفتوحة لمناقشة الاحتياجات العلمية واقتراح المشاريع وتحكيمها علمياً من قبل المختصين في كل مجال.

٥-العمل المؤسسي في خدمة الدراسات القرآنية، والتقليل من الاعتماد على الجهود الفردية والاجتهادات الشخصية سواء في تحديد التوجهات العلمية أو اختيار المشاريع البحثية أو التحكيم والتقويم للمخرجات، ويكون ذلك بوضع خطط إستراتيجية ومعايير جودة ومؤشرات أداء تحكم سير العمل إدارياً وعلمياً ومنهجياً.

٦-الجِدّة في الموضوعات المختارة في مجال كل كرسي، بحيث تتجاوز الطرح التقليدي في الأبحاث والدراسات، مع المحافظة على الأصالة العلمية والعمق التأصيلي في المنتج، ومثال ذلك أن الكراسي اتجهت إلى إعداد الموسوعات المختصة بمجال عملها، حتى تحقق إضافة علمية ملامسة لحاجة الدراسات القرآنية، ومن هذه الموسوعات: موسوعة بيبلوغرافيا علوم القرآن وموسوعة التفسير الموضوعي وموسوعة هدايات القرآن وموسوعة بهجة القراء في حفظ القرآن الكريم وتدبره على منهج السلف.. الخ.[1]

٧-الانفتاح على الواقع المعاصر ومراعاة مستجدات الحياة ومتغيرات العصر، وعدم الجمود والتقليد والاستنساخ في اختيار المشاريع أو في استخدام الوسائل العصرية أو في طرق العرض والنقاش أو غيرها، حيث نصّت أغلب الكراسي في أهدافها على مواكبة متطلبات العصر وتحقيق احتياجات الناس للإهتداء بالقرآن العظيم في واقع حياتهم بما يصلح لهم دينهم ودنياهم، والتطلع نحو العالمية في الخدمة القرآنية المقدمة للبشرية جمعاء بما يتناسب مع

(١) ينظر في ذلك: دليل الكتب المطبوعة في الدراسات القرآنية- مركز الدراسات بمعهد الإمام الشاطبي – جدة

عالمية رسالة الإسلام وصلاحه لكل زمان ومكان.

٨- فتح آفاق جديدة للعلماء والباحثين والمختصين وطلاب الدراسات العليا في مجال البحث القرآني والدراسات الميدانية والخدمات العلمية المساندة لتطوير الدراسات القرآنية، وتوفير فرص بحثية واقتراح مشروعات علمية مدروسة ومحكّمة من خبراء الفنون القرآنية، وإتاحتها لكل من يرغب في خدمة كتاب الله تعالى علمياً وعملياً، من خلال نشرها في المواقع الالكترونية وطباعتها وتوزيعها ومن خلال الاستكتاب المقنن للعلماء والخبراء ومن خلال الدعوة المفتوحة للمشاركة في المؤتمرات والملتقيات العلمية ونحوها من الوسائل، ويهدف كرسي القرآن وعلومه بجامعة الملك سعود إلى إنشاء مرصد عالمي للدراسات القرآنية، وهذا بُعد عالمي مهم في تطوير الدراسات وإثرائها.

٩- الشراكة المجتمعية في خدمة الدراسات القرآنية، حيث حرصت أكثر الكراسي على تفعيل مفهوم الشراكة بينها وبين مؤسسات المجتمع وأفراده، خاصة وأنّ المجتمعات الإسلامية تتوفر لديها العديد من المؤسسات القرآنية المتمثلة في الكليات والأقسام الأكاديمية والجمعيات العلمية بالجامعات ومراكز الأبحاث المتخصصة وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم والهيئات القرآنية العالمية وغيرها، وقد نظمت الكراسي عدداً من اللقاءات التنسيقية ووقعت عدداً من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم في هذا الخصوص، كما انتظمت حلقة نقاش نظمها كرسي جامعة أم القرى أكثر من ثلاثين مؤسسة قرآنية لمناقشة احتياجاتها البحثية وتحديد سبل التعاون المشترك في المجالات العلمية، وتوّج هذا الجهد بإصدار علمي تمت طباعته تحت عنوان: (الشراكة المجتمعية بين المؤسسات القرآنية).[1]

(١)) انظر كتاب: الشراكة المجتمعية بين المؤسسات القرآنية- مطابع جامعة أم القرى ١٤٣٥هـ.

١٠- الإسهام في البناء التنموي للمجتمعات والدول، حيث تسعى الكراسي القرآنية لأن تكون مخرجاتها العلمية متلائمة مع متطلبات التنمية، وبيئة خصبة لإثراء العلوم والمعارف العلمية والعملية وإنجاز المشاريع البحثية المستجدة في مجالات تخصصاتها المتنوعة؛ لخدمة اقتصاديات المعرفة وتنشيط الحركة العلمية البحثية وتوظيفها بما يسهم في تطورات التنمية المستدامة محلياً وإقليميا ودولياً.[١]

١١- العناية بالبعد الإعلامي: وتمثل ذلك في نشر مخرجات الكراسي العلمية من الأبحاث والموسوعات والدراسات القرآنية، إضافة إلى تقديم برامج إذاعية وتلفزيونية مختصة بالدراسات القرآنية، كما هو الحال في البرنامج الإعلامي المقدّم من قبل كرسي تعليم القرآن وإقرائه، ويتطلع كرسي الجامعة الإسلامية إلى تقديم برامج إعلامية لنشر العلوم القرآنية، ولاشك أن هذه الخطوات لها أثرها الملموس في النظرة التجديدية للدراسات القرآنية، وفي إفادة المجتمعات من مخرجات الكراسي العلمية، وعدم الانتهاء بأبحاثها إلى خزائن الكتب ورفوف المكتبات.

١٢- توظيف التقنيات الحديثة: حيث عُنيت الكراسي القرآنية باستخدام التقنيات الحديثة في التعريف بمجالات الدراسات القرآنية ونشر أبحاثها ومخرجاتها من خلال مواقعها على الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي بمختلف أنواعها، ويسعى كرسي القرآن وعلومه بجامعة الملك سعود إلى إنشاء الموسوعة القرآنية التعاونية على شبكة الانترنت، كما يسعى كرسي الجامعة الإسلامية إلى إنشاء مقرأة الكترونية عالمية.[٢]

وقد تقدمت الإشارة إلى مركز " نور" بجامعة طيبة والذي حدد رؤيته بأن

(١) أنظر: صفحة الكراسي العلمية بمواقع: جامعة أم القرى / جامعة طيبة / جامعة الملك سعود

(٢) انظر برنامج الورشة التأسيسية لكرسي الملك عبدالله بالجامعة الاسلامية- ١٤٣٥هـ

يصبح مرجعية علمية عالمية في مجال توظيف تقنية المعلومات في خدمة القرآن الكريم.[١]

رابعاً: نماذج تطويرية في خدمة الدراسات القرآنية بكرسي الملك عبد الله للقرآن الكريم بجامعة أم القرى

تخصص كرسي جامعة أم القرى في مجال "الهدايات القرآنية" باعتبار أنّ الغاية التي أنزل القرآن من أجلها هي هداية العالمين، حيث وصف الله عز وجل كتابه الكريم بأنّه: (هدىً للناس)[٢] و (هدىً للمتقين)[٣] وقال عنه: (إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[٤]، وللوصول بمخرجات الكرسي إلى أرقى المستويات التي تتلاءم مع عظمة كتاب الله تعالى، فقد عمد فريق الكرسي في فترته التحضيرية إلى تطوير منهجية عمل جديدة في اختيار المشاريع البحثية، كما عُني بتحديد المعايير العلمية لاختيار الباحثين ولتحكيم المخرجات، وبعد هذه المرحلة شرع الكرسي في مشاريعه التخصصية، وكان من نتاجه خلال السنة الأولى من عمره النماذج التالية:

النموذج الأول: المشاريع البحثية في الدارسات القرآنية: (المنهجية ـ المعايير ـ المخرجات)

فكرة المشروع: تحديد موضوعات علمية للمشاريع البحثية في مجالات الدراسات القرآنية، تم التوصل إليها من خلال (١٠) حلقات نقاش علمية تخصصية شارك فيها نحو (٢٣٠) مختصاً في العلوم القرآنية المتنوعة و(٣٠)

(١) أنظر كتاب أبحاث مؤتمر "مؤتمر جامعة طيبة الدولي في توظيف تقنية المعلومات لخدمة القرآن" مجلد٢- المدينة المنورة ١٤٣٥هـ، موقع مركز "نور": http://www.nooritc.org/

(٢) البقرة: ١٨٥

(٣) البقرة: ٢

(٤) الإسراء: ٩

مؤسسة قرآنية، ومن ثم تحكيم المخرجات الكترونياً من قبل نحو (١٠٠) خبير وفق ضوابط علمية محددة.[١]

أهداف المشروع:

١-بناء رؤية تكاملية للمشاريع البحثية في الدراسات القرآنية.

٢-تأسيس منهجية علمية لتحديد الاحتياجات البحثية في المجالات القرآنية.

٣-تقديم خدمة علمية للمختصين والباحثين في الدراسات القرآنية.

مخرجات المشروع: ارتكزت المنهجية العلمية للمخرجات على تصنيف مجالات الدراسات القرآنية إلى (٥) مجالات رئيسية، ومن ثم تحديد الاحتياجات العامة، ثم اقتراح المشاريع في كل مجال، وقد بلغ عدد المشروعات المقترحة إجمالاً (١٧٧) والتي تجاوزت التحكيم منها (١٦٨) مشروعاً، وهي موزعة على النحو الآتي:

مجال القراءات وعلومها (٣٦) مشروعاً.

مجال التفسير وعلوم القرآن (٢٦) مشروعاً.

مجال الدفاع عن القرآن (٣٢) مشروعاً.

مجال القرآن والوسائل المعاصرة (١٨) مشروعاً.

مجال هدايات القرآن ومقاصده (٥٦) مشروعاً.

(١)) انظر كتاب: المشاريع البحثية في الدراسات القرآنية: المنهجية-المعايير-المخرجات- مطابع جامعة أم القرى ١٤٣٥هـ.

النموذج الثاني: مشروع: " الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية "[1]

حيث تخصّص كرسي جامعة أم القرى في مجال هدايات القرآن بحثاً ودراسة مع العناية بالتطبيقات العملية وربط المخرجات بواقع الأمة الحالي، فقد حدد مراحل العمل في هذا المجال في المشاريع الآتية:

١) التأصيل العلمي لهدايات القرآن في ضوء النصوص الشرعية.

٢) الهدي القرآني في حياة السلف – دراسة تاريخية استقرائية.

٣) أثر الهدي القرآني في الحياة العملية – دراسة مسحية ميدانية تحليلية لقياس أثر الهدي القرآني في واقع حياة المسلم.

٤) تصميم النماذج التطبيقية: مثال: (الهدي القرآني في حياة الأسرة: صنع نموذج عملي لتطبيقات الهدي القرآني في الحياة الأسرية).

٥) إعداد الموسوعات العلمية، ومنها: الموسوعة العالمية في الهدايات القرآنية،وموسوعة الهدايات الموضوعية في القرآن الكريم.

وقد بدأ العمل فعلياً في المشروع التأصيلي ليكون دستور عمل تُبنى عليه المراحل التالية له، واشتملت خطة المشروع على الآتي:

عنوان المشروع: " الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية "

أهداف المشروع:

التأصيل العلمي لدراسة الهدايات القرآنية.

بيان هدي السلف في التعامل مع الهدايات القرآنية.

تحصيل مسالك ومناهج العلماء في الوصول لهدايات القرآن.

بيان المنهج الأمثل للتعامل مع الهدايات القرآنية.

(١)) تم إنهاء المرحلة الأولى من المشروع -ولله الحمد- وهو الآن يخضع للتحكيم العلمي وفق معايير الكرسي.

محاور الدراسة التأصيلية للمشروع:

المحور الأول: مفهوم الهدايات القرآنية ومنزلتها وخصائصها.

المحور الثاني: أنواع ومجالات الهدايات القرآنية.

المحور الثالث: أساليب ووسائل القرآن الكريم في عرض الهدايات.

المحور الرابع: المنهج الأمثل في التعامل مع الهدايات القرآنية.

المحور الخامس: أثر الهدايات القرآنية في النهوض بالأمة ومعالجة مشكلاتها الواقعية.

النموذج الثالث: الموسوعة العالمية في "الهدايات القرآنية"([1])

فكرة المشروع: إعداد موسوعة علمية عالمية مختصة في مجال الهدايات القرآنية يتم إنجازها من خلال رسائل أكاديمية لطلاب مرحلة الدكتوراه في شتى جامعات العالم وفق نظام المنح العلمية.

التوصيف العلمي للمشروع: عبارة عن دراسة نوعية في مجال التفسير، تستفيد من كل ما كتب فيه عبر القرون، في مختلف المدارس والاتجاهات التفسيرية في مجال استنباط الهدايات والحكم وأسرار التعبير في كل سورة، حسب الأصول والضوابط التي استقرت عند العلماء، ووفق منهجية علمية دقيقة ومحكّمة وميسرة، مع السعي لربط الواقع بهدي القرآن الكريم بهدف تقويمه وإصلاحه.

أهداف المشروع:

١- نشر رسالة الهدايات القرآنية في العالم.

٢- الإسهام في إثراء البحث العلمي في مجال الهدايات القرآنية.

٣- توظيف الطاقات المتميزة في جامعات العالم لخدمة القرآن الكريم وهداياته.

(١) تم عقد الورشة التأسيسية للمشروع في شهر رجب ١٤٣٥هـ وإعداد خطته العلمية ويجري الآن تصميمه قانونيا.

٤- فتح آفاق جديدة في استنباط هدايات القرآن الكريم وربطها بواقع الأمة.

عدد الرسائل العلمية المتوقعة: (٦٠) رسالة دكتوراه.

مدة المشروع: ٨ سنوات.

الجامعات العالمية المستهدفة: (٦٠) جامعة.

خامساً: الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

وبعد هذا التطواف بين كراسي البحث القرآنية والتعرف على أبرز خصائصها ومميزاتها، وتلمس معالم التجديد لديها في خدمة الدراسات القرآنية وتطويرها وإثرائها، جامعة بين الأصالة والمعاصرة، أخلص إلى ما يلي:

أولاً: أهم النتائج:

تعتبر الكراسي العلمية القرآنية إضافة مؤسسية جديدة في خدمة الدراسات القرآنية وتطوير مجالاتها المتنوعة.

يتوفر لدى الكراسي القرآنية رصيداً علمياً وتطبيقياً وآفاقاً واسعة لمواكبة التجديد في الدراسات القرآنية.

تحرص الكراسي القرآنية على ربط القرآن الكريم بالواقع والإسهام في علاج قضايا الأمة الإسلامية المعاصرة.

من معالم التجديد في الدراسات القرآنية من خلال الكراسي العلمية: التكامل والشمولية والتنوع في الطرح مع تعدد الوسائل والأساليب والانفتاح على الواقع ومراعاة المستجدات وفق منظومة عمل مؤسسية تقوم على الشراكة المجتمعية لتحقيق بناء تنموي يتناسب مع احتياجات الأمة.

تشتمل مخرجات الكراسي العلمية القرآنية على عدد من النماذج التطويرية في خدمة الدراسات القرآنية ومنها على وجه الخصوص النماذج المذكورة بكرسي

الملك عبدالله للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

للكراسي القرآنية أهدافاً مشتركة من أهمها: الإسهام في إثراء العلوم والمعارف الإنسانية ، ونشر ثقافة التجديد والتطوير والابتكار والإبـداع في مجالات الدراسات القرآنية بما يتلاءم مع اهتمامات الكراسي واختصاصاتها.

أسهمت المؤتمرات الدولية والعالمية في إثراء الاتجاهات التجديدية للدراسات القرآنية والاتقاء بها لمواكبة الواقع المعاصر وتجاوز التحديات التي تواجهها في سبيل تحقيق أهدافها السامية.

ثانياً: التوصيات:

العناية بالمشاريع والجهود المؤسسية في خدمة الدراسات القرآنية تأسيساً وتطويراً ودعماً وتعريفاً وإبرازاً لإنجازاتها ومخرجاتها، ومن ذلك إنشاء المزيد من المراكز البحثية والكراسي العلمية والجمعيات والمؤسسات والكليات والأقسام المختصة بالمجالات القرآنية.

عقد الشراكات العلمية والمجتمعية بين الكراسي البحثية والمؤسسات القرآنية لتحديد الاحتياجات وترتيب الأولويات وتنظيم المؤتمرات والفعاليات ذات العلاقة بالتجديد والتطوير في مجال الدراسات القرآنية.

أ.د. يحيى بن محمد حسن زمزمي

المشرف على كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم

بجامعة أم القرى

التواصل

- جوال المشرف على الكرسي :

  + ٩٦٦ ٥٠٥٦٥٧٤٣٢

- سكرتارية الكرسي : + ٩٦٦ ٥٩٨٧٣٠٣٣٠

- سنترال : ٠١٢٥٢٧٠٠٠٠

- تحويلة : ٥٢٥٦ - ٥٢٥٥ - ٥٢٥٤

- تلفاكس : ٠١٢٥٥٨٥٧١١

- الموقع الإلكتروني : www.kachqu.org

- البريد الإلكتروني : kachqu@gmail.com

info@kachqu.org

كرسي الملك للقرآن

@quran_uqu

@quran_uqu

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي - جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين - قاعة (٤٧)
www.kachqu.org